



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون

قسم اللغة والأدب العربي



الخطابة العربية بين بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع

"جمهرة خطب العرب" أنموذجا

—دراسة تداولية—

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه (ل.م.د) في الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات تطبيقية

إشراف الأستاذ الدكتور:

بلقاسم دفه

إعداد الطالب:

محمد الصالح أنصر

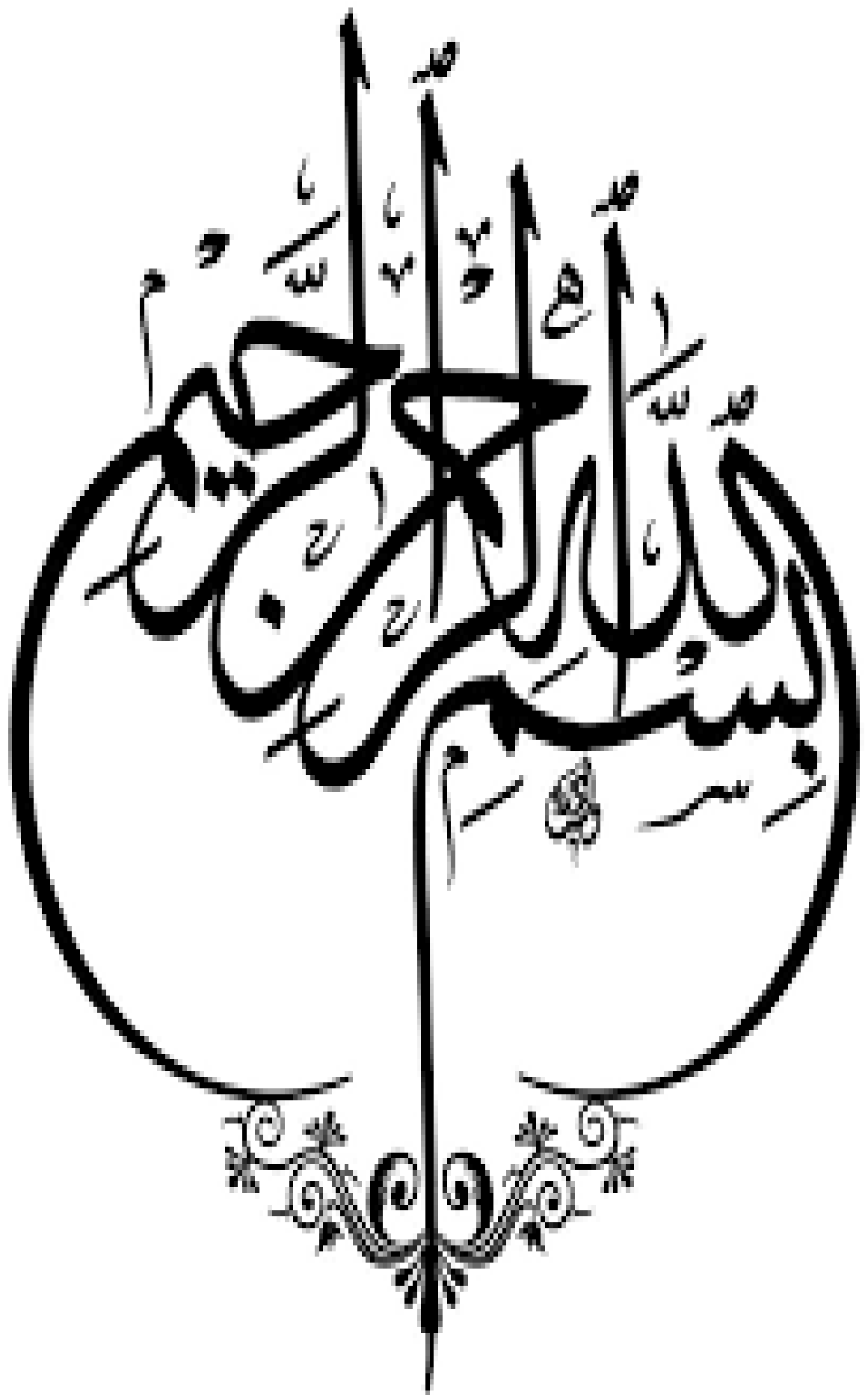
لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم و لقب الأستاذ
رئيسا	جامعة باتنة 1	أستاذ التعليم العالي	لخضر بلخير
مشرفا و مقررا	جامعة باتنة 1	أستاذ التعليم العالي	بلقاسم دفه
عضوا	جامعة باتنة 1	أستاذ محاضر "أ"	ابتسام بن خراف
عضوا	جامعة بسكرة	أستاذ التعليم العالي	ليلى سهل
عضوا	جامعة سطيف 2	أستاذ التعليم العالي	نوارى سعودي
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	ذهبية بروس

السنة الجامعية: 1440/1441هـ - 2018/2019م

إهداء

إلى علة وجودي، وسبب صدوري وورودي،
إلى الروح التي احتضنتني حتى اشتد عودي،
وإلى اليد التي أنهضتني ورافقتني في نزولي وصعودي
...إلى الوالدين العزيزين
إلى من يقاسمني الحياة باسمه وعابسة،
ويرنو معي إلى الآفاق آفلة وساطعة
... إلى الزوجة الكريمة
إلى فلذات الأكباد وثمرات الفؤاد ... إلى بناتي وأبنائي.
إلى كل من ترك في فكري لمسة نبل، أو بصمة مروءة،
من الأساتذة الفضلاء، وأصدقائي في التعلم عبر الزمان.
إلى كل من يقدر للكلمة قيمتها:
بأنها تبني وتهدم، وتوجد وتعدم، وتؤخر وتقدم،
فهي الفكر والأثر.



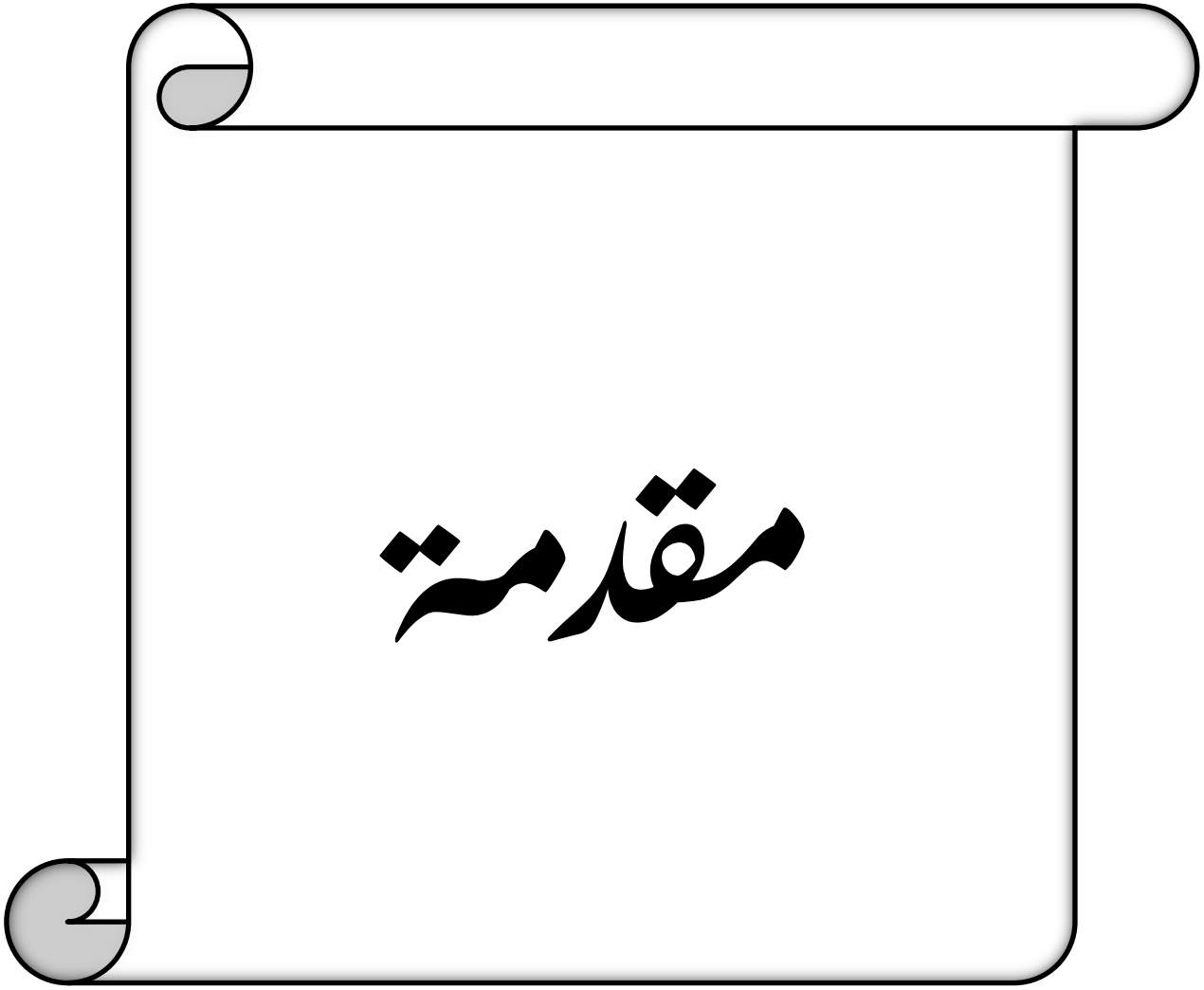
وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ

وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

وَفَضْلَ

الْخِطَابِ

سورة ص الآية 20



مقدمة:

لا يُعرف الإنسان إلا متوصلا مع غيره، تواصل يصنعه وفاق وتفاهم أو نزاع وتخاصم، وفي كلا الحالين، ليس للإنسان من سبيل أنجع من توظيف طاقة اللغة، ليُبين عن نفسه، ويكشف عن وجوده، ليجلب نفعاً أو يدافع سوءاً، لكن اللغة رغم ما تملكه من قدرة على صناعة العالم، وتغييره، وترقيته وتطويره، تبقى طاقة كامنة، وقوة لا بثة، لا تفعل ما يمكنها فعله إلا إذا حُرِّكت آلتها ونُشطت وهَجَّها.

ولعل أقرب الصور المجسدة لعبقرية اللغة وهي تهيمن على وجود الإنسان، عقلاً ووجداناً، إنما هي صورة الخطيب يحاجج ويرافع، ويتودد ويدافع. وينازل ويصارع فكرةً، لو تُركت وعقل الإنسان لشوشته، وإن لم يحجز بينها وبين قلبه لملكته، ولن تدمغها فكرةً محاججةً أنصع، إلا بكلمة أمتع وأقع.

وحول صراع الأفكار، لتثبيت حق أو استرجاع آخر، نشأ ونما، واشتد وسما فن المقول، ومخاطبة القلوب والعقول؛ إنها الخطابة، أحد الفنون ليست الأدبية فقط، بل والإنسانية، ونمط ليس فنياً من الفنون النثرية، بل شكل من رقي البشرية، حين تصير الكلمة بديلاً عن السيف، والحجة عوضاً عن العنف، ومن هنا وُجدت الخطابة لصيقة بالحضارة الإنسانية.

لقد ارتبطت الخطابة بفكرة التمكّن من اللغة، والقدرة على تصريف أساليبها، والتحكّم في تراكيبيها، مع تميز ومهارة في إيصال الأفكار، من أقرب الوجوه وأدق المسالك، وبأمتن طرح وأقوى حجة؛ فهي تهدف إلى الاستحواذ على القوى المحركة للإنسان، عقله، وقلبه؛ فمتى أمسكت برباطهما تحكمت في وجوده، فالخطابة تهدف إلى التأثير في نفوس السامعين واستمالتهم وإقناعهم.

ولا شك أن مفهومي الإثارة والإقناع لهما صلة وثيقة بالبلاغة التي بدورها يتجاوزها معنيان؛ يدلّ الأول على الخطاب الذي يستهدف الإقناع، وإحداث الفعل أو الاستعداد له، ويدلّ الثاني على الخطاب الذي لا يلتفت إلى الإقناع؛ ويتوجه ليغدو خطاباً جمالياً، ينتج المتعة الناتجة عن الإحساس بالجمال؛ ومن هذه الزاوية تشكل إطار بحث يتركز على مصطلحات أهمها: الخطابة، والبلاغة، والإقناع والتداول، والإمتاع والتخييل، والتواصل والتداولية،... مكنت من صياغة العنوان التالي:

الخطابة العربية بين بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع .

"جمهرة خطب العرب" أ نموذجاً

-دراسة تداولية-

وقد اخترت كتاب "جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة" لـ "أحمد زكي صفوت" مدونة ومجالاً للبحث التطبيقي في ميدان التداولية. لما تضمنه هذه المدونة من خطب هي الأهم والأشهر، قيلت في الفترة الزمنية الممتدة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي الأول.

وفي واقع الأمر، فإن وراء اختيار هذا الموضوع عدداً من الدوافع والأسباب أهمها :

- ندرة الدراسات التي تناولت الخطابة العربية من منظور تداولي؛ يزاوج بين البلاغي الأسلوبي، والحجاجي التواصلية، إذا تكاد تقتصر جل الدراسات السابقة على جانب دون آخر، إما في موضوعي وإما حجاجي إقناعي.

- عودة الاهتمام بالبلاغة في الدراسات المعاصرة، التي تنادي بجمالية الرجوع بالبلاغة إلى مكانتها الحقيقية بوصفها ملتقى التخيل والتداول.

- ما تمثله الخطابة بالنسبة لي كمارس لها بحكم الصفة المهنية .

ومنشأ فكرة البحث يعود إلى النظرة السلبية نحو الخطابة العربية، التي حكمت عليها بأنها خطاب أساسه التزيين والتنميق، ويهدف إلى استثارة العاطفة واستجاشة الأحاسيس، دون أن يرتكز على بناء الفكرة، والعمل على الإقناع بها، وهذا التصور يستدعي المقابل الضمني له؛ متمثلاً في التصور اليوناني للخطابة، مجسداً فيما قام به اليونان وأرسطو تحديداً من وضع نظرية في الحجاج، مبدأها الفن الخطابي ومنتهاهها، علم البلاغة، علم يؤطر إبداعية العقل باللغة. وبناء على ذلك تشكلت إشكالية البحث التي يمكن تحديدها فيما يلي:

- ما مدى أهمية الإقناع في الخطابة العربية؟ وما أثر النزعة العربية إلى التخيلي والشعري في توسيع الإقناع أو تضييقه؟

- وبافتراض وجود تقاطع و تداخل بين التخيلي و التداولي، وبين التصديقي والشعري، كيف استثمرت الخطابة العربية هذا التداخل للمراوحة بين المعاني الشعرية والخطابية لخدمة العملية التواصلية؟

- وأين يكمن المقوم التداولي بالنسبة للخطابة العربية؟

وهي الأسئلة الإشكالية التي يمكن تلخيصها في سؤال إشكالي محوري هو : كيف يمكن الكشف عن مظاهر تجلي النظرية التداولية بمختلف أبعادها في الخطاب العربي التراثي عبر منتجهم الخطابي؟ في المستويين السطحي التطريزي، والضماني التخيلي؟.

إن طبيعة الأسئلة المطروحة في الإشكالية، تستدعي منهجا يتلاءم مع الأهداف التي يرمي إليها البحث ، ولأن موضوع البحث متمثلا في الخطابة ببعدها التواصلية، وعلاقتها بالبلاغة؛ وما تتضمنه من آليات؛ تسمح ببلوغ الخطاب أقصى أهدافه، فإن هذه الخلفية جعلت المنهج التداولي أنسب المناهج لدراسة هذا الموضوع . ولا شك في أنه لن يستقل بدراسة هذا النوع من المواضيع وحده، فقد يستعين حيناً بآلية الإحصاء لرصد الظواهر ، وبالوصف لوصفها، ومن ثمة المنهج التداولي لتحليلها.

وتدرس المقاربة التداولية النص أو الخطاب في علاقته بالسياق التواصلية، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، كما تركز المقاربة التداولية، على تأويل ضمنيات الكلام، مستندة على عنصر المقصدية، لتحليل العلاقات المتولدة بين المتكلم والمتلقي، في المقام التخاطبي ضمن سياق الحدث الكلامي.

وأحسب أن البحث في هذا الميدان وفق الإشكال المطروح يكتسي أهمية وازنة، تتمثل في أنه يمكن من:

- دراسة الخطابة العربية بعيدا عن النظرة التقليدية؛ التي دأبت على تقديم قوالب جاهزة متعلقة بإعداد الخطيب، أو بتحضير الخطبة. والتوجه بالنظر إلى الخطابة على أنها موضوع بحث لغوي لساني.
- الوقوف على أهمية الخطابة عند العرب في بناء تفكيرهم الحجاجي، وبلورة العقل الإقناعي لديهم.
- تفكيك العملية التواصلية عند العرب، لغويا و بيئيا وفكريا.
- الكشف عن مظاهر الأصالة في الخطابة العربية.
- استكشاف البناء الخطابي العربي في مختلف مستوياته اللسانية والتداولية.
- توجيه المستوى الصوتي توجيهها تداوليا، حجاجيا. و إبراز صفته التكوينية لا التحسينية في نسيج الخطاب.

والبحث بهذا الشكل يدخل ضمن الدراسات الحديثة التي اهتمت بالنص التراثي وقارنته من زوايا نظر عديدة ، محاولة الكشف عن مدى تجاوبه مع النظريات الحديثة و تطبيقاتها .

والخطابة بوصفها أحد أشكال النص التراثي؛ نالت جانبا من هذه الدراسات، لكن يبدو أن أكثرها لم يتجاوز المنظور الفني النقدي أو النصي الأسلوبي، أذكر منها :

- الخطابة العربية في العصر الأموي، دراسة نصية أسلوبية، إعداد عادل سلامة خلف بني خالد، إشراف سالم مرعي الهدروسي، جامعة اليرموك - إربد /الأردن، 2002. وهي رسالة ماجستير حاول الباحث من خلالها أن يقرأ النص الخطابي في عصر بني أمية قراءة أسلوبية، تظهر بعض الجوانب الفنية للنص الخطابي في هذا العصر، مركزا على عناصر التناس، التكرار، التوازي ثم الصورة الفنية.

ويوجد على ساحة البحث كثير من مثل هذه الدراسات ، لكنها ظلت في إطار النظري البلاغي، أو الفني الأسلوبي بعيدة عن التصور التداولي العملي. وهو التصور الذي لم يخلو من دراسات تجسده، وإن قلت ولعل أهمها:

- كتاب "في بلاغة الخطاب الإقناعي" وبعنوان فرعي؛ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية - الخطابة العربية في القرن الأول أمودجا- من نشر دار إفريقيا الشرق سنة 2002. وهذا الكتاب تكمن أهميته، أن هدف إلى فتح الباب لدراسة الخطاب الحجاجي، والحجاج في النص العربي القديم خصوصا؛ وفق منهجية جديدة، مخالفة لمنهجية دراسة النصوص الشعرية؛ وقد اتخذ كتاب الخطابة لأرسطو والتنظير الأرسطي مثالا يحتذى، أو لنقل أنه حاول إسقاط الخطابة الأرسطية على الخطابة العربية ، لذا غاب في هذه الدراسة المباحث التداولية الحديثة ، كأفعال الكلام والاستلزام الحوارية وغير ذلك .

وفي إطار تطبيق هذه المنهجية في دراسة الخطابة نسجل كتاب عبد الجليل العشراوي تحت عنوان: الحجاج في الخطابة النبوية، نشر عالم الكتب الحديث إربد-الأردن، سنة 2012 . وفيه اهتم صاحبه بشكل محوري بجانب تداولي واحد هو الحجاج، وإن كان قد أضاف له بعدا جديدا؛ تمثل في استثمار مباحث البلاغة العربية استثمارا حجاجيا، غير أنه جاء في صور إلماعات، أو نوافذ نحو داسة أوسع، مبقيا لمباحث مهمة في الدراسات التداولية خارج الدراسة مثل الاستلزام والافتراض المسبق، التي تعد الخطابة النبوية وعاء خصبا لها تبعا للمنهج النبوي المحمدي الراقي في التواصل؛ في كل الوضعيات ومع جميع المتلقين.

وإلى جانب هاتين الدراستين المنشورتين، تأتي دراسات أكاديمية أخرى منها المخطوط، ومنها المنشور، دارت حول الحجاج في الخطابة العربية، في أحد عصورها، فمن تلك الدراسات المخطوطة:

- رسالة ماجستير بعنوان: بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي، خديجة محفوظي، إشراف صالح خديش، جامعة قسنطينة 2007. وهي دراسة ركزت على البعد الحجاجي التقني، في الخطابة الأموية، مغفلة نوعاً ما الجانب التخيلي الإمتاعي، فضلاً عن الإيقاعي التطريزي.
- رسالة دكتوراه بعنوان: إستراتيجيات الخطابة الإسلامية، عصر صدر الإسلام (بين الوظيفتين التعاملية والتفاعلية)، إعداد: عمار بعداش، وإشراف د صالح خديش، السنة 2015/2016.

وهي كما يدل عليها عنوانها، تداولية المنهج، عمد صاحبها إلى تطبيق تصور "عبد الهادي الشهري" لاستراتيجيات الخطاب، في كتابه المشهور "استراتيجيات الخطاب"، ولذا جاءت تقنية، مجزأة تفتقر إلى ناظم ما ينتظم تصور الباحث، الذي رغم جهده الطيب، جاء انعكاساً لمجموعة آليات منضدة غير مركبة. فضلاً عن أن الدراسة في المستوى التخيلي، والإيقاعي جاءت مقتضبة، مباشرة، تفتقر إلى تجلّية البعد التداولي ولعل أهم الدراسات المنشورة رسالة دكتوراه بعنوان: حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي عليه السلام، عالم الكتب الحديث، 2016 وهي دراسة قيّمة، لكن في كثير من المواضع كانت دلالية أكثر منها تداولية، بسبب قوة الرابطة بين الأسلوب والدلالة، والحقيقة أن الانتقال من الدلالي إلى التداولي ليس بالأمر السهل الهين، إذ يتطلب، عمق النظر، وقدرة على تحديد العلاقات، وفهمها، والبصر بمواضع الطرح التداولي.

وفي ضوء ما انكشف من تركيز على جانب دون آخر في الدراسات السابقة حاولتُ إضافة المبادئ التداولية؛ التي أهملتها هذه الدراسات، علاوة على الرجوع ببلاغة الإمتاع إلى الإطار التداولي الإقناعي والتواصلية، بناء على جوهرها التخيلي، وزيادة على ذلك حاولت أن أستجلي البناء الخطابي العربي الأصيل بالبحث في عدة عصور متلاحقة ومختلفة، وفي مجالات عدة متنوعة، لم تحمل المجال السياسي، وأضافت إليه الاجتماعي، والأخلاقي. كما حاولتُ أن أمنح العصر العباسي اهتماماً أخص، كونه العصر الأكثر غياباً في دراسة الخطابة.

ومن أجل الوصول إلى الأهداف المرسومة وتحقيقها اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع، أهمها: في بلاغة الحجاج- نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، لمحمد مشبال، ومدخل إلى الخطابة، لـ "أوليفي ريبول"، ترجمة رضوان العصبية، و التداولية لجورج يول، ونظرية نسقية في الحجاج- المقارنة

الدرعية الجدلية-، ترجمة عبد الحميد جحفة، لفرانز فان إمران وروب غروتندورست، و البلاغة والاتصال لعبد الحميد جميل .

واعتمادا على هذه المصادر والمراجع، وغيرها من المراجع التراثية و البلاغية خاصة، وظفتُ المادة المستخرجة منها لبناء البحث وفق خطة منطلقها عنوان البحث، وأسئلة الإشكالية، فجاء البحث مقسما إلى مقدمة وأربعة فصول.

مقدمة تضع متلقي وقارئ البحث في إطار الموضوع ، من حيث الأهمية ودوافع الاختيار وأبرز ما يثيره من إشكاليات ، وأهم ما يقترحه من فرضيات؛ ستشكل قاعدة، لبحث جزئيات الموضوع. كما تضبط علاقته مع الدراسات السابقة؛ إن بالتكامل أو النقد والبناء أو بإضافة الجديد.

وقد تلا المقدمة فصل أول لتحديد الإطار النظري لمحور البحث (الخطابة)، متناولا تاريخها ومراحل تطورها، منتقلا إلى مفهومها في الثقافتين العربية والغربية، ومستفيضا في البنية المفهومية للخطابة طلبا لتأسيس أولى الركائز التداولية، الكامنة في كلمة "خطابة" من حيث كونها وحدة معجمية، ومفهوما مصطلحيا تتجاذبه، مجالات عدة من فلسفية إلى منطقية إلى نفسية واجتماعية إلى إعلامية تواصلية، وهي في مجملها حاضرة بوجه ما في المقاربة التداولية.

ولعل أقرب مجال وأبرزه في توظيف الخطابة أداة وموضوعا، مجال البلاغة، التي تكاد تتماهى مع الخطابة لقوة تعالقهما، وقد شكلت هذه العلاقة مبحثا مستقلا في هذا الفصل، الذي أحال بدوره إلى علاقة أخرى كالأولى، تاريخية وتقنية وهي علاقة الخطابة بالحجاج والجدل.

هذا البحث في تعالق الخطابة بمقلها الدلالي، أفرزت تبلورَ ثنائية (الإمتاع، والإقناع). التي ستكون موضع اشتغال الفصل الثاني.

يعد الفصل الثاني عمود البحث ومحوره، إذ مثل الرابط بين خطابة وبلاغة بصيغة تاريخية ومفهومية وخطابة وبلاغة بسمة تطبيقية تحليلية، ولذلك بدا تفصيليا، يبحث في جذور تشكل ثنائية (الإمتاع، والإقناع). ومواقف البلاغيين وعلماء الخطاب منها، كما ركز على موقع الثنائية في البلاغة العربية، وهي البلاغة التي لم

تتردد في الجمع بينهما، واستثمارهما معا، فكان تعاضد طرفي الثنائية في التفكير البلاغي العربي، مسلمة لا يُختلف إلا في وصفها وتوظيفها، بين أصحاب النزعة الاستدلالية للبلاغة وأصحاب الطابع التخيلي لها.

هذا الموقف من الثنائية، سيجد له في المقاربة التداولية أساسا قويا وقاعدة صلبة، تعكسهما عناصرها وآلياتها؛ مقاما وتأويلا، وحجاجا وتخبيلا، وحجة وصورة، وتظهر في مستوياتها السطحية الحرفية، في "ما قيل" والضمنية المضمرة في "ما لم يقل". وبعد التأسيس لتلاقي الإمتاع والإقناع واتصال البلاغة بالتداولية، يأتي الفصلان الثالث والرابع للتطبيق الإثباتي لا الإسقاطي.

أما الفصل الثالث فقد تناول "ما قيل"، من خلال التصوير اللفظي، المنقسم إلى: تصويري داخلي معجمي، يخص الوحدة المعجمية، في إحالاتها، السابقة التأثيلية، والمرافقة الصوتية الإيحائية، واللاحقة الدلالية الإقتضائية الاستلزامية.

وتصوير خارجي: وهو اثنان: سطحي نغمي، متعلق بجرس الخطاب المرسل الناتج عن التركيب الصوتي الفونيمي، ، وبجرس الخطاب الموزون، الذي تصنعه ظاهرة التسجيع؛ وتركيب دلالي تصنعه الظواهر الصوتية الدلالية جناسا وطباقا وتكرارا. وجوهر العمل في هذا البحث كان مركزا و مزدوجا؛ يكشف عن البعد التداولي في الظاهرة البلاغية، ويبحث توظيفها في النص الخطابي.

وعندما تستكمل بلاغة الإمتاع الصوتية صورتها الجديدة المرسومة تداوليا وفق منظور خطابي، يأتي الفصل الرابع لفحص مستوى بلاغة الإمتاع الضمنية على مستوى المضمرة، موظفا اثنين من أهم المباحث التداولية؛ أفعال الكلام والاستلزام التخاطبي، ولكن دوما في إطار التألبف بين الممتع والمقنع، وهناك سندرسة الصورة البيانية بوصفها أحد مظاهر الفعل الكلامي غير المباشر، وأكثر تمثلات الاستلزام التخاطبي وضوحا وتدليلا على توظيف اللغة في تبليغ أكثر مما قيل، تبليغا ليس توصليا فقط وإنما حجاجي إقناعي، وحتى إنجازي عملي.

وفقا لذلك دُرس الحجاج بوصفه فعلا مركبا، إطاره النص والخطاب وهدفه الحجاج والإنجاز. كما استُفيض في الصور البيانية كناية ومجازا واستعارة، بحثا في طابعها التدليلي والتخيلي على حد سواء، تدليلي أكثر في الكناية والمجاز، وتخيلي أكثر في الاستعارة، من المنظور التداولي.

هذه الخطة وتجسيدها منحا البحث إمكانية الخلوص إلى جملة نتائج تعكس العمل المنجز نظريا وتطبيقيا.

ولم يكن الطريق إلى تلك الخلاصة مفتوحا فقد اعترضته عدد من المصاعب، أهمها:

- تشعب الموضوع واتساعه، في جانبه النظري، المتميز بتسلسل وارتباط وثيق بين مباحثه، بحيث يصعب تحديد موضع مفصلي، يجنب الاستطراد، ولا يلحق الخلل بالتصور العام للبحث، والحال نفسه مع مدونة التطبيق، الممتدة في فترات زمنية، عدة، كل هذا في مقابل مدة الإنجاز.

- صعوبة الانتقال من الدلالي إلى التداولي كما مر، و التدولية لا تقوم دون إدراك جيد للدلالة، وهي الدلالة التي نجدها عائمة في مستوى "ما قيل" إلى حد بعيد.

ومع هذه الصعوبات فقد بذلت الجهد للخروج بهذا البحث إلى إطار الواقع، شاكرا كل من مد لي يد العون، بدأ بالكلية إدارةً وأساتذة، ولجنتها العلمية، وفريق التكوين، رئيسا وأعضاء، وقبل ذلك أستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور: بلقاسم دفه.

وفي الختام الحمد لله على عونه وتوفيقه.

الفصل الأول

الخطابة

من خلفية التاريخ

إلى بنية المفهوم، وتحديد

العلائق

ارتبطت الخطابة بالإنسان، ارتباطه بوصفه كائنا ناطقا مفكرا فهي "قديمة العهد، ... والاستعداد لها مخلوق مع الإنسان؛ الذي لا غنى له عن الإبانة لغيره عما في ضميره، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه...".⁽¹⁾ وحيث كان النطق طريق البشر إلى اتصالحهم، والكاشف عن حوائجهم ضمن مجتمعاتهم؛ كان المنطق أداة الإفهام، والآلة المولدة للأفكار. وبين الإفصاح عن مكونات الصدور، ومرادات الأذهان؛ بالنطق كلاما وبالبيان إفهاما، كانت الخطابة النموذج المطور، والمستوى الأرفع؛ في عمليات الاتصال والتفكير. "إنها إذن، مظهر من مظاهر الاجتماع. ثم إنها مقياس تقدم الجماعة وآية رقيها..."⁽²⁾، يلجأ إليها في مقامات الجدل، وسياقات الوعي بقيمة الرسالة، وأهمية الموضوع المتداول.

ولما كانت الخطابة وثيقة الصلة بالإنسان؛ لازمة من لوازم وجوده، وأبرز ما يطفو دليلا على احتكاكه بأفراد نوعه، وفتات جنسه، فإن من الأحرى أن يقال: عن الخطابة أنها "فن غريزي نشأ مع تكوين الإنسان الناطق؛ الذي لا غنى له عن تبليغ أفكاره لذوي جنسه وعن إقناعهم بصدق آرائه"⁽³⁾؛ لذا لم تكن موضع استئثار أفراد دون غيرهم بممارستها والتصدي لها، فقد عدها "ابن رشد" موضع اشتراك، ونقطة التقاء بين الناس، قائلا: "وكل واحد من الناس يوجد مستعملا لنحو ما من أنحاء البلاغة [الخطابة]، ... [فمنهم] من يفعل ذلك بالاتفاق؛ ومنهم من يفعله بالاعتقاد وبملكة ثابتة"⁽⁴⁾.

وهكذا جرت الخطابة على ألسنة البشر عبر التاريخ، بصور لا تحصر، وفي حالات لا تعد، مارسها أشخاص، بلا تعيين لأجناسهم ولا لأزمانهم، "لذلك لم يخل من الخطابة سجل أمة وعى التاريخ ماضيها، قد حفظها خط أشور المسماري، وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفي، ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعاليمه، وبها أذاع الدين أنبياء بني إسرائيل، وكان لها

(1). علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، د ط، دار الاعتصام، د ت، ص 20.

(2). محمود مجد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ط 1، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، المنصورة-مصر، 1997، ص 15.

(3). لويس شيخو، علم الأدب- في علم الخطابة-، ط 3، ج 2، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926، ص 227.

(4). ابن رشد القرطبي مجد بن أحمد، تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: مجد سليم سالم، إشراف: مجد توفيق عويصة، المقالة 140 ب، دط،

لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967، ص 3.

مكائنها العظيم في مجامع العرب ... " (1). إن الحديث عن الخطابة وهي تتمظهر في صورة اجتماعية، وتتكشف سلوكا إنسانيا، وقيمة حضارية، يجعل عملية قراءة تاريخها عبر الحضارات والثقافات أمرا مسلما به، وقضية يفرضها المنهج والموضوع للذات يفصحان عن سؤال نصه: ما موقع الخطابة في تاريخ أهم الأمم، العربية وغير العربية (الغربية)؟

1- الخطابة التاريخ و التطور:

1-1 الخطابة في الثقافات غير العربية:

إن الثقافات غير العربية عديدة متنوعة، أخذ بعضها عن بعض، وأسست إحداها لأخرى، ونحلت واحدة من الثانية، في سلسلة التطور الفكري البشري، غير أن أوفرها حضورا، وألصقها ذكرا بالتاريخ البشري، وأبقاها أثرا في ذاكرته، هي تلك المنتسبة إلى اليونان، والروم. فلا أحد ينكر أن جهابذة الفكر الإغريق والرومان قد قدموا للعالم ثمارا ناضجة في الفلسفة والفلك و... والتاريخ، ولا يشك أحد أن العالم لم ولن يزل يدين لهم بالكثير.... ومن ثمة فإن كل أمة... وجب عليها أن تهتم بنتائج قرائح هؤلاء المفكرين اهتماما جادا" (2). ولأن الرومان في التراث اللغوي الأدبي لا سيما الخطابة، كانوا امتدادا بيّنا للثقافة اليونانية فإن السؤال عن تاريخ الخطابة؛ يتوجه إلى الثقافة اليونانية تحديدا، لثرائها، وإسهامها الكبير في تاريخ هذا الفن، وهو ما سيمنحنا أن نستخلص منها الإجابات الآتية:

1-1 الخطابة عند اليونان:

بلغت أمة اليونان ذروة المجد، ونالت قصب السبق في الفكر والحضارة، حتى استوت بوصفها "مهد العبقريات، ومشرق الفلسفات، ومنبت الفكر الإنساني في أنحاء العالم كله" (3). غير أن ذلك لم يكن إلا بعد سجال من الحروب والنزاعات، وردح طويل من التفكك والشتات، أفرزها طبيعة هذا المجتمع المتعدد الأجناس والأصول، فلم تكن اليونان القديمة أمة واحدة تحت حكم واحد، كل مدينة بل تكاد تكون كل قرية دولة

(1) أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دط، دار نضضة مصر للنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص39. و ينظر: شبخو لويس، علم الأدب- في علم الخطابة-، م.س، ص 227.

(2) عبد الله حسن المسلمي، أفلاطون - محاوره منكسينوس أو عن الخطابة-، ط1، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1972، ص5.

(3) عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ط 2، دار القلم، الكويت، 1982، ص173.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

مستقلة لا تحكمها سوى قوانينها"⁽¹⁾، ولم يكن هذا الشتات حائلا دون تواصل أفراد المجتمع اليوناني، بل استطاع بعبقريته الخلاقة، ومواهبه الفذة، أن يجعل من الواقع-لا من المحتمل الممكن- الملموس ذلك الوطن " المشكّل من دول ذات سيادة تتمسك باستقلالها وتتكلم الكثير من اللهجات التي يفهمها الجميع"⁽²⁾، ذلك الوطن وتلك الأمة التي صدقت ملاحمها وصفا لنزالات السنان واللسان.

وحقيقة فإنه في ظل هذه الظروف الحافلة بمواطن التباري، ومواقع المبارزة، لم يستحوذ السيف والنبيل بالجلاد والمقارعة، إذ وجدت الخطابة في تلك الظروف بيعتها الخصب، فكشفت عن مقدرتها في معاضدة، بل ومجارة السيف، وحتى التفوق عليه في شحذ الهمم، وتحفيز العزائم، وتحقيق النصر.

ولأن الخطابة تنضج وتقوى عادة في أيام الحروب والمشادات، فقد اعتمدت الحروب اليونانية في شتى مواقفها عليها. واتخذها الأبطال والقادة سلاحا حاسما في ملاحمهم الحربي⁽³⁾ وحركاتهم السياسية⁽⁴⁾.

ويبدو أن هذه الحروب التي ألهبت المشاعر، وجيشت الأفكار، فاستحالت خطبا تأسر وتحرك، لم تجلب للخطابة الاهتمام المطلق والعناية المستحقة حتى سادت اليونان أفكار الحرية، وشاعت بينهم مبادئ الديمقراطية، فتهيأت للخطابة ظروف الميلاد الحقيقي، إذ غدت " وليدة النظام الديمقراطي الأثيني. حيث كان كل شيء خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يتقرر بإرادة المواطنين الأحرار"⁽⁵⁾، بل كان للجميع حق مطالبة الحقوق باللسان، والمحااجة عن النفس بالبيان فقد "كانت فرص القول متعددة؛ لأن الأعمال الاجتماعية كافة كانت تُقضى جهارًا ويجادل فيها أمام الجميع، وكانت المسائل العمومية تُدرس في مجتمع الأمة حيث يحق لكل وطني أن يبدي رأيه، وكانت الدعاوى تُعرض أمام المحاكم الشعبية فيباح الكلام لمن أراد حتى المتهم، أضف إلى ذلك اجتماعات الأدب والعلم التي لم يكن للسياسة ضلع فيها فكانوا يجتمعون للذة الحديث والاستمتاع بخطيب بارع يتحدث إليهم في موضوع ما كالثناء على الأبطال الذين يموتون في سبيل الوطن

(1). ستيس ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، ص99.

(2). مجموعة من المؤلفين، تاريخ الأدب الأوروبية، ترجمة صياح الجهيم، دط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ج1، ص30.

(3). في إلباذا هوميروس في القرن العاشر قبل المسيح خطب عديدة بليغة أوردتها على أسنة الآلهة والأبطال : ينظر: شيخو لويس، علم الأدب- في علم الخطابة-، م.س، ص228.

(4). ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، م.س، ص173.

(5). الولي محمد، "تأملات في محاورتي أفلاطون جورججياس وفيذر"، ضمن: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، ط1، دار الأمان،

الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، 2014، ص49.

الفصل الأول ————— الخطاب من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

أو غير ذلك⁽¹⁾. وهكذا افتكت الخطابة لنفسها في فكر وتاريخ اليونان موضعا مرموقا، ومكانة جلييلة، ورسمت لها في تصور الباحثين مثلا ذا حظوة خاصة، طالما أحاطته القداسة وإن لابسته التهمة أحيانا.

وهنا وُجِدَت الخطابة محل تجاذب، مسّ منهجها وتناول جوهرها، ووقف عند الغاية منها وجدوى الاشتغال بها. وما محاورات أفلاطون⁽²⁾ - لاسيما مع السفسطائيين - إلا إحدى تلك النقاشات الصريحة الظاهرة، فضلا عما تضمنه التنظير الأرسطي الذي رام أن يخرج بمسلك وسط من بين تلك التجاذبات، يكون بمثابة فصل الخطاب في ماهية الخطابة، وقيمتها، وفي منهجها، وغايتها؛ لذا فالخطابة عند اليونان تتحدد معالمها وفق ثلاث مراحل، ويتحرك تطورها حول ثلاثة محاور، تفضي إلى الحديث عن ثلاثة توجهات: توجه سفسطائي، شكلت الخطابة عنده مدار الفنون ومنتهى التفكير وغاية التعلم، وتوجه ثاني أفلاطوني دفعه غلو الأول إلى التصدي له بالثلب، والنقد، حتى بلغ حد التهوين والحط من قدر الخطابة، أما الثالث فأرسطي سعى لصقلها وتنقيحها، وتهذيب مباحثها، وضبط قضاياها ومنهجها. وفيما يلي بسط لأهم ما قامت عليه، وما تميزت به تلك التوجهات الثلاثة.

1-1-1 الخطاب عند السفسطائيين⁽³⁾:

إن انتصار الديمقراطية، وانفتاح المناصب السياسية لكل مواطن يوناني، حملا معهما ميسس الحاجة إلى قدر كاف من التعليم، ومن المهارة، والقدرة على الخطابة، وإثارة المشاعر. وبتزايد الطلب على ذلك،

(1) فياض نيقولا، الخطابة، دط، دار هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2014، ص 85.

(2) (لأفلاطون خمسة ثلاثون محاور مقسمة على مراحل عدة؛ في المرحلة الأولى اهتم بقضايا الأخلاق والفضيلة، واتسمت بتأثيرها بمنهج أستاذه سقراط. وفي المرحلة التالية اهتم بالبيان والخطابة؛ وباللغة وأصلها والمعرفة والفضيلة وبالهجوم على السفسطائيين؛ وختمها بالمدينة الفاضلة. في المرحلة الأخيرة التي بدا عليها النضوج والتجربة اهتم بقضايا تتسم بالجدل الدقيق، عاجلها بنوع من التعديل والمراجعة لأفكاره السابقة، التي لاقت خيبة أمل لم تكن متوقعة.)؛ ينظر: عبد الله حسن المسلمي، أفلاطون - محاوره منكسينوس أو عن الخطابة -، م.س، ص(20-22).

(3) السفسطائي (sophiste) هو المنسوب إلى السفسطة، تقول: فيلسوف سفسطائي و نظرية سفسطائية. و قد أطلق هذا اللفظ في الأصل على الحاذق في إحدى الصناعات الميكانيكية، ثم أطلق على الحاذق في الخطابة أو الفلسفة، ثم أطلق بعد ذلك تبذلا على كل دجال مخادع. قال (بروشار) لقد كان السفسطائيون القدماء يدعون أنهم يستطيعون أن يرهنوا على النظريات المتناقضة بأدلة منطقية متساوية. و ما أكثر ما يفعل الناس ذلك في أيامنا هذه بتأثير أهوائهم و مصالحهم، إلا أنهم يفعلونه بغير علم. و السفسطائية جملة من النظريات أو المواقف العقلية المشتركة بين كبار السفسطائيين، كبروتاغوراس (Protagoras) و غورجياس (Gorgias) وبروديكوس (Prodicus) و هيبياس (Hippias) و غيرهم؛ المعجم الفلسفي صليبيا، ج1، ص: 660.

الفصل الأول ————— الخُطابة من خلفيّة التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

واشتداد الحاجة إليه ظهر السفسطائيون، الذين أخذوا على عاتقهم تلبية ذلك المطلب وإشباع تلك الحاجة⁽¹⁾. وشرعوا يجولون في اليونان ويعرّفون أبناءها حرفتهم، و يعرضون عليهم حكمتهم، فقد "كانوا يعلمون الشبان في أثينا طرق التغلب على خصومهم في ميدان السبق الكلامي"⁽²⁾. فأقبل عليهم الشباب، والأثرياء تحديدا يتعلمون صنوف صناعة القول الأثّاذ، ووسائل الإقناع المفحم، وتقنيات التأثير في الجماهير.

ورغم السمعة السيئة التي التصقت بالسفسطائيين، فقد وُصفوا بأنهم "علماء أصليين أخضعوا التصورات الأخلاقية والاجتماعية التي كانت سائدة في عصرهم لنقد لاذع تماما"⁽³⁾. ويبدو أن "هيجل" أنصفهم حينما قال عنهم أنهم هم معلمو اليونانيين، بمعنى أنهم بيداغوجيون وأساتذة، ومعنى آخر أنهم ذوو سلطان سياسي وسيادة اكتسبوها بسلطة اللغة وإنشاء السياسة. فهم من كان وراء خميرة الأفكار التي أذكت جذوة البحث الفلسفي، ولفتت الانتباه إلى دراسة فنون القول، وتعميقها، واستنباط قواعدها.

ولهذا يعد السفسطائيون "أول من وجه الانتباه إلى علم الخُطابة الذي يعدّون هم مؤسسيه"⁽⁴⁾، وإن كان أظهرهم وأبرزهم ثلاثة، عُرفوا بأنهم أول من وضع أسس وقواعد الخُطابة وهم "بروديكوس"⁽⁵⁾ القوسي المتوفى سنة (430 ق م)، وبروتاغوراس⁽⁶⁾ (485-411 ق م)، وجورجياس⁽⁷⁾ (485-380 ق م).⁽⁸⁾

(1). ينظر: ستيس ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، م.س، ص 99.

(2). مُجّد أبو زهرة، الخُطابة أصولها. تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، د ت، ص 10.

(3). بلانتان كريستيان، الحجاج، ترجمة المهيري عبد القادر، مراجعة عبد الله صولة، د ط، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2009، ص(11-12).

(4). ستيس ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، م.س، ص 100.

(5). "Prodicos de Céos" عرف عنه ولعه عن الأديان وأصولها، والمعتقدات ومنابعها، ساهم في كشف قضايا اللغة وأسرارها، وخاصة موضوع المترادفات منها: "جعفر آل ياسين، فلاسفة يونانيون-العصر الأول-، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1971، ص 137.

(6). ولد في أبديرا وعرف فيلسوفها الكبير ديموقريطس، وبعد أن طاف أنحاء إيطاليا الجنوبية واليونان يلقي فيها الخطب البليغة قدم أثينا حوالي سنة 450. ولم تطل؛ إقامته فيها؛ لأنه كان قد نشر كتابًا أسماه «الحقيقة» وردت في رأسه هذه العبارة لا أستطيع: "أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين فإن أمورًا كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم أخصها غموض المسألة وقصر الحياة" فأثّمَ بالإلحاد وحكم عليه الإعدام وأحرقت كتبه علنًا ففر هاربًا ومات غرقًا في أثناء فراره: كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص(62-63).

(7). (ولد في لوثنيوم من أعمال صقلية، وأخذ العلم عن أنبادوقليس واشتغل بالطبيعات مثله، وعنى باللغة والبيان؛ [فهو موجد البلاغة الإقناعية في اليونان، تلك الطريقة الخُطابية التي استعملتها محاكم القضاء في أثينا] ...، ويصوره أفلاطون في الحوار المعنون باسمه مفاخرًا بمقدرته على الإجابة عن أي سؤال يلقي عليه، مات في تساليا، وقد قاربت سنه المائة أو جاوزتها وعظم صيته وضخمت ثروته). : كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، م.س، ص(62-63).

(8). مُجّد أبو زهرة، م س، ص 10.

إن القارئ لنتاج الفكر السفسطائي يلمس حقا تلك الروح الجدلية، التي ألبسوها قضايا الفكر واللغة، فانسجت كثير من أطروحاتهم بالجددة والجرأة، واستحقت رؤاهم في عديد المسائل التنويه والتقدير، وهنا تجدر الإشارة إلى أهم ما ميز إسهاماتهم الفكرية عموما، والبلاغية والخطابية على وجه أخص. وبيان ذلك كما يلي:

1. تأثيرهم بشكل فعال على الأدب-المأساة والملهامة-، وعلى البلاغة والتعبير، عبر إثارة مشكلة غير مسبوقة في تاريخ البحث والاستقصاء، تلك هي قضية اختيار المصطلح في اللغة.⁽¹⁾
2. كانوا أول من وضع نظرية لقوة الكلام، بالارتكاز على: جمالية اللغة وقدرتها الإقناعية؛ والنظر للإنسان بل للعالم بوصفهما كل يحتويه القول، ومتعلق باللغة.⁽²⁾
3. تقديم إضافة قيمة لأساليب الحجاج، وهو ما يمكن الاصطلاح عليه بتعارض الأصوات (Antilogies)، إذ كل حجة يمكن مقابلتها بعكسها، وكل خطاب يجابه بخطاب معاكس، تنتجها وجهة نظر مغايرة. إنها تقنية تسمح بمعارضة الخطابات بعضها لبعض.⁽³⁾
4. إشادتهم بالقول الخطابي، إذ تسنم عندهم ذروة المعارف البشرية، واعتلى أرفع درجات السلطة في تحقيق الاعتقاد، وبناء المعرفة، وإيصال النفع والخير إلى الإنسان والمدينة.⁽⁴⁾ فقد غدت الخطابة عند السوفسطائيين "أفضل وأعظم الأمور الإنسانية... فهي تمنح الحائر عليها الحرية بالنسبة لنفسه والسيادة على الآخرين في وطنه،... عن طريق القدرة على الإقناع بواسطة الحديث"⁽⁵⁾. بل بلغت تلك الإشادة حد التطرف والغلو "فقد جعلوا الخطابة في صدر الصنائع و اعتبروا أن الصنائع جميعا من طب وهندسة ومعمار وغيرها لا يمكن أن يتحقق بها للإنسان والمدينة خير [ما لم] ترفدها سلطة القول"⁽⁶⁾

وعموما فإن تقييم السفسطائية تقييما إيجابيا، يكون وسطا بين المعارض والمؤيد، إنما يقوم على أنها "حركة فكرية أساسية للحجاج البلاغي"⁽⁷⁾، وينبني ذلك على ما رسمته في اللغة والبلاغة؛ والنقد والفصاحة؛

(1) ينظر: جعفر آل ياسين، فلاسفة يونان-العصر الأول-، م.س، 1971، ص 128.

(2) ينظر: فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، ط01، مركز النشر العلمي، جدة-المملكة العربية السعودية، 2011، ص 20.

(3) ينظر: بلانتان كريستيان، الحجاج، م.س، ص 12.

(4) ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ط 01، منشورا ضفاف وآخرون، بيروت -لبنان، 2013، ص 29.

(5) محاورة جورجياس لأفلاطون، ترجمة عن الفرنسية: محمد حسن ظاظا، مراجعة: علي سامي النشار، د ط، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص(39-40).

(6) هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، مجلد XXXIX، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، 1، دت، ص 55.

(7) باتريك شارودو ومنغو دومينيك وآخرون، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القدر المهيري، وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين

الفصل الأول ————— الخطاب من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

والخطابة والشعر، بحيث لا تكتمل دراسة عن الأدب اليوناني بل والعالمي دون الإشارة إلى السوفسطائية، واتجاهاتها. (1) فقد كان "للسفسطائيين فضلاً كبيراً في التمهيد لأفلاطون وأرسطو فقد كانت بحوثهم في الخطابة واللغة، وجدلهم حول معاني الكلمات واختلافهم في إدراكها، كان كل ذلك معيناً خصباً لبحوث أفلاطون وأرسطو... " (2) ورغم هذا فإنهما (أفلاطون وأرسطو) اتخذاً في حق السفسطائية حكماً-قاست منه طويلاً- تراوح بين التجاهل والتكر لها وهذا ما يدفع إلى التساؤل: ما حقيقة هذا الموقف؟ وما خلفياته؟ وما مسوغاته العلمية؟ وما مرتكزاته المعرفية؟.

1-1-2 الخطاب عند أفلاطون (3):

نشأ أفلاطون الأرسطقراطي النبيل - طاب الحكمة-، والتلميذ الفذ لأستاذه الفيلسوف سقراط، في خضهم ظروف اجتماعية، وسياسية، وفكرية نشطة إلى حد التوهج، لا يلبث فيه وضع مستقر، إلا وتحول إلى آخر.

فالحكم و السياسة ظلاً يتروحان من الأرسطقراطي، إلى التيموقراطي، إلى الديمقراطي؛ ومجالس القضاء مزدحمة بالقضايا والنزاعات. واللافت في الأمر أن كل نزاع أو نقاش، كيفما كان مجاله، إلا والسفسطة لاثبة خلفه توجهه، وتذكيه، وتحسمه بما تشاء" فليس غريباً حين نصف المجتمع اليوناني في عصر سقراط بأنه سفسطائي بالمعنى الأفلاطوني، لغلبة النفعية على روح البحث العلمي السليم، و لتفشي الفردية وظهور

الشريف، د ط، دار سناترا، تونس، 2008، ص 522.

(1). ينظر: جعفر آل ياسين، فلاسفة يونانين-العصر الأول-، م.س، ص 138.

(2). محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو والمدارس المتأخرة، ط3، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية-مصر، 1972، ص 27، 28.

(3). (ولد أفلاطون في أثينا سنة ٤٢٧ ق.م في أسرة عريقة الحسب .. تنقف كأحسن ما يتثقف أبناء طبقته، وقرأ شعراء اليونان وعلى الخصوص هوميروس، وأظهر ميله خاصاً للرياضيات، واطلع على كتب الفلاسفة، ... وفي سن العشرين تعرف إلى سقراط، وأعجب بفضله فزعمه، وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين حتى أراد نفر من أهله وأصدقائه — وقد اغتصبوا الحكم بمساعدة اسبرطة — أن يقلدوه أعمالاً تناسبه فأثر الانتظار، وطغى الأرسطقراطيون وبغوا وأمعنوا في خصومهم نفياً وتقتيلاً وصادروا ممتلكاتهم، ثم انقسموا على أنفسهم فملئوا المدينة فساداً وملئوا قلبه غمّاً، ولما هزمهم الشعب وقامت الديمقراطية أنصفت بعض الشيء فأحس رغبة في السياسة يبغى المعاونة على تأييد العدالة وتوفير السعادة، ولكن الديمقراطية أهدمت سقراط، وداخله من الحزن والسخط لمات معلمه ما دفعه إلى مغادرة أثينا، فقصد إلى ميغاري، ثم سافر إلى مصر ففضى زمناً في عين شمس واتصل بمدرستها الكهنوتية، وإثر نشوب الحرب بين اسبرطة وأثينا اضطر للعودة إلى بلده وأقام فيه طول الحرب أي إلى سنة 388 ق م متوفراً على الدرس ناشراً من المحاورات ما أثار إعجاب الأثينيين، وفي سنة 387 ق م، أنشأ مدرسة على أبواب المدينة في أثنية تطل على بستان أكاديموس فسميت لذلك بالأكاديمية، ... وكان إلى جانب أفلاطون وتحت رياسته عدد من العلماء كل منهم مختص بمادة، يشرحون الرياضيات والفلك والموسيقى والبيان والجدل والأخلاق والسياسة والجغرافيا والتاريخ والطب والتنجم، فكانت المدرسة جامعة وعت تراث اليونان العقلي من هوميروس إلى سقراط، وتوفي أفلاطون وقد بلغ الثمانين في أثناء حرب فيلبوس المقدوني على أثينا، فلم يشهد ما أصاب وطنه من الخطاط لم تقم له من بعده قائمة): كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، م.س، 2014، ص(62-63).

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

أحكامها التي لا تميز بين الحق و الباطل، و بين الخير و الشر، و إن وجد فهو فرق غير ثابت و إنما عرفي فحسب، فما هو صواب هنا لا يكون كذلك هناك... بله لا يوجد خطأ و صواب إطلاقاً⁽¹⁾

فسبيل التمييز و طريق التفرقة غامض و غير واضح، إذ المنهج السفسطائي قائم بالأساس على نحو معايير و ضوابط التفرقة ، فقد كان " السفسطائيون يستفيدون من اشتراك الألفاظ و إبهام المعاني، و يتهربون من الحد الذي يكشف المغالطة"⁽²⁾؛ وهذا مما هياً لهم الجو لتسيد ميدان الكلام و فن القول " فقد كان أصحابه- كما حكى عنهم جورجياس في محاورته لسقراط- قادرين بلا شك أن يتكلموا، أو يعارضوا الجميع، و يتناولوا كل الأشياء في حديثهم بصورة تنال رضا الجمهور أكثر من أي شخص، فيقنعونهم بأي موضوع يقع عليه اختيارهم"⁽³⁾ إن هذه السطوة للسفسطائيين على عقول اليونانيين و قلوبهم، و ذلك التحكم الذي مارسوه على الخطابة بشكل بدا سلبياً، حركا جهود الفلاسفة يتقدمهم أفلاطون - مقتفياً آثار أستاذه سقراط - لتحرير الخطابة من قبضة السفسطائيين، و تنقيتها من أفكارهم و مبادئهم.

لقد قامت فلسفة السفسطائيين على مقولات من قبيل النسبية والريب، و تقديم المحسوس على المعقول، و الخارجي على الباطني، فقد نظروا إلى الإنسان على أنه كائن ممزق، قلق لا يستقر، و القيم كالحقيقة و العدالة أمور نسبية، بل العالم كله ليس إلا انطباعاً ظاهرياً، فلا وجود للحقائق العامة إلا الحقيقة الخاصة بكل إنسان، تلك التي تدفعه إلى الدفاع عنها بمنطق بليغ⁽⁴⁾

و من هذا المنطلق، و اتكاء على هذه النظرة التي تعلي من شأن البلاغة، لم يكن التصدي الذي شنه الفلاسفة ليلقى أذهانا مستسلمة، و ألسنة صامتة، و أفئدة خاضعة، بل قوبل بدفاع جاد، و ردود مخلصه، تكافح عن صرح الخطابة بالمفهوم السفسطائي، الذي قلب أصحابه - على طريقتهم- تهم الفلاسفة لهم بتشوية الخطابة منهجاً، و تدنيسها غاية، إلى تهم تحمل هؤلاء الفلاسفة الجناية على الفلسفة و الخطابة معاً، حين مزقوا اللحم التي تجمعهما والوحدة التي تضمهما" ففي الوقت الذي يعتبر فيه الفلاسفة ، اقتداءً بأفلاطون، الخطابة صناعة غير جديرة بالاهتمام، بل الأكثر من ذلك، لقد اعتبروها مجرد عادة [...]؛ فإن الخطباء المتمرسين لخطوات إيزوقراط (أحد السفسطائيين) لا ينسبون إلى الفلسفة إلا دوراً تربوي في تكوين

(1). جعفر آل ياسين، فلاسفة يونانيون-العصر الأول-، م.س، ص 129.

(2). عبد الله محمد فتحي، و عبد المتعال علاء، دراسات في الفلسفة اليونانية، دط، دار الحضارة للطباعة و النشر- طنطا، دت، ص 141.

(3). Platon, les dialogues, p182 نقلا عن: رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي، ضمن:

الحجاج مفهومه و مجالاته، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد و تقديم: حافظ اسماعيل علوي، ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2010، ج 3، ص 201.

(4)- ينظر: درويش أحمد، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، د ط، دار غريب للنشر و التوزيع، القاهرة، 1998، ص 24.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

الخطيب الكامل [...] بل إن الخطباء يصلون إلى حد إتهام سقراط المناهض للخطابة بكونه قد تعمد تقويض الوحدة القديمة بين الخطابة و الفلسفة"⁽¹⁾

إن هذ السجال و تبادل التهم ، ترجمه أفلاطون في شكل محاورات جعل بطلها سقراط، وتعرض فيها للسفسطائيين بالسخرية و التهكم. هادما خطابتهم ، بانبا خطابة أخرى تكون أقرب إلى الأخلاق، وأكثر اتصالا بالفلسفة، بل وأطوع انقيادا إلى تعاليمها لاسيما الجدل.

وفي هذا التوجه، شكلت محاوره جورجياس و فيدروس، بسطا لمواقف أفلاطون من بلاغة السفسطائيين وبناء خطابة بديلة" وإذ كانت الأولى تتابع مستويات الموضوع و القيم في خطابة السفسطائيين، فإن الثانية تنقل البحث إلى مجال المقاربة التطبيقية لنصوصهم"⁽²⁾.

إن هاتين المحاورتين، في الأغلب ينظر إليها الباحثون و الدارسون على أنهما رسمتا محور التصور الافلاطوني للخطابة، الذي قد يتلخص فيما يلي:

- من حيث الموضوع و الهدف:

يرى السفسطائيون أن موضوع الخطابة هو: " أهم الشؤون الإنسانية و أفضلها"⁽³⁾، وأن الأداة والوسيلة لتناول هذا الموضوع، إنما هي سلطة الإقناع في أي اجتماع للمواطنين، و معلوم أن هذه الاجتماعات لم تخلو قط من سمة سياسية أو قضائية؛ و بالتالي فإذا حُدد موضوع الخطابة تبعا لمحتوياتها؛ فلا شك أن موضوعها سيدور حول " العدل و الظلم"، ولكن العدل والظلم موقعهما الأصلي و الصحيح هو التشريع والقانون. و بالتالي ستكون الخطابة بحسب أفلاطون في هذه النقطة متطفلة ، وستكون معالجتها للموضوع أفقية إن لم نقل سطحية، لا تنفذ إلى العمق و الجوهر.

(1) Heinrich Lausberg, Manual de rhetorica literaria, T.1,ed.Gredos,Madrid, 1975,

نقلا عن : البلاغة و الخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ط 1، دار الأمان- الرباط، ومنشورات pp89-90.

الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف-بيروت، 2014، ص50.

(2). عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، م.س، ص38.

(3) Platon,Gorgias,tr.monique Canto, ed. Flammarion, Paris, 1993,p.133. نقلا عن :

البلاغة و الخطاب، م.س، ص50.

الفصل الأول ————— الخبابة من خلفة التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

وهذه الخببية تحديدًا، هي التي فففت الباب لسقراط الأفلاطوني⁽¹⁾، ليتعقب الإقناع الخببائي، ويصفه بأنه عاجز عن توليد المعرفة و بناءها فقرر وجود نوعين من الإقناع: أحدهما يحدث الاعتقاد(الظن) لا المعرفة و الآخر يولد العلم (المعرفة)⁽²⁾.

وبالتسليم بهذا التقسيم، تكون الخبابة محظورا عليها أن تتعدى حدودها، وتلج حقل منطقة المعرفة، لكن هذا لا يعيه السفسطائي، أو ينقلب على مقتضاه، فتجده يقحم الخبابة في اختصاصات علمية خالصة كالطب، البناء والهندسة ... مدفوعا بأهم قناعات السفسطائيين وهي أنه " ما من موضوع، إلا ويستطيع من يعرف البيان [الخببب]، أن يتحدث فيه أمام الجمهور، بطريقة أكثر إقناعا مما يستطيعه صاحب حرفه أيا كانت"⁽³⁾. بيد أن السؤال الجوهرى كيف يتم ذلك؟.

بحسب أفلاطون فإن الإجابة عن هذا السؤال ليست ذات أهمية، مادام إقناع السوفسطائيين ليس إلا إقناع بالوهم، لا إقناع بالعلم، فالخبابة ومن ورائها السفسطائيين إنما تكسب الإجلال، وتفتك زعامة توجيه الحشود، فقط في مقامات يكون الجهل سمئها الأظهر، فيقول في ذلك: "إن البيان [الخبابة] لا يحتاج إلى معرفة الحقائق عن الأشياء، وحسبه أن يخترع طريقة ما للإقناع، يظهر بها أمام الجهلة أكثر علما من العلماء"⁽⁴⁾، غير أنه في حقيقة الأمر لا يعدو السفسطائي أن يكون في تقدير أفلاطون إلا " تاجر المعارف أي يقوم بنقلها من مدينة إلى أخرى [فالسفسطائيون] ليسوا خالقي العلم الذي يتجرون فيه، وإنما هم مجرد ناقلين له"⁽⁵⁾

وعليه فموضوع الخبابة الحقيقي، وفق النظرة والممارسة السفسطائية إنما هو صناعة الاعتقاد(الظن) حول قضايا الإنسان، دون النظر إلى سلامة الأسس ومنطقية التسلسل، وهو بذلك لا يمت إلى صناعة المعرفة و خلق العلم بسبب، مما يضع الخبابة بعيدة عن موضوعها الصحيح، الذي يحدده أفلاطون في " الحقيقة،

(1) فقد كان أفلاطون - كما مضى في ترجمته- في غير وفاق مع السياسييين في عهده، ومن ثم كان ينشر أفكاره التي قد تسبب له مضايقات، على لسان معلمه سقراط.

(2) ينظر: أفلاطون، محاوره جورجياس، م.س، ص44.

(3) المرجع نفسه، ص46.

(4) المرجع نفسه، ص50.

(5) أفلاطون، في السفسطائيين والتربية- محاوره "بروتاجوراس"-، ترجمة وتقديم: عزت قريبي، د ط، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة-مصر، 2001، ص26.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

ويسمىها بسيخاجوجيا Psychagogie (فن قيادة النفوس بالقول)⁽¹⁾ أو كما عبر عنه في فيدر بقوله: "ألا يكون فن الخطابة بأكمله فن قيادة النفوس باستعمال الأحاديث؟"⁽²⁾.

- من حيث منهج الخطابة: الخطابة صنعة أو متعة.

يرى أفلاطون أن الخطابة ليست صنعة، وإنما هي "نوع من التجربة ... من أجل إنتاج نوع خاص من اللذة والمتعة والانشراح"⁽³⁾ بل هي أقل شأنًا من ذلك؛ إذ اللذة أو المتعة ليست دائما قرينة التملص من الضوابط، فقد تُحقق بوسائل مشروعة، على وجه صحيح لا مطعن فيه ولا زيف، في حين تعتمد الخطابة على التزييف، لذا اعتبرها سقراط "نوعا من المزاولة العملية هو التملق"⁽⁴⁾. لأنها تقدم متعة "لا تَتم لا بفحص طبيعتها و لا سببها ، و أنها عمياء حقيقة لا تميّز إذا جاز القول-أي شيء تميّزا واضحا و لا تقمّ أي حساب و أنها لا تحتفظ من التطبيق القائم على الممارسة إلا بذكر ما يفعله الناس عادة"⁽⁵⁾

وهكذا فإذا ما ادعت الخطابة صلة ما بالعدالة فإنما ذلك كما يدعي الطبخ صلة بالطب ؛ وكما يدعي التجميل صلة بالرياضة؛ وكما تدعي السفسطة صلة بالتشريع، أو كما تدعي الممارسات التجريبية صلة بالفنون الحقيقية⁽⁶⁾. وبصورة أوضح فإن كل طرف يتنزل من الطرف الثاني منزلة المعرفة العامية من المعرفة العلمية أو الركام العشوائي في مقابل البناء المحكم.

- من حيث الغاية و الآليات:

يذهب أفلاطون إلى أن الخطابة لا تجدي نفعًا، إلا إذا كانت مسخرة في اتجاه تفادي العقاب و الإفلات منه⁽⁷⁾، و هذا الأمر إن لم يكن كسرا للعدالة، و خروجا عن تعاليمها؛ فهو أصلها العظيم و باجها الأوسع. فالخطابة إذن مؤذية غير نافعة، و هذا الذي أكسبها عند أفلاطون سمعة سيئة و قيمة خسيصة،

(1). رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة وتقديم: عبد الكريم الشرقاوي، دط، نشر الفنك- مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1994، ص(41،42).

(2). أفلاطون، محاورة فايدروس، أو عن الجمال، ترجمة: أميرة حلمي مطر، د ط، دار غريب الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص85.

(3). أفلاطون، محاورة جورجياس، م س، ص50.

(4). المرجع نفسه، ص55.

(5) Platon, Gorgias, op, cit, p.256. م.س، ص59. نقلا عن: البلاغة و الخطاب، م.س، ص59.

(6). ينظر: المرجع نفسه، ص50.

(7). ينظر: البلاغة والخطاب، م.س، ص63.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

فتصورها على وجهين: أولهما يقوم على الرفض الحاسم للخطابة التي تقوم على الاعتقاد لا المعرفة، و الثاني تخوف منها لما تملكه من تأثير بالغ الضرر⁽¹⁾.

إن هذا التردد اتجاه الخطابة بين الرفض لها، والخشية من تأثيرها والتحذير منها؛ في الحقيقة ينم عن إدراك أفلاطون لقوة الخطابة، ووعي منه بأهميتها في الحياة المدنية، وبالتالي فهجومه عليها لا يستهدفها بل يستهدف أسلوب تعليمها، [و سياسية توظيفها]⁽²⁾ لدى الفسطينيين

وكخطوة في اتجاه تغيير أفلاطون لنظرته إلى الخطابة، و كبداية لتحقيقها مفهوما وإجراء" يقيم تمييزا حاسما بين نوعين أساسيين من الخطابة: الخطابة المعلولة *logographie*، والخطابة المعقولة *psychagogie*. فالأولى هي خطابة السفسطينيين القائمة على التنكر للعقل، و للفكر المنضبط واعتماد الحيل والأساليب الديماغوجية في سبيل إقناع أي كان، بأي قضية كانت. أما الثانية فهي خطابة رسالتها بناء العقول وتهذيب النفوس، وهي خطابة فلسفية منهجها الجدل و غايتها البحث عن الحقيقة..."⁽³⁾

إن هذه الصبغة الأفلاطونية للخطابة، ذات الأبعاد النفسية الأخلاقية؛ و الجدلية الفلسفية، هي الكافل الوحيد-حسب أفلاطون- للسماح للخطابة بالتواجد في جمهوريته، من أجل خلق خطابة" لا تقنع الجمهور تبعا لأهواء الخطباء، بل تلتزم بالتعبير عن الحقيقة و التوجيه إلى الخير"⁽⁴⁾، و لا يمكن لهذا النوع من الخطابة أن يتحقق إلا وفق الشروط الآتية:

1- على الخطابة إذا ما رامت بلوغ مستوى الفن الراقي، فعليها أن تتوجه إلى طبيعة النفس البشرية بالدراسة، قبل أن تتوجه إليها بالخطاب، فالقول المؤثر في النفس لا يتحدد تحديدا دقيقا إلا بمعرفة خواص النفوس و طبائعها، لذلك" فعلى من يقدمون دراسة جدية لفن الخطابة أن يبدؤا بوصف النفس بدقة، بأن يبين إن كانت في طبيعتها ذات صورة واحدة متجانسة، أو كانت على شكل الجسم لها طبيعة مركبة"⁽⁵⁾ فما كان منها بسيطا خوطب بقول يناسب بساطتها، وما كان مركبا اختير له ما يلي ويستجيب لما تحتاجه العناصر المكونة لتلك الطبيعة المركبة، و ذلك ما يوضحه الشرط الآتي:

(1). ينظر: محمد الولي"مدخل إلى الحجاج، أفلاطون و أرسطو وتشايم برلمان"، مجلة الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، العدد2، المجلد 40، الكويت، أكتوبر- ديسمبر 2001، ص23، 22.

(2). ينظر: عبد الله حسن المسلمي، أفلاطون - محاوره منكسينوس أو عن الخطابة-، م.س، ص37.

(3). رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي، م.س، ص206.

(4). أفلاطون، محاوره فايدروس، م.س، ص08.

(5). المرجع نفسه، ص 103.

2- فضلا عن المعرفة العامة بالذفس البشرية؛ على الخطابة أن تولي اهتماما خاصا بنفسية متلقي الخطاب، فذلك مهم جدا في تحديد موضوع القول و أسلوبه، وتحديد أي التقنيات من تقنيات التأثير تكون أجدر بإدراجها في الخطاب دون غيرها، " فإن من يبغى أن يكون خطيبا موهوبا فعليه أن يعرف بالضرورة ماهي الصور المختلفة التي تكون النفس عليها، و هناك عدد معين لكل صورة من هذه الصور أو تلك، و تبعا لذلك يكون لبعض الناس طبيعة معينة ، ويكون للبعض الآخر طبيعة أخرى مغايرة، و بعد تمييز أنواع النفوس، يأتي دور الأحاديث، فلها أنواع أيضا خاصة، تجعلهم يتأثرون بحديث معين دون غيره، و ينتهون بسببه إلى معتقدات معينة، في حين أن من كانت لهم طبيعة أخرى لا يقتنعون بسهولة بمثل هذه الأسباب"⁽¹⁾.

فالإقناع عند أفلاطون إذن هو حصيلة تفاعل بين نفسية المتلقي، ونوعية الخطاب، ومضمون الرسالة، ولهذا فوضع توصيف لبنية النص الخطابي أمر ضروري، يبينه الشرط الثالث من جملة الشروط الأفلاطونية للخطابة.

3- من حيث البنية، يطلب من الخطابة في تصور أفلاطون، أن تتميز وبصورة مؤكدة لا تقبل التخلف " بالتلاحم النصي الذاتي، الذي يجعل نصها كلية متلاحمة الأجزاء ومتماسكة البناء، بحيث أن المساس بأي عنصر أو وحدة تجعل النص يتصدع"⁽²⁾، والبناء اللغوي و الدلالي يتداعى، فيضحى الخطاب مفككا.

ويبدو ، أن هذا الناظم الذي يلم و ينظم شتات التركيبات اللغوية، بما يوافقها من شحنات دلالية، وتقنيات تعبيرية، و يجعلها قالبا واحدا شكلا ومضمونا ، لن يكون إلا الجدل"⁽³⁾، هذا الذي يقوم على التقسيم و التفريع أي: إحالة الشيء إلى الجنس و تفريعه إلى صنفين، ثم إعادة تفريعه إلى أنواع"⁽⁴⁾. وكأن بنية النص الخطابي هي أكمل ما يمكن من التوافق؛ بين العملية الذهنية على مستوى البنية العميقة، والعملية النحوية الجارية على مستوى البنية السطحية.

وهكذا و وفق هذه الشروط يتمكن " الخطيب من تحديد وقت الكلام أو الامتناع عنه، واختيار الأسلوب الموجز أو الأسلوب المؤثر، أو الأسلوب الثائر، و معرفة كل أنواع الأحاديث، التي تعلمنا

(1). أفلاطون، محاوره فايدروس، م.س، ، ص104.

(2). البلاغة و الخطاب، م.س، ص74.

(3). الجدل عند أفلاطون هو المنهج الذي يرتفع به العقل، من المحسوس إلى المعقول، دون أن نستخدم شيئا حسيا، بل الانتقال من معان إلى معان بواسطة معان.

(4). محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وتشايم برلمان"، مجلة الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 2، المجلد 40، الكويت، أكتوبر - ديسمبر 2001، ص25.

كيف نفرق بينها، وكيف نميز المناسب منها من غير المناسب، [وعندئذ] فإن الفن [الخبابة] يبلغ كماله⁽¹⁾.
وحيئنذ يكون أفلاطون قد انتزع الخبابة من هيمنة الفكر السفسطائي؛ ليضعها في أحضان الفلسفة، يقودها الجدل، و تضبطها الأخلاق. قد أرسيت على أسس تداولية، على رأسها مبدأى المقصدية، والمقام، الثاويتان في صلب الشروط المذكورة سابقا، التي تدعو في ملخصها، إلى ضرورة مراعاة التكامل، و الانسجام، و التفاعل بين رؤوس المثلث الخبائي(الخبيب، والرسالة، والمتلقي). وهي القضايا التي ستنال حظها من الدراسة العميقة عند أرسطو، الذي سيرتفع بالخبابة إلى مستويات عالية من التقنين و التععيد، ويجعل منها صناعة منطقية علمية، بكل ما تحمله من معاني، وضوابط البحث العلمي.

3-1-1 الخبابة عند أرسطو:

آلت الخبابة إلى أرسطو(384-322ق.م)، بعدما غير أفلاطون زاوية النظر إليها، وهذب التصور الفكري لها، وعرضها قضية فلسفية جدلية، تقوم على الحقيقة، وتنشد الفضيلة والأخلاق. فصب عليها تساؤلات تحليلية، ووضع لها فرضيات إجرائية، حرية أن تمنحها كفاءة تطبيقية، وقيمة علمية منضبطة، رفعتها من زئبقية السفسطة. لذا فأرسطو مدين لأستاذه بكل هذه المنطلقات المعرفية حول الخبابة. غير أن الدين متبادل بين الاثنين، فقد كان أرسطو سبأقا لخدمة أستاذه، حينما أسهم وهو تلميذ في التحول الكبير لدى أفلاطون في نظرتة إلى الخبابة، من الرفض والتحقير إلى القبول والتقدير؛ ومن الاتهام لها بالإيهام والتغريب؛ إلى الاعتراف لها بالقدرة الحقمة على الإقناع والتغيير؛ فقد "بدأت الأكاديمية تتجه نحو تعليم الريطوريقا(الخبابة) بوصول أرسطو إليها عام 367 ق.م... ويقال أن أرسطو هو الذي جمع المادة عن الريطوريقين القدامى والتي كانت الأساس لمحاوره فايدروس، وأنه هو من قام بتعليم [الخبابة] العملية في الأكاديمية"⁽²⁾

إذن فأرسطو وكأنه لم يجن من جهود أفلاطون حول الخبابة إلا ثمرة زرع بذورها، حينما كان تلميذا في الأكاديمية، و ما دراسته و اهتمامه بالخبابة إلا عودة إلى معالم وقناعات فكرية، تشكلت عنده حول فن القول و الفعل به، تهيأ لصلقها لاحقا، و أقامها على أسس متينة، سيكون للمنطق الدور البارز في سلسلة العمليات على الخبابة بكونها مبحثا جدليا، ومظهرا أخلاقيا، و بناء لغويا، وحدثا تواصليا. يلخص كل ذلك القول أن أرسطو عالج الخبابة معالجة تداولية بالمفهوم المعاصر.

إن ما يميز أرسطو في شخصيته الباحثة أنه " استقل بسرعة عن معلمه، ليصبح مؤلفا لأعمال واسعة وذات تأثير مستمر، (أكثر من تسعمائة نص أغلبها مفقود). وقد نشأ أرسطو (335 ق.م) في مدرسة في

(1). أفلاطون، محاوره فايدروس، م.س، ص(104-105).

(2). Webster, art and literature in 4th cent athens,p59-60. 39. م.س، ص.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

قاعة رياضية تسمى الثانوية (lycée)، حيث كان التدريس يتم غالبا أثناء المشي (من هنا جاءت مشائي أي يعلم أثناء المشي)، وكانت الفلسفة تدرس في الصباح، و تدرس الخطابة و البلاغة بعد الظهر، و قد كتب أرسطو الأجزاء الثلاثة من كتاب الخطابة بين عامي 329.323⁽¹⁾.

يرتبط كتاب الخطابة عادة بالأرغانون⁽²⁾ وغالبا ما يناقش الباحثون قضية العلاقة بينهما؛ هل الخطابة كتاب منفصل أو هي جزء منه؟⁽³⁾ ومهما تكن تلك العلاقة، فإن الخطابة الأرسطية ذات الصبغة المنطقية ظلت متصلة بالجدل، بوصفه أحد أهم مباحث الأرغانون، مشكلة ثنائية مركزية في فلسفة الخطابة و تاريخها، فلقد أعاد أرسطو بعد أستاذه أفلاطون فتح ملف البلاغة (الخطابة)، و اللافت أنه احتفظ بالتقسيم الثنائي الجدل والخطابة، غير أنه لم يطابق بينهما كما فعل أستاذه⁽⁴⁾، بل مَيَّرَ بينها تمييزا، لم يتوقف عند علاقة الخطابة بالجدل، بل سيمتد إلى مفاهيم أساسية أخرى، قامت عليها الخطابة قبل أرسطو، عند السفسسطائيين، وعند أفلاطون؛ فيرتد عليها بالقطيعة معها، و الانفصال عنها.

إن عملية الانفصال هذه تكونت في الواقع من انفصاليين: أحدهما مع الخطابة الأفلاطونية وسقراط، و الثاني مع سابقتها السفسطائية.

فالأول مزدوج، يتعلق بمراجعة الصلة الوثيقة، التي ربط بها أفلاطون الخطابة مع الحقيقة و الأخلاق، وذلك بالتخلص من هيمنة السلطة الأخلاقية، و طغيان تحكمها لتتحرر الخطابة من حساسية الأخلاق (amoral) دون أن تدخُلَ فيما يضادها و يناقضها (imoral)، بحيث تصير أداة للخير كما هي للشر، وتستخدم للظلم كما للعدل، وفق ذلك تتحد فائدتها أو ضررها. و موازاة لهذا، صيّر أرسطو الخطابة تقنية إقناعية، مقابلة للصواب وليس للحقيقة.

وبهذا الفصل المزدوج عن الأخلاق و عن الحقيقة جعل الخطابة تكتسب مجالا تطبيقيا أوسع امتد إلى الفضاء العام للمدينة.⁽⁵⁾

(1). فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، م.س، ص28.

(2). الأورغانون Organon: لفظه اللاتيني Organum كان يطلق على كتب أرسطو المنطقية في القرن السادس قبل الميلاد، ويعني "الألة" ويشتمل على: المقولات- العبارة- التحليلات الثانية أو البراهان- الجدل- الأغاليط. وقد يضاف إليها إيساغوجي فرفوربوس والخطابة والشعر لأرسطو...؛ (مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة-مصر، 2007، ص43).

(3). ينظر للاستزادة: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في بلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، مجلد XXXIX، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، دت، ص(92-95).

(4). مجّد الولي، "مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وتشايم برلمان"، م.س، ص24.

(5). ينظر: فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، م.س، ص28.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

أما الفصل الثاني: فكان مع-صناع الكلام- الذين اتخذوا الخطابة حرفة تلقن، وبضاعة تشتري، وقدموا السرعة في التعليم وإخراج المنتج (خطيب يحفظ الحجج) على الجودة، وبالتالي اهتموا بنتيجة الفن لا بالفن نفسه؛ وهذا ما انعكس على منهجهم، فقدموا "بلاغة المشاعر" على "بلاغة الاستدلال"، و اهتموا بما يحيط بالموضوع، لا بالموضوع نفسه⁽¹⁾

إن هذا الصنيع الذي يقوم على مبدأ الفصل، ويرمي إلى التهذيب والتمحيص، يماثل إلى حد بعيد الثورة السوسرية في دراسة اللغة. وإن كان دوسوسير قد خلّص اللغة من مجالات عدة(فلسفية ونفسية واجتماعية) تدعي امتلاكها. فإن أرسطو خلص الخطابة من النظرة السفسطائية، التي حصرتها في الحكمة، ومن النظرة الأفلاطونية التي حصرتها في النقاش الفلسفي، وبهذا" أصبح [للخطابة] بعدا عاما- ما عدا الحقيقة-، كما أصبح لها للمرة الأولى أيضا نظرية منتظمة"⁽²⁾.

فأصبحت الخطابة أشبه ما يكون علما له مجال، وموضوع، ومنهج، وآليات، و أدوات دراسة، "فقد حاول أرسطو أن يعين للخطابة مرشداً، و سندا علميا، يجعلها قابلة للتعليم، كما يجعلها جنسا جديرا بالتحليل العلمي، بل حاول أن يلتمس فيها ذلك المكون الثابت والمتكرر، الذي يجعلها طيبة أمام التحليل العلمي"⁽³⁾

1/ مجال الخطابة عند أرسطو:

يبدو أن أرسطو في تحديده لمجال الخطابة، قد سلك مسلكا يفتح للخطابة آفاق التوسع، مرتكزا على طابعها اللغوي ذي الأثر التواصلية، و على حضورها الاجتماعي بما يمنحها من مقامات تحاطبية، لتصبح "الخطابة عنده، و مهما كانت الأحوال، هي الخطاب الموجه إلى العامة في المحاكم، والتجمعات الشعبية التشاورية، أو في الحافل العمومية الاحتفالية"⁽⁴⁾ ويضحي هدفها" إنتاج قول عمومي يخدم القيم التي ينبغي أن يقوم عليها الاجتماع الإنساني"⁽⁵⁾

هذا التعميم الذي يتكأ على اجتماعية الانسان، ومن وراءه اللغة، و بدافع من حاجة الإنسان لأداة تضبط و تحكم تواصله الفكري و الثقافي، بما يخدم طموحه الحضاري، كل هذا سيحفز التفكير حول "امبراطورية [للقول البليغ] يمكن بسط سلطانها على حقل الاستعمال الخطابي للغة"⁽⁶⁾. امبراطورية تبدأ حيث

(1). ينظر: فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، م.س، ص29.

(2). المرجع نفسه، ص.ن.

(3). مجّد الولي، في الخطابة الباطوسية، مجلة علامات، العدد26، ص44.

(4). مجّد الولي"مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وتشايم برلمان"، م.س، ص26.

(5). هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، م.س، ص268.

(6). ينظر: بول ريكور، "الخطابة، الشعرية، التأويلية"، ترجمة: ياسين ساوير المنصوري ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، م.س، ص205.

انتهت حدود الخطابة عند أفلاطون، الذي لم يحدد الخطابة في "فضاءات القول الرسمية من محاكم ومجالس الشعب و"ساحة عامة" (Agora) بل يمتد إلى الاجتماعات الخاصة أيضا على حد قوله"⁽¹⁾.

وإلى أبعد مدى من هذه النظرة الأفلاطونية، و بفضل تلك القطيعة التي أجراها أرسطو بين الخطابة والحقيقة، سيزداد مجال الخطابة توسعا وشمولا وسيغدو أكثر امتدادا "يستوعب حسب ميشال ماير كل ما يفلت من ضرورات المنطق والعلم"⁽²⁾، ويدخل ضمن الممكن والمحتمل لا بالنسبة للأفراد الناس، و لكن بالنسبة إلى جميعهم"⁽³⁾. وحينها يمكن للخطابة أن تستوعب الإنسان وعالمه معا، صانعة عالمها الرحب ذلك العالم" المرتبط بالحياة، والنشاط، والتحرك، والتواصل، وبالعلاقات الاجتماعية"⁽⁴⁾

- منهج دراسة الخطابة عند أرسطو:

لم يَصِرْ أرسطو أبا علم الخطابة الحقيقي⁽⁵⁾ إلا بعد أن سبق إلى انتزاع و استحقاق لقب " أبو المنطق"، المنطق"، و لذلك لم يكن عجبيا أن تتحول الخطابة مع أرسطو "... من تقنية تجريبية إلى تقنية لها قواعد رياضية خاضعة لنظرية محددة مع بقائها، كما كانت موجهة بشروط تطبيقها في مجتمع يعطي مساحة واسعة "ثقافة الاقتناع"، ذلك لأنها في جوهرها ديمقراطية"⁽⁶⁾.

ومن هنا نظر أرسطو إلى الخطابة من منظور منطقي، وتناول دراستها و فقهه "فقد كان يسعى إلى إخضاعها لنفس قواعد المنطق الصوري، و لنفس قواعد الجدل أو الطويقا"⁽⁷⁾. فقد كان يعي جيدا أن " المنطق يقدم حلا إسعافيا، يرتبط مع واحدة من أقدم حدوس الخطابة"⁽⁸⁾، هذه الحدوس في واقع الأمر هي مجموعة " القواعد أو الملامح التي تكسب الخطاب صفة الموضوعية، والبعد عن شوائب النزوات العاطفية الذاتية المتلوثة"⁽⁹⁾ و تأسيسا على ما للقياس والاستقراء من وظائف في المنطق؛ رد أرسطو كل الأدلة الخطابية إلى هذين الأصلين الاستدلاليين، فيقول في كتابه الخطابة" و أسمى القياس المضمير القياس الخطابي، و المثال

(1). هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص80.

(2). عبد اللطيف عادل: بلاغة الاقتناع في المناظرة، م.س، ص54.

(3). أرسطو، الخطابة، مقالة 1354أ، ترجمة عبد القادر قنيني، د ط، أفريقيا الشرق، دار البيضاء-المغرب، 2008، ص18.

(4). G.Molinie, Dictionnaire de rhétorique, p5

(5). محمد الولي "الخطابة الباتوسية"، م س ، ص43.

(6). فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، م.س، ص35.

(7). محمد الولي: الخطابة الباتوسية، م س، ص45.

(8). بول ريكور، الاستعارة الحية، ترجمة: محمد الولي، مراجعة وتقديم جورج زيناقي، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2016، ص51.

(9). محمد الولي: الخطابة الباتوسية، م.س، ص45

الفصل الأول ————— الخبابة من خلفة التاريخ إلى بنية المفهوم. و تحديد العلائق

الاسبقراء الخبابي وفي الحقيقة فإن جميع الخبباء لكي ينسجوا القناعة يبرهنون بالأمثلة وبالقياسات المضمرة، و لا توجد وسائل أخرى غير هاتين الوسيلتين⁽¹⁾

لكنه في موضع آخر يقسم هاته الأدلة إلى تقني، وغير تقني، مبرزا أن غير التقنية، مثل الشهود والوثائق معطاة مسبقا، وكأنها خارجة عن القول الخبابي. أما الأدلة التقنية فهي تلك التي تدخل في صلب وظيفة المنهاج، فهي تستلزم عملية إبداعية تنظر وتحلل، ثم تركب و تستنتج فتبدو وكأنها تبتكر⁽²⁾، إن أرسطو أرسطو حقا" مفتون بالتفكير الرياضي، يسلك سبيل المنهاج الرياضي الأكسيوماتيكي⁽³⁾ من إعطاء التعريف ووضع المسلمة أو فرض قضية ثم البرهنة⁽⁴⁾، لذلك نجده يشترط على صاحب القضية و الإقناع أن تمتلك تفكيرا منطقياً⁽⁵⁾، وهو الشرط الذي قاد أرسطو وأوصله بعد ذلك لتحقيق إنجازه الأعظم على -حد تعبير بول بول ريكور- حينما تمكن من " بلورة ... الرابط بين مفهوم الإقناع البلاغي وبين مفهوم المحتمل المنطقي، وإقامة صرح كامل للخبابة الفلسفية على هذه العلاقة"⁽⁶⁾. لكن هذه الخبابة الموسومة بالفلسفية ليست إلا" منطق تم تبسيطه عن قصد وتكليفه حسب مستوى "الجمهور" أي حسب الحس المشترك والرأي الشائع"⁽⁷⁾

ومن هنا كان التناول الأرسطي للخبابة منطقيا بالأساس، و إن امتد في معرض الكشف عن وسائل الإقناع، إلى جوانب نفسية واجتماعية و أخلاقية وسياسية.

- موضوع الخبابة عند أرسطو:

حرص أرسطو منذ البداية على تحديد المؤشر الرئيس و الوسم الأوضح لموضوع الخبابة ، عبر كلماته الأولى عن الخبابة حينما جعل الإقناع هدفها ومبلغها قائلاً:"إن الخبابة هي النظر المقابل للجدل، وفي الحقيقة كل واحد منهما يتناول المسائل والقضايا التي تجتري فيها القدرة العامة للجميع بما يكفي في

(1). ينظر: أرسطو، الخبابة، ترجمة عبد القادر قنيني، م.س، ص17.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص15

(3). الأكسيوماتيكي. من Axiomatique أي:نسقي استنباطي تعني دراسة نقدية لمبادئ البرهنة؛(ينظر: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، م.س، ص82.)

(4). أرسطو، الخبابة، ترجمة عبد القادر قنيني، مرجع سابق، ص6.

(5). ينظر:عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات-، ط 1، مسكيليان للنشر، تونس، 2011، ص73.

(6). بول ريكور، الاستعارة الحية ، ترجمة محمد الولي ، م.س، ص52.

(7). رولان بارت، البلاغة القديمة، م.س، ص47.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

الإقناع...⁽¹⁾، أي أن الخطابة عند أرسطو تهتم بالخطاب الذي ينتج الإقناع بمعنى أن " الخطابة ليست تنطبق على جميع الخطابات ، لكن على تلك التي تهدف إلى المقانعة"⁽²⁾ فقط"⁽³⁾

وحيث كان الإقناع عملية تستدعي تفاعلا بين طرفين كانت الخطابة " لا تتخذ موضوعاتها إلا من المسائل التي كانت مادة معتادة في التحوار والمشاورة"⁽⁴⁾ ، ولأن الحوار والتشاور عادة بل دائما ما يدوران حول حول قضية، قلما تكون توافقية، يراد الارتقاء بها إلى الأكمل والأوضح، و إنما غالبا ما تكون خلافية يبحث فيها عن الأقوى والأرجح؛ ومن هنا كان " مدار الخطابة عند أرسطو إنتاج قول يهدف إلى الإقناع في مجال المسائل الخلافية القابلة للنقاش، وهي بذلك علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب"⁽⁵⁾ ، و تسمية الطرفين خطيب ومخاطب أو مرسل ومتلقي ليست مهمة؛ بقدر ما يهم معرفة أيهما له الأثر الأعظم على عملية إنتاج الخطاب الإقناعي.

إن أرسطو وإن كان يقر أن الخطاب يتكون من ثلاث عناصر، من يتكلم والموضوع الذي يقع فيه الكلام؛ والذي يوجه إليه الكلام؛ إلا أنه يمنح المتلقي (الذي يوجه إليه الكلام) الأفضلية وينزله منزلة الغاية والهدف والمنتهى من كل خطاب⁽⁶⁾ ، وفي هذا الاتجاه "يقترح أرسطو التمييز بين أنواع مختلفة من المتلقين، وهذا التمييز يميل إلى العديد من المواقف الاجتماعية التي ينتشر فيها فن الإقناع،...وبما أنه توجد أنواع مختلفة من المتلقين"⁽⁷⁾ يحددها أرسطو في ثلاثة، "هم: من يشهد الخطاب، ومن يحكم على موقف حدث في الماضي، وذلك الذي يحكم على موقف مستقبلي، الأول هو المستمع لخطاب يسمى "استدلالي" (épidictique)، والنموذج الذي يمثله هو المدح. والمتلقي الثاني هو الحكم بالمعنى الحرفي، ويكون ذلك في إطار قضية. وهذا الخطاب ينتمي للضرب "القضائي" (judiciaire). والمتلقي الثالث هو العضو في المجلس، وعادة ما يكون المجمع، الذي ينبغي عليه اختيار سياسة مستقبلية؛ والخطاب في هذه الحالة ينتمي للضرب "الاستشاري"

(1). أرسطو ، الخطابة، مقالة 1354أ، ترجمة عبد القادر قنيني، م.س، ص8.

(2). المقانعة عند المترجم تقابل الإقناع

(3). أوليفي روبرول ، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبه، مراجعة حسان الباهي، ط1، أفريقيا الشرق، دار البيضاء-المغرب، 2017، ص20.

(4). أرسطو ، الخطابة، مقالة 1354أ، ترجمة عبد القادر قنيني، م.س، ص18.

(5). قادا عبد العالي، بلاغة الإقناع-دراسة نظرية وتطبيقية-، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2016، ص64.

(6). ينظر: أرسطو، الخطابة ، مقالة 1358ب، ترجمة عبد القادر قنيني، م.س، 2008، ص23.

(7). فليب بروتون وجيل جوتيه، م.س، ص30.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

(1) وفي ما يلي جدول يكشف عن الضروب الخطابية في علاقتها بالعوامل الفاعلة في بناء الخطاب الإقناعي: (2)

ضرب الخطاب	طبيعة الخطاب	القيم المساعدة	زمنية الخطاب	الموقف الخطابي	اجراءات الحجاج	نوع الخطيب	نوع الخطيب	الموضوع الذي يتناوله
الاستدلالي	المدح والذم	الجمال الفضيلة القبح	الحاضر	المدح والذم العموم	التعظيم	سفسطائي	خطبة في المدح أو الرثاء	القيم
القضائي	الحكم	العدل والظلم	الماضي	الحكمة	القياس المضممر enthymème	متهم أو مشتك	مرافعة	البراءة الإدانة
الاستشاري	استشارة واتخاذ قرار	المفيد الضار السعادة	المستقبل	الجوار جمعية وطنية	المثال	مواطن	خطبة	الميزانية الأمن الاقتصاد القانون

- وظيفة الخطابة وآلياتها عند أرسطو:

يحدد أرسطو الخطابة ضمن حقل صناعة الإقناع، لكن بالنسبة إليه الخطابة لا تستهدف الإقناع في ذاته بوصفه حالة تمتلك السامع ذهنياً، وفكرياً، ونفسياً، بل تبحث وتنظر في آليات الإقناع ووسائله، وسبل صناعته. فهي لا تبحث في العوارض و النتائج بل في العلل و الأسباب، إن الخطابة عنده "وظيفتها الخاصة ليست في أن تقنع، و لكن تنظر في الوسائل المقنعة مما يشتمل عليه كل موضوع"⁽³⁾⁽⁴⁾ و لن يتوقف عمل الخطابة عند حدود كشف و استنباط وسائل الإقناع و آلياته، بل تنفذ إلى مستوى أعمق فتكون أكثر دقة وأعظم جدوى، تهتم بالحدود و التفاصيل، و تكشف عن مواطن الالتباس و التدليس؛ لتخلص الإقناع

(1). فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، م.س، ص30.

(2). المرجع نفسه، ص.ن.

(3). أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، م.س، ص13.

(4). وهنا تحديداً يتحول منحى الخطابة من الاهتمام بالأثر الترتب عن المنتج القولي، أي من انشاء الخطاب إلى آليات بناءه، وتأخذ في التحول هدفاً ومضموناً، نحو ما عرف في الثقافة العربية بالبلاغة، وبالتالي تنبثق إشكالية خطابة أو بلاغة، هاته التي ستنال جانب من الفحص لاحقاً. ينظر: (ص 50) من هذا البحث.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

الحقيقي مما يتوهم أنه حقيقي ، وكأنها تتحول من وظيفة المنتج المبدع لأدوات الإقناع إلى وظيفة الخبير الناقد لها، و بالتالي يصبح واضحاً "أن الخطابة تستخدم كذلك لاكتشاف الإقناع الحقيقي من الإقناع الظاهري ،.. لأن ما يغري على السفسطة ليس هو القدرة عليها، إنما القصد أو الغرض المبيت..."⁽¹⁾، وهذا يعني أن مقصدية المخاطب ذات أثر فعّال، في استحقاق الخطاب وصف الخطابة، أو استوجابه تهمّة السفسطة و التعليل"⁽²⁾

ولأن النيات و المقاصد أعمال، مكمّنها القلب ومدارها العقل، ومحركها الطباع النفسية. ولما كانت النفوس جواهر، حليتها الأخلاق والفضائل فإن إنتاج وسائل الإقناع ستحرّكه ثلاثية: العقل، والنفوس، والأخلاق؛ المرتبط إجرائياً بالمنطق و التفكير؛ و الطباع والانفعالات؛ و المجتمع والقيم. وعليه يصير شرطاً في المتصدر للخطابة أن يكون مستعداً " ... للاستدلال القياسي، و المعرفة النظرية لطباع البشر؛ وثانياً معرفة الأخلاق والفضائل؛ وثالثاً معرفة الانفعالات وذلك بأن يعرف طبيعة كل انفعال، وأحواله، وأسبابه والهيئات الراسخة، التي يحدث بها كل انفعال عن المستمعين"⁽³⁾.

ومن هنا انتظمت آليات الخطابة ووسائلها وفقاً لثلاثة نواظم ، عكست انسجاماً وتناسباً بين المنهج والموضوع؛ حيث برزت الخلفية التقنية لخطابة أرسطو -المرتكزة على المنطق، والنفوس، والأخلاق- متمظهرة في صورة التقسيم الثلاثي للأدلة (الحجج).

إذا بدا الجانب النفسي متوافقاً مع حجة الباتوس؛ والمعيار الأخلاقي أكثر تلاؤماً مع حجة الإيتوس؛ في حين كانت حجة اللوغوس متناسبة مع النظرة المنطقية، التي تُعنى أساساً بالبناء اللغوي في كل مستوياته.

وبدورها تتناسب الحجج الثلاث؛ اللوغوس، و الإيتوس، و الباتوس مع أنواع الخطاب الثلاثة الخطبة المشورية، والخطبة المشاجرية، والخطبة التثبينية.⁽⁴⁾

فالخطبة المشورية *discours délibératif* غايتها بيان النافع والضار والتوصية بإتباع أقوم المسالك، واجتناب أسوأها إلخ، وتناسبها حجة الإيتوس فعلى الخطيب في الخطبة المشورية أن يتزبي بحسن الخلق فيما يتوجه به إلى السامعين حتى وإن كان على غير ذلك الخلق في الواقع.

(1). أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، م.س، ص14.

(2). الزماني كمال، حجاجة الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ط1، عالم الكتاب الحديث، إربد-الأردن، 2016، ص48

(3). أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، م.س، ص16.

(4). ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج-دراسات وتطبيقات، م.س، ص73.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

وأما الخطبة التثبیتیة Discours épideictique التي قوامها المدح والذم، مدح الشريف و ذم الخسيس، فتناسبها حجة الباتوس؛ والباتوس إنما هو مجمل الانفعالات والأهواء والمشاعر، التي ينبغي على الخطيب أن يثيرها في نفوس السامعين فيحقق بذلك الإقناع. وهذا يقتضي من الخطيب أن يكون عالما بالنفس يعرف كيف يثير مشاعر جمهوره، ومن أين يأتيهم وقد عقد أرسطو فصولا طويلا لذلك في المقالة الثانية من كتاب الخطابة.

وأما الخطبة المشاجرية Discours judiciaire التي غايتها بيان العدل والظلم وقوامها الاتهام والدفاع فتناسبها حجة اللوغوس أي الكلام نفسه فهاننا يكمن كما يقول روبرول "المظهر الجدلي بحق في بلاغة أرسطو"

وكنتيجة لهذا العرض المفصل للخطابة عند أرسطو، نخلص إلى أن أرسطو قد تحول بدراسة الخطابة من دراستها بوصفها فنا قوليا، إلى دراستها في كونها أقرب إلى العلم، فهو لم يقصد من كتابه "الخطابة" دراسة الخطابة باعتبارها ممارسة ومنتجا قوليا، وخطابا تداوليا وظيفيا، بل قصد التنظير للقول الخطابي الكفاء، الذي يحقق الإقناع، ويتجاوز إلى العمل والإنجاز، كيفما كان مقام إنشائه وإلقائه.

ومن ثم تغدو الخطابة الأرسطوية تصورا مجردا، و منهجا تقنيا، يحكم الخطابة بوصفها تجسيدا إجرائيا وإنجازا لغويا فنيا. ومن هنا قد يكون ممكنا القول: إن الخطابة عند اليونان اثنان:

- خطابة = الخطابة وهذا عند أفلاطون و وعند السفسطائيين
- وخطابة = البلاغة عند أرسطو.

ولعله من هنا نشأ الخلاف حول ترجمة Rhétorique هل إلى خطابة أم إلى بلاغة. و الذي قد يظهر مبدئيا أن كتاب "Rhétorique" لأرسطو، غلافه ومقدماته في الخطابة، ومضمونه وغايته في البلاغة.

1-2-2 الخطابة عند العرب:

قامت الخطابة في الأمم قبل العرب على فطرة الإنسان الاجتماعية، وتغذت من طاقته النفسية، ونشطتها مكوناته الوجدانية، وعلى سنة الكون في الاختلاف والصراع، ضمنت لنفسها البقاء والارتقاء. لذا وجدت في بيئة العرب محضن نمو، ومسرح ظهور وعلو، وفضاء انتشار وفشو.

1-2-1 مرتبة العرب في الخطابة:

للعرب في ميدان صناعة الخطابة، وتصريف القول بحسب المقامات مكانة، لا ينكرها إلا جاحد مستكبر، أو جاهل بما ينظم أو ينثر، "ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة و جولانها في كل مجال وتميزها باللسان فقد كابر ، ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني من أماكنها وإقامة الصناعات بأسرها ، وبجنتها عن العالم الأعلى والأوسط والأسفل فقد بهت . ومن دفع مزية الفرس في سياستها وتدابيراتها وترتيب الخاصة والعامية بحق ما لها وعليها فقد عاند . وهكذا من دفع ما للهند ، فليس من شخص وإن كان زرياً قميئاً إلا وفيه سر كامنٌ لا يشركه فيه أحد ، ..."⁽¹⁾، ولهذا تفاخر العرب في كل أجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسط في الكلام وقوة العارضة. ولعل تلك المرتبة أن تظهر من خلال فحص خصائص الخطابة العربية في أهم عصوره.

1-2-2 الخطابة في العصر الجاهلي:

لقد كانت بلاد العرب صحراء جرداء، وعرة التضاريس، صعبة العيش، متقطعة السبل، لا قوانين تحكم، ولا دولة سائدة تجمع، بل قبائل متفرقة متنافرة متناحرة، كل قبيلة كأمة واحدة، تخضع لرأي الزعيم الأقوى عقلاً، والأشد بطشاً، والأكثر تجربة في فنون الحياة. في هذه الظروف نشأ العربي متحرراً، يأبى الضيم، ويأنف الذل، ولا يستكين إلى الهوان، همته بمعالي الأخلاق معلقة، وفكرته في مواطن الأجداد ساكنة؛ فعاش عيشة الفروسية، رزقه تحت ظل رحمه، وحدود كرامته يجرسها حد سيفه.⁽²⁾

في غمرة هذا المشاهد التي تعج بأفكار المشاعر الفطرية، وفي معترك خطوب هاجمة صادمة، لا يردها إلا اثنان: نصل السيف، أو سحر الحرف، ولعل الثاني أن يكون أجدى وأنفع؛ وأبلغ وأنفذ، قال أكتثم بن

(1). أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424هـ/2003م، ص186.

(2). ينظر: محمد أبو زهرة، م.س، ص (177-178).

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

صيفي: "ربّ قَوْل أنفذ من صَوْل"⁽¹⁾، إن حق الحياة بكرامة — في البيئة الجاهلية — حماته مغاوير بهم، أو مقاويل لسن، تعتدهم القبيلة بعض ما تناضل به ... [ف] كانت الإجادة القولية والتفوق الفني، يبتغى التماسا للفلج والغلب، وكسبا للقوة التي هي غاية الحياة... وكانت تلك القوة غاية البلاغة..."⁽²⁾. وهكذا كان الفارس المطاعن، والمقدام المبارز محتاج إلى من يقيي جذوة الحمية ملتبهة في فؤاده، مصطلية بين جنبيه، ولم يكن أحد أقدر على ذلك من شاعر فحل أو خطيب مصقع⁽³⁾. "وقد كان للخطيب عندهم، كما يقول أهل الأخبار، مقام كبير للسانه وفصاحته وبيانه وقدرته في الدفاع عن قومه والذب عنهم والتكلم باسمهم، فهو في هذه الأمور مثل الشاعر، لسان القبيلة ووجهها"⁽⁴⁾.

لكن ما لبث يتقهقر موضع الشاعر في سياسة القبيلة، و يعلو قدر الخطيب، ويتسع دوره في حياة العرب وفلسفتهم، يقول عمر بن العلاء: "كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم، ويهاجم شاعر غيرهم؛ فيراقب شاعرهم. فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوق وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر"⁽⁵⁾ والقول ذاته يرويه ابن رشيقيقول: "كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب؛ لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر، وشدة العارضة، وحماية العشيرة، وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل؛ فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته، فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه"⁽⁶⁾.

(1). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، دط، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ج1، ص56.

(2). أمين الخولي، فن القول، تقديم: صلاح فضل، دط، مطبعة دا الكتب المصرية، القاهرة، 1996، ص 198.

(3). يُقَالُ: فُلَانٌ خَطِيبٌ مُصَقِّعٌ، مُصَدِّعٌ، بَسِيطُ اللِّسَانِ، قَوِيٌّ العَارِضَةِ، وَاسِعُ المَجْمَعِ، فَسِيحُ البُئَاعِ، رَجِيبُ المَجَالِ، بَعِيدُ التُّجَعَةِ، فَسِيحُ الحُطَى، مُنْفَسِحُ الحُطُو، بَعِيدُ الحُطُو، بَعِيدُ العَايَةِ، بَعِيدُ الأَمَدِ، وَارِي الزُّنْدِ، مُصَفُّو الحَاطِرِ، طَلَّقَ البَدِيهَةَ، سَمَّحَ القَرِيحَةَ، وَاضِحُ المُنْهَجِ، حَسَنُ البَيَانِ، نَاصِعُ البَيَانِ، مُشْرِقُ دِيبَاجَةِ البَيَانِ، حَسَنُ اللَّفْظِ، أُنِيقُ اللُّهْجَةِ، جَزَلُ المُنْطِقِ، رَاضِعُ المُنْطِقِ، عَذْبُ المُنْطِقِ، رَطْبُ اللِّسَانِ، بَلِيلُ اللِّسَانِ، خَلَابُ المُنْطِقِ، جَهِيرُ المُنْطِقِ، وَجَهْوَرِي المُنْطِقِ، نَدِي الصَّوْتِ، أَجَشُّ الصَّوْتِ، رَفِيعُ الصَّوْتِ، رَفِيعُ العَقِيْرَةِ. (البيازجي إبراهيم، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، دط، مطبعة المعارف، مصر، 1905، ج2، ص26).

(4). الألويسي محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح: مُجَدِّ بَهِجَتِ الأَثَرِي، ط2، ج3، ص151.

(5). الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، دط، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 2002، ج1، ص10.

(6). ابن رشيقي القيرواني، (الحسن أبو علي)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: مُجَدِّ مَحْيِي الدِّينِ عبد الحميد، ط5، دار الجليل، 1981، ج1، ص82.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

وبعلو مكانة الخطابة عند عرب الجاهلية، صار لها وزنا خاصا في نظامهم الاجتماعي والسياسي. يقدمونها في أيام السلم؛ وفي أوقات الغزو والغارات؛ في حالتها الهجوم والدفاع؛ وفي المفاوضات التي جرت بين القبائل، أو بين القبائل والملوك؛ ثم في المفاخرات وفي المنافرات. فكل هذا استدعى ظهور أناس بلغاء، اعتمدوا على حسن تصرفهم في تنظيم الكلام، وفي تنسيق الجمل، وفي التلاعب بالألفاظ للتأثير على القلوب، والأخذ بمجامع الأبواب. فربَّ كلمة كانت تقيم قبيلة وتقدها، لتلاعب الخطيب بقلوبها، بسحر البيان، واختيار الألفاظ واستخدام مواضع الإثارة، التي يعرف أنها ستثير النار الدفينة في أفئدة سامعيه⁽¹⁾.

وهكذا اتفقت للخطابة في هذا العصر، كل مقومات و عوامل الازدهار" بل إنه لا ينتهي بنا إلى إنكار ازدهارها كما حاول بعض الباحثين⁽²⁾؛ فقد كان كل شيء عندهم يؤهل لهذا الازدهار؛ إذ لم يكن ينقصهم شيء من الحرية، وكثرت المنازعات والخصومات بينهم والدعوة إلى الحرب مرة وإلى العلم مرة أخرى⁽³⁾. هذا الازدهار لم يقتصر على ساحات النزاع حول الحقوق، كما كان عند أوائل اليونان، بل أخذ مظهرها شامل لكل مجالسهم، وتجمعاتهم، حتى شهدتها الأسواق و مجالس العزاء. فتعددت أغراض الخطابة الجاهلية وتنوعت مواضيعها.

وكانت تدور عموما حول: "التحريض على القتال، وإصلاح ذات البين، ولمّ شعث، لكثرة ما كان يقع بينهم من تنافر وتشاحن، ثم السفارات إلى القبائل أو الملوك، لأغراض مختلفة، مثل التهئة والتعزية، أو طلب حاجة، وحلّ معضل، أو إنهاء خصومة، ثم الجلوس لحل الديات وإنهاء نيران الثأر، ثم التفاخر والتنافر والتباهي بالأحساب والأنساب والمآثر والجاه والمال، ثم في الوفادات حيث تقتضي المناسبة إلقاء الخطب، أو في الحث على التعقل والتفكير وتغيير رأي فاسد، كما في خطب قس بن ساعدة الإيادي وفي خطب الأحناف، ثم في المناسبات الأخرى مثل تعداد مناقب ميت، أو خطب الإملاك وما إلى ذلك"⁽⁴⁾. فكانت أغراض الخطابة الجاهلية متصلة بغاية هذه الأمة في حياتها، وساعية لخدمة أهداف جماعة العرب إذ ذاك في بيئتها⁽⁵⁾.

وبهذا نالت إشادة الشعراء، فخلدوا آثارها، ونوهوا بعظيم فضلها في مواقع الحسم، وفي المجالس ذات الشأن.

ومما ترويه كتب الأخبار، وأسفار الآداب من الأشعار في هذا المضمار، أن أبو زُبَيْد الطائي قال:

وخطيبٍ إذا تمعرتِ الأوجهُ يوماً في مَأْقَطٍ مشهود⁽⁶⁾

(1). ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقى، 2001، ج16، ص408.

(2). ينظر: في الأدب الجاهلي لطف حسين: ص374.

(3). شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، دت، ص410.

(4). جواد علي، م.س، ص409، 410.

(5). ينظر: أمين الخولي، فن القول، م.س، ص197.

(6). تمعرت الوجوه: تغيرت واصفرت. المأقط: موضع القتال.

وقال عامر المحاربي في مديح قومه:

وهم يدَعْمُونَ القولَ في كل موطنٍ بكل خطيبٍ يترك القوم كُظْمًا⁽¹⁾

يقول فلا يَعْيَا الكلامَ خطيبنا إذا الكربُ أنسى الجبَسَ أن يتكلما⁽²⁾

يقول ربعة بن مقروم الضبي يبين قيمة الخطابة في الصلح:

ومتى تَقُمَ عند اجتماع عشيرةٍ خطباؤنا بين العشيرة يُفْصَلُ⁽³⁾.

هؤلاء الخطباء كانوا من المكانة أن فاخرت بكثرتهم كل قبيلة، فكثر عددهم، وتنوعت أساليبهم، وتفاوتت مقدراتهم، فكان أن نال بعضهم الشهرة والألقاب، ووسع الآخرين شرف فصل الخطاب، وإن لم يشر إليه قلم أو يذكره كتاب.

1-2-2-1 أهم مميزات الخطابة الجاهلية:

• الفطرية والارتجال:

لم تكن الخطابة في الجاهلية إلا ممارسة لفن القول، واستثمارا لقدرة اللغة الفطرية في تنظيم وتوجيه الجماعة البشرية، وإشراك للبعد غير المحسوس للإنسان في تدبير شؤونه، وتقليصا لهيمنة الصراع المادي في فرض الوجود، وإدامة الحياة. ورغم هذا لم يتوجه فكر العربي حينها إلى تأصيلها، ولم يأبه أصحابها بتعليمها، ولم ينشغلوا بتدوينها، فظلت على طبيعة العربي يؤثر الشفهي، ويميل إلى المرتجل البديهي. يقول الجاحظ "وكل شيء للعرب وإنما هو بديهية وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فكرة ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً، وتثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيدده على نفسه، ولا يدرسه أحد من ولده. وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب"⁽⁴⁾

(1). كظْمًا: جمع كاظم وهو الساكت غيظًا.

(2). الجبس: اللثيم المنقطع.

(3). البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1997، ج8، ص436.

(4). الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، دط، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، 2002، ج3، ص20.

• تنوع حجمها بتنوع مواقفها:

تراوحها بين الطول والقصر لمحات ولوحات ففي كل الأحوال فإن "... جميع الخطب على ضربين: منها الطوال، ومنها القصار؛ ولكل ذلك مَوْضع يليق به، ومكانٌ يحسن فيه"⁽¹⁾.

أما عند العرب فقد "سئل أبو عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ فقال: نعم ليسمع منها، قيل: فهل كانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها. قال: وقال الخليل بن أحمد: يطول الكلام ويكثر ليفهم، ويوجز ويختصر ليحفظ؛ وتستحب الإطالة عند الإعذار، والإنذار، والترهيب، والترغيب، والإصلاح بين القبائل، كما فعل زهير، والحارث بن حلزة، ومن شاكلهما، وإلا فالقطع أطير في بعض المواضع، والطوال للمواقف المشهورات."⁽²⁾.

• تجويدها واختلاف بناءها:

كان السجع باعتباره أقدم المحسنات اللفظية، عمدة الخطابة الجاهلية في تزيين الخطب، والتأنق في تحليتها، على أنهم لم يلزموه دائماً، فقد يدعوها أحياناً استجابة لمقامات معينة، ليفسحوا المجال للنثر المرسل، مستعينين بوجوه بديلة من البيان مثل الاستعارات والكنائيات⁽³⁾.

فقد "كانوا يستخدمون الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة؛ بينما كانوا يستعملون المنثور المرسل في خطب الصلح وسل السخيمة وعند المعاقدة والمعاهدة. وكأنهم عرفوا في الجاهلية لونين من الخطابة لوناً مسجوعاً ولوناً مرسلًا، ولا تظن أنهم في خطابتهم المرسل لم يكونوا يروون فقد كانوا يعمدون إلى ما يثير السامعين من كلم بليغ؛ حتى يؤثروا فيهم ويبلغوا ما يريدون من استمالتهم،... بما يخرجونه فيه من استعارات وأخيلة. ودائمًا يعنون ببهاء اللفظ وقوته ونصاعته، كما يعنون بوضوح الحجة."⁽⁴⁾ يقول الجاحظ: "لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب، وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معازم التدبير ومهمات الأمور مَيَّئوه¹ في صدورهم وقيدوه على أنفسهم؛ فإذا قَوْمه الثقافة، وأدخل الكير، وقام على الخلاص أبرزوه محكِّمًا منقحًا ومصفي من الأدناس مهذبًا"⁽⁵⁾.

(1). ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1404هـ/1981م، ج4، ص145.

(2). ابن رشيق القيرواني، الحسن أبو علي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1981، ج1 ص186.

(3). ياسر محمد نديم صاري، الخطابة بين الشرق والغرب، سلسلة دراسات أدبية رقم 23، ط1، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2015، ص98، 99.

(4). شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، م.س، ص418.

(5). الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، م.س، ج1، ص11.

1-2-3 الخطابة في العصر الإسلامي:

بلغت الخطابة في الجاهلية مكانة سامية، وعني بها عناية خاصة، ففاقت الشعر، وارتقت لتقترن بالمنزلة والشرف؛ قائلاً وموضوعاً؛ وأجلت مجلساً ومسموعاً. فكان ذلك علامة على وعي المتلقي العربي الناقد، بأولوية وظيفة الخطاب وفاعليته، على جماليته ومتعته. وإن ظل طابع المتعة، وسمّة الجمال حاضرة مقصودة في جل خطابات العرب. هذه النظرة في الواقع هيأت المتلقي العربي، ليخبر نوعاً متفرداً من الخطاب، سيخالفهم في العقيدة ويبدو محارباً لهم في الأصول، لكنه يدعم بقوة فلسفتهم الخطابية، ويسمو بمقاصدها وأسلوبها إلى آفاق عالية.

لقد كان مبعث النبي ﷺ بالإسلام المنعطف الذي مس الدين، وهز العقائد المورثة، وجعل دائرة الاختلاف والصراع أوسع، لتتعدى علاقة العبد بالعبد، إلى علاقة العبد بالرب الإله، وهنا " بدأ التحول الهائل في الحقل الخطابي،... ليبدأ فن الخطابة عبر مسارات جديدة"⁽¹⁾ ومجالات عديدة ومقامات ومواضيع ثرة ومثيرة " ...أنشطت الألسن من عقلها، وأثارت الخطابة من مكنها، فوق ما كانت عليه في جاهليتها؛ فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد ﷺ بادئ أمره -غير تبليغ القرآن- وارداً من طريق الخطابة. ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البال، كان دعاة النبي ﷺ ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاءه من بعده عما لهم كلهم خطباء مصانع، ولسنا مقال ... وكان لهم من القرآن وأدلتهم وحججه والاقْتباس منه مدد أيما مدد..."⁽²⁾. فظهر تميّزها عن خطابة الجاهلية، " في رقة التعبير، ودقة التصوير، وقوة التأثير: بما اكتسبته من القرآن. فقد كان جهد الخطيب أن يترسم خطوه، ويجذو جذوه، وأن يرصع خطبته ببعض آية لتكون أحسن في الموقع، وأخف على المسمع"⁽³⁾. مما زادها بلاغة وحكمة، وإذا ما تطلبتنا تميزاً أوضح للخطابة في صدر الإسلام، عن سابقتها الجاهلية؛ ففي ما يلي بيان له، ووقوف على أهم معالمه، وأبرز نقاطه:

(1) مي يوسف خليف، تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبنى أمية، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ص 19.

(2) أحمد الهاشمي، جواهر الآداب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ط 27، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1969، ج 2، ص 109.

(3) مصطفى بن محمد سليم الغلابي، د ط، رجال المعلقات العشر، المطبعة العصرية، بيروت-لبنان، 1998، ص 46.

1-2-3-1 خصائص الخطابة في الصدر الأول:

1. قطعها الصلة مع معظم موضوعات الجاهلية، استجابة لرسالة الإسلام، التي حثت على التمسك بالفضائل و الابتعاد عن الرذائل، فاكسب مواضيعها بذلك رفعة ورقة، ناسبت علو ما كانت تدعو إليه. (1)

2. عنايتها بوحدة الموضوع، إذ أصبحت ذات موضوع مترابط الأجزاء، متآلف المعاني، خلافا للخطابة الجاهلية، التي كثيرا ما كانت أقوال مضموم بعضها إلى الآخر، دون مراعات التناسب بين السابق واللاحق. (2) إذ "لم تكن أوائل العرب تخص المعاني بفضل مراعاة" (3)، وكما اهتمت بالموضوع اهتمت بالشكل والهيكل، الذين صاروا على طابع لا يُجاد عنه، التزمه الخطباء في هذه الفترة، فكانوا يبدؤون بحمد الله والثناء عليه، ثم يأتي الموضوع، ثم الختام. (4)

3. تراجع الارتجال فيها، وتوجهت أكثر إلى التحضير، والإعداد المسبق (وهو ما كان يسمى بتزوير الخطبة). وكما أخذ الارتجال في التراجع، بدا السجع فيها ينحسر، والألسنة عنه تنبو، والقلوب منه تنفر؛ لارتباطه بسجع الكهان، الذي كان الرسول ﷺ ينهى عنه. (6)

4. كانت غاية الخطابة في صدر الإسلام تقصد إلى التأثير البلاغي، من طريق الألفاظ والتراكيب التي تمس العاطفة، وتذكر بالمثل العليا، و تذكي شعلة الدين في نفوس الجموع الحاشدة؛ لا الإقناع البرهاني، الذي يحتكم فيه المتناظران إلى العقل والمنطق. لأن العقيدة حينها كانت مغروسة في القلوب، تحتاج من يتعهداها، حتى لا تجف شجرتها. (6)

(1). ينظر: جاد محمد عبد السميع وآخرون، محاضرات في علم الخطابة النظرية والعملية، د ط، مطبعة الفجر الجديد، دت، ص 89.

(2). ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي -العصر الاسلامي-، ط20، دار المعارف، 2002، ص 114.

(3). محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط6. نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 201.

(4). ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، م.س، ص 204.

(5). ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي-، م.س، ص 113.

(6). ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم من الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ج1، ص256.

إن هذه المميزات وغيرها لم يكن لها غاية المقارنة، و وظيفة الموازنة بين الخطابتين الإسلامية في مقابل الجاهلية فقط؛ بل إنها تعطي مسوغاً للحكم بأن الخطابة في صدر الإسلام "زادت قوة ووقوعاً في النفوس، بنهضة العرب للحروب، وانتصارهم في أكثر مواقعها، فزادوا أنفة وسمت نفوسهم، فسما بها ذوقهم في البلاغة، وشحذت قرائحهم بما شاهدوه في البلاد الجديدة، والأمم الجديدة والألسنة الجديدة، فبلغت الخطابة عندهم مبلغاً قلما سبقهم فيه أحد من الأمم التي تقدمتهم بلاغة وإيقاعاً وتأثيراً... حتى اليونان والرومان، ولا نكر ما كان من تفوق هاتين الأمتين في الخطابة وما نبغ بين رجالهما من الخطباء... ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووقوعاً، وربما كان الخطباء في الإسلام أكثر عددًا، وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الأمتين لغةً وخلقًا وأدبًا"⁽¹⁾. وإن لم تكن الخطابة في صدر الإسلام بلغت الذروة فعلا، و أدركت القمة حقا، فمن المؤكد أنها قاربتها، و تهيأت لتحقيق ذلك في العصر الموالي (العصر الأموي)، الذي وسم بأنه عصرها الذهبي.

1-2-4 الخطابة في العصر الأموي:

وصلت الخطابة في هذا العصر إلى ذروة ما يمكن في اللسان العربي، حتى تمكن منها اللاحن فضلا عن الفصيح، وليس عصر في عصور أدب اللغة كان أحفل، وأغزر خطابة وخطباء من هذا العصر، إذا كانت الخطابة فيه سلسلة القيادة على أصحاب المنابر من خليفة أو قائد أو ذي جاه في قبيلته وقومه، لفطرتهم العربية ومحلهم من الفصاحة والبيان وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم.⁽²⁾

وإن كان ذلك سبب جوهرى كامن في شخصية المتصدي للخطابة، وأصالته العربية، التي صقلها القرآن، فإن هذا الازدهار، "هيأت له أسباب مختلفة، منها السياسي، ومنها الديني، ومنها العقلي،..."⁽³⁾ وهي أسباب دفعت بالخطابة إلى مستويات رفيعة من الرقي "...فقد ارتقت الخطابة رقا بعيدا في العصر الأموي، ونشطت نشاطا لعل العرب لم يعرفوه في عصر من عصورهم الوسيطة، إذ اتخذوها أداتهم للظفر في آرائهم السياسية، والانتصار في مجادلاتهم المذهبية، وعولوا عليها في قصصهم ومواعظهم، وفي وفادتهم على

(1) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة الغربية، دط، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص(227،228).

(2) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر الآداب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، م.س، ج2، ص108.

(3) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1425هـ/2003م، ص63.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

الخلفاء والولاة. ومن ثم أُنعت فيها فروع ثلاثة، هي الخطابة السياسية، وخطابة المحافل والخطابة الدينية⁽¹⁾ وبذلك "أضحت فنا أدبيا راقيا، بز سائر الفنون الأدبية المستحدثة في تلك الفترة، وتميز بما يلي: (2)

أ- البلاغة والبيان العربي، المتمثل بحسن اختيار الألفاظ، وقوة التراكيب ومتانتها، والبعد عن الغموض والتعقيد، والتعبير المباشر عن الأفكار.

ب- العناية بتنسيق الخطبة وتنظيمها، وإبراز المقدمة والخاتمة، واعتماد فكرة أصيلة تدور حولها الخطبة وتؤيدها، ثم هي - بمجملها - محكمة التنسيق، متسلسلة الأفكار، مترابطة ترابطا منطقيا، وتعد (البترء) التي خطبها (زياد بن أبيه) في أهل العراق من أحسن النماذج التي توفرت.

ج- الاستشهاد - أحيانا - بالشعر، لما للشعر من أثر في نفوس العرب، ولإعطاء الخطبة مظهرا عاطفيا، يدعم المظاهر المؤثرة فيها، وأكثر ما نجد هذه الظاهرة في خطب ولاة بني أمية، د- لم تكن الخطب السياسية الخالصة يومها لتعتمد على السجع، فهي استمرار بأسلوبها لما قد سبق، وما ورد فيها من سجع ورد عفو الخاطر في قصار الخطب.

د- المظهر الديني في الخطابة السياسية، فما كان للخطابة السياسية في عصر بني أمية أن تكون بعيدة عن الدين، ولن تكون في عالم الإسلام، لما للدين من ارتباط بالسياسة فيه، وإن كانت مظاهر هذا الارتباط تتغير بتغير الزمان وظروف الحياة... فكانت الخطبة تفتتح بحمد الله والثناء عليه، إذا شد خطيب عن هذا في بعض الأحيان نعتت خطبته بالبترء، وكان لا بد من الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، وإلا فالخطبة شوهاء، وكانت المساجد - غالبا - مجمع الناس، يعتلي الساسة منابرها، ويقفون في محاربيها، إلا ما كان من خطب الحروب على الجياد بين الصنفين.

(1). ياسر مجد نديم صاري، الخطابة بين الشرق والغرب، م س، ص 112 .

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص (115-120) .

1-2-5 الخطابة في العصر العباسي:

شكلت الخطابة في العصر العباسي، امتداداً للخطابة في العصر الأموي، لا سيما فيما تعلق بالظروف السياسية للدولة، ومن هذا الجانب حافظت على رقيها وتميزها، رغم الضعف والأفول الذي قد مس جوانب أخرى منها فقد "ظلت الخطابة مزدهرة في أوائل هذا العصر، وإن كان قد أسرع الذبول إلى الخطابة الحفلية، إذ لم تعد القبائل تقدم بوفودها على الخلفاء، كما كان الشأن في عصر بني أمية. أما الخطابة السياسية فظلت فترة نشيطة، بحكم دعوة بني العباس لأنفسهم، حتى إذا استقام لهم الأمر أصابها ما أصاب الخطابة الحفلية من الذبول"⁽¹⁾

ورغم سمة الذبول هذه، فقد أدت الخطابة في "العصر العباسي الأول، ... دوراً مميزاً في الصّراع السياسي، وإدارة الحُكم. ومن المسلمّ به أن الخطابة لم تشغل الحيز الفكري الذي شغلته في عصرها الذهبي، إبان حُكم الأمويين، ولكنها أيضاً لم تضعف بالصورة التي حُيِّلت إلى بعض الدارسين، وخاصّة في مطالع العصر؛ إذ لا يُعقل أن يُستأير الأدب العصر السياسيّ مسaire تامّة، حدّو القُدّة بالقُدّة. وإن كانت الخطابة أقرب الفنون الأدبية إلى روح العصر المعيش، وما يسوده من اتجاهات ومذاهب وتيارات، يتسلّمها الخطباء، وينفعلون بها؛ ولاسيما أنّ جُلّ الخطباء هم ولاة الأمر، أو من يمثّلهم."⁽²⁾، وقد كان من هؤلاء خطباء مشهود لهم يقول عنهم الجاحظ(ت255هـ): "جماعة من ولد العباس في عصر واحد، لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة، وفي العلم بقريش والدولة، وبرجال الدعوة، مع البيان العجيب، والغور البعيد، والنفوس الشريفة، والأقدار الرفيعة، وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الأخبار، وكانوا يجلون عن هذه الأسماء إلا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك."⁽³⁾

(1). شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، م.س، ص125، 126.

(2). قحطان صالح الفلاح، "الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول" مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد106، دمشق-سوريا، 1 أبريل 2007، ص182.

(3). الجاحظ، البيان والتبيين، م.س، ج1، ص271.

وفي هذا العصر تميزت الخطابة بميزات عدة أهمها: (1)

- **الألفاظ:** لم تختلف ألفاظ الخطابة في العصر العباسي عما كانت عليه في العصر الأموي وصدر الإسلام، لكنها ازدادت عدوية وقوة وفخامة، وذلك بسبب الاحتكاك بغيرها من الحضارات والأمم فلانت خشونة الصحراء في نفوسهم، وصارت الألفاظ موائمة ومطابقة لما اقتضاها.
- **المعاني:** ازدهرت الخطابة في صدر الدولة العباسية بسبب ما طرأ عليها من زيادات لم تكن من قبل ومنها:

أ- **المبالغة والتهويل:** خاصة عندما يتعلق الأمر بما يدور بين أسوار قصر الخليفة - من أمور الحكم - بسبب الاعتزاز بالانتساب إلى النبي ﷺ - الذي بسببه نالوا استحقاق الاستعلاء والخلافة والرفعة.

ب- **زيادة التفنن في المعاني:** بتتبع أدق المعاني وأعمقها، وهذا بسبب انتشار الترجمة وكثرة البحوث العلمية فاستعملوا الاقتباس والمحاكاة، كما برزت فيها روح الفلسفة وحكمتها.

ج- كثرة المعاني الدينية:

فقد استغل الخطباء فيهم وخاصة الخلفاء. الدين لتأييد دعوتهم والدفاع عن أعمالهم، حيث استولوا على الخلافة باسم الدين، وقربتهم من النبي الكريم.

د- **انتهاج نبرة التهديد والعنف في بعض الأحيان،** وظهر الخطاب الحجاجية الموجهة للمعارضين، أو من كان بينهم حرب وخصام كأهل الشام مثلاً.

- **الأساليب:** ولأن عهدهم كان قريباً من صدر الإسلام، فقد لجؤوا إلى الاستشهاد بالقرآن والسنة،

وما يناسب من الشعر والاقتباس منها، لكن مع إضافات منها:

أ- المبالغة في تنسيق الخطبة:

فلم تكن الخطابة في هذا العصر كسابقه، بل أصبحت علماً يدرس وله قواعد وأصول، فاجتهد الخطباء في جعل خطبهم موافقة لقواعد النقد حتى تصنف في مواطنها الأدبية.

(1). ينظر: محمد أبو زهرة، م س، ص (268-270).

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

ب- كثرة الكلام على شكل فقرات قصيرة: ذات رنين قوي وقد انتهجوا هذه الطريقة لكثرة الخطباء وإعداد القول، فلجؤوا إلى تحسين الكلام والتكلف فيه ليعوضوا به ما نقضته سليقتهم اللغوية

ج- الإيجاز والإطناب: كانوا يميلون إلى إطالة الخطب كسابقهم من الأمويين، وتكرار المعنى الواحد بعبارات وأساليب مختلفة لتكون أكثر تأثيراً في نفوس سامعيهم.

2- البنية المفهومية للخطابة، جذور تداولية الخطابة في التعريف اللغوي والاصطلاحي:

اعتادت البحوث المعاصرة النظر إلى مبحث العريفات المصطلحية على أنها أقرب إلى الوقفات الطللية منها إلى العتبة البحثية، لما فيها من تكرار واجترار لكلام المعاجم دون إي طائل ذي بال، ودون استخلاص للبنات البحث الثاوية في المفاهيم المعجمية، لمصطحات البحث. ونزعم أننا سنوجه الخطو نحو طريق آخر، قد يبدو طويلا، لكن نحسبه يبلغ إلى الغاية.

2-1 تعريف الخطابة لغة:

الخطابة بوصفها وحدة معجمية، يمنحها موقعها في بنية الخطاب وظيفة دلالية معينة، تقوم على عمود، هو المعنى المعجمي، الذي تتعدد وجوهه، وتختلف دلالاته؛ ولهذا لا يتضح مفهوم الخطابة لغويا بصورة دقيقة ومضبوطة إلا عبر رد هذه الوحدة المعجمية إلى جذورها الأولى وأصولها التي انبنت عليها، ليس تأثيلا ولكن، بصورة تستثمر المنهج التأثيلي⁽¹⁾. الذي أشار إليه ابن جني (ت 392هـ) في كتابه الخصائص في: "باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"، إذ يقول: هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة. وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه. " (2)

اشتقت لفظة "خطابة" من الجذر "خطب"، أحد أربعة أصول مستعملة للمادة "خ ط ب"، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ): "باب الخاء والطاء والباء معهما: خ ط ب، خ ب ط، ط ب خ، ب ط خ مستعملات"⁽³⁾، وبالعودة إلى المعاجم التي اعتمدت طريقة التقليبات نجد مادة "خطب" أولها ذكرا من بين هذه الأصول، لكنها الأكثر تعددا في دلالاته، مما يجعل أمر تأخيرها، أكثر

(1) بنية الكلمات التأثيلية تتعلق بقسم من الكلمات تشترك في جملة من العناصر، سواء في ما يتعلق بدوالها أو مدلولاتها... وكل هذا يعود إلى أن الكلمات في بنيتها الظاهرية يشوبها كثير من الالتباس والغموض، وهي لا تتضح في الحقيقة إلا في بنيتها العميقة، أي بالرجوع إلى جوانبها التأثيلية (عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، دط، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية-مصر، 2016، ص195، 196).

(2) ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت، ج3/2، ص115.

(3) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، د ط، دار ومكتبة الهلال، دت، ج 4، ص 222.و: الأزهرري (مُجَّد بن أحمد أبو منصور الهروي)، تهذيب اللغة، تحقيق: مُجَّد عوض مرعب، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 2001، ج 7، ص111.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

ملاءمة لاتصالها المباشر بـ "الخطابة"، وأجدى في استخلاص مدلولات المادة المعجمية، هذه المدلولات والمعاني التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

• خبط: وتأتي بمعنى الضرب؛ خفيفا فيكون مسا أو شديدا فيكون هدمًا، فعند الخليل الفراهيدي "خبط: الحَبَطُ: الحَبَطُ وَرَقَّ العِضَاهُ، وهو أن تضربَ بالعِصَا حتى يتناثر... والحَبَطُ: الهش، وخَبَطَةٌ من مَسٍّ، والشيطان يَحِطُّ الإنسان إذا مسه بأذى وأجنه وخبله. والحَبَطُ: شدة الوطء بأيدي الدواب. والحَبِيطُ: حوض خَبَطْتَهُ الإبل حتى هدمته،...⁽¹⁾"، "وأصلُ الحَبَطِ ضربُ البَعِيرِ الشَّيْءِ بِحُفِّ يَدِهِ، كَمَا قَالَ طَرْفَةُ: (تَحَبَطُ الأَرْضُ بِصُمَّ وَفُحٍّ ... وَصِلَابٍ كالمِلاطِيسِ سُمْتٌ)"⁽²⁾ وعند الصاحب بن عباد(ت 385): "... والحَبَطُ: المِسُّ"⁽³⁾.

• طبخ: وتأتي بمعنى النضج، والإحكام، ففي تهذيب اللغة: "... والطَّبْخُ: إنضاجُ اللَّحْمِ والمزق...، وَفِي كَلَامِهِ طَبَاخٌ — إِذَا كَانَ مُحْكَمًا"⁽⁴⁾، كما تفيد معنى الاكتمال يقول الخليل الفراهيدي: "... وشاب مُطَبَّخٌ: أملاً ما يكون شاباً وأرواه..."⁽⁵⁾.

• بطخ: وترجع إلى معنى طبخ يقول ابن فارس(ت 395) في معجمه مقاييس اللغة: "(بَطَخَ) البَاءُ وَالطَّاءُ وَالخَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ البَطِيخُ وَمَا أَرَاهَا أَصْلًا، لِأَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ مِنَ الطَّبِيخِ، وَهَذَا أَقْبَسُ وَأَحْسَنُ إِطْرَادًا..."⁽⁶⁾ مما يجعلها بمعنى الاكتمال والاكتمال يقول الصاحب بن عباد: "وَرَجُلٌ بَطَاخِيٌّ: ضَخْمٌ سَمِينٌ. وَإِبِلٌ بَطَخَةٌ، وَرِجَالٌ كَذَلِكَ"⁽⁷⁾.

إذن فهذه الأصول الثلاثة ذات الاتصال غير المباشر مع الوحدة المعجمية المبحوثة "خطابة"، تدور حول:

1- النضج و الإحكام؛ والاكتمال و الاكتمال.

(1). الخليل بن أحمد، م.س، ج 4، ص 223.

(2) مُجَدِّدُ بِنِ أَحْمَدِ بْنِ الأَزْهَرِيِّ الهَرَوِيِّ، أَبُو مَنْصُورٍ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، تَحْقِيقٌ: مُجَدِّدُ عَوْضِ مَرْعَبٍ، ط 1، دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ العَرَبِيِّ — بَيْرُوتَ، 2001، ج 7، ص 113.

(3). إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِبَادٍ (الصَّاحِبِ)، المِحِيطُ فِي اللُّغَةِ، تَحْقِيقٌ: مُجَدِّدُ بِنِ حَسَنِ آلِ يَاسِينَ، ط 1، عَالَمُ الكُتُبِ، بَيْرُوتَ-لَبْنَانَ، 1994، ج 4، ص 294.

(4). الأزهري، م.س، ج 7، ص 115.

(5). الخليل بن أحمد، م.س، ج 4، ص 225.

(6). ابن فارس (أحمد بن زكرياء أبو الحسين القزويني الرازي)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُجَدِّدُ هَارُونَ، دط، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1979، ج 1، ص 261.

(7). إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِبَادٍ (الصَّاحِبِ)، م.س، ج 4، ص 296.

2- الضرب، في حد أعلى ليكون هدمًا، وفي حد أدنى ليكون مسًا.

وهي المعاني التي مهما بدت بعيدة وغريبة عن الخطابة، فإنها تمت إليها بصلة ما، كما قال ابن جني (ت392هـ) حول تأليف المعاني المعجمية حول جامع يجمعها وناظم ينتظمها: "فالتأني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها هو "خاص اللغة" وسرها، وطلاوتها الرائقة وجوهرها، فأما حفظها ساذجة وقمشها محطوبة هرجة فنعوذ بالله منه، ونرغب بما آتانا سبحانه عنه"⁽¹⁾.

فالخطابة باعتبارها آلية وبناء لغويين، لا تستغني عن معاني من قبيل النضح والإحكام، اللذين يقيان أهم وأول ما يتطلبه الخطاب اللغوي الفعال، أما الاكتمال و الاكتناز فهي أوصاف بل معايير جودة الوحدات اللسانية المكونة لبنية الخطاب، في كل المستويات من الصوت، إلى الدلالة وحتى التداول، هذا الأخير الذي يبدو أكثر تناسبا مع معنى المس المتمظهر لغويا في خطاب يتوجه إلى متلقي على وجه الالتماس، يكون فيها طلب إنجاز الفعل على وجه التأدب، وقد يتصاعد إلى مستويات أعلى، وبندرة أشد، تقريبا ودحضا؛ ليتقارب دلاليا مع الهدم. وبالتالي يتقابل معنيي المس والهدم، فيما يبدو مع ما من شأنه أن يشكل حدي الفعل الخطابي-الالتماس والدحض، حيث يتراوح غرضه الخطابي أو قوته الإنجازية -بمصطلح أدق- بينهما صعودا ونزولا.

وإذا كانت تلك المعاني غير المباشرة، يمكن ردها بوجه ما لتخدم المفهوم الإجرائي للخطابة، فإن المعاني المباشرة يفترض أن تكون أكثر بيانا وتحديدا لهذا المفهوم، ولكثرتها - كما سبق - فإن نظمها تحت معان جامعة قد يكون أجدى، بل قد يكون لازما في طريق استخلاص دور هذه المعاني في بناء مفهوم "الخطابة".

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ): " (حَطَبَ) الحَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ حَاطِبُهُ يُحَاطِبُهُ حِطَابًا، وَالْحُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ. وَفِي التِّكَاحِ الطَّلَبُ أَنْ يُزَوَّجَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: 235]. وَالْحُطْبَةُ: الْكَلَامُ الْمَخْطُوبُ بِهِ. وَيُقَالُ احْتَطَبَ الْقَوْمُ فُلَانًا، إِذَا دَعَوْهُ إِلَى تَزْوِجِ صَاحِبَتِهِمْ. وَالْحُطْبُ: الْأَمْرُ يَقَعُ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّحَاطِبِ وَالْمُرَاجَعَةِ. وَأَمَّا الْأَصْلُ الْأَخْرُ فَاحْتِلَافُ لَوْنَيْنِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: الْحُطْبَاءُ: الْأَتَانُ الَّتِي لَهَا حُطٌّ أَسْوَدٌ عَلَى مَنْتَهَا. وَالْحِمَارُ الذَّكَرُ أَحْطَبُ. وَالْأَحْطَبُ: طَائِرٌ؛ وَلَعَلَّهُ يَحْتَلِفُ عَلَيْهِ لَوْنَانِ... وَالْحُطْبَانُ: الْحُنْظَلُ إِذَا احْتَلَفَ أَلْوَانُهُ. ... وَكُلُّ لَوْنٍ يُشْبِهُ ذَلِكَ فَهُوَ أَحْطَبٌ"⁽²⁾.

(1). ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، م.س، ج2، ص127.

(2). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج1، ص 198، 199.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

فبحسب ابن فارس فإن معاني (خطب) ترجع في مجملها إلى أصلين: أحدهما الاختلاف في الكلام مقاما ومقالا؛ مقاما كخطبة النكاح، والأمر يقع، ومقالا كمراجعة الكلام والتخاطب؛ وثانيهما: الاختلاف في الألوان.

وبمثل هذا التأصيل يمكن لمتتبع دلالات "خطب" في مختلف المعاجم أن يردّها إلى المعان الأساسية الآتية:

• معان متعلقة بالحدث الكلامي وما يحيط به، أي: بمقام الكلام:

وخلاصة ذلك أن ينشأ الكلام بناء على سببٍ دافعٍ، أو حدثٍ محفزٍ، وقد يكون هذا الحدث أمرا، أو شأنًا، أو حالا، أو ما أشبه ذلك من مقامات الخطاب.

ففي كتاب العين: "الْحَطْبُ: سَبَبُ الْأَمْرِ..."⁽¹⁾، وفي التهذيب للأزهري (ت 370هـ): "قَالَ اللَّيْثُ: الْحَطْبُ سَبَبُ الْأَمْرِ. تَقُولُ: مَا حَطْبُكَ؟ أَي: مَا أَمْرُكَ؟..."⁽²⁾، وفي جمهرة اللغة: "...والخطب: الأمر العظيم وَالْجَمْعُ خُطُوبٌ..."⁽³⁾، وفي مجمل اللغة: "الخطب: الأمر..."⁽⁴⁾ و عند ابن سيده (ت: 458هـ) في المحكم والمحيط الأعظم: "الْحَطْبُ: الشَّانُ أَوْ الْأَمْرُ، صَعُرَ أَوْ عَظُمَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: (قَالَ فَمَا حَطْبُكُمْ أَيَّهَا الْمُرْسَلُونَ) وَجَمْعُهُ: حُطُوبٌ. ..."⁽⁵⁾، وفي لسان العرب "الْحَطْبُ: الْأَمْرُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْمَخَاطَبَةُ، وَالشَّانُ وَالْحَالُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الْحَطْبُ أَي عَظُمَ الْأَمْرُ وَالشَّانُ. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ، وَقَدْ أَفْطَرُوا فِي يَوْمِ غَيْمٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ: الْحَطْبُ يَسِيرٌ..."⁽⁶⁾.

• معان متعلقة بتداول الكلام إنتاجا واستقبالا:

فالكلام المنتج يسمى خطبة، وفعل توجيهه إلى المتلقي يسمى خطابة وخطابا، ومرسله يسمى خاطبا وخطيبا، ورفاه متخاطبان، يتداولان الكلام تناوبا بالمراجعة، والمشاورة، أو من جهة واحدة مواجهةً.

(1). الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، م.س، د ت، ج 4، ص 222. و: الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي)، الصحاح تاج

اللغة وصحاح العربية، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1987، ج 1، ص 121.

(2). الأزهري، تهذيب اللغة، م.س، ج 7، ص 111.

(3). ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط 1، دار العلم للملايين - بيروت، 1987، ج 1، ص 291.

(4). ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق ودراسة: زهير عبد المحسن سلطان، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1986، ج 1، ص 295.

(5). ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2000، ج 5، ص 122.

(6). ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفي الإفريقي)، لسان العرب، ط 3، دار صادر، بيروت-لبنان، 1993، ج 1، ص 360.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

ففي جمهرة اللغة: "وخطب الرجل خطابة فهو خطيب بين الخطابة. واسم الكلام: الخطبة..."⁽¹⁾، وفي مجمل اللغة: "... والخطاب: كل كلام بينك وبين آخر، والخطبة من ذلك..."⁽²⁾، وعند ابن سيده: "... الخطاب، والمخاطبة: مراجعة الكلام. وقد خاطبه، وهما يتخاطبان. وخطب الخطيب على المنبر، يخطب خطابة. واسم الكلام: الخطبة..."⁽³⁾، وعند الزمخشري (ت 538هـ) في أساس البلاغة: "... خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام. وخطب الخطيب خطبة حسنة. وخطب الخاطب خطبة جميلة..."⁽⁴⁾، وفي لسان العرب: "... والمخاطبة، مُفَاعَلَةٌ، مِنَ الْخِطَابِ وَالْمِشَاوَرَةِ..."⁽⁵⁾، وفي القاموس المحيط: "... وَخَطَبَ الْخَاطِبُ الْخَاطِبُ عَلَى الْمُنْبَرِ خَطَابَةً، بِالْفَتْحِ، وَخُطْبَةً، بِالضَّمِّ، ... أَوْ هِيَ الْكَلَامُ الْمُنْتَوِرُ الْمَسْتَجْعُ وَنَحْوُهُ. وَرَجُلٌ خَطِيبٌ: حَسَنُ الْخُطْبَةِ..."⁽⁶⁾، وفي (التَّهْدِيدِ): "الْخُطْبَةُ: مِثْلُ الرِّسَالَةِ الَّتِي لَهَا أَوَّلٌ وَآخِرٌ، قَالَ: وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْعَرَبِ الْعَرَبِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا هَذِهِ الضُّعْطَةَ، كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ لَهَا مُدَّةً وَغَايَةً، أَوَّلًا وَآخِرًا، وَلَوْ أَرَادَ مَرَّةً، لَقَالَ: ضَعْطَةً، وَلَوْ أَرَادَ الْفِعْلَ لَقَالَ الضُّعْطَةَ مِثْلَ الْمِشْيَةِ..."⁽⁷⁾.

● معان متعلقة بالغرض من الفعل الكلامي، أو بقوته الإنجازية:

وقد يكون ذلك على وجهين: الأول على وجه الحقيقة كما في: الحكم في القضية، والفصل في مواضع النزاع، والتأشير على صلب الكلام، وهي في المجمل تدور حول: البيان والتبيين، بين متداخلين، أو متشاكلين، أو متشابهين؛ فعند الأزهري (ت 370هـ): "... وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَفَصَلَ الْخُطَابُ﴾ [ص: 20] : هُوَ أَنْ يَخْتَكُمَ بِالْبَيِّنَةِ، أَوْ الْيَمِينِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الْحُكْمِ وَضِدِّهِ. ... وَقِيلَ: (فَصَلَ الْخُطَابُ) : الْفِقْهُ فِي الْقَضَاءِ...."⁽⁸⁾.

(1). ابن دريد، جمهرة اللغة، م.س، ج1، ص291.

(2). ابن فارس، مجمل اللغة، م.س، ج1، ص295.

(3). ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، م.س، ج5، ص122. و: ابن منظور، م.س، ج1، ص360.

(4). الزمخشري جاز الله (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ج1، ص255.

(5). ابن منظور، م.س، ج1، ص360.

(6). الفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم

العرقشوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2005، ج1، ص81.

(7). الأزهري، تهذيب اللغة، م.س، ج7، ص111.

(8). المرجع نفسه، ص.ن. و: ابن منظور، م.س، ج1، ص360.

والثاني على جهة المجاز كما في أساس البلاغة: "... من المجاز: فلان يخطب عمل كذا: يطلبه. وقد أخطبك الصيد فارمه، أي أكتبك وأمكنك وأخطبك الأمر، وهو أمر مخطب، ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فأطلبني"⁽¹⁾. وأصل هذا المجاز بحسب ما ورد في المعاجم دلالة "خطب" على طلب التزويج، ثم عُمم مجازا للدلالة على الطلب عموما. جاء في لسان العرب: "... واخْتَطَبَ القومُ فُلاناً إِذَا دَعَوْهُ إِلَى تَزْوِيجِ صاحِبَتِهِمْ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: إِذَا دَعَا أَهْلُ المَرَأَةِ الرَّجُلَ إِلَيْهَا لِيَخْطُبَهَا، فَقَدِ اخْتَطَبُوا اخْتِطَابًا..."⁽²⁾

4- معان لا تتصل بالفعل البشري بل بمحيطه، دون أن تعدم صلة ما بالخطابة :

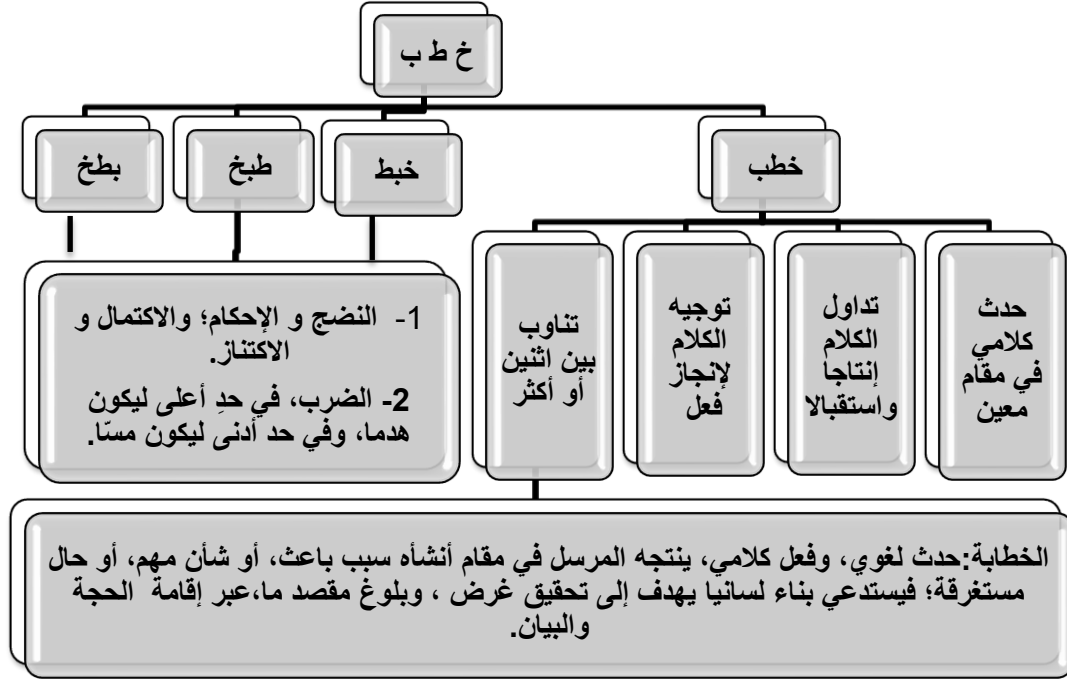
وأكثر ما تطلق على التلون بلونين، ففي المحكم والمحيط الأعظم: "والخُطْبَةُ: لون يَضْرِبُ إِلَى الكُدْرَةِ مُشْرَبٌ حُمْرَةً فِي صُفْرَةٍ... وَقِيلَ: غُبْرَةٌ تَرَهَقُهَا حُضْرَةٌ... وَخَنْطَلَةٌ خَطْبَاءُ: فِيهَا خُطُوطٌ حُضْرٌ،... وَقَدْ اخْطَبُ الخَنْطَلُ، وَكَذَلِكَ الخِنْطَةُ، إِذَا لَوْنَتْ... والاختطب: الشَّقْرَاقُ. وَقِيلَ: الصُّرْدُ، لِأَنَّ فِيهِمَا سَوَادًا وَبَيَاضًا. وَيُدُّ خَطْبَاءُ: نَصَلُ سَوَادِ خِضَابِهَا مِنَ الحِنَاءِ،... وَقَدْ يُقَالُ فِي الشَّعْرِ والشَّفْتَيْنِ"⁽³⁾.

إذا فتجاوز لونين مختلفين، أو متقاربين، أو متضادين كل ذلك يدل عليه جذر "خطب"، وعلى هذا النحو فإنه لا يعدم صلة بأحد مسلمات الخطاب والخطابة وهو الاختلاف والتمايز، والتناوب، التي يجسده نظريا وإجرائيا المرسل والمتلقي أو الخطيب والمستمع، أو الباث والمتلقي.... إن هذه المعاني المتمحضة من تحليل المادة المعجمية، يمكن بتركيبها والتأليف بينها بناء مفهوم إجرائي للخطابة، توضحه الترسيم الآتية:

(1). الرمحشري جار الله، أساس البلاغة، م.س، ج1، ص255.

(2). ابن منظور م.س، ج1، ص360.

(3). ابن سيده م.س، ص123.



- مفهوم الخطابة لغة -

2-2 تعريف الخطابة اصطلاحا:

حظيت الخطابة عبر تاريخها حتى العرب بمكانة خطيرة ومرتبة غالبا ما كانت أثيرة. منحها إياها موقعها من وجود الإنسان كيانا اجتماعيا متواصلا، وصراعا فكريا متدافعا، ومعتقدا دينيا مهمينا أو مهيمنا عليه، كل هذا جعل الاصطلاح على تعريفها يتشرب من سبعة الوعاء الفكري، والحاضن العلمي الذي نما فيه، لذا وُجِدَت الخطابة مفهوما متنازعا بين علم النفس، وعلم الاجتماع حيناً؛ والمنطق، والفلسفة أحيين كثيرة؛ وعلوم الدين أحيانا.

أما مع علم النفس، فبوصفها انبثاق لكوامن النفس البشرية وهي تعالج حالات الاحتكاك بمثيلاتها، وتحاول أن تصنع لذاتها مكانة أدناها الوجود الموجب المتوازن، وأعلائها الأخذ بزمام القيادة وتوجيه الآخر والتحكم فيه.

ومن منطلق كون الفرد ليس طاقة نفسية كامنة وحسب؛ بل طاقة متحركة، أكثر أشكالها كلام متداول وخطابات متساجلة، تحفزها العلائق الاجتماعية. -من هذه الحيشة- أمكن النظر للخطابة وفق منظور علم الاجتماع.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

أما الفلسفة والمنطق فهما العلمان اللذان كان لهما سبق احتضان الخطابة، فتغذت على أفكارهما، وقومت على منهجيهما، ووظفت خادمة لأهدافهما؛ مما جعل كلا منهما يدعي نسبها إليه، وبراءتها من الآخر⁽¹⁾، وبوجود دائرة تداخل بين هذين العلمين والمعتقد الديني، وجدت الخطابة نفسها أحد أعمدة الدعوة إلى الدين، تعريفاً به وترسيخاً لأحكامه، وطبيعياً حينها أن تُتناول بالتعريف ضمن مفرداته وبين مصطلحاته.

وعلى كل فرواسب هذه العلوم، بدت جلية لمتتبع تعريفات الخطابة الاصطلاحية، فمن وصفها ملكة إلى نعتها بالقوة، ومن سمها بالقياس إلى مقارنتها بالصناعة، ومن ربطها بالإقناع إلى قرنها بالتأثير، ومن توطينها في كل فن ممكن إلى اختصاصها بمخاطبة الجماهير، ومن اعتمادها على المظنونات والمشهورات بصبغتها المنطقية إلى ارتكازها على الأساليب البلاغية ذات السطوة التأثيرية.

وأول ما عرفت به الخطابة أنها فن القول عند السفسطائيين وأنها فن قيادة النفوس بالأحاديث عند أفلاطون⁽²⁾، وحتى وإن كان كلاهما يشمل فقط جانب من جوانب الخطابة إما بالتركيز على الجانب اللغوي عند السفسطائيين أو الجانب النفسي عند أفلاطون، فكلاهما يسلط الضوء على مكون أساس في الخطابة.

هذان التعريفان سيصهران ويعاد تشكيلهما في تعريف أرسطو للخطابة الذي عرفها بقوله: "الخطابة هي قوة أو ملكة نستطيع أن نكتشف بها على وجه نظري أو تأملي ما يمكن أن يكون شأنه الإقناع في كل حالة على حدة"⁽³⁾ وفي الترجمة القديمة لعبد الرحمن بدوي يعرف أرسطو الخطابة بقوله: "الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"⁽⁴⁾

ويعد هذا التعريف أكثر التعريفات جمعا لأفراد وعناصر الخطابة، ومنعا من دخول غيرها فيها، وهو الأمر الذي يوضحه شرح ابن سينا لتعريف أرسطو، كاشفاً ما تكتنزه المصطلحات، والوحدات اللغوية الموظفة فيه من مفاهيم، وما ترمي إليه من أهداف، بل وما تصفه من إجراءات، يمكن عرضها وفقاً للترتيب الآتي⁽⁵⁾:

(1). ينظر الخطابة في الثقافة اليونانية ص(3-23) من هذا البحث

(2). أفلاطون، محاورة فايدروس، م.س، ص85.

(3). أرسطو، الخطابة، ترجمة قنيني، م.س، ص15.

(4). أرسطوطاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، دط، وكالة المطبوعات، الكويت، و: دار القلم، بيروت-

لبنان، 2009، ص09.

(5). ابن سينا(حسن بن عبد الله)، كتاب الشفا (المنطق)، المجلد 03، ج2، الفن الثامن "الخطابة"، تصدير ومراجعة إبراهيم مذكور، تحقيق محمد سليم سالم، نشر وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1954، ص 28-355..

الفصل الأول ————— الخطاب من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

- الخطاب " قوة " : نعني به ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال إرادية، وهي أوكد من القدرة. فإن القدرة الساذجة قد توجد في كل إنسان، لكن الملكة التي تحصل إما عن قوانين تتعلم أو عن أفعال تعتاد توجد في الفرد بعد الفرد منهم.

- الخطاب "تتكلف": يفهم منه معنيان: أحدهما أنها تتعاطى فعلاً لا عن إرادة مؤثرة، بل عن إرادة مستكرهة؛ وليس هذا هو الغرض في هذا المعنى. ويقال " تتكلف " ويراد به أنها تتعاطى فعلاً بأبلغ قصد لتمامه؛ وهذا هو الغرض.

- الخطاب تقصد إلى " الاقناع الممكن " : هو تفسير الفعل الذي تتكلفه، ومعناه ما يمكن من الإقناع. ولا يلتفت إلى تفسير آخر.

- الخطاب شاملة " في كل واحد من الأمور المفردة " : معناه في أي جزء كان من الجزئيات كلها، و وفي أي مقولة انفتحت. فيكون قولنا " المفردة " يدل على المقولة، ويكون قولنا " كل واحد " يدل على أن كل جزئي من كل مقولة فهو موضوع له. ويحتمل أن يكون كأنه يقول: في كل واحد من الأمور الجزئية.

إن النظر إلى ما تضمنه هذا التعريف من مكونات ابتدائية-الاستعداد والتهيئ الفطري- وختامية (تحصيل الإقناع)، وبينهما مكونات وسيطة (بذل الجهد واستفراغه)، فإن الخطاب تبدو أكثر من مجرد فلسفة وألية تبحث قضية الإقناع.

وبالتالي وبناء على السابق ستكتسبت الخطاب سمة الصناعة، وهي مرحلة فوق الأولى التي نظرت إليها من زاوية نظيرية، إذ انتقلت مستثمرة المفهوم النظري لتجعله أكثر إجراء، يهدف لبيان أن الخطاب كما هي مفاهيم وتقنيات تجريدية- نفسية وعقلية- فهي لا تتحقق إلا وفق عمليات إجرائية، تفكيكية وتركيبية، تراوح الخطاب بينهما، فتارة تتركب فتكون قياساً، ومرة تكتشف وتفصل وحدات أقيسة عدة، وتعيد تركيبها فتكون صناعة. وفي هذا الاتجاه تعرف الخطاب بأنها " القياس⁽¹⁾ المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما

(1). القياس في اللغة: تقدير شيء على مثال شيء آخر، وتسويته به، ولذلك سمي المكياال مقياساً، وما يقدر به النعال مقياساً، ويقال: فلان لا يقاس بفلان، أي: لا يساويه.

... وفي الاصطلاح: " حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما، من حكم أو صفة. (الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، ط1، ج 2، دار الكتاب العربي، 1999، ص82. وفي اصطلاح المناطقة القياس هو: "القياس قول مشتمل على أقوال يلزم من وضعها بالذات آخر بعينه اضطراراً، كقولنا: " كل إنسان حيوان

الفصل الأول ————— الخُطابة من خلفيّة التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات⁽¹⁾، و يعرفها آخر بأنها " قياس مركب من مقدمات مقبولة⁽²⁾ أو مظنونة⁽³⁾ من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعل الخُطباء والوعاظ"⁽⁴⁾

ويمكننا من هذه التعريفات أن نستخلص أن الخُطابة عملية ذات صبغة منطقية و استدلالية، تُؤلف بين قضايا بأمر جامع بينها؛ يتحدد هذا الجامع وذلك التأليف أو التركيب وفقاً لهدف مقصود وغاية متطلّبة، يتولى المخاطب النظر في هذه العناصر؛ وبناءها بناءً يضمن إثارة رغبة الجمهور، واستعدادهم لتقبل الرسالة الموجهة لهم.

والخُطابة بهذه الصورة إنما هي عينة جزئية، تشكل مقطعا أو نموذجاً يتكرر إنتاجه في سلسلة الأقوال الخُطابية، مما حدا ببعض المناطق إلى وصف الخُطابة بالصناعة كما هو عند ابن كمونة والطوسي الذي يعرفها بأنها: "... صناعة علمية ، يمكن معها إقناع الجمهور ، فيما يراد تصديقهم به ، بقدر الإمكان"⁽⁵⁾.

وهي تعتمد في حججها على "ثلاثة : المقبولات ممن يوثق بصدقه أو يظن صادقاً . والمشهورات⁽⁶⁾ في مبادئ الرأي ، وهي التي تدعن لها النفس في أول اطلاعها عليها ، فإن رجعت إلى ذاتها عاد ذلك الإذعان، ظناً أو تكديماً، مثل: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، فإنه عند التأمل يظهر أن الظالم ينبغي ألا ينصر، وإن كان أخا. والمظنونات: وهي التي تميل إليها النفس مع شعورها بإمكان مقابلتها، فهي وإن كان المحتج يستعملها جرمًا فإنه إنما يتبع فيها مع نفسه غالب الظن. وهي كما يقال : «فلان يتكلم مع الأعداء

وكل حيوان جسم " فإنه يلزم من وضعهما بالذات " إن كل إنسان جسم" فذلك قياس، وهذه نتيجته وكل واحد من القولين مقدمة..."
(الطوسي نصير الدين، تجريد المنطق، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1988، ص50)
(1). القنوجي (أبو الطيب مُجّد صديق خان البخاري)، أبجد العلوم، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2002، ص525.

(2). المقدمات المقبولة وتسمى أيضا المُقبُولات هي: "قضايا تؤخذ ممن يعتقد فيه إما لأمر سماوي ، أو مزيد عقل ، ودين" (السيوطي جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، تحقيق: مُجّد إبراهيم عبادة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، 2004، ص128 .

(3). المقدمات المضمونة وتسمى أيضا المظنُونات وهي: "قضايا يحكم بها اتباعاً للظن" (السيوطي جلال الدين، المرجع نفسه، ص.ن).

(4). الجرجاني (علي بن مُجّد بن علي، الزين الشريف) التعريفات، تحقيق: مُجّد باسل عيون السود، إشراف: الناشر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2002، ص104.

(5). الطوسي نصير الدين، تجريد المنطق، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1988، ص69.

(6). المشهورات: ما يحكم بما لا يعترف الناس جميعاً بمصلحة عامة ، أو رقة ، أو حمية ، أو انفعالات من عبادات ، وشرائع ، وآداب" (السيوطي جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 128 .

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

جهاراً»، فهو متهم، وربما يكون مقابله مظنوناً باعتبار آخر، كما يقال ذلك بعينه في نفي التهمة عنه. والحجج المستعملة فيها هي ما يظن منتجاً (سواء) كان منتجاً في نفس الأمر، أو لم يكن.⁽¹⁾

إن هذا التعريف يقرن الخطابة بالصناعة، ويقارنها من العلم، فهو بذلك يرفعها عن مجرد الملكة الفطرية، وعن الصياغات القولية المنقعة الجاهزة، ليجعلها قائمة على أسس علمية منضبطة، وعلى قواعد مطردة، وعلى منهج محدد، " فتكون الخطابة بهذا المعنى آلية الخطاب الإقناعي، ويكون فن الخطابة فن الخطاب الفاعل. ... وبذلك تكون الخطابة تكلمية وتكليمية معاً"⁽²⁾؛ مما يسمح بممارسة الخطابة في شتى مقامات الخطاب، التي يكون هدفها إقناع المتلقي، وتصديقه بمقاصد الكلام الموجه إليه، عبر تفعيل كل طاقات العملية التواصلية، اللغوية وغير اللغوية الممكنة، أما اللغوية فهي المقبولات، والمشهورات، والمظنونيات؛ أما غير اللغوية فمتضمنة في إسناد المقبولات إلى مستعملها، واكتسابها الحجية من أخلاقه وسيرته، وهي أمور ذات طبيعة غير لغوية كما هو معلوم.

إن مجموع هذه التعريفات ينم عن علاقة وطيدة بين الخطابة والمنطق، والحقيقة، أن المكون المنطقي دائم الحضور في القول الخطابي، إن بوعي أو دونه⁽³⁾. ومهما يكن من أمر هذا الحضور، فالسمة المنطقية تبقى قاصرة عن تحديد ماهية الخطابة، التي تظل مفتقرة إلى إدراج البناء اللغوي ببعديه؛ اللساني والبلاغي. ووفق هذا المنظور تعرّف الخطابة بأنها: " فن أدبيّ نثريّ غايته إقناع السامعين أو وعظهم أو إمتاعهم"⁽⁴⁾، وفيما يشبه الشرح والتفسير لهذا التعريف المجلّم يُحدد مفهوم الخطابة بكونها: "... فن من فنون النثر، قوامه الكلمة الفصيحة، والعبارة البليغة، يتوسلها الخطيب لإقناع سامعيه بصواب فكرة، أو لنشر عقيدة، أو لنقل مشاعر وأحاسيس تراود نفسه، وتساور وجدانه. مستعينا على إبلاغ غرضه بما يضاعف طاقة النطق الشفهي من نبر

(1). الطوسي نصير الدين، تجريد المنطق، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1988، ص70.

(2). بول ريكور " الخطابة الشعرية التأويلية، م.س، ص206.

(3). بوعي عبر تطبيق تقنيات الخطابة أما دون وعي كالذي جاء في انتقاد تنظيرات أرسطو، ومن سار على نهجه من الشراح العرب كابن سينا، إذ يقول ابن الأثير في المثل السائر: " فإن معول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة، وهذا مما لم يخطر لأبي علي بن سينا ببال، فما صاغه من شعر أو كلام مسجوع، فإن له شيئاً من ذلك في كلامه، وعند إفاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان، والنتيجة له ببال. ولو أنه فكر أولاً في المقدمتين والنتيجة، ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به، ولطال الخطب عليه! بل أقول شيئاً آخر، وهو: أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمه، وعندهم فكرة من مقدمتين ولا نتيجة، ... ج2، ص5.

(4). أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 2008، ج1، ص660.

مستساغ، وإشارة موحية، ووقفه مهيب، وصوت إيقاعي مؤثر، وبما يستحوذ على قلب جمهوره من بث عاطفة، وإثارة خيال، ويستهوئ عقله من منطق سديد، وبرهان أكيد، وحجج لا يقف بوجهها ريب ولا شكوك⁽¹⁾، فالخطابة إذاً، ومن هذا المنظور فن لا يتحقق أثره، ولا تظهر ثمرته إلا بتحقيق مجموعة مقومات أهمها:

1- مقومات لفظية: معجمية، تقتضي فصاحة الكلمة؛ وتركيبية، تتطلب شرط البلاغة بما هي وصف للكلام.

2- مقومات غير لفظية -مسرّحية- أدائية: متعلقة بدرجة تفاعل الخطيب مع خطابه، ومدى تجسّده لمعانيه، عبر التصوير الصوتي نبراً، وتنغيماً، وإيقاعاً، والتصوير الأدائي عبر الإيحاءات الجسدية كهيئة الوقوف، وحركات اليد، ونظرات العين، وما شابه ذلك.

3- مقومات تخيلية واستدلالية: تهدف للاستحواذ على عقل وعاطفة المتلقي.

وعلى هذا المنهج في تعريف الخطابة بما تقوم عليه، عُرِّفت عند المتقدمين بتعريفات شتى أهمها ما ساقه أصحاب كتب البلاغة عن أبي داود الأيادي إذ "كان يقول: رأسُ الخطّابة الطّبع، وعمودها الدربة، وجناحها روية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تحيّر اللفظ؛ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه"⁽²⁾.

من الواضح أن مثل هذه التعريفات تحاول الإحاطة بمفهوم الخطابة عبر استقصاء أهم عناصرها، من بيان مجال انتمائها، ومادة تشكيلها، وأدوات اشتغالها، وهدف توظيفها. وهي طريقة للتعريف يُلجأ إليها لتدارك عجز التعريفات المعرفية.

فهي تشكل محاولة تروم تطوير التعريفات المتوارثة عن البحث الفلسفي والمنطقي، لتجعلها أكثر تلاؤماً مع النظرة اللسانية والتداولية التي اهتمت بالخطابة من زاوية كونها خطاباً؛ له آليات إنتاج، وآليات تحليل. ومن هنا عرفت الخطابة في قاموس تحليل الخطاب بأنها "هي العلم النظري والتطبيقي لممارسة الكلام في الجمهور أمام مستمعين يساورهم الشك وبحضور معارض. يسعى الخطيب بخطابه إلى فرض تمثيلات وصياغاته و إلى توجيه فعل"⁽³⁾، وبالتالي تغدو الخطابة ذات صفة علمية، تمس جهة التنظير لها، وجانب تطبيق تلك الرؤية

(1) إميل بديع يعقوب و ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب- نحو- صرف - بلاغة - عروض - إملاء - فقه اللغة - أدب - نقد - فكر أدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص 602.

(2) ابن المعتز أبو العباس عبد الله، البديع في البديع، ط1، دار الجيل، 1990، ص 11. والجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 59.

أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد الجاوي، دط، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1997، ص 58.

(3) باتريك شارودو ودومنيك منغون وآخرون، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، د ط، دار سناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، 2008، ص 490.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

النظرية، كلاهما في علاقته باستعمال الكلام في توجيه مستمع ليس على اتفاق كلي؛ متردد شك، أو مخالف معارض. يمارس مرسل الخطاب جهداً على المستوى الذهني الفكري، وعلى المستوى اللغوي، من أجل تغيير موقف المستمع في جزأيه الاعتقادي الوجداني، والعملية السلوكي. أي أن الخطابة ترقّت من مستوى القول والإقناع إلى مستوى الفعل والإنجاز.

إذن يمكن القول أن مفهوم الخطابة تقلب عبر تاريخ البحث اللغوي والفلسفي، ومن خلال الدراسات النقدية والأدبية، كاشفاً أن الخطابة بوصفها نشاطاً فكرياً، ومنتجاً أدبياً، ومبحثاً فلسفياً، ثم تداولياً؛ تملك مقدرة كامنة في ذاتها، منحتها إمكانية التأقلم مع أوجه وزوايا النظر، والبحث فيها وعليها؛ جعلتها تلتقي وتلتحم مع مصطلح بالغ القيمة والأثر، و واسع التداول في تاريخ وواقع الإنتاج الأدبي، ذلك هو مصطلح البلاغة، فكان أن نظر إلى الخطابة بأنها: "... هي علم البلاغة. وليس الغرض منها تعليم الكلام البليغ فحسب، و لكن الغرض منها عرض الأفكار بأسلوب مقنع"⁽¹⁾

إن هذا التعريف رغم ما يقدمه من عمل مصطلحي مهم، اختزل كما كبيراً من الصفات المشكّلة لماهية الخطابة من خلال وسمها بأنها: علم البلاغة، فإنه يثير جدلية البليغ المتمتع في مقابل الحجاجي المقنع ضمن علاقة الخطابة بالبلاغة. وهو بذلك يستدعي حتمية فحص ومبحث ثنائيتا الخطابة والبلاغة والمتمتع والمقنع، بحثاً يمهد لدراسة ذلك تطبيقياً على المدونة المختارة في هذه الأطروحة.

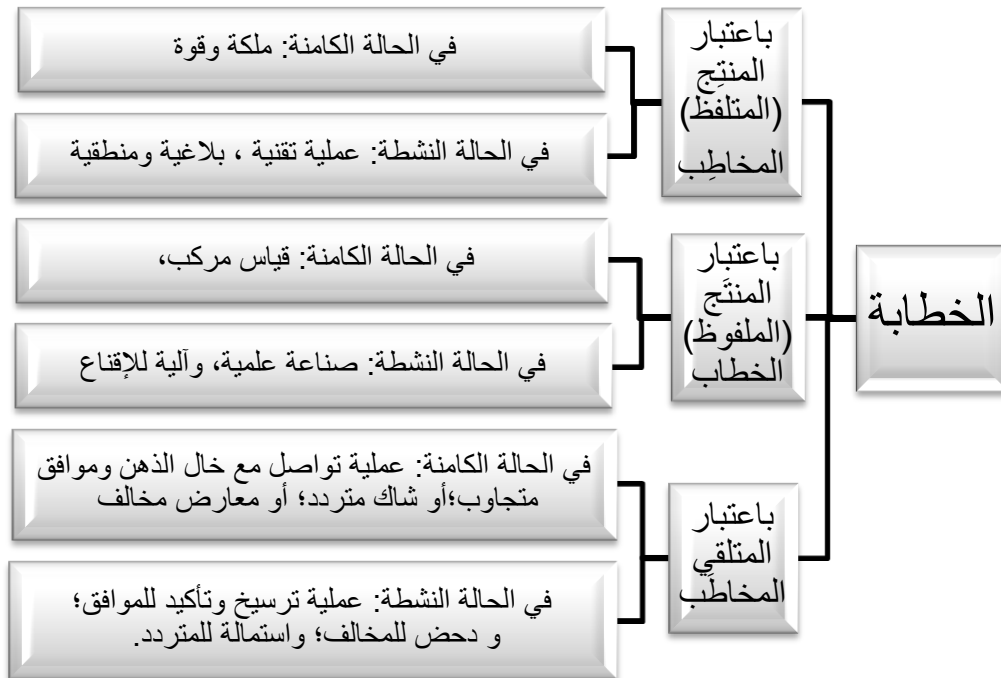
وقبل الشروع في ذلك نحاول جمع ما أفرزته الدراسة الاصطلاحية للمصطلح "خطابة" فيما يلي:

- الخطابة ملكة نفسية، واستعداد فطري، كما هي اكتساب يتأتى بالممارسة والمران، القائم على أسس وقواعد، توفرها الخطابة ذاتها ولكن في شقها النظري.
- الخطابة في شقها التطبيقي تستثمر آليات منطقية- القياس أحد أهم وجوهها- وأخرى لغوية وبلاغية، توظف تبعاً لخلفية تداولية، تنعكس على منتج الخطاب ومتلقيه؛ الأول عبر قصدية الإقناع والتأثير، والثاني عبر استجابته بالإذعان والفعل، أو بتعديل السلوك والترك. يتم كل ذلك عبر ما تحويه الرسالة الموجهة، في مستويات بنائها؛ اللساني، والتداولي، أو الحرفي والمؤول.

⁽¹⁾. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، دار المدرسة، بيروت-لبنان، 1982، ص531.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

- الخطابة في صورتها النظرية آلية بل فن صناعة الإقناع في أي مقام تواصل، باستخدام طاقة اللغة التخاطبية، في حدود ما تتيحه هذه الطاقة، دون تمحل ولا تكلف، وهنا تلتقي الخطابة بالبلاغة. وأهم نماذجها الخطابة الأرسطية.
- الخطابة في صورتها التطبيقية هي مجموع ما أنتجه وينتجه الفرد البشري- على اختلاف الجنس والعرق والثقافة- ومنهم العرب، متمثلين ما رسمته الخطابة النظرية؛ فالخطابة التطبيقية هي ميدان الدراسة للباحثين والمنظرين، من الحركة السفسطائية إلى الحضارة العربية الإسلامية، مروراً بالأرسطية، وحتى اليوم مع الدراسات الحجاجية والبلاغية.
- الخطابة -من وجهة النظر التداولية- لا يمكنها الكشف عن صفتها التداولية دون إدراج بل والتركيز على تفاعل المتلقي مع النص الخطابي، لذا فالخطابة -المنتج اللفظي- خطاب تداولي بامتياز؛ لأن معظم تعريفاتها انبنت على محورية المتلقي، جمهوراً، أو مستمعا، أو قارئاً. وعلى أثر الخطاب في سلوكه. وعليه يمكننا اتكاء على هذه النقاط المستخلصة، توضيح مفهوم الخطابة عبر التخطيط الآتي:



- الخطابة اصطلاحاً -

3- الخطابة في حقلها الدلالي:

3-1 العلاقة بين الخطابة والبلاغة:

إن بحث العلاقة بين الخطابة والبلاغة قد يبدو ابتداءً مجرد إثارة لقضية كلاسيكية، تدور حول تحديد الخاص من العام، والمطلق من المقيد، أو انشغالا بمثل هذه الأوصاف، التي توسم بها حدود التداخل والتخارج بين الحقول المعرفية.

والحقيقة أن هذا التخمين أو الخلفية قد تكون صادقة من منطلق الثقافة العربية والتفكير البلاغي العربي الذي لا يجد أي إشكال في علاقة الخطابة بالبلاغة، بل لا يستشعر أي داعي للتطرق إلى هذه النقطة، ذلك أنه "إذا كان هناك من لا يميز بدقة بين الخطابة والبلاغة، فإننا في التراث العربي لا نجد هناك فرقا واضحا بينهما، فالبلاغة تعتبر أشمل وأعم من الخطابة والتي هي جنس من أجناس التواصل وفن القول..."⁽¹⁾

فالخطابة في المفهوم العربي هي نوع من أنواع الإنتاج الأدبي، أو ضرب من ضروب الإنجاز القولي كغيره من الأجناس الأخرى كالشعر والرسالة والمقامة و...؛ فهي بالتالي ليست إلا حقلًا لاشتغال البلاغة انتاجًا وتحليلًا، والنتيجة أن البلاغة علم، أو مجموع التقنيات التي تحتكم إليها الخطابة لتقييم أركانها، وتضبط أدواتها، وتعالج بناءها فتثبت صحيحه ومتينه، وتقوم معوجّه وسقيمه.

وبالرجوع إلى "... الثقافة العربية الوسطوية فس نجد هناك تكاملا وتفاعلا بين الخطابة والبلاغة والشعر عموما، فالخطابة-عربيا هي نوع من القول والتخاطب، أما البلاغة فهي بعد أسلوب في هذا القول، لذلك جاز الحديث عن بلاغة الخطابة واستحال العكس. وما دام مفهوم البلاغة يحيل على الطريقة والأسلوب فإنه لم ينحصر في الخطابة وحدها، بل تعداها إلى أنماط أخرى من القول كالشعر والفلسفة، وعدة أشكال من الكتابة، وقد صارت البلاغة مشتملة على عدة علوم، خاصة علم المعاني، وعلم البيان وعلم البديع."⁽²⁾

وفضلا عن ذلك فإن "كلمة بلاغة في السياق العربي لا تطرح إشكالا في كونها علم الخطاب الاحتمالي بنوعيه التخيلي والتداولي، وذلك نتيجة الدمج الذي مارسه في المرحلة الثانية من تاريخها، كل من عبد القاهر

(1). الحبيب أعراب " الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري" ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3(الحجاج وحوار

التخصصات)، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن، 2010، ص 42.

(2). المرجع نفسه، ص43.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

الجرجاني، وابن سنان الخفاجي ثم السكاكي وحازم القرطاجي، وذلك بعد المحاولة التلفيقية التي قام بها العسكري تحت عنوان الصناعتين. فبرغم ما أدت إليه هذه العملية من إقصاء واختزال أحيانا، ومن تحويل المركز أحيانا أخرى (من التخيل إلى التداول خاصة) فقد ظل شعار الوحدة البلاغية مرفوعا⁽¹⁾.

إذن وفي صورة مبسطة وواضحة يمكن القول إن: "أصل علاقة الخطابة بلاغة، أن البلاغة هي المحدد الأساسي للخطابة، تمدها بوسائل الإقناع والتأثير في الجمهور المخاطب، بما توفره لها من صور بلاغية وأساليب ومنهجية حجاجية." ⁽²⁾ هذا في الثقافة العربية.

أما في الثقافة الغربية فإن العلم أو الفن الذي اهتم بقضايا الخطاب إنما هو ما اصطلح عليه بـ "Rhétorique". الذي رغم ثباته وحدة معجمية عبر السنين؛ فإنه عانى من توظيفه بصورة بدت متناقضة، أو قلقة، أو متجاذبة؛ لذلك قد لا يهم ابتداءً البحث عن مقابله العربي بقدر ما هو مهم التعرف على المفاهيم التي أحالت عليه هذه الكلمة (Rhétorique).

من الناحية التاريخية ترتبط هذه الكلمة بفترتين:

الفترة الأولى: وفيها ارتبطت كلمة "Rhétorique" بالمفهوم الأرسطي الذي يقيم فصلا بين صنعة الخطابة (Thechné Rhetoriké) وصنعة الشعر (Thechné poiétiké) والمقابلة بينهما، حيث تقوم الأولى على بناء الحجج من حجة إلى أخرى طبق نظام محدد تضبطه مقاصد المخاطب من المخاطب، وتقوم الثانية على إيقاع المحاكيات بالإيحاء والتخيل لا الإقناع، بحيث يتنامى الخطاب بالانتقال من صورة إلى صورة لا من فكرة إلى فكرة⁽³⁾.

وهذا المفهوم لـ "Rhétorique" هو المفهوم الذي أعاد برلمان و آخرون صياغته في اتجاه بناء نموذج منطقي للإقناع⁽⁴⁾.

(1). مجّد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2012، ص11.

(2). الحبيب أعراب، م.س، ص44.

(3). حمّادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن: أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، م.س، ص37-38.

(4). مجّد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، م.س، ص12.

الفترة الثانية: وأهم مظهر فيها هو أن أصبحت "Rhétorique" مرادفاً ومكافئاً للعبارة (lexic, Elocutio)، وهي النتيجة التلقائية لعدد من التحولات على علاقة الخطابة بالشعر؛ بدأً بالتقريب بينهما عبر خدمة أحدهما للآخر، ثم بصهرهما في بوتقة واحدة في مصطلح "الأدب" ⁽¹⁾. وهكذا ارتبط مصطلح "Rhétorique" بمفهومين إقناعي مضيق، وأدبي موسع.

لكن ففيما حاول المفهوم الأدبي توسيع الفضاء الذي تحيل عليه كلمة (Rhétorique) استحالة هذا التوسيع ضيقاً وحجراً لها على البحث في صور الأسلوب ⁽²⁾. إلا أن هذا الاختيار سيعقبه نهضة جديدة، تعيد إلى كلمة (Rhétorique) رحابها في الدلالة على التخيل والتداول، عبر مفهوم نسقي يلزم بين Rhétorique والعلم الأعلى الذي يشمل التخيل والحجاج ⁽³⁾.

إن هذه اللوحة أو الاستقصاء التاريخي الخاطف يكشف عن حقيقة، مفادها أن الخطاب بمفهومه المعجمي القاعدي، وبمفهومه اللساني التقني، وحتى بمفهومه التداولي؛ جرى دراسته من خلال علم/فن يسمى "البلاغة" عند العرب، و"Rhétorique" عند الغرب؛ ولكن بصورة جزئية غير مكتملة، وبمنهج انتقائي غير شامل، رغم محاولات النظرة الكلية؛ عن طريق حازم القرطاجني عند العرب، والمنهج السميائي للخطاب عند الغرب.

وكل هذا يقود أو يضع المتتبع لهذه السيرورة أمام فرضية الانتصار للمقابلة بين "Rhétorique" و"علم البلاغة". مع اختلاف شكلي في المنشأ والتطور لكلا المصطلحين كلا في بيئته. فالبلاغة جاءت تنويجا لمرحلة حتمية في توليد المصطلحات، بمعنى أن البلاغة المفهوم والدراسة والإجراء ظلا موجودين بمسميات مختلفة بديع، بيان، فصاحة، حتى استقرت مصطلحا ومفهوما، وإن لم تستو نظرية ومنهجاً لمقاربة الخطابات. لذا نجد أن "البلاغة قبل أن تصبح علما مستقلا عرفت عبر تاريخها الطويل مفاهيم مختلفة، ومع أن جذرها

(1). ينظر: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، م.س، ص 39، 40.

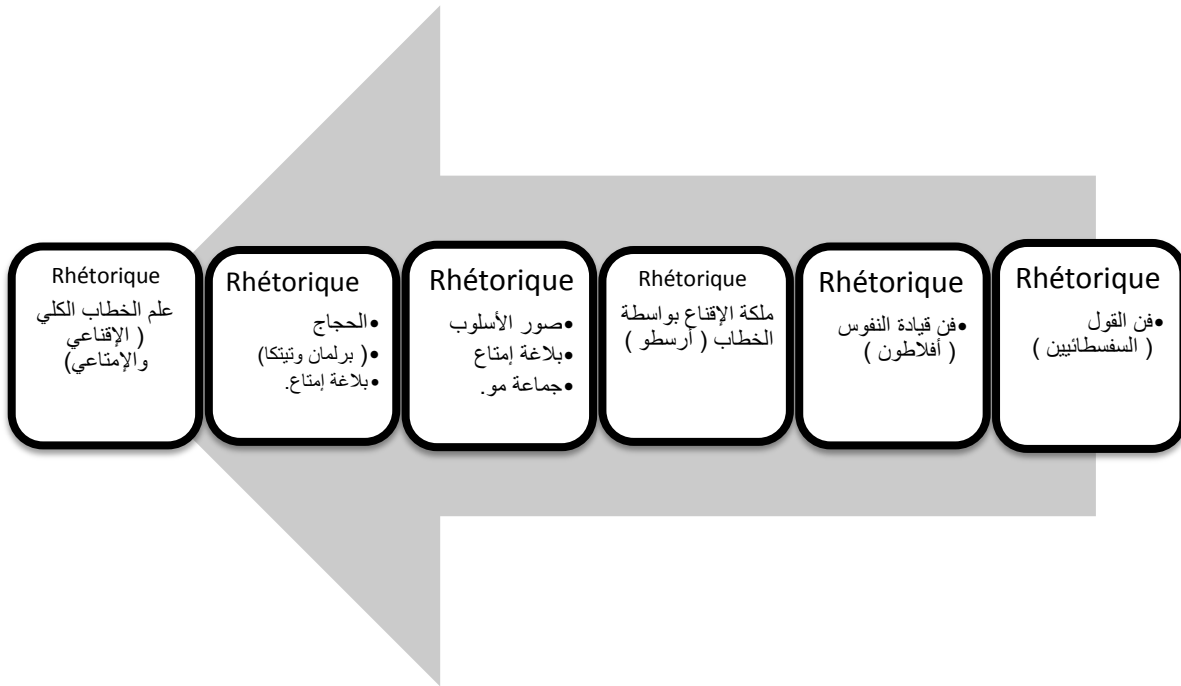
(2). ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، م.س، ص 12.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص.ن.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

اللغوي يدل أصلاً على الوصول والانتهاج إلى المكان إلا أن مدلولها الاصطلاحي لم يعرف الاستقرار إلا في فترة متأخرة نسبياً...⁽¹⁾

وأما "Rhétorique" فعلى العكس من ذلك، وُجِدت مصطلحاً قاراً، ولكن في كل مرة يشحن بدلالات، ويضمّن مفهوماً يخدم وجهة نظر مستعمله ومجال النظر فيه. ولعل الترسّمة الآتية توضح هذا التقابل بين المصطلحين.



التطور التاريخي للبلاغة عند الغرب

⁽¹⁾ . ابتسام أحمد حمدان ، الأسس الجمالية للإيقاع في العصر العباسي ، مراجعة وتدقيق أحمد عبد الله فرهود ط 1 ، دار القلم العربي ، حلب - سوريا ، 1997 ، ص 49.



التطور التاريخي للبلاغة عند العرب

وبافتراض صحة هذه المقابلة من ناحية المضمون فإنها لا تلبث أن تتعرض بفعل فوضى الترجمة في المصطلح إلى الخلط و التضارب، بحيث يصير "... إشكال الترجمة ... أعقد المعضلات التي يمكن أن تواجه الدارس العربي المتشبع بالتراث البلاغي العربي عند توجهه لبحث مفهوم "البلاغة" كما تحدد في التقاليد الغربية: هل يترجم مصطلح (rhétorique) بـ «البلاغة» أم بـ «الخطابة»؟ أم يزاوج بينهما صنيع بعض المعاصرين⁽¹⁾⁽²⁾. ومن هنا تحديدا يمكن القول أن العلاقة المبحوث عنها " الجدير بها أن تتحول من علاقة

(1). من أمثال محمد الولي وعائشة جرير في مقدمة ترجمتهما لكتاب "البلاغة، مدخل لدراسة الصور البيانية"، حيث كتبا: "ينبغي قبل الانتقال إلى تأطير الصور البيانية ضمن الأدوات التعبيرية الفنية أن نلقي الضوء على مصير صرح البلاغة - الخطابة". أم يحتكم في ترجمة المصطلح إلى السياق صنيع محمد الولي نفسه في أطروحته عن "الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية"، حيث واجه إشكال الترجمة فقرر حله بالاحتكام إلى السياق ونبه على ذلك بالقول: "نفضل ترجمة خطابة حينما يكون المقصود بلاغة الحجاج، ونفضل ترجمة بلاغة حينما يكون المقصود بلاغة المحسنات. (مصطفى الغرافي، "دراسة في تحولات المفهوم"، <https://www.diwanalarab.com/spip.php?article39053>، 28 فيفري 2014).

(2). مصطفى الغرافي، "دراسة في تحولات المفهوم"، <https://www.diwanalarab.com/spip.php?article39053>، 28 فيفري 2014.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

الخطابة بالبلاغة إلى علاقة كلمة بلاغة وعلاقته بكلمة ريتوريك (rhétoric, rhétorique) القادمة إلى النسق المعرفي الحديث من النسق المنطقي الأرسطي (Rhetoriké)"⁽¹⁾.

ومن خلال فحص سيرورة التطور التاريخي لهذه الكلمة يمكننا القول أن "منشأ هذا الإرباك في الترجمة مرتد بالأساس إلى الدلالة المزدوجة لمصطلح (rhétorique) في التقليد البلاغي الغربي. إذ يحيل من جهة على التعبير الأنيق الذي يتقصد الإمتاع. مثلما يحيل، من جهة مقابلة، على الخطاب بوصفه فعالية حجاجية واستدلالية تتقصد الإقناع."⁽²⁾

وإزاء هذه الاشكالية انقسم المترجمون والشرح العرب إلى أربعة توجهات هي الآتية:⁽³⁾

- 1- القدماء الذين تنبهوا إلى أن ريتورية أرسطو لا تطابق مفهوم البلاغة ولا الخطابة، فعربوا اللفظين حيناً وتحذثوا عن الصناعة حيناً.
- 2- فئة من الدارسين المحدثين استعملوا لفظ البلاغة بدون تقييد.
- 3- منهم من استعمل لفظ الخطابة.
- 4- منهم من تردد بينهما.

وبقدر ما يدل التردد على الارتباك والاضطراب؛ فإنه علامة إيجابية على جهد نحو الخروج من حتمية الاختيار بين الخطابة والبلاغة، إلى بديل عن ذلك. ويعد مُجدِّ العمري أحد الذين اجتهدوا في وضع هذا البديل، معبرا عن ذلك بقوله: "للخروج من هذا الخلط انتهيت، بعد عقدين من التيهب والتردد، إلى اقتراح مصطلح "خطابية" مقابلا لريتورية أرسطو، وتركت كلمة بلاغة لتدل على المعنى الحديث للريتورية، وهذا الاقتراح ليس غريبا عن بنية النسق الخطابي، بل هو منسجم ومتسق مع مقابله أي النسق الشعري: شعرية وخطابية. أما كلمة خطابة فتدل على المنتج الإنشائي، أي على صنيع الخطيب (orateur, rhétor)، أو النصوص الخطابية"⁽⁴⁾.

أما مختار نويوات فيرى: "أن كتاب "الخطابة" [لأرسطو] يدل بعنوانه على ما نسميه نحن العرب "علم البلاغة" [و] يدعوه اليونان "فن الخطابة" ويقصدون به "إجادة الخطيب لهذا القول"، والقول الجيد أساس

(1). مُجدِّ العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب"، ضمن: البلاغة والخطاب، م.س، ص 42.

(2). مصطفى الغرافي، دراسات في تحولات المفهوم، م.س.

(3). ينظر: مُجدِّ العمري، البلاغة العامة في طور الرصد والتنظير، م.س، ص 43.

(4). ينظر: مُجدِّ العمري، البلاغة العامة في طور الرصد والتنظير، ضمن: البلاغة والخطاب، م.س، ص 44.

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم، وتحديد العلائق

النجاح أولا وأخرا به يؤثر الخطيب على الجماهير، وبه يستميل عواطفهم، ويستبي عقولهم، وبه يكسب القضية التي ينافح عنها، سياسية كانت أو ثقافية أو اجتماعية⁽¹⁾. وكأن نويوات يرجح التقابل بين "Rhétorique" و"البلاغة".

وعلى غرار نويوات والعمري يرى الشرفاوي في ترجمته لكتاب بارت "البلاغة القديمة" Antique "Rhétorique" أن المقابل الأكثر تكافؤا لـ "Rhétorique" هو (البلاغة)، إذ يقول في معرض سرده لمصطلحات الكتاب: "البلاغة: Rhétoriké إن الترجمة الدقيقة لهذا المصطلح اليوناني هي فن الخطابة. لكننا آثرنا ترجمته لمصطلح بلاغة. لأن مدلول المصطلح اليوناني فيه قد تغير خلال تاريخ البلاغة ليدل أكثر على الخطر الأدبي و"الشعري" و"البديعي" لفن القول. ولذا كان من غير الممكن استعمال مصطلح خطابة إلا في الحالات التي يتعلق فيها الأمر بفن الخطابة بمعناه المحدود ولا حاجة في التذكير بأن اختيارنا لمصطلح البلاغة لا يعني أي تطابق بينه وبين مدلوله في الثقافة العربية"⁽²⁾.

لكن ألا يمكن أن نتجاوز تأثير هاته المدلولات مهما كان نوعه، سالبا أو موجبا، وتتعامل مع كلمة "بلاغة" تعاملا مصطلحيا متجردا؟ لتوظف لسانيا وتداوليا مصطلحا يقابل "Rhétorique"، تماما كما صنع الغرب مع كلمة "Rhétorique"، رغم حملتها الثقيلة المشحونة بسجلات إن لم نقل صراعات فكرية ومنهجية كما مر بيانه في العرض التاريخي، ومع ذلك بقيت "Rhétorique" علم/فن الخطاب تحليلا وإنشاء من بروتاغوراس إلى اليوم.

3-2 علاقة الخطابة بالحجاج وبالجدل:

ترتبط الخطابة عادة بفكرة التمكّن من اللغة، والقدرة على تصريف أساليبها، والتحكّم في تراكيبها، مع تميّز ومهارة في إيصال الأفكار؛ من أقرب الوجوه وأدق المسالك وبأمتن طرح وأقوى حجة. والخطابة عند

(1) مختار نويوات، البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة بين البلاغتين الفرنسية والعربية، دط، دار هومة، الجزائر 2013، ص 17.

(2) رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة و تقديم: الشرفاوي عبد الكريم، مقدمة الترجمة، د ط، دار الفنك (مطبعة النجاح الجديدة)، المغرب، 1994، ص 24.

الفصل الأول ————— الخطاب من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

أرسطو هي: "النظير المقابل للجدل"⁽¹⁾ وفي موضع آخر يقول: "وإذن فلنسلم بأن الخطابة هي قوة أو ملكة نستطيع أن نكتشف بها على وجه نظري أو تأملي ما يمكن أن يكون شأنه الإقناع في كل حالة على حدة"⁽²⁾.

يبدو أن رابطة ما تجمع بشكل أو بآخر الحجاج والخطابة والجدل، وتكشف عن نفسها صراحة أو ضمناً. و في هذا الاتجاه " أكد أرسطو وجودا لحجاج في الخطابة كما في الجدل، بمعنى آخر إن الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل مع اختلاف كامن في بنية الحجاج في كليهما ... ، وما يهمنا أن الحجاج بهذا الشكل يصبح فعلا قاسما مشترك بين الخطابة والجدل ..."⁽³⁾، إن موضع التوسط هذا الذي يتخذه الحجاج في مقابل الخطابة و الجدل هو ذاته الذي توصل إليه الدكتور عبد الله صولة، فبعد أن استعرض مواطن كثيرة يستعمل فيه الحجاج والجدل مترادفين؛ سيما عند العرب، خلص إلى أن " الحجاج أوسع من الجدل كل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا. فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، [على] سبيل المثال من حيث إن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج"⁽⁴⁾.

لكن إذا كان الحجاج أوسع من الجدل، فهل الحجاج هو الخطابة عينها؟ في الحقيقة يعد الحجاج عند برلمان و تيتكاه غير الخطابة فهو يختلف عنها من جهتين:⁽⁵⁾

1- من جهة نوع الجمهور:

فجمهور الخطابة هو تلك الجماعة المجتمعة في الساحة تستمع إلى الخطيب، أما الحجاج فيمكن أن يكون حاضرا أو غائبا، بل وقد ينشأ الحجاج بين شخصين، وحتى بين المرء ونفسه.

2- من جهة نوع الخطاب:

(1). أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، المقالة 1، الفصل 1، 1354، ص 9.

(2). م ن، المقالة 2، الفصل 2 1355 ب، ص 5.

(3). سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، ط 01، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، إربد -الأردن، 2008، ص 18.

(4). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م س، ص 17.

(5). ينظر: المرجع نفسه، ص (21-22).

الفصل الأول ————— الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم. وتحديد العلائق

فإذا كان الخطاب في الخطابة محصوراً في الطابع الشفوي؛ فإن الخطاب الحجاجي كما يكون منطوقاً؛ يكون مكتوباً، والمكتوب عند برلمان وتيتيكاه أولى. وهذا لا يعني إهمال حضور الجمهور، كما لا يعني البتة أن الكاتب حين يكتب لا يستحضر الجمهور ولا يكتفئ كتابته وفقه.

وحاصل هذه المقارنة ليس هو وضع حدود صارمة بين الخطابة والحجاج؛ بقدر ما هو عمل يهدف إلى البيان وإلحاح "على أنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويسلم ويصدق على ما يعرض عليه" (1)

وكشكل من أشكال الانفصال والاتصال بين الخطابة والجدل يضع أرسطو الخطابة إلى جانب حقل آخر هو الجدل، وكما يقول فإن المجالين "متشابهان" من حيث إنهما يتعلقان بمسائل يشترك فيها كل الناس، حيث يصف ما هو الجدل بقوله: "إنه أداة المعرفة المحتملة"، وهو يشير إليه هنا كمنهج لإنتاج المعارف العامة. خاصة تلك التي يمكن أن تكون مفيدة في المواقف الخطابية، أما البلاغة فهي لا تنتج المعارف مثل الجدل، وإنما هي منهج للإقناع. (2)

(1) Chaim Perelman et Lucie-Olbrechts-Tytica, Trait e de l'argumentation-La nouvelle rh torique, pr face de Michel Meuer-5 ed. Editions de l'universit  de Bruxelles 1992 .p7

(2). ينظر: فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، م.س، ص34.

الفصل الثاني

ثنائية (إمتاع، إقناع)

من التفكير البلاغي إلى التحليل

التداوي

1- ثنائية (إمتاع، إقناع) ضمن التفكير البلاغي - الحدود والتطور -

إن كل ما لاقته البلاغة عبر تاريخها المديد من سطوع فأفول، ومن امتداد فاخترال ومن هيمنة إفقضاء، ومع كل ما اضطلعت به من وظائف، أنتجت علاقتها واحتكاكها بالخطابات، ورُسمت حدودها وفقا لزوايا النظر وآفاق التصور لدى الباحثين والدارسين، عبر قرون من الزمن "فقد انتقلت هذه البلاغة من فن الخطابة إلى فن الإقناع، ففن الإمتاع، ثم فن الكتابة والبيان، ثم وصف الأسلوب والخطاب والصورة، ثم استجلاء ملامح الحجاج والتداول" (1).

ومهما بدت الاتجاهات والمذاهب حول ماهية البلاغة وجوهرها، وإزاء توظيفها واستثمارها، متضاربة ومتناقضة، وحتى متصارعة و متغلبة؛ فإنها تمحورت حول " الجانبين الإمتاعي والإقناعي؛ الإمتاع باعتباره إجراءات أسلوبية، واستراتيجيات استهوائية، تخاطب في المقام الأول أحاسيس الجمهور، وتسعى إلى تحريك عواطفه، مستهدفة التأثير الفاعل للدفع إلى تبني مواقف معضدة للخطاب المتوجه به إليها، وبالتالي قبول قضيته عن حماسة لا عن روية، في مقابل الإقناع، وجوهره الأطروحة والأطروحة المضادة، ذات التوجه المنبني على مسار استدلال منظم، المحتمل للمعقول والمقبول من الرأي المخالف" (2).

إن هذه الثنائية (إمتاع/إقناع) الطافية فوق كل تفكير بلاغي، والمائنة في عمقه تحركه و تحفزه، " إذ يشهد تاريخ البلاغة أنها كانت تعني فن الإقناع تارة، وتارة فن الصنعة الجمالية" (3)، بما تحيل عليه سمة الجمال، بل وما تستدعيه استدعاء الدال للمدلول من متعة ولذة، "فهذه الثنائية الضدية التي قامت عليها البلاغة الغربية والعربية على حد سواء" (4)، والتي انعكست بصورة حتمية على الخطابة حينما قام أرسطو "بتحويل مركز الثقل في صناعة الخطابة من التأثير إلى الإقناع وأراد أن يقيم بين هذين الطرفين توازنا يكون

(1) . جميل الحمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص 65.

(2) . أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ط 1- شركة النشر والتوزيع - المدارس - الدار البيضاء- المغرب، 2011، ص 08.

(3) . محمد مشبال، "بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب"، ضمن: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، ط 1، دار الأمان- الرباط، ومنشورات الاختلاف-الجزائر، ومنشورات صفاف، 2014، ص 105.

(4) . ينظر : عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط 02، دار الفارابي، 2007، ص 55-56.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع.إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

التأثير بمقتضاه خادما للإقناع وتابعا له، وهو توازن صعب لا محالة، لذلك تصدع منذ القرن الأول للميلاد⁽¹⁾.

ولما كان التأثير ألصق بالجانب العاطفي وبالسمة الجمالية وبالوظيفة الشعرية؛ كان الأدب بوصفه المجال الأصيل لهذه المفاهيم، الوريث الأحق للتأثير، في مقابل الإقناع، مكرسا ذلك التصدع والانقسام، إذ " لا الأدب ولا البلاغة موجّهان للإقناع، بل على العكس من ذلك، كلاهما يعني بتنشيط الانفعالات، وإثارتها وتحقيق التسامي لها، والأولى هو الإمتاع وإثارة المشاعر بدلا عن التعليم والإقناع"⁽²⁾.

وعلى إثر عملية الاستخلاف هذه التي صارت بموجبها بلاغة الأدب مقابلة لبلاغة الإقناع؛ "ستكون للبلاغة باعتبارها أقدم نظريات النص، ومقاربة الخطابات اللفظية؛ منقسمة إلى نظرية بلاغية تهتم بالوظيفة التواصلية الإقناعية، ونظرية أدبية هدفها بحث الوظيفة الجمالية، التي تقوم عليها الخطابات التداولية"⁽³⁾.

وهكذا انقسم تاريخ البلاغة إلى اتجاهين، يدّعي كل منهما الاستقلال بنفسه، ويرفض أحدهما الأخرى إجمالا، يرتبط الأول بدراسة الإنتاج الأدبي الذي ينحو منحى القطيعة الثابتة والاختلاف والتجدد المستمر، وأما الاتجاه الثاني فيستهدف أكثر الكلام الفعّال والإنتاج الإقناعي⁽⁴⁾. وكأن من قدر البلاغة أن تعاني الانشطار متألفة وآفلة، فبالرغم من أنه "أعيد لها نبلها المشرق إلا أن معناها بقي مترددا بين موقفين هما الأكثر تحديدا وتميزا؛ أما الموقف الأول: موقف (L.olbrechts. Thyteca, ch. pereleman) فيرى أن فن البلاغة فن للحجاج (art d'argumentater) أما الموقف الثاني فهو موقف (J.cohen, G.Gennette, Morrier,... مجموعة Mu) الذين يجعلون من البلاغة دراسة

(1).Todorov : Théorie du symbole chap II : splendeur et misère de la rhétorique

نقلا عن هشام الربيعي، الحجاج عند أرسطو، م.س، ص118.

(2). آلان لومبرور "اختنزالات البلاغتين الجديديتين"، ترجمة نَجْد البقالي، مراجعة نَجْد مشبال، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 10، المغرب، شتاء 2017، ص87.

(3). نَجْد مشبال، في بلاغة الحجاج- نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ط1، دار المعرفة، عمان- الأردن، 2017، ص15.

(4). آلان لومبرور "اختنزالات البلاغتين الجديديتين"، م.س، ص83.

للأسلوب (étude de style)، وبخاصة صوره وأوجهه البيانية (Figure de style). بالنسبة للفريق الأول فإن البلاغة تستهدف الإقناع، في حين أن الفريق الثاني يرى فيها ما يجعل النص أدبيا⁽¹⁾.

وبالتالي، ووفقا لهذا الانقسام والانشطار، صار استثمار البلاغة دراسة و تطبيقا، يمر بالضرورة عبر الوقوف على مفهوم بلاغة (الإمتاع) الأدبية، وبلاغة (الإقناع) الحجاجية.

1-1 بلاغة الإمتاع (البلاغة الأدبية):

اعتنى الفكر البشري -عموما- عبر الزمن عناية خاصة بالجمال، فبحث عن ماهيته وتساءل عن جوهره، لكن اليونانيين تميزوا في ذلك عن باقي الأمم، كشأنهم في كثير من القضايا الفكرية والفلسفية، فلقد بحثه أفلاطون في نظرية المثل التي قسمت الجمال إلى جمال نسبي في الأشياء، وجمال مطلق في المثال، وتبعاً لمفهوم القضية عنده تم ربط الجمال بالخير، ثم صار الجمال قرينا للنفع عند سقراط بجامع إثمار الخير للنفع وانبثاق النفع عن الخير، وعن هذا الاقتران والتلازم لم تغب نظرة أرسطو، الذي يتفق مع أصحاب هذا الرأي في مبدئين: الأول: أن الجمال في النظام والوحدة والتعدد، والثاني: أن الجمال هو الخير⁽²⁾.

لكن علاقة الترابط أو الاستدعاء هذه، التي تجمع بين الجمال والخير، أو بين الجمال والنفع، لا تنشأ بصورة مباشرة بين طرفيها، بل تمر عبر وسيط في غاية الأهمية. وأكثر ما يميز هذا الوسيط، ويكون وسما له، أنه بمثابة الوجه الثاني للجمال، وأبرز آثاره الحسية والمعنوية؛ ذلك الوسيط هو المتعة أو الإمتاع، ذلك أن " ما يثيره الجمال من الإمتاع يصقل ذوق الغير ويهذب نفسه، ويطبّعها على حب الجمال والفضيلة، فتكون النفس أهلا للخير والنفع والإصلاح"⁽³⁾.

إنّ الجمال قيمة فنية بما يثيره من متعة، وقيمة تداولية عملية بما ينتجه من نفع وإصلاح؛ لذا فارتباط البلاغة بالجمال، وحتى قصرها عليه له مبرراته وحججه التي تدفع عنه نعوت الاستهانة والتقليل من القيمة.

(1). أوليفي روبول، "طبيعة البلاغة ووظيفتها"، ترجمة: الغروس الميار، نوافذ، العدد 16، 1 يونيو 2001، ص 64.

(2). ينظر: عبد الله يسري عبد الغني: " إدراك الجمال بين أهل الفكر وعلماء البلاغة " مجلة جذور- العدد 19 مارس 2005، ص 178.

(3). علي علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دط- دار إحياء الكتب العربية، دت، ص 100.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

ويكفي في ذلك أن " نقاطا كثيرة تم فيها الالتقاء والاتفاق بين مضمون الجمال ومفهوم البلاغة إلى الحدّ الذي يجعلنا نعتقد أن هناك ترابطا وثيقا بين الجمال والبلاغة، بحيث لا توجد البلاغة إلا حيث يوجد الجمال، وما خلا من الجمال فإطلاق البلاغة عليه محال" (1).

وهذا المفهوم حول البلاغة هو أحد مفهوميها الرئيسيين والمتعارضين، وأهم ما يقتضيه هذا المفهوم " أن الكلام إنما يوصف بكونه بليغا حينما يتوجه إلى الأداة اللغوية في ذاتها ولحسابها دون أن يمنح القدر نفسه من العناية إلى باقي المكونات اللابئة خلف إنتاج الكلام، سواء كانت نفسية أو منطقية أو تاريخية أو إيديولوجية" (2).

وحينها تتخلى البلاغة عن بعدها التداولي فتهمل المقام والسياق ومتلقي الخطاب وتتهبأ لتبسط سلطتها على الأدب بوصفه مجال القول الجميل والممتع، " وبالإضافة إلى عنصر القصة الذي يشترك به الأدب مع غيره من الأشكال الفنية ، فإنه يمتلك عنصرا يضيف عليه خصوصيته، وهو لغته. وقد حاولت المدرسة الشكلانية الروسية أن تفرز هذه الخصوصية، وأن تتناولها تحت اسم "الأدبية" *literatunos*. وهذا ما يسميه " جاكوبسون": "الشعرية" *Poetics*. فالشعرية هي شكل من الأشكال التي تجيب عن السؤال التالي: "ما الذي يجعل من الاتصال اللغوي عملا فنيا؟". إنه العنصر النوعي نفسه الذي سأسميه "البلاغة"، ... (3)

إن البلاغة والأدب بينهما من الارتباط ما يجعلهما وجهين لعملة واحدة؛ هي الجمال؛ ذلك أنه "... مهما تباينت وجهات النظر حول ما هو أدبي، فإن الإبلاغ الجميل وحسن التعبير والجودة هي أوصاف

(1). عبد الله يسري عبد الغني " إدراك الجمال بين أهل الفكر وعلماء البلاغة، م.س، ص191.

(2). مُجَدّ الولي وعائشة جرير، مقدمة الطبعة الأولى لكتاب: البلاغة — المدخل لدراسة الصور البيانية- فرانسوا مورو، ترجمة: مُجَدّ الولي وعائشة جرير، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2003، ص9.

(3). رولان بارت ، "الأدب وبلاغة"، ضمن: اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1993، ص54.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

اقتزنت بنمط التعبير الأدبي واعتبرت معيارا محددًا لمهية الخطاب الأدبي، وحيث كانت البلاغة تنطوي على دلالات السمة والجمالية، فإن علاقة البلاغة بالأدب لا تحتاج منا إلى إثبات⁽¹⁾.

بل وتعد هذه العلاقة علاقة ترادف بينهما⁽²⁾، ستمس الحقل الدلالي للأدب بما يضمه من مصطلحات الشعر والشعرية، الفن والأدبية، والأسلوب والأسلوبية⁽³⁾ إذ يدرك من له اشتغال بالنقد والنظرية الأدبية أن بين هذه المصطلحات التباسا وتشاكلا كان من نتائجه أن أدى إلى اختلاف في تفضيل واحدها على الأخر⁽⁴⁾.

إن المتأمل لمفردات هذا الحقل الدلالي يجد نفسه مدفوعا نحو إيجاد ناظم ينظمها، ويؤلف بينها بحيث تنتمي كلها إلى مقارنة واحدة وتنجز وظيفة مشتركة، أما من حيث الاعتبار الأول-الانتماء إلى مقارنة واحدة- فإن هذه المفردات تحيل على اتجاهات تمثل مجتمعة البلاغة الأدبية بحيث تكون " البلاغة الأدبية مقارنة جمالية للوجوه الأسلوبية الصغرى (موضوع الأسلوبية) من جهة وللمكونات السردية والأدبية الكبرى من جهة أخرى (موضوع الشعرية)"⁽⁵⁾. وبالنظر إلى الاعتبار الثاني وبناء على أن "...هدف الأدب ... هو البلوغ إلى إفهام المتلقي إفهاما ممتعا"⁽⁶⁾؛ نجد أن البلاغة الأدبية تتوجه نحو الإمتاع وترتدي لباسه لتعلن نفسها بلاغة إمتاع.

(1) . مُجَّد مشبال، "عن مفهوم البلاغية، دراسة في العلاقة الإشكالية بين البلاغة والأدب"، مجلة ثقافات. العدد19، 20 يناير 2007، ص12.

و ينظر: مُجَّد مشبال، البلاغة والأدب: من صور اللغة إلى صور الخطاب، ط1، دار العين للنشر، القاهرة-مصر، 2010، ص12.

(2) . ينظر: مُجَّد الولي وعائشة جرير، م.س، ص9.

(3) . ينظر: مُجَّد الولي "الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديديتين، البلاغة وتحليل الخطاب عدد 10-2017 ص46.

(4) . أحمد مُجَّد وسين، "الأدبية والشعرية والبلاغة"، مجلة البيان الكويتية، العدد 390، الكويت يناير 2003، ص25.

(5) . مُجَّد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، م.س، ص24.

(6) . عبد المجيد زواقط، "التحليل البلاغي الغربي بين اتجاهين مذهبيين، نصي وصفي وقاعدي معياري"، ضمن: البلاغة والدراسات البلاغية مفهومات بلاغية، أعمال المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي، تحرير عبد الهادي علاء، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010، ج1، ص108.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

وأهم ما يميز هذه البلاغة أنها تخلت في طريق تكوينها على الفعالية العملية، ونزعت نزوعاً متنامياً إلى تفصيل المكون الجمالي والأسلوبي لكن كيف تشكلت البلاغة الأدبية أو كيف وقع اختزالها؟⁽¹⁾

إن لهذا الاختزال في الحقيقة عاملين، الأول هو الاستهجان الفلسفي القائم على رفض بلاغة ذات نزعة جدلية تقوم على المحتمل، والميل إلى أخرى تقتصر على توظيف الأسلوب من أجل الأسلوب، والشكل من أجل الشكل؛ أما العامل الثاني فهو: التفاعل الاجتماعي بين مجالات البلاغة والإنتاج الأدبي، ويقوم هذا التفاعل على مبدأ التأثير المتبادل بين السبب والأثر، اللذان يتفاعلان إلى درجة يتعذر معها تمييز السابق من اللاحق؛ لي طرح السؤال هل البلاغة أوجدت الأدب أم الأدب أوجد البلاغة؟⁽²⁾

إن ما حدث، أنه في الوقت الذي يقدم أحدهما على دفع الآخر نحو التمايز والنضوج أكثر فأكثر، يقوم الآخر بردة فعل إيجابية من جنس الأولى، فاختزال البلاغة على الوجوه الأسلوبية والشعرية والمجازية منح الأفضلية للظاهرة الأدبية، ولبروز إنتاج أدبي يهمل الإقناع، ولا يكثرث بالوظيفة التداولية والاجتماعية، وبالمقابل يعمل هذا النوع من الأدب على إهمال البعد الإقناعي للبلاغة، فيكون الأدب منبثقا من البلاغة، والبلاغة الأدبية منبثقة من الأدب و هكذا دواليك⁽³⁾.

2-1 بلاغة الإقناع (البلاغة الحجاجية):

ويقوم هذا التوجه في دراسة الخطاب وتحليله، كما في بناءه وإنتاجه، على البعد الوظيفي، والأثر العملي الفعال، بما يستدعيانه من ارتكاز على استثمار المقام التواصلية بغية حمل المخاطب على تغيير الاعتقاد، وتعديل الرؤية، ومن ثمة إنجاز الفعل القائم على تشكل القناعة الفكرية والإقناع الذهني⁽⁴⁾، الحاصل

(1) . ينظر: آلان لومبرور، "اختزالات البلاغتين الجديتين"، م.س، ص 84.

(2) . ينظر: المرجع نفسه، ص 84.

(3) . ينظر: المرجع نفسه، ص (85-87).

(4) . هناك تمييز كلاسيكي يعارض بين وسائل الإقناع conviction، وبين وسائل الإقناع persuasion فالأولى عقلية والثانية لا عقلية، عقلية، تتوجه الأولى إلى الفهم، وتتوجه الثانية إلى الإرادة والنسبة إلى من يهتم خاصة بالنتيجة، فإن الإقناع هو أكثر من الإقناع، الإقناع لا يضيف إلى الإقناع القوة الضرورية التي تقود وحدها إلى الفعل، Perlman, ch. Rhétorique, p.66. نقلا: عن مجّد الولي اختزال البلاغين، ص 49.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الحاصل من جملة التفاعلات بين أنواع الحجج الثلاثة الرئيسة. أخلاق المتكلم (الإيتوس)، وأهواء السامع (الباتوس)، وحجج الخطاب (اللوجوس)؛ وهذا التفاعل الموجه نحو التكامل، يمرّ حتماً عبر تلك المراحل التي سطرّتها البلاغة القديمة وهي الإيجاد (الأخلاق والأهواء والحجج)، والترتيب (بناء الخطاب وترتيبه)، والأسلوب (الصور والوجوه الأسلوبية)⁽¹⁾.

وعلى هذا تكون بلاغة الإقناع، البلاغة التي تبعث بالعناصر الأدبية والأسلوبية إلى الأطراف، وتُحلّ العناصر الإقناعية في قلب الخطاب وصميمه. بناءً وتحليلاً؛ فيغدو الإقناع هدفاً والإمتاع خادماً فهذه البلاغة: "معنية بالإجابة عن السؤال الآتي كيف يحصل الإقناع في مقام معين؟ وما هي وسائله الخطابية المستخدمة؟"⁽²⁾.

وفي هذا السياق " تعني كلمة "بلاغة" كل كلام يضطلع بمهمة الإقناع لا الإمتاع وحسب، وتسخرّ لأجل هذه الغاية كل الإمكانيات الفكرية والعاطفية واللغوية لأجل بلوغ هذا المرمى، وواضح أن الأداة اللغوية لا تصبح غاية في ذاتها على غرار ما لاحظناه في البلاغة بمعناها الأول. إنما مجرد أداة لغوية تتعالى عليها وهي غاية الإقناع، والكلام الذي يحقق هذه الغاية يسمى بليغاً، ولو لم يكن يعتني بجمالية العبارة؛ أي ولو لم يتقيد بالبلاغة بمعناها الأول"⁽³⁾.

وكأن أصحاب هذا التوجه عمدوا إلى البلاغة الموصوفة بالأدبية قاصدين إعادتها إلى أصلها الإقناعي، حيث يكون النموذج الطبيعي للبلاغة هو الإقناع وشعارهم في ذلك أنه مهما أردنا أن نحيد عن أرسطو، فإنه لا يمكننا إلا أن نكرره⁽⁴⁾.

(1) . ينظر: مُجّد مشبال في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، م.س، ص (18-20).

(2) . المرجع نفسه، ص 19.

(3) . مُجّد الولي وعائشة جرير، م.س، ص 9.

(4) . مُجّد سالم ولد مُجّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت- لبنان، 2008، ص 103.

الفصل الثاني _ ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

إن هذا التكرار الأرسطي ليس مجرد عودة عقيمة إلى البلاغة القديمة، بقدر ما هي محاولات جادة لتجديد هذه البلاغة، وبعثها من جمودها، عبر تحريك محورها الرئيس (الإقناع)، وإعادة صقل سننه وتحديد آلياته.

وهنا نجد أن ما يميز هذه البلاغة تمييزاً حاسماً، أنها ارتبطت بالحجاج ارتباطاً وثيقاً⁽¹⁾، ارتباطاً يشي بتحويل لمفهوم الإقناع الأرسطي، ثم تركيزه، وتوجيهه نحو مفهوم الحجاج " الذي كان تابعا تبعية عضوية واستعملية لمجالات وأفعال تتطلبه، وتستدعيه أما بعض الأبحاث والكتابات الحديثة فقد جعلت منه موضوعاً خاصاً بها، وقد تفاعلت هذه الأبحاث والكتابات الحديثة مع اللغويات والمنطق والفلسفة... الخ، ففي منظور بعض هذه الكتابات نجد الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا. مهما كان ملتقى هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك"⁽²⁾.

ومن هنا يكون الإقناع هو مجال البحث الحجاجي؛ نظراً إلى كونه محدد المقام والمخاطب والإطار القولي، أما أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فهي الدفع للعمل⁽³⁾.

وبناء على قيمة البعد الحجاجي هذه فإن " البلاغيين المحدثين جعلوه عمدة دراساتهم بعد أن تبين لهم كونه محور الآلة البلاغية"⁽⁴⁾. متكئين في ذلك على محورية الإقناع ضمن الفعل الحجاجي، لذا كان من الضروري "لهذا الواقع الحجاجي الغني من نطاق معرفي يحتضنه، ويعالج قضاياها، ويحجب عن تساؤلاته، وهذا

(1) جميل الحمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ط1 - إفريقيا الشرق - الدار البيضاء المغرب 2014، ص 28.

(2) الحبيب أعراب، " الحجاج والاستدلال الحجاجي "، ص 32.

(3) محمد سالم ولد محمد الأمين الطلبة " مفهوم الحجاج عند بيرمان وتطوره في البلاغة المعاصرة "، عالم الفكر، العدد 1، الكويت، 1 يوليو 2004،

ص 67

(4) محمد سالم ولد محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة مبحث في البلاغة النقد المعاصر، م س، ص 103.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

بالتحديد ما سيشهدده النصف الثاني من القرن العشرين إذ بدأ الحديث عن ميلاد فرع علمي جديد سُمي تارة الخطابية/ البلاغة الجديدة، وتارة أخرى الحجاج⁽¹⁾.

إن هذا الفرع العلمي الموصوف بالجديد، سواء كان خطابة أو بلاغة أو غيرهما، سيعرف أكثر فأكثر بالبلاغة الجديدة هذه البلاغة التي ستنازعها في وصف "الجديدة" بلاغات أخرى⁽²⁾. لينتهي هذا النزاع إلى اعتبار " .. البلاغة التي جاء بها بيرلمان Pereleman وتيتكا Titecca هي هذه البلاغة الجديدة"⁽³⁾.

وحسب وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه، فإن هذه البلاغة جاءت لتعارض البلاغة الأدبية من جهة، وتبعث الحياة في البلاغة الأرسطية من جهة ثانية⁽⁴⁾. لتنشأ عنها نخضة في الدراسات البلاغية الحجاجية.

وحسب كريستيان بلانتان فإن هذه النهضة إنما هي امتداد لنزعة تجديد مبحث الحجاج، التي بدأها أ.ر. كورتيتوس E.R curtius في كتابه " الأدب الأوروبي والعصر الوسيط اللاتيني الصادر في ألمانيا سنة 1948 والمترجم إلى الفرنسية سنة 1956، حيث اهتم في كتابه هذا بأحد المفاهيم الأساسية للحجاج ممثلة في المواضيع المشتركة (Topic)⁽⁵⁾.

ورغم هذا سبق في طرق باب الحجاج ومباحثه إلا أن الأشهر والأظهر تاريخياً أن " نقطة البداية ... كانت من توقيع شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا. من خلال كنتاجهما الفذ (الوافي في الحجاج)⁽⁶⁾ الذي صدر سنة 1958... وقد تزامن هذا العمل كذلك مع صدور مؤلف آخر لا يقل عنه أهمية.... يتعلق الأمر

(1) . عبد الجليل العشراوي – الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، 2012، ص29.

(2) . وفي هذا الصدد يمكن مراجعة القضية تحت عنوان: " بلاغة جديدة ضد بلاغة جديدة" أوليفي رويبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبية،مراجعة حسن الباهي ط1، إفريقيا الشرق المغرب 2017، ص 116.

ومحمد الولي: " الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديدين"، البلاغة و تحليل الخطاب، العدد 10، شتاء 2017، ص37 وما يليها.

(3) . عبد الله صولة – البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، م.س، ج1، ص28.

(4) . ينظر: أوليفي رويبول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص 116.

(5) . كريستيان بلانتان ، الحجاج، م.س، ص 21.

(6) . وأكثر الترجمات تداولاً (مصنف في الحجاج).

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع.إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

بالمؤلف الشهير لستيفان تولين stefon Toutmin "استعمالات الحجة" الصادر كذلك سنة 1958"⁽¹⁾.

ويحسب لبرلمان فضلا عن سبقه هذا أن أهم أمر ميزه في نظريته الحجاجية؛ أنه أهتم بأساليب الحجاج والإقناع بصورة خاصة، ولم يغفل أو يقصي البعد التداولي للخطاب حين قدم تصورا لدور المقام في الخطابات والنصوص وما يرتبط به من علاقات تصل المقام بالمخاطبين والسامعين، وأنواع القيم ومراتب الكينونة والثقافة والحضارة وآفاق انتظار المعنيين. وحتى وإن ظل هذا الاهتمام بالجوانب التداولية ضئيلا. إلا أنه أسس لتداوليات الحجاج⁽²⁾

وهي التداوليات التي تستغل دراسات أعمال اللغة ل - ج - ل أوستن J.L.Austin (كيف نصنع الأشياء بالكلمات (1962) والترجمة الفرنسية 1970، ومن منظور ج-ر-سيرل (J.R Searl) (أعمال اللغة 1969) والترجمة الفرنسية 1972، كما تستثمر نظرية التحادث التي اقترحها ه-ب غراس (H.B Grice) (المنطق والمحادثة 1975) والترجمة الفرنسية 1979"⁽³⁾.

ولاحقا ستتلوها تداوليات ديكر و أنسكومبر (في مصنفهما الحجاج في اللغة. 1983 L'argumentation dans la langue)، التي تعتبر الأقوال لا تنفصل عن طابعها الحجاجي، وتداولية موشر الحوارية المرتكزة على الطبيعة الحجاجية للحوار⁽⁴⁾.

3-1 البلاغة بوصفها ملتقى الإمتاع والإقناع:

قبل أن تكون بلاغة أو خطابة، كانت اللغة بمفهومها الخام المكتنز بكل أشكال الطاقة الجديرة بإثبات وإبراز وجود الإنسان وتنشيطه، والتحكم في مواقفه و ميولاته؛ فاستعملها السفسطائيون للسيطرة

(1) .رشيد الرازي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي، م.س، ص221.

(2) . ينظر: مُجد سالم ولد مُجد الأمين الطلبة، "مفهوم الحجاج عند برلمان" الحجاج مفهومه ومجالاته، م.س، ص214.

(3) . كريستيان بلانتان ، الحجاج، م.س، ص24.

(4) . ينظر: عبد اللطيف عادل ، م.س، ص121.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع.إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

على هذا النشاط وتوجيهه، واستعملها الفلاسفة للكشف عمّا يحمي وجود الإنسان، ويرتقي به عبر آليات الفكر والتفكير السوي، والمتدرج في سلم الفضيلة والرقي، مما يعني أن: " اللغة طاقة خلاقة كائناتها ليس فيما نفكر فيه، ولكنه فيما نقول، وإذا كان "جيسبرسن" يرى أن جوهر اللغة يكمن في النشاط الإنساني، فإنه يمكننا القول أيضا أن جوهر النشاط الإنساني يكمن في الكيفية التي يتم الإنجاز اللغوي بها. ولقد لاحظ الدارسون أن اللغة ذات مستويات عدة، وتؤدي وظائف لا حصر لها، فعكفوا على دراستها أداة بها يكون إيصال الإنسان، وبها يكون حفظ بقائه. كما عكفوا على دراستها غاية لذاتها، فيها ينتقل الإنسان من كائنة الإنساني إلى كائنة الكلامي، ومن كائنة الشخص إلى كائنة النص"⁽¹⁾.

وأمام هذه الخطورة الفائقة للغة أداة وأثر، وبين تحريك الوجود وحمايته، جاء أرسطو بفكرة، مفادها ضرورة إيجاد علم أو فن يضبط استعمال اللغة، بما يكفل لوجود الإنسان النشاط الإيجابي النافع، أي أن يجمع له الحماية والرقي، مضموما إلى التفاعل والحركة؛ وهي الغاية التي لا تعوزها إمكانية التحقيق، من أجل؛ " حصر الاستعمالات المشروعة للكلمة القوية، ورسم خط يفصل بين الاستعمال وسوء الاستعمال"⁽²⁾.

وهو الأمر الذي تجسد عبر العملين التاريخيين لأرسطو "فن الخطابة" و"فن الشعر"؛ لكن أرسطو وهو يخطط هذه الخطوة التقنية المنهجية في تقسيم الخطاب إلى خطابة وشعر، لم يكن يدري أنه سيُحتمل جناية الفصل بين المقنع والممتع؛ و التخيلي والتداولي؛ و الشعري والخطابي. فأرسطو حسب منتقديه هو " أول من شطر علم الخطاب الإنشائي"⁽³⁾ إلى شعرية وخطابية (أو بوتيك، و ريطوريك)⁽⁴⁾؛ لذا فهو "لا يستحق أن يكون المهيد الأول للبلاغة اليونانية، بل هو الذي شطرها بعد أن كان فن القول واحدا مشاعا بين الفلاسفة والخطباء والشعراء"⁽⁵⁾.

(1). منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 2002، ص54.

(2). بول ريكور، الاستعارة الحية، م.س، ص (50-51).

(3). ولعل الأصوب علم إنشاء الخطاب، أو علم صناعة الخطاب باعتبار البلاغة (Rhétorique) هي فن بناء الخطاب، وفن تحليله على حد سواء.

(4). مُجدّ العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، م.س، ص 14.

(5). المرجع نفسه، ص 19.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

وهكذا ستصير هذه "الخطيئة الأرسطية" مسوغا ومشجبا لكل من قصر (البلاغة) علم صناعة الخطاب على أحد شقيه، الممتع دون المقنع، أو العكس⁽¹⁾. كما مر فيما سبق.

ولعل من الإنصاف أن يقال إن أرسطو لم يفصل فصلا حاسما بين الشعرية والخطابية، بل كان فصله تمييزيا، ميز عناصر الشعرية عن عناصر الخطابة والعكس، مما يعني بقاء عناصر أخرى تحتل وجودها معا.

وهو ما اصطلح عليه (أو ما عرف) بمنطقة التقاطع (Rigion) بينهما: أو بالأحرى منطقة إلتقاء، وعند هذا التلاقي، ومن منطلق ذلك التقاطع وُجد التيار الذي يدعو إلى بلاغة عامة⁽²⁾. تكون علما للشعرية والخطابية معا.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذا الالتقاء أو التقاطع موجود بالقوة، فضلا عن أن يكون موجوداً بالفعل، خاصة حينما نجد أحد أبرز المنتصرين للفصل وهو "بول ريكور" يعاني من أجل أن يجد تحريجا ما، يحسم به في أمر الاستعارة، التي استعصت على عملية الفصل تلك، لتبقى نقطة (نواة) مشتركة بين الشعرية والخطابية، لا يفرق بين وجودها في كليهما إلا الوظيفة.

يقول بول ريكور في ذلك " تعكس ثنائية الخطابة والشعرية ثنائية في استعمال الخطاب كما تعكس ثنائية مقامي الخطاب، في البدء كانت الخطابة، كما قلنا، صناعة الفصاحة، إن قصدها هو نفسه قصد الفصاحة، أي إحداث الإقناع. إلا أن هذه الوظيفة، ومهما اتسع مداها، لا تشمل كل استعمالات الخطاب. ليست الشعرية -باعتبارها فن تأليف القصائد، التراجيدية خاصة-، تابعة من حيث وظيفتها ومن حيث مقام الخطاب، للخطابة أي فن الدفاع والتشاور والاتهام والثناء. الشعر ليس فصاحة، إنه لا يقصد إلى الإقناع، وإنما يحدث التطهير من انفعالي الرعب والشفقة. الشعر والخطابة يرسمان عالمين من الخطاب متميزين. والحال أن للاستعارة قدما في كل واحد من المجالين. إنها باعتبار بنيتها، تقوم على عملية وحيدة هي

(1) . ينظر: مُجد مشبال، البلاغة والأدب: من صور اللغة إلى صور الخطاب، ط1، دار العين للنشر، القاهرة-مصر، 2010، ص(20،15).

(2) . بلاغة عامة أو كلية أو نسقية أو نصية، مباينة تماما لمفهوم البلاغة العامة التي تنادت بها البلاغات الأوروبية في العصور الوسيطة (Mu).
جينيت و.... وغيرهما)

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع.إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

نقل معنى الكلمات؛ وباعتبار وظيفتها، فإنها تتبع مسارين مختلفين هما الفصاحة والتراجيديا، هناك إذن بنية واحدة للاستعارة إلا أن هناك وظيفتين، وظيفة خطابية ووظيفة شعرية⁽¹⁾.

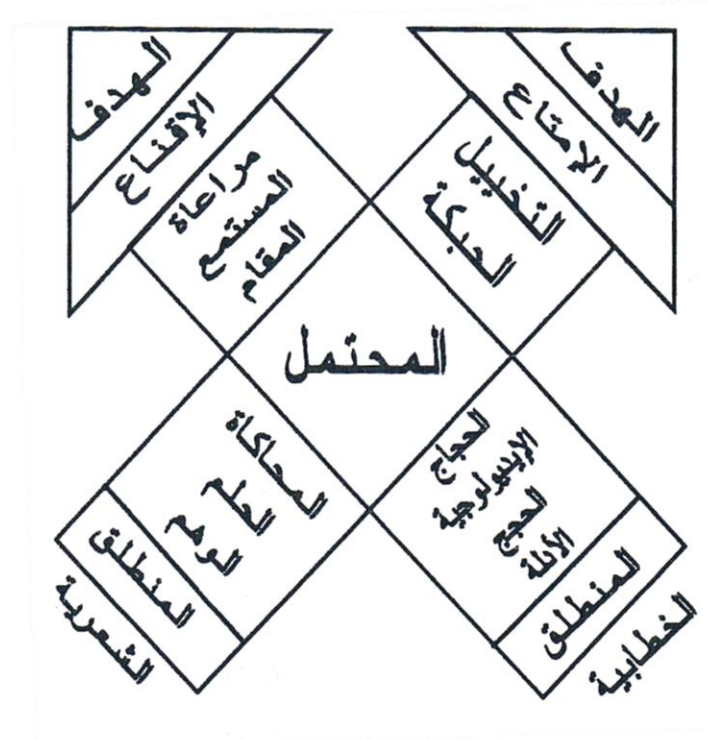
ومع هذا الجهد المبذول لجعل الاستعارة ذات وجهين خطابي وشعري وتقوم بوظيفتين شعرية وخطابية، إلا أن هاجس الاتصال يبقى مهيمنا على فرضية الانفصال، وهو ما دفع بول ريكور للاعتراف بصعوبة هذا الفصل بل ويقرر وجود تقاطع غير يسير بين الشعرية والخطابية ففي مقاله: "الخطابة والشعرية والتأويلية، يقول: "إذا لم نقتصر على معيار الوزن والقافية في التفريق بين الخطابة والشعرية، فسيغدوا التمييز بينهما عسيرا، فلفظ "بوزيس" الدال على الشعر في الإغريقية يعني عند أرسطو إنتاج الخطاب وصناعته، لكن أليست الخطابة هي أيضا فن تأليف الخطابات، أي شعرا "بوزيس"... فما من شك أن الشعرية والخطابة يتقاطعان في منطقة الاحتمال، ولكنهما ما تقاطعا إلا لاختلاف منطلقهما ومقاصدهما⁽²⁾.

إن هذا الإقرار بالتقاطع يُعد ذا قيمة وإن ظل مبطنًا بالتنازع بين الخطابة والشعرية، يكشف عن ذلك صيغة الاستدراك في قول ريكور، "ولكنهما ما تقاطعا إلا لاختلاف منطلقهما ومقاصدهما". وبناء على وجود اختلاف في المنطلق تصور ريكور أن المنطلقين متباينان، ومتعاكسان، ومتباعدان؛ وتبعه في ذلك عبد العالي قادا من خلال ترسيمته التي اقترحها لتوضيح تقاطع الشعرية والخطابية عند بول ريكور كما يلي⁽³⁾:

(1) . بول ريكور : الاستعارة الحية، م س، ص 52-53.

(2) . بول ريكور " الخطابة الشعرية التأويلية"، ترجمة ياسين ساوير، م.س، ص 208.

(3) . عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، م.س، ص 31.



لكن هذه الصورة للتقاطع التي تقتضي الاختلاف، ما هي إلا أحد الصّور الرياضية للتقاطع، ذات الصيغة الهندسية، والخاصة فقط بالتقاطع بين المستقيمتين، أو شبيهها من الأشكال ذات الطبيعة الخطية، أما إذا بحثنا عن حقيقة التقاطع، فهي كامنة في التفكير المنطقي والجبري، حيث يتطابق التقاطع مع مفهوم الاشتراك بين المجموعات والمجالات. ولعله المفهوم الأقرب لتمثيل تقاطع الخطابة والشعرية؛ لاسيما وبول ريكور نفسه استعمل في مطلع مقاله كلمة "عناصر" ذات الدلالة على الفضاء والمجموعة، لا على التتابع والخطية، موظفا إياها للتعبير عن القضايا التي تدرسها كل من الشعرية والخطابية

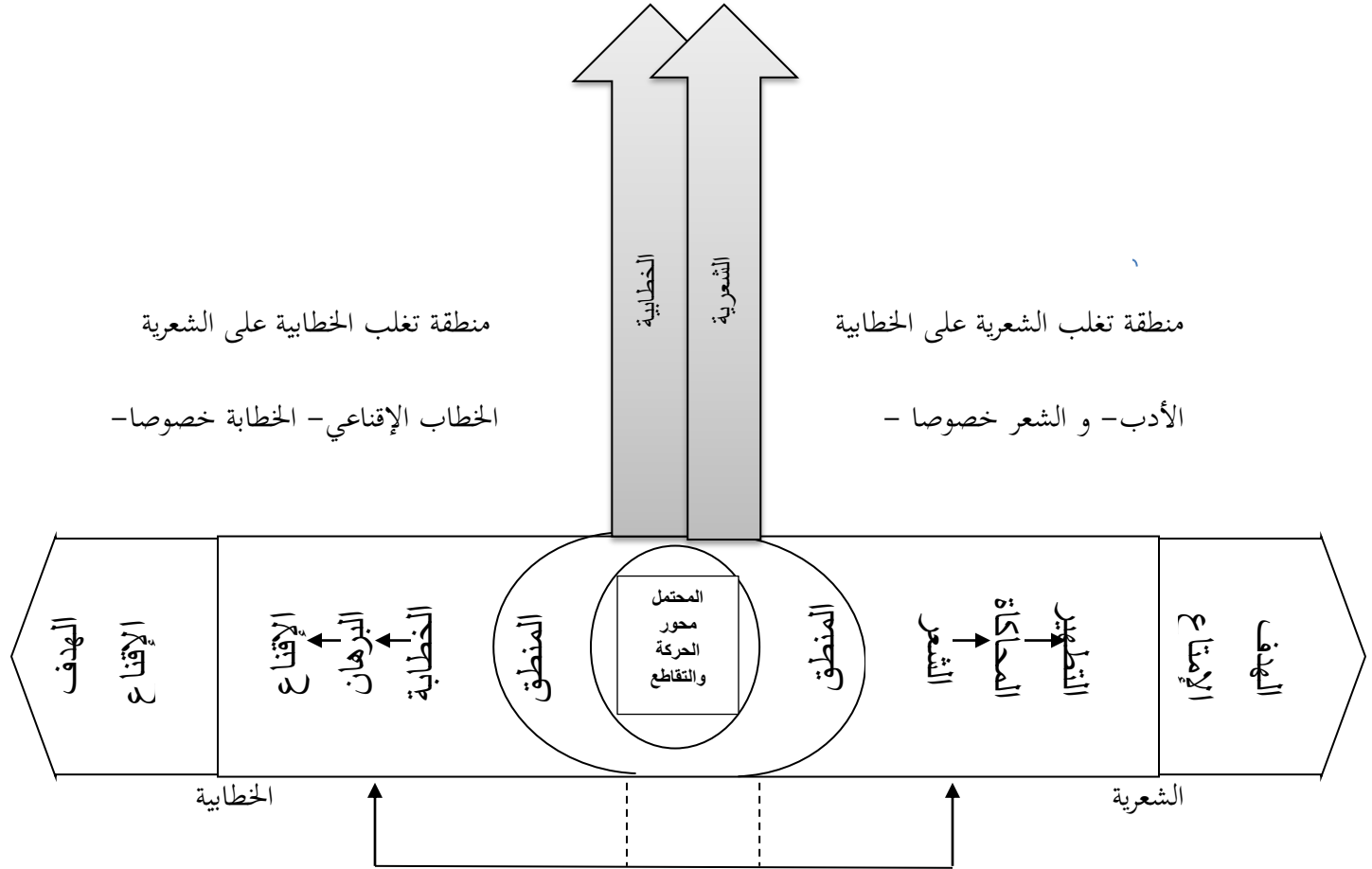
و بملاحظة الترسمة أعلاه، يمكن تسجيل تحفظا آخر على مفهوم التقاطع بين الخطابية والشعرية، والذي يدفع إلى هذا التحفظ إنما هو خانة المحتمل؛ فالمحتمل في الحقيقة يحتل من الثنائية موقع القاعدة والأصل، بوصفه يشكل الخلفية أو الأساس الذي يستند إليه منطلقات أطراف الثنائية نحو تحقيق الأهداف، أما أن يكون مقحما في موقع القلب ومنطقة التوسط، فهذا قد يبدو مربكا لآليات الخطابية والشعرية، فضلا أن يشكل جامعا لها؛ لذا نقترح أن يكون المفهوم الصحيح لهذا التقاطع ممثلا عبر الخطاطة التالية:

الفصل الثاني _ ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي



والتي يمكن تطويرها إلى النموذج المركب التالي: (1) (البلاغة بوصفها الجامع بين الشعرية والخطابية)

منطقة تكافؤ الشعرية والخطابية (الشعر الخطابي ، والخطابة الشعرية)



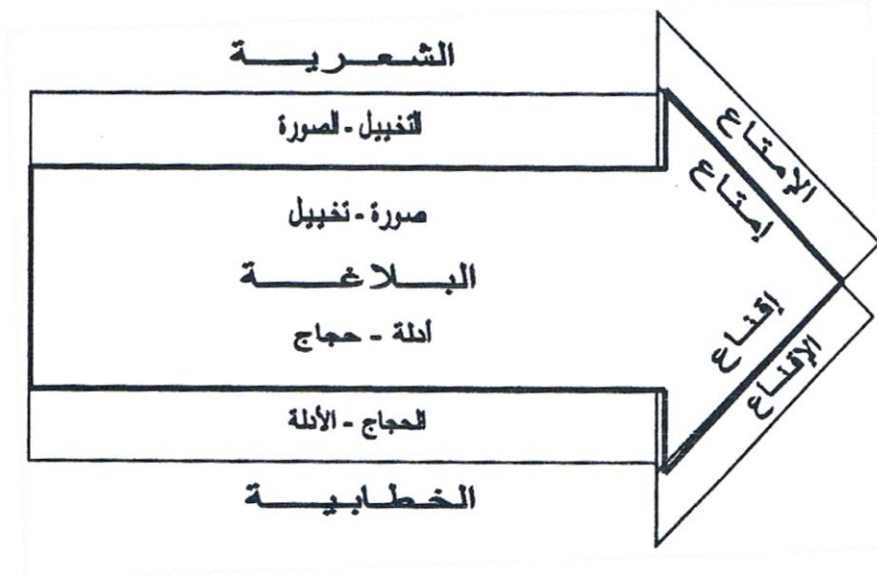
"فالثالوث: الشعر - المحاكاة - التطهير يصف بكيفية استثنائية عالم الشعر بدون التباس ممكن مع الثالوث: الخطابة - البرهان - الإقناع" (1)

(1). وأهم ما يميز هذه الخطاطة، ما يلي:

- 1- أن المحتمل يظل دائما واحدا غير متغير لا بالزيادة ولا بالنقصان عكس خطاطة (عبد العالي قادا) ، المترجمة لتصور ريكور.
- 2- تمنح منطقة المحتمل حرية الحركة للخطابية والشعرية كل في مجاله.
- 3- كما يمنح إمكانية تمثيل رأي القائلين بالاتحاد بين الشعرية والخطابية (تصور ريبول مثلا).
- 4- إمكانية توظيف نفس المخطط لتوضيح توجه القائلين بالمروحة بين المعاني الشعرية والخطابية.

الفصل الثاني _ ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

ومن الواجب التنبيه أن طرفا البلاغة الشعرية والخطابية، متلازمان غير مفترقان، لكن فقط تتغير نسبة عناصر كل منهما بحسب طبيعة الخطاب المدروس. ولعل أقرب نموذج لذلك تصور روبرول للبلاغة ، الذي يصوره قادا عبد العالي في الترسمة التالية: (2)



1-4 نقد القائلين بالفصل بين الشعرية والخطابية أو بين الإمتاع والإقناع:

وبعد هذا التخطيط التوضيحي، نعود للقول أن بول ريكور وهو يحاول ترجيح مبدأ الفصل معتمدا أسلوب الاستدراك الذي يراد به الإضراب، يكون قد استفز ردود المعارض، ومنهم مُجد العمري الذي ناقض بول ريكور فيما ذهب إليه في مقاله (الخطابة، الشعرية، التأولية).

(1). بول ريكور : الاستعارة الحية، م.س، ص53.

(2). عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، م.س، ص33.

ولعل أهم ما انتقده عليه دحضا لفكرة الفصل: أن " الصفاء الحجاجي أو التخيلي قطبان افتراضيان، ربما أمكن رصدتهما في المهد والنواة، وفي الممارسات القطبية الطبيعية أو التجريبية، ولكنهما لا يغطيان مساحة تضاهي مساحة التداخل" (1).

من الواضح أن هذا الرد يقوم على نظرة معرفية أنطولوجية، تسلط الضوء على لحظات نشوء النواة الأولى لدراسة الخطاب (بناء وتحليلا)، حيث كانت تبدو نازعة إلى القضاء بأن الخطاب خطابان: شعري تخيلي؛ لا يبني ولا يحلل إلا وفق مبادئ الشعرية، وحجاجي تداولي؛ لا يبني ولا يحلل إلا وفق مبادئ النظرية الحجاجية الخطابية، وهو رد موجه إلى ريكور ولا يسلم من شظاياها أرسطو، لأن فكرة الفصل مهما بدت وجيهة، فهي لا تعدو أن تكون تصورا افتراضيا، منهجيا، يعطي الباحث سيطرة أكبر، وتحديد أدق، لفصّي التفكير الإبداعي (الإنشائي): الخطابية والشعرية، بوصفهما محركا الآلة الإبداعية اللغوية، المولدة والمنتجة للخطابات كافة. و الحاصل أن هذا الفصل النظري لا يعني أبدا وجوده فعلا و واقعا بصفة خالصة من أي صلة تُبقي روابط الوصل.

والواقع، أنّ أرسطو وهو يشطر البلاغة (علم الخطاب) إلى شعرية وخطابية، عاد مباشرة إلى الخطابة ليقيمها على خطابية الإقناع، وشعرية الأسلوب، فقد " كان أرسطو رافضا مبدأ الفصل بين العقل بما هو فكر ولغة، وبين العواطف والأهواء بما هي نوازع وحاجات" (2).

لذا كان الأسلوب في كلامه عاما شاملا للشعر والفنون جميعا، وحتى وإن كان الأسلوب في هذا السياق متصل بالخطابة التي غايتها الإقناع، فهو مجند فيها لتحقيق هذه الغاية. إما بالمحاكاة الفنية بما تعنيه من تخيل وما توفره من متعة، وإما بالإقناع المباشر الذي تنتجه الوسائل الخطابية الخالصة، فكما أن القوة

(1). محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، م س، ص 21.

(2). علي الشبعان، الحجاج في الخطاب، الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي الحجاج في الخطاب، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، م.س، ج 2، ص 247.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

العقلية لا تستقل بممارسة وظيفتها بدون عون الخيال، فكذلك الحلى اللفظية في الأسلوب مهمتها دعم الحجاج العقلي لتحقيق الإقناع⁽¹⁾.

والأكثر من هذا أن التآلف والتعاقد بين التخيل (الشعرية) والحجاج (الخطابية) بالنسبة لأرسطو كامن بالأصل في الأداة الصانعة لكليهما، وتلك ليست إلا اللغة التي يعتبرها " أداة للإقناع أيضا والإقناع الأدبي بشكل خاص [لدرجة أن صارت] تطغى آراؤه هذه على رسائله في الخطابة وعلى كتابه في الشعر"⁽²⁾.

وبناء على ما سبق، يمكن القول أن أرسطو إن فصل فقد وصل، وإن قطع فقد جمع؛ مؤسسا " للتقليد الغربي الضارب في القدم، الذي يجعل الشعرية والبلاغة والأدب والفصاحة تمثل جميعا وحدة لا غبار عليها"⁽³⁾. وهذا ما يجعل المجال رحبا للقول: إنها جهود مشروعة ومبررة" تلك الجهود التي يبذلها بلاغيون محدثون كبار، لبيان مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة نسقية، تجمع في ضفيرة واحدة بين قضيتي التصديق " الإقناع"، والتخيل " الإمتاع "⁽⁴⁾.

وليس غريبا حينها، أن تتنبه جل الدراسات البلاغية الحديثة إلى ضرورة الكف عن شطر البلاغة؛ سعيا إلى "بناء مفهوم البلاغة العامة مفهوما نسقيا يستوعب المفهومين السائدين: المفهوم الذي ينبني على اعتمادا الإقناع على الخطابية، والمفهوم الأدبي الذي يبحث في صور الأسلوب، مستثمرا مفاهيم من قبيل

(1) . ينظر: مُجد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث، ط6، نَهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص(113-114).

(2) . جون إي جوزيف وآخرون- أعلام الفكر اللغوي- التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير- تعريب أحمد شاكر الكلابي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2004، ص60.

(3) . هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة مُجد العمري، ط1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 1999، ص21.

(4) . مصطفى الغرائي، البلاغة بوصفها تفكير- مجلة الخطاب، العدد14، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو-الجزائر، جوان 2013، ص268.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع.إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الشعرية والأسلوبية، ويقوم هذا المفهوم النسقي على مبدأ توسيع منطقة التقاطع بين الشعرية والخطابية، فتبنى بذلك بلاغة جديدة ... ينصهر فيها الشعري والتداولي الخطابي"⁽¹⁾.

5-1 البلاغة العامة من خلال مقولات بلاغي الغرب:

إن التوجه نحو الربط بين الشعرية بأبعادها الإمتاعية، والخطابية بأبعادها الإقناعية، كان محل اهتمام بلاغيين كبار، أسهم كلٌّ بجهوده في بناء البلاغة؛ ولعل أبرزهم "أوليفي ريبول O.Reboul" في كتابه "مدخل إلى الخطابة" "Introduction à la rhétorique" ومن خلال مقاله "الصورة والحجة" "La figure et l' argument". وهنريش بليث في كتابه البلاغة والأسلوبية؛ وكبيدي فاركا في كتابه "البلاغة والأدب" "Rhétorique et littérature" ...⁽²⁾

أما "هنريش بليث" فيعد صاحب آخر محاولة للخروج من الثنائية الضدية للبلاغة⁽³⁾ الإقناع في مقابل الإمتاع، أو بالعبارة المتداولة الخطابية في مقابل الشعرية. ففي مقاله المطول "البلاغة والأسلوبية" "Rhétorique et stylistique" حاول بليث أن يعرض البلاغة بوصفها علما أعلى، أو علما كليا؛ منطلقه منطقة التقاطع بين قطبي التخيل والحجاج، وهدفه ردم الصدع بين ما هو شعري، وما هو خطابي، ولأم الشقوق المرتدة عن هذا الصدع في أرض البلاغة؛ لتسترجع من جديد وصف "الإمبراطورية" المنسجم مع تصور بلاغة عامة.

هذا التصور "يتضمن أمرين: أولهما ضرورة وجود علم عام للنص. يكون صالحا، لا لدراسة النصوص الأدبية وحدها بل لدراسة غيرها من النصوص على اختلافها؛ وثانيهما: الفكرة المتضمنة في أن كل نص هو بشكل ما "بلاغة" أي أنه يمتلك وظيفة تأثير"⁽⁴⁾.

(1) . ينظر: عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع م.س، ص 29.

(2) . ينظر: إدريس جبري: سؤال البلاغة في المشروع العلمي مُجد العمري نحو بلاغة عامة. ضمن البلاغة والخطاب، م.س، ص 266.

(3) . ينظر: مُجد العمري، البلاغة الجديد بين التخيل والتداول، م.س، ص 77. ومصطفى الغرافي، البلاغة بوصفها تفكير، م.س، ص 29.

(4) . هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، م.س، ص 24.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

أما "كبيدي فاركا" فإنه ينفى أولا الانسلاخ عن البلاغة بمعنى التخلي والترك لها، المنتجان للإقضاء. بل ينظر إلى غياب البلاغة في فترات الهيمنة الأدبية عليها، بأنه مجرد إخفاء حاذق، بما يحتويه هذا التعبير من تكلف واصطناع التجاهل تجاه أصول البلاغة الإقناعية، وتجنب ذكي لمغبة المغامرة بإيقاظ روحها الإقناعية؛ فيقول: "والحق أن تاريخ الأدب (أو التخيل)... ينبغي أن ننظر إليه باعتباره الإخفاء الحاذق إلى حد ما للبلاغة وليس الانسلاخ المتدرج عنها"⁽¹⁾.

وفي سياق التأكيد على الوصل بين التخيل والإقناع يقول: "فإن ذلك راجع إلى أن البلاغة تهتم بالخطاب الفعّال الذي لا يسعى إلى الالتصاق بما هو كائن، بل بتشكيل ما يتغير: أي الآراء و السلوكات، وفي الوقت نفسه نجدها أي البلاغة، وهذا ما يصدّم الوضعيين المعاصرين أحيانا تحمل التعريفين المتناقضين التاليين: البلاغة " فن تجويد القول، والبلاغة" فن الإقناع"⁽²⁾.

أما "أوليفي روبول"، فيرفض الفصل بين التوجه الأدبي والتوجه الحجاجي للبلاغة، ويرى أنه ينبغي عليها (البلاغة) أن تألّف وتركّب بين الحجاج والأسلوب لأداء وظيفة واحدة⁽³⁾. ففي كتابه مدخل إلى الخطابة عبارات عديدة من شأنها أن تثبت ذلك أهمّها قوله: "تم التأكيد على أن البلاغة هي التوحيد الحميمي بين الأسلوب والحجاج"⁽⁴⁾. ويؤكد في موضع آخر على هذه الوحدة فيقول: "وللوصول إلى ذلك يجب رفض الاختيار القاتل بين بلاغة حجاجية وبلاغة أسلوبية، ليست تستقيم الواحدة منهما دون

. A.kibédi Varga, Discours,Récit,Image, ed. Pierre Margada. Bruxelles. 1989.

⁽¹⁾Liege.p.58.

نقلا عن مُجدّ مشبال، البلاغة والأدب، م.س، ص30.

⁽²⁾. كبيدي فاركا: "البلاغة وإنتاج النص"، ترجمة: مُجدّ الولي، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 10، المغرب، شتاء 2017، ص18.

⁽³⁾. ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتية، تاريخ نظريات الحجاج، م س، ص 106.

⁽⁴⁾. أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص 226 .

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الأخرى" (1). أي أن الإمتاع والحجاج وظيفتان متلازمتان؛ ... وهذا التلازم بين الحجاج والأسلوب هو الذي يشكل جوهر البلاغة في تصور روبول (2).

إنه الجوهر الذي استخلصه "روبول" عن طريق الدمج بين بعدي البلاغة؛ الحجاجي الإقناعي، والأسلوبي الإمتاعي، مكوّنا توجهها ثالثا يقول عنه: " سنتبنى نحن حالا ثالثا؛ لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة région التي يتقاطعان فيها بالتحديد. بعبارة أخرى، ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج" (3).

وتأكيدا لهذه القناعة، يعرض أوليفي روبول لبيان المقصود من وصف الخطاب بالبلاغي، ويطرح هذا السؤال: ما هو البلاغي؟ مجيبا عليه بنفسه: " البلاغي في أي خطاب، هو ما يجعله مقنعا، باتحاد الموضوع والشكل، أقصد بالمضمون المحتوى الإخباري، والبنية المنطقية للخطاب، وبالشكل كل ما ينبع من الوجدان (الإثارة والتهيج)" (4).

إذن فالتلازم بين الحجاج والأسلوب، أو بين التخيل والتداول أو بين الإقناع والإمتاع هو جوهر ومكمن البلاغة، ومربط ما هو بلاغي وهو المبدأ الذي حضر في التراث البلاغي العربي بصور مختلفة عند ابن جني، وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي وحازم القرطاجني، إذ البلاغة العربية لم تكن تعرف الفصل بين الأسلوب والحجاج، بقدر ما كانت تنطلق من مبدأ التلازم بينهما (5). وفي ما يأتي مقولات لعدد من بلاغيي العرب حول تلازم الممتع والمقنع، وتكاملهما في البلاغة العربية.

(1). أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص 98.

(2). ينظر: مُجد مشبال، البلاغة والأدب، م.س، ص 22.

(3). Olivier Reboul, La rhétorique, ص 22، م.س، ص 22.

(4). أوليفي روبول، "هل يمكن أن يكون حجاج غير بلاغي"، ترجمة: مُجد العمري، ملحق بـ: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، م.س، ص 218.

(5). ينظر: مُجد مشبال: البلاغة والأدب، م.س، ص 22، 28.

1-6 الإمتاع والإقناع في البلاغة العربية:

إن ما عانتها البلاغة الغربية من فصل وشرط، ومن اختزال وقصر؛ تجنبتة- إلى حد بعيد- البلاغة العربية التي "قامت على دمج المسلكين الخطابي والشعري"⁽¹⁾. وليس يشوش على ذلك بعض من وصفها بالشعرية، ولا الآخرون الذين نسبوها إلى الخطابية، ولا حتى القائلون بانحسارها في العبارة لأن؛ "التسليم «بانحسار» البلاغة العربية في العبارة قول لا يمكن قبوله لا شكلا ولا مضمونا، لأنه يجعل من الفكر الغربي المرجع والقياس والنمط ويجعل من مقوماتنا الثقافية المادة الخام"⁽²⁾، وهو أمر لا يستقيم لأن؛ ما أصاب البلاغة الغربية ليس بلأزم أن يصيب البلاغة العربية.

ولو سلّمنا جدلا بوجود انحسار فقد يكون «انحساراً في البعد الإقناعي»، لكن "قولنا بانحسار الوظيفة الإقناعية للبلاغة العربية لا يعني اختفاءها من الدرس البلاغي العربي، وإنما القصد هو تواربها وجعل وظيفة الإمتاع مركز هذا الدرس وخصيسته، وإلا فالبلاغة العربية اهتمت بالبعد التداولي في مفهومها للخطاب، واعتنت بمناسبة المقال للمقام، واستحضرت المخاطب في تحديدها للنص البليغ،..."⁽³⁾؛ إن وجود البعدين التداولي الإقناعي، والتخييلي الإمتاعي ضمن التفكير البلاغي العربي، أنشأ حالة تجاذب بينهما.

ولاحقا أمكن الباحثين القول: "... إن البلاغة العربية ظل يتجاذبها جانبان أساسيان هما جانب التواصل والإبلاغ، وجانب الفن والجمال؛ الدلالة والإبلاغ بما يعنيه من دقة ومباشرة ووضوح وإقناع، والفن والجمال بما يفرضانه من غموض وتخييل وإمتاع"⁽⁴⁾، وتبعاً لما يحدثه التجاذب من غلبة لأحد الطرفين، نشأ قولان:

(1) ، "أ تكون البلاغة في الجوهر حجاجاً"، ضمن: من تجليات الخطاب البلاغي، ص 86.

(2) . بنور عبد الرزاق، جدل حول الخطابة والحجاج، دط، الدار العربية للكتاب، 2008، ص 29.

(3) . قادا عبد العالي، بلاغة الإقناع: دراسة نظرية وتطبيقية، م س، ص 40.

(4) . مسعود بودوخة ، البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2018، ص 14.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الأول، يرى أن البلاغة العربية شعرية ذلك " أن البلاغة ظهرت تباشيرها في أحضان الشعر والشعر وقعه من إيقاعه وفضله من هيئة القول فيه. ولم يكن يفوق شاعر على شاعر إلا بما يقع له من نوح في تصوير المعاني، وإخراجها رائقة عذبة تسر الناظر وتخلب لب المستمع"⁽¹⁾؛

والثاني يرى أنها خطابية فقد " كانت الخطابة سمة طاغية على النص الذي دارت حوله البلاغة العربية، فتارة كان هذا النص محض خطابة، وتارتين آخرين كان ذا منحى خطابي. وطبيعي أن يكون لهذا صدى واسع وعميق في الدرس البلاغي،..."⁽²⁾.

ومع هذا لم يحدث أن شطرت البلاغة العربية بل صار "للبلابة العربية... مهدان كبيران: أنتجا مسارين كبيرين: مسار البديع يغذيه الشعر، ومسار البيان يغذيه الخطابة، ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة في التراث العربي، فقد ظل المساران متداخلين، وملتبسين رغم الجهور الكبيرة النيرة التي ساهم بها الفلاسقة، وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته⁽³⁾. فكان أن وُسمت البلاغة العربية بأنها بلاغة عامة، أو علم كلي للخطاب.

هاته الكلية عكسها تصوّران للبلابة العربية؛ تصور السكاكي، وتصور حازم القرطجني⁽⁴⁾، بلاغة يتعاضد فيها الإمتاع والإقناع ولا يتعاضلان. والمتتبع لدلالة لفظة بلاغة وحدة معجمية ومفهوما مصطلحيا عند الجاحظ، وابن سنان الخفاجي والجرجاني وغيرهم يجد أنها أكثر دلالة على معنى عام يتقاطع فيه الشعري والخطابي والتخييلي والتداولي⁽⁵⁾. وهو وجه البلاغة الذي يتأكد في النص الخطابي العربي.

(1) حمادي صمود، "مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح (الحجاج)، م.س، ص 19.

(2) عبد الحميد جميل، البلاغة والاتصال، د ط، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2000، ص 128.

(3) مجّد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ط 2، م س، ص 29.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص ن. و عبد الحميد جميل، البلاغة والاتصال، م.س، ص 168-169.

(5) ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نمو تصور نسقي البلاغة والخطاب، ط 1، دار كنوز المعرفة 2014، ص (31-34).

7-1 تعاضد الامتاع والإقناع:

يهدف الخطاب في كل الحالات إلى خلق أثر ما لدى المتلقي، سواء صغر أو كبير، أو خفي أو ظهر، وفي هذه الحالة يستوي الممتع والمقنع، من حيث يشكل كلاهما سببا لإحداث الأثر وصناعة التأثير في عالم المخاطب، "ولا يمكن فهم هذا التأثير بعيدا عن مقولتي الإمتاع والإقناع..."⁽¹⁾، المندمجتان في الأسلوب.

ويعد التأثير من هذه الزاوية "...فكرة... تستوعب مفهوم الإقناع باعتباره شحنة منطقية يحاول بها المخاطب حمل مخاطبه على التسليم الوضعي بمدلول رسالته. ثم إنها تشمل معنى الإمتاع، باعتباره سعيا حثيثا نحو جعل الكلم قناة تعبره المواصفات التعاطفية. فينطفئ عندئذ الجدول المنطقي العقلي في الخطاب، و تحل محله نثبات الارتياح الوجداني وتستقطب أخيرا فكرة الإثارة وبموجبها يكون الخطاب عامل استفزاز يحرك في المستقبل نوازع و ردود فعل ما كان لها أن تستنفر بمجرد مضمون الرسالة الدلالية، لولا اصطباغ الخطاب بألوان ريشة الأسلوب."⁽²⁾، التي لا ستنهج منهج المزج، والدمج بين العقلي والعاطفي، بصورة تكاد تكون تلقائية حينما توظف في المجال الخطابي.

ففي هذا المجال تغدو علاقة العقل بالأهواء، علاقة وطيدة متكاملة، بحيث يتم أحدهما الآخر، ليس فقط لإحداث الأثر بل، من أجل قيام الخطاب و وجوده،⁽³⁾ وحينئذ "... تزوج أساليب «الإقناع» بأساليب «الإمتاع»، فتكون، إذ ذاك، أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يَهْبُها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنه يراها رأي العين"⁽⁴⁾،

(1) . عبد الباسط عيد ، "مستويات الحجاج في النص الشعري:قراءة في دالية عمر بن أبي ربيعة"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت، مج 34 ، عدد135، 2016، ص184.

(2) .عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب ، دت، ص82،81.

(3) . ينظر:علي الشبعان، الحجاج في الخطاب، الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي الحجاج في الخطاب، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ اسماعيل علوي، ج5، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2010، ص247.

(4) . طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2000، ص38.

ولعل هذا التعاضد والتآزر بين الممتع والمقنع يظهر جليا على مستوى الخطابة، بماهي مخاطبة للعقول لتعتقد وتعمل، وللقلوب لتزكو و تشحذ الجوارح (أعضاء البدن) حتى لا تركز وتكسل، يقول مُجَدّ الولي: "يحدد البلاغيون وظائف ثلاثة لفن القول الخطابي وهي الإفادة والإمتاع والإثارة. وإذا كان البلاغيون يشددون على هذه الوظائف في تقديم الخطابة فالواقع أن هذه السمات لا تغادر ذهن الخطيب على امتداد كل مراحل نص الخطابة. ففي كل لحظة قد يجد الخطيب نفسه أمام مستمع خامل أو متعب أو منحاز إلى الخصم. وفي مثل هذه الأحوال يغدو الحضور الجمالي ضرورة ملحة لأجل القضاء على سلبية المستمع." (1)

و الأمر ذاته يقرره بول ريكور في قوله: "ويجب علينا أن نقول في الأخير كلمة عن الأسلوب والتعبير الذي مال المحدثون ميلا شديدا إلى رد الخطابة إليه. فلا نستطيع غض الطرف عنه لدوره في استمالة المخاطب. فالأساليب البلاغية... تمتد فن الإقناع بفن الإمتاع حتى عندما يستعان بها في الحجاج ولا تساق لمجرد الزخف والزينة" (2)، بل لدعم كفاءتي الخطاب التواصلية، والتداولية، من أجل العمل به وإنجاز ما تضمنه من أفعال.

و للكشف عن ذلك لا بد من عناصر يقوم عليها التحليل، ومن آليات توظّف لقراءة رسالة الخطاب قراءة تداولية، بخلفية بلاغية تجمع حدي الإمتاع والإقناع.

2- عناصر و آليات التحليل التداولي:

إن موقع الخطابة في التفكير البلاغي، ومن خلال علاقتها بالبلاغة، باعتبارها آلية تداولية تضمن الجمع بين الممتع والمقنع، يجعلها تتجاوب وتستجيب للتحليل التداولي، من زاويته الحجاجية البلاغية التي تسمح بالقول أن هناك "حجاجا يمكن نعته بالبلاغي، أي هناك صنف من الحجج يخضع في بنائه وترتيبه لقواعد البلاغة والبيان" (3)

(1) .مُجَدّ الولي ، "من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات"، مجلة الجابري العدد الثامن،

، http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n08_12wali.htm

(2) . بول ريكور " الخطابة الشعرية التأويلية"، م.س، ص206.

(3) . الحبيب أعراب، " الحجاج والاستدلال الحجاجي"، م.س، ص 46.

وأهم ما يميز هذا الحجاج تظهره السمات التالية⁽¹⁾:

- اندماجه عضويا بالخطابة في شكلها المكتوب والمنطوق.
 - اشتراطه لرغبتين هما إرادة المتكلم (المؤثر والمقنع) وإدارة المتلقي (المتأثر والمقنع).
 - خضوع حججه للتراتبية والتنظيم: القوة، الضعف، البدء، الختم، الإبطال، الإثبات... الخ.
 - اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعى أو الجمع بين البيان والبديع.
 - عدم قابليته للقولبة والصياغة المنطقية الشكلية والرمزية..
- ويمكن اختصار أهم أهداف الحجاج الخطابي والبلاغي في العناصر التالية:
- التأثير في المتلقي (السامع أو القارئ) وجعله يتقاسم مع المخاطب اعتقاده وإقناعه الخاص أو:
 - التأثير في المتلقي لجعله يقوم بالفعل الذي ويريده المخاطب.
 - استمالة وإغراء المتلقي باعتباره ذهن وعاطفة (عقلا وقلبا) لكسب تأييده وتوافقه الضمني أو الصريح.
- ولعل هذا النوع من الحجاج يتطلب عنصرا، تشكل فيما بينها شبكة تمكنها من استيعاب سمات الحجاج المذكورة، وتكفل لها القدرة على مقارنة النص الخطابي العربي، هذه العناصر يمكن تقسيمها إلى ثلاث ثنائيات، هي: (التأويل/المقام)، و(الحجاج/الحجة)، و(التخييل/الصورة).

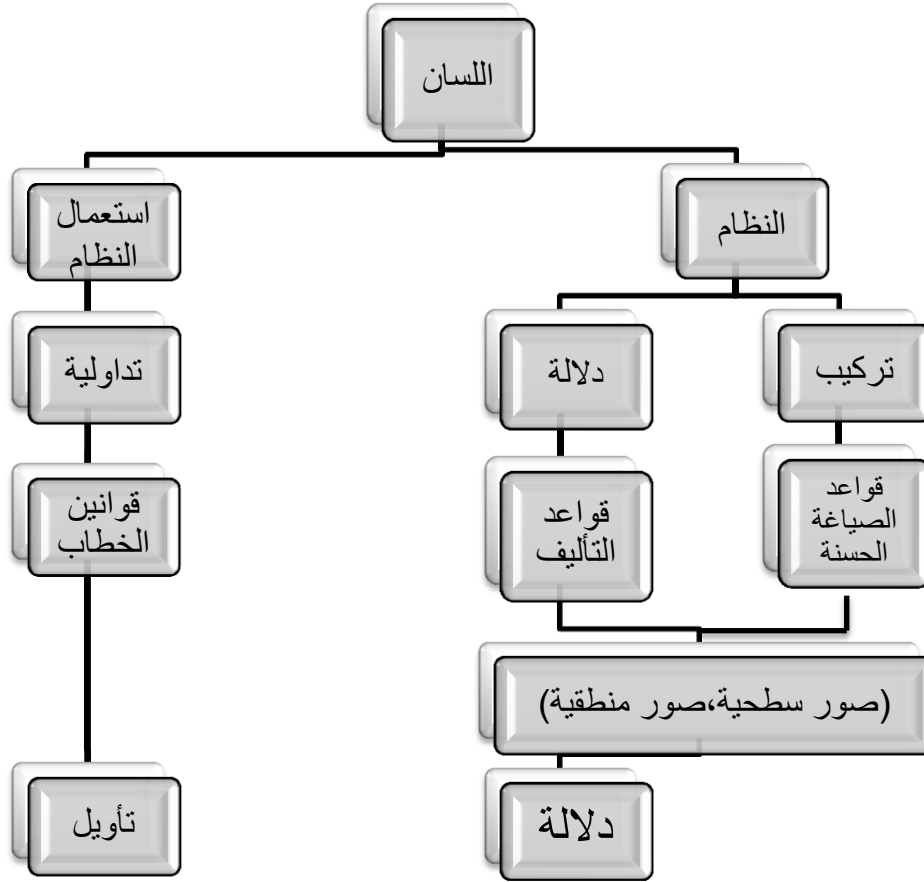
2-1-1 ثنائية (التأويل/المقام):

2-1-1-1 التأويل من الدلالة إلى التداولية:

تقع التداولية بوصفها طريقة استعمال اللغة، في مقابل الدلالة بوصفها محصلة اللغة في معزل عن مستعملها، أي أن " الاختلاف إذن بين التركيب والدلالة من جهة والتداولية من جهة أخرى إنما هو تقابل بين النظام (اللسان) واستعمال هذا النظام. وعموما يمكننا تمثيل موقع التداولية [ومنه التأويل] بالنسبة للسانيات بالرسم التالي"⁽²⁾.

(1). الحبيب أعراب، " الحجاج والاستدلال الحجاجي "، م.س، ص 46.

(2). ينظر: جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة و الباحثين من الجامعات التونسية، إشراف: عز الدين الجدوب، مراجعة خالد ميلاد، ج 1، ط 2، دار سناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص30.



هذا الرسم يبرز "مستويين : مستوى النظام ومستوى استعمال النظام، ويحدد النظام على أنه متكون من تركيب ودلالة، ويولد التركيب الصور السطحية التي تنتجها قواعد الصياغة الحسنة وتولد الدلالة صورة منطقية بواسطة قواعد التأليف. ويكوّن المجموع المتركب من صورة سطحية وصورة منطقية دلالة الجملة في (مقابل معنى القول)."⁽¹⁾ أي الدلالة في مقابل التداولية.

ومن هنا كان دور التحليل التداولي للخطاب متمثلاً في أنه يعطي تأويلاً مناسباً له، إذ أن "مهمة التداولية أن تقدم تأويلاً تاماً للجملة التي كانت موضوع إلقاء أي قول، وحين نتحدث عن التأويل فإننا نحيل

(1). ينظر: جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م.س، ص30.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

على العملية التي تسند إلى قول ما قيمة معينة، هي القيمة التي تم تبليغها⁽¹⁾. وفي إطار العمل التأويلي، يتداخل نوعان من التأويل، يشتركان في مواضع، ويفترقان في أخرى. هما التأويل الدلالي والتأويل التداولي،

وللتمييز بينهما يقدم ريكاناتي مقارنة لذلك، خلاصتها في النقاط التالية:⁽²⁾

1- لتأويل الدلالي هو الإجراء الذي يمكن المؤول من استثمار معرفة باللغة، ولتكن اللغة "ل" سعياً إلى أن نسند إلى أية جملة من جمل اللغة "ل" شروط الصدق فيها.

2- أما التأويل التداولي فإجراء مختلف تماماً. إذ إنه لا يهتم باللغة بحد ذاتها، بل يهتم بالفعل الإنساني، فعندما يتصرف شخص على نحو ما يوجد مسوغ دفعه إلى ذلك الفعل، ومن يقدم تأويلاً لذلك الفعل يبحث عن ذلك المسوغ، بمعنى أنه يسند إلى الفاعل قصداً خاصاً يسمح بخلع معنى معقول على ذلك الفعل.

3 - التأويل التداولي قابل لإلغاء defeasibility وأفضل تفسير نستطيع الإدلاء به لفعل ما يمكن إغاؤه في ضوء معطيات جديدة، بالرجوع إلى المعطيات البديهية المتوافرة، وكلما أضيفت معطيات جديدة وكافية لفهم سلوك المرء، أمكن تجاوز التفسير المتاح، ولو كان تفسيراً ممتازاً، ومن ثم، فإن أي معطى قد يسهم في تقديم تأويل مناسب للفعل، بمعنى أنه، لا يوجد حد نهائي لاستفادتنا من المعلومات السياقية التي نستطيع التأثير في التأويل التداولي.

4- يلتقي التأويل التداول والتأويل الدلالي، في انطلاق كلاهما ووظيفته للعلامة اللغوية، والأيقونات، والرموز في اللغة المشتركة، من أجل إعطاء قاعدة للتأويل، وأبرز ما يكون من إلتقاء التأويل التداولي والتأويل الدلالي، أن التأويل الدلالي للجملة قد يمثل جزءاً من المعطيات المستعملة بقصد إيجاد تحديد تداولي لمضمون الفعل الكلامي.

(1). ينظر: جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م.س، ص30.

(2). ينظر: فرونسوا ريكاناتي، المعنى الحرفي، ترجمة، أحمد كروم، مراجعة: عز العرب لحكيم بناني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، 2018، ص94، 95.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

وبالتالي فالتأويل التداولي عموماً أوسع وأشمل من التأويل الدلالي؛ لذلك فهو يعد الدلالة اللسانية أحد مركزاته، لكن لا يتوقف عندها، بل يتجاوزها إلى "الكفاية الموسوعية والثقافية اللتان بحما تجد المضامين رصيذاً وتأويلاً لدى المتلقي"⁽¹⁾، وبتعبير آخر فإن التأويل لا يكتمل بناؤه إلا عبر تشغيل المعطيات السياقية، أو المقامية. " فوصول المخاطب إلى مراد المتكلم من الكلام في مقام مخصوص قد لا يحصل بواسطة العبارة اللغوية وحدها، لأن بعض الخطابات تقوم على الإيحاء والتميز والمجاز وغير ذلك، يقتضي تلقيها تجاوز ظاهر العبارة أو منطوقها إلى باطنها أو مسكوتها، من خلال جهد ذهني يبذله المخاطب وفق ما توافر لديه من معطيات وحقائق مقاميتين"⁽²⁾،

ولذلك يتقرر في التحليل التداولي فحص دور المقام في عملية الفهم والتجاوب، وتحقيق الأثر عند المتلقي بصورة أخص.

2-1-2 المقام و السياق:

يذهب أبو بكر العزاوي إلى " أنه لن يكون هناك تواصل ولا فهم ولا إقناع ولا تأثير ولا تخاط

ولا كلام بليغ إلا بواسطة السياق (contexte) والمقام (situation) ودخل المقام كما تذهب إلى ذلك التداوليات... "⁽³⁾.

ولقد عني التفكير البلاغي العربي، بأهمية المقام والسياق، في إنشاء الخطاب وتحليله، من خلال مقولتي " لكل مقام مقال " و " مطابقة المقال لمقتضى الحال "؛ حيث تنصرف الأولى للحديث عن سياق الموقع أو الموقف، كما في الدراسات الغربية، وتنصرف الثانية، لتحديد علاقة الخطاب بالسياق؛ باعتبار المقال ناتج

(1) محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي: دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2010، ص30.

(2) عبد الله الكدالي، تداولية المقام: بحث في الشروط المقامية في التراث النقدي والبلاغي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2017، ص100.

(3) أبو بكر العزاوي، مقدمة كتاب: تداولية المقام: م.س، ص1.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

عن عملية ترجمة الواقع لغَةً، فهي فمبنية على وجود حال، أي سياق، هذا الحال متغير متحرك، مثل ما تدل عليه كلمة سياق من وجود مساوقة أي متابعة.

يقتضي ذلك وجود حركة متتالية للأحداث، تُنشأ حالا أو سياقاً، هو حاصل عدد من المقامات في لحظات زمنية محددة. "فليس السياق مجرد حالة لفظ، وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ [أي مقامات]، وفضلاً عن ذلك، لا تضل المواقف متماثلة في الزمان، وإنما تتغير. وعلى ذلك فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، وقد يكون اتجاه الأحداث هذا ... دالاً على حالة ابتدائية، وأحوال وسطى، وحالة نهائية"⁽¹⁾ فالحال (السياق) يتضمن مقتضى، المقتضى يدفع المتكلم للتعبير عن رؤيته للأحداث، مستعملاً اللغة، ومنتجاً خطاباً، ومن أجل كفاءة تامة لخطابه في نقل تصوّره، لا بد له من تشغيل مقولة "لكل مقام مقال"، مستصحبا إياها في كل لحظة من لحظات الخطاب.

وهو ما يجعل علاقة المقام بالسياق كما تطرق إليه فان دايك⁽²⁾، أقرب إلى علاقة رياضية شكلها كما

يلي:

$$\text{المقام في كل لحظة (ل) من الخطاب} = \sum_{\text{الافتتاح=0}^{\text{ختام=ل ن}} \text{السياق}$$

- حيث : 0 لحظة بداية الخطاب، و ل ن لحظة إتمام الخطاب.
- وحيث يوظف هذه العلاقة كل من المتكلم والمخاطب، أثناء تبادل الخطاب.

ولما كان المقام والسياق مرتبطان، فلا بد من الفصل بينهما أثناء التحليل، اعتماداً على أن التحليل عمل تزامني مع الخطاب، أو هو عملية تمس مقطعاً محدداً في وقت محدد خطابياً، ومن هنا سنختار مصطلح المقام، على تقدير أن المقامية أداة تحليلية. في حين أن السياقية يبدو أقرب إلى كونها منهجاً تحليلياً.

(1) فان دايك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر فنيبي، دط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2013، ص 329.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص(330-335).

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

ويتأكد الأمر أكثر حين تكون مدونة التحليل مكتوبة حيث تغيب ديناميكية السياق، ولا تظهر إلا قليلا، عبر بعض القرائن، التي لا تكفي لتتبع كل لحظات السياق. ذلك أن "تحليل المسار الحجاجي" أو البنية المنطقية أو "التسلسل الحجاجي" في خطاب أو نص ما، خاصة النص المكتوب... ليس إجراء يسيرا ولا في متنازل الجميع فعندما تتداخل الأبعاد التداولية واللسانية والبلاغية- الأسلوبية والسيموطيقية في منتوجات النسق اللفظي تتشابك أوضاع الحجج وتتعدد وظائفها وأماراتها"⁽¹⁾، وهو ما يجعل مصطلح المقام أنجع. لإمكانية تحديده والإحاطة به إلى حد ما، لأنه سكوني ستاتيكي، بخلاف السياق ذو السمة الديناميكية الحركية.

وحين يكون الأمر متعلقا بإقناعية الخطاب وإمتاعيته، فلا بد من تحديد دقيق للمقام، من خلال الكشف عن دوره في الحجاج. دعما، وكشفا، وتوجيها؛ وهو ما نجده عند بيرلمان في كتابه "traite de l'argumentation"، فقد "حظي المقام باهتمام كبير في التصور البرلماني باعتباره البؤرة التي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجية من مقدمات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيم بشتى أقسامها، وعلاقة هذه القيم بمراتب الكائنات والأشخاص المعنيين بخطاب ما. وذلك بوصف هذه العناصر المذكورة أسسا حجاجية لا بد من طرحها بصيغ مختلفة في "المقام" نظرا إلى أن المخاطبين يشتركون في الإقرار بأبرز معالمها،..."⁽²⁾،

وأهم ما تقوم عليه هذه الدراسة لدور المقام نوجزه في النقاط التالية:⁽³⁾

1- على المتكلم التركيز على معايير الأولوية فيما يتعلق بالعلاقة مع المقام والموضوع معا، يدخل في هذه المقدمات ما يرد ذكره من حقائق فعلية وأحداث معينة لا يشك المخاطبون في ثبوتيتها المرجعية، لكن ذكرها في الخطاب أو النص لا بد أن يكون له طابع حجاجي، ولن يكون كذلك إلا إذا أحدث ذكر تلك

(1). الحبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري"، م.س، 2010، ص47.

(2). محمد سالم ولد محمد الأمين الطلبة "مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، م.س، ص209.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص(210-213).

الفصل الثاني _ ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الحقائق صراعا جدليا مع أحداث أخرى كان المخاطب يتوقع ذكرها، لكن المتكلم رغب عنها، لأجل خلق إطار منطقي للحقائق التي اختارها، وذلك لكي تصير فعلا هي الملائمة للمقام.

2- فالمقام هو الذي يمنح الكلمة الملقاة والأخرى المكتوبة دورها ومكانتها بغض النظر عما تحملته من شحنات دلالية أو معنوية قبلية، من هنا كان لزاما على المبدعين مراعاة شروط المقام والاهتمام بها، مهما كان هذا المقام مألوفاً لديهم بصفة عامة، لأن الإفراط في ادعاء الألفة مع مقام معين قد "يصرف العديد من الخطباء والسامعين عما قد يكون فيها- المقامات- من أهمية بالغة وقيم حجائية كبيرة، على كل من يروم إقناع الآخرين أن يقتبس منها عماد برهنته"⁽¹⁾.

3- ويقدم برلمان تصورين أساسيين للمقام: فهو تارة يعتبره الإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية ولكل المشاركين فيها: وتارة ثانية يعتبره تلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم.

والمقام في هذا التصور الأخير تجريدي أساسه المجاز والتلميح، لذا يمكن اعتباره قيمة بلاغية شكلية ذات وظائف أسلوبية مساهمة في خلق الانسجام التام بين الشكل والمحتوى. ومع أن لكل من التصورين دوره الحجائي إلا أن برلمان يصر على ضرورة التحامهما، وعدم إمكانية دراسة أي منها بمعزل عن الآخر.

4- تتعدد المقامات بتعدد الظروف المنتجة لقول معين، فالباحث وإن حدد معينين أساسيين للمقام إلا أنهما يفتزلان داخلهما مقامات وأماكن متعددة يصلح كل منها دعامة حجائية في موقف معين، كما قد يتعاضد اثنان أو ثلاثة من هذه المقامات في سياق نوعي معين لإبراز فكرة خاصة بالمقام الشامل. لذلك على المبدع (منشأ الخطاب) أن يحسن توظيف هذه المقامات، واحترام حدودها حرصاً على سلامة المسار الحجائي والمخطط الإقناعي، الكفيل بإيصاله إلى هدفه من الخطاب.

(1). traite de l'argumentation, op,cit, p112.

2-2 ثنائية (الحجاج/الحجة):

1-2-2 الحجاج:

كثرت تعريفات الحجاج، وصار التطرق إلى تعريفه، مُثَقِّلاً للقارئ، مثبِّطاً لرغبته، ومع هذا لا يُستغنى في مثل هذا البحث عن تعريفه، غير أنه تعريف يحاول الخروج عن التقليديات، ليقترح مفهوماً للحجاج يتوافق مع نظرة تداولية في عمقها تصل حد التماس مع ما هو اجتماعي، وفي هذا الاتجاه يقترح «فرانز فان إيمرن Frans van Eemern» و«روب غروتندورست Rob Grootendorst» تعريف الحجاج بالقول: إن " الحجاج نشاط كلامي و اجتماعي و عقلي الغرض منه إقناع ناقد معقول (reasonable critic) بمقبولية وجهة نظر (stand point) عن طريق تقديم كوكبة من القضايا المبررة أو المفندة للقضية المعبر عنها في وجهة النظر"⁽¹⁾

ويحاول "فان" و"روب" تفسير هذا التعريف بالقول إن: "عدداً من الجوانب الهامة نظرياً في مفهوم الحجاج يشار إليها صراحة في التعريف: مبدئياً، الحجاج نشاط كلامي، يتم باستعمال اللغة؛ وهو نشاط اجتماعي، موجه عادة إلى الناس الآخرين؛ وهو نشاط عقلي، يتركز عموماً على اعتبارات فكرية. وهناك خاصية أخرى هامة في الحجاج، وهي أنه يتصل دائماً بوجهة نظر مخصوصة، أو بمنطلق يرتبط بقضية من القضايا. يدافع المتكلم أو الكاتب عن وجهة النظر هاته، من خلال الحجاج، أمام سامع أو قارئ يشك في مقبولية المنطلق أو له منطلق مغاير. و يكمن هدف الحجاج في إقناع السامع أو القارئ بمقبولية المنطلق"⁽²⁾.

(1). ينظر: فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج - المقاربة الذريعية الجدلية-، ترجمة عبد المجيد جحفة، ط1، دار الكتاب

الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، 2016، ص11.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص12.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

ويلتبس الحجاج بين أن يكون أداة تحليل أو أداة بناء؛ أي " ... بين الحجاج بوصفه "سيرورة" والحجاج بوصفه "منتوجا، [إذ] يحيل مصطلح حجاج في الآن ذاته على سيرورة الحجاج (أو عملية الحجاج) ("إنني على وشك إكمال حجاجي") وعلى منتوجه ("هذا الحجاج ليس صحيحا")⁽¹⁾.

لكن في إطار دراسة الخطابة من زاوية أنها وسيلة تواصلية في جوهرها ، فإن "فليب بروتون" يرى في مثل ذلك أن "الحجاج هو علم التحليل وأن نعرف ما جرى أفضل من أن نتوقع بيقين كيف ستسير الأمور. فالحجاج هو علم التحليل ولكنه فقط فن متنبئ. نحن إذن بإزاء سؤال: «كيف أقتنعنا؟» بقدر ما نحن بإزاء سؤال: «كيف سنقنع؟»⁽²⁾ وهو المفهوم الذي سوف نعمل به في هذه الدراسة.

2-2-2 الحجة:

2-2-2-1 الحجة لغة:

للحجة في المعجم معاني عدة، وحين تأتي في سياق ارتباطها وتعلقها بالخصومة بما هي جدل، والجدل بما هو محاجة⁽³⁾؛ تتعدد دلالاتها، ومجموع هذه الدلالات هو ما عبر عنه الأزهري (ت 370هـ)، نقلا عن الليث قوله: "... الحُجَّة: الوَجْه الَّذِي يَكُون بِهِ الظْفَرِ عِنْدَ الحُصُومَةِ، وَجَمَعَهَا حُجَجٌ..."⁽⁴⁾، وهذا الوجه قد يكون دليلا، أو برهانا⁽⁵⁾، كما قد تأتي الحجة في سياقات أخرى بمعاني من قبيل: العذر، العلة، الرفض،

(1). ينظر: فرانز فان إمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، م.س، ص11.

(2). فيليب بروتون ، الحجاج في التواصل، ترجمة: مجد مشبال وعبد الواح التهامي العلمي، ط1، الهيئة العامة المصرية للكتاب والمركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2013، ص158.

(3). الفرق بين الجدال والحجاج : الفرق بينهما أن المطلوب بالحجاج هو ظهور الحجة . والمطلوب بالجدال: الرجوع عن المذهب، فإن أصله من الجدال، وهو شدة القتل، ومنه الاجدل لشدة قوته من بين الجوارح، ويؤيده قوله تعالى: " قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا " [...]. وقوله تعالى: " وجادلهم بالتي هي أحسن " [...].

وذلك أن دأب الانبياء عليهم السلام كان ردع القوم عن المذاهب الباطلة، وإدخالهم في دين الله ببذل القوة والاجتهاد في إيراد الأدلة والحجج. (أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، 1412هـ، ص158)

(4). الأزهري ، تهذيب اللغة، م.س، ج3/ص251.

(5). الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دط، دار الهداية، دت، ج 5، ص464.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

البينة، الشاهد، السلطان، الأركان، البيان، لكن أشهرها الدليل والبرهان⁽¹⁾؛ وهما الأقرب لمعناها الاصطلاحي.

2-2-2-2 الحجة اصطلاحاً:

الحجة: الحجة بحسب تعريف الجرجاني (ت816) هي: "ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد."⁽²⁾، وإن كان الجرجاني جعل الحجة عامة لكل ما يصحح الدعوى ويثبتها فإن الكفوي (ت370هـ)، حاول أن يكون تعريفه أكثر دقة وتمييزاً، إذ يقول: "وَالْحُجَّةُ، بِالضَّمِّ: الْبُرْهَانُ وَعِنْدَ النَّظَارِ أَعْمٌ مِنْهُ لِاخْتِصَاصِهِ عِنْدَهُمْ بِبَيِّنِ الْمُقَدِّمَاتِ، وَمَا ثَبَّتَ بِهِ الدَّعْوَى مِنْ حَيْثُ إِفَادَتِهِ لِلْبَيَانِ يُسَمَّى بَيِّنَةً وَمِنْ حَيْثُ الْعَلَبَةِ بِهِ عَلَى الْخُصْمِ يُسَمَّى حُجَّةً"⁽³⁾. فالحجة إذن ذات سمة تواصلية، تفاعلية، تقتضي وجود طرف آخر يراد له عبر الحجة أن يدعن، ويسلم.

ويقابل الحجة عند الغرب كلمة "Argument"، التي تعرف في معجم تحليل الخطاب: "بأنها ملفوظ يضفي مشروعية على نتيجة"⁽⁴⁾، وارتباط الحجة بالنتيجة يعد أثراً "السيطرة المنطق الصوري على تعريفها"⁽⁵⁾، إذ "يركز المناطق على المقدمات التجريدية المصوغة صورياً، بدلا عن دراسة الحجاج كما يجر طبيعياً في الخطاب اليومي. وبهذا فهم يغفلون اعتبار عدد كبير من العوامل اللفظية والسياقية والمواقف، وعوامل تداولية

(1) السعيد ناصر بن دخيل الله بن فالج، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي - دراسة وصفية -، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد إبراهيم شادي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1425هـ/1426هـ)، (386 ورقة)، ص (3-8).

(2) الجرجاني علي بن محمد بن علي (الزين الشريف) التعريفات، م.س، ص 82.

(3) الكفوي، أبو البقاء، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1998، ص 406.

(4) باتريك شارودو ودومنيك منغنو وآخرون، م.س، ص 66.

(5) عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقارنة تداولية، ط1، نادي أهما الأدبي، السعودية، مع الانتشار العربي، بيروت-لبنان، 2013، ص 266.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

أخرى.⁽¹⁾، ومراعاة لهذه العوامل عُرِّفت الحجة بأنها "عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك، والحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق،..."⁽²⁾، فهي متعددة المظهر، متنوعة التمثيل، تسهم في تحديدها عناصر السياق كلها، فهي ليس مقتصرة على الجانب المنطقي اللغوي للخطاب.

والحجة ذات البعد التداولي هي التي يسميها طه عبد الرحمن "الحجة المقومة" ويعرفها بكونها "فعلا استداليا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع وينهض المستمع بتقومه؛..."⁽³⁾. والحجة بهذا المفهوم بما تحمله من بعد تداولي، بكونها فعلا، ومن حيث جرها طرفي التواصل إلى التفاعل والانخراط في الحدث الكلامي، فإنها تتجاوز مفهوم الحجة الأداة، لتدخل حيز الحجاج الفعل والنشاط.

وفي الوقت الذي تصبح فيه الحجة موجهة للحجاج، يصبح التحليل الحجاجي منفتحا على نظريات الحجاج، خصوصا إذا بُني التحليل على " التفاعل بين البحث التداولي والبحث البلاغي، فيما يتعلق بالحجاج،... وأن طبيعة علاقتها بالحجاج هي التي حددت نظام تقديم النظريات المختلفة،... حسب منظورات ثلاث منطقي، ولغوي ومحادثي"⁽⁴⁾، تتكامل فيما بينها من أجل مقارنة حجاجية تداولية بخلفية بلاغية.

(1) Eemren and others, fundaments of Argumentation Theory ; A handbook of historical Backgrounds and contemporary Developments, Lawrence Erlbaum Publishing Company, Holland, 2005, p11. 266. ص

(2) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب 2006م، ص 18.

(3) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 255.

و طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المملكة المغربية، ط 1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، دت، ص 6.

(4) جيل ديكلارك، التداولية والحجاج، ضمن، لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، الحباشة صابر، ط 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا، 2010، ص 243.

2-2-3 علاقة مفهوم الحجاج بحقله الدلالي:

يلتقي الحجاج في بناء المعرفة مع عدد من المصطلحات، "ولن نندهش، من أن نستنتج وجود مصطلحية غنية جدا في (سوق) الحجاج يتضح من خلالها أن المصطلحات نفسها تحيل على مفاهيم تختلف حسب الزاوية النظرية التي تحدد تلك المفاهيم. هكذا نجد من ذلك مصطلحات من قبيل: حجاج، وبرهنة، واستدلال، وإقناع، وشرح، واستلزام، وتبرير، ودحض،"⁽¹⁾. ونجد من هذه المصطلحات ما يماثله في آلية اشتغاله، كالاستدلال والبرهان. والبعض يتفق معه في الغاية والهدف، كالإقناع. وفيما يلي بيان ذلك بشيء من الإيجاز المتناسب مع المقام.

2-2-3-1 الحجاج وعلاقته بثالوث البرهان، الاستدلال، والإقناع:

تكشف دراسة الجذور اللغوية للحجاج عن علاقة متينة بين مفردات الحجاج، الدليل، والبرهان، لحد يجعلها من قبيل المترادفات التي يُعني استعمال أحدها عن الآخر. ويقدر ما يطرح الجانب اللغوي مسألة الدليل والبرهان يلح الجانب الاصطلاحي على قضية علاقة الحجاج بالإقناع؛ إذ لا تكاد تخلو تعريفات الحجاج من ربط صريح أو ضمني بينه وبين الإقناع إذ "الحجاج في معناه العادي مجموعة من الترتيبات والاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم في الخطاب قصد إقناع سامعيه"⁽²⁾.

وإذا كان مفهوم الحجاج يرتبط بصورة أو بأخرى بمعاني البرهان والاستدلال والإقناع، فميدانه يحوي مؤشرات تؤكد تلك الرابطة، فميدان الحجاج ليس الصادق الضروري-وهو ما يميزه عن البرهنة- وإنما الممكن المحتمل لذا يقول جيل دكلارك (Gilles Déclarck): "إن الحجاج وهو يتخذ من العلاقات الانسانية والاجتماعية حقلًا له يبرز كأداة لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع وتطغى عليه المجادلة"⁽³⁾.

(1) Mseddi (A) : Dictionnaire de linguistique, p215 .

(2) . جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م.س، ص 93.

(3) . جيل دكلارك، فن الحجاج: البنى الخطابية والأدبية (L'art d'argumenter Structures, rhétoriques et littéraires)، المنشورات الجامعية (Editions Universitaires) 1992، ص 34. نقلا عن: سامية الدريدي، م.س، ص 24.

الفصل الثاني — ثنائية (إقناع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

وليس بجفوي أثر النزاع والمجادلة في حث أطرافهما على الالتجاء إلى سوق الحجج أو إقامة البراهين وبناء الاستدلالات؛ بهدف حسم النزاع والخروج من دائرة المجادلة، وتحقيق الإقناع أو الاقتناع*.

وقد يكون القول بترادف المصطلحات السابقة، أو التداخل في استعمالها مرده إلى انطواء كل واحد منها على آلية اشتغال؛ تقوم بشكل أساس على وجود مقدمات *les primisses* تقود إلى نتيجة *la conclusion*.

وعلى هذا يعرف الجرجاني البرهان والدليل بقوله "فالبرهان هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء و هي الضروريات أو بواسطة وهي النظريات ..."⁽¹⁾ أما الدليل فهو "الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"⁽²⁾.

أما الإقناع فهو: "أي اتصال مكتوب أو شفوي أو سمعي أو بصري يهدف بشكل محدد إلى التأثير على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك. كما أنه القوة التي تستخدم لتجعل شخصاً يقوم بعمل ما عن طريق النصح والحجة والمنطق"⁽³⁾.

إن هذا التقارب بين المفاهيم من شأنه أن يضيف على موضوع الحجاج غموضاً ما، لذا نجد جل من نظر له قد تطرق لمسألة التفريق بين تلك المفاهيم. فمنذ القديم جرى التفريق بين ما يرتبط بخالص البرهنة (*ratio*) التي تستدعي آلية استدلال، وبين ما يرتبط بـ (تفاعل النفوس) الذي يجب أن يطابق آلية تأثير. أي بين ما ينتمي إلى البرهنة وما ينتمي إلى الإقناع.

* هناك من يفرق بين الإقناع والاقناع؛ فتحقيق الاقتناع conviction الذي هو غاية الحجاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال *la démonstration* والإقناع *la persuasion* فالمرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه، بواسطة أفكاره الخاصة أما في حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه. (ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، م س، ص 14-15)

(1). الجرجاني علي بن محمد السيد، معجم التعريفات، د ط، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ت، ص 40.

(2). المرجع نفسه، ص 91.

(3). إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الاجتماعي ودوره في التفاعل الاجتماعي، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 189.

الفصل الثاني — ثنائية (إقناع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

فديكرو مثلا يقترح التمييز بين دراسة البرهنة اللسانية ودراسة الحجج أما غرايز فيقابل بين (حجاج) و(استدلال).⁽¹⁾

ولعل أهم ما ورد عند العلماء العرب في التفريق بين الحجج والاستدلال والبرهان والإقناع قول أبي البقاء الكفوي في كلياته إذ يقول: "[وَالدَّلِيلُ إِنْ كَانَ مَرْكَبًا مِنْ الْقَطْعِيَّاتِ كَانَ تَحَقُّقُ الْمَدْلُولِ أَيْضًا قَطْعِيًّا وَيُسَمَّى بَرَهَانًا، وَإِنْ كَانَ مَرْكَبًا مِنَ الظَّنِّيَّاتِ أَوِ اليَقِينِيَّاتِ وَالظَّنِّيَّاتِ كَانَ تُبُوْتُ الْمَدْلُولِ ظَنِيًّا، لِأَنَّ تُبُوْتُ الْمَدْلُولِ فَرَعُ تُبُوْتِ الدَّلِيلِ وَالْفَرَعُ لَا يَكُونُ أَقْوَى مِنَ الْأَصْلِ وَيُسَمَّى دَلِيلًا إِقْنَاعِيًّا وَأَمَارَةً، وَلَا يَخْلُو الدَّلِيلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْكُلِّيِّ إِلَى الْكُلِّيِّ فَيُسَمَّى بَرَهَانًا، أَوْ مِنَ الْكُلِّيِّ إِلَى الْبَعْضِ فَيُسَمَّى اسْتِقْرَاءً، أَوْ مِنَ الْبَعْضِ إِلَى الْبَعْضِ فَيُسَمَّى تَمَثِيلًا وَاسْمُ الدَّلِيلِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا يَعْرِفُ بِهِ الْمَدْلُولُ، وَالْحُجَّةُ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرَ، وَالْبَرَهَانُ نَظِيرُ الْحُجَّةِ، وَالْحُجَّةُ الْإِقْنَاعِيَّةُ: هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الزَّوَالَ بِتَشْكِيكِ الْمَشْكُوكِ، ..."⁽²⁾ ، ومثل هذا التمييز نجده عند (Alain Boissinot) في الجدول الآتي:⁽³⁾

⁽¹⁾ . ينظر: باتريك شارودو، الحجج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة أحمد الوردني، ط 01، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، 2009، ص(7-8).

⁽²⁾ . الكفوي، أبو البقاء، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1998، ص440.

⁽³⁾ Alain Boissinot, Les textes argumentatifs; Bertrand-Lacoste, 1992, CRPD, Toulouse, p8

نقلا عن عبد العزيز الحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن مؤلف " الحجج مفهومه ومجالاته، م.س، ص344.

الفصل الثاني _ ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الإقناع persuader	الحجاج argumentation	البرهنة* (أو الاستدلال) démenstration
فن المراوغة والمناورة.	خطوة حوارية توظف أحكام القيمة ولا تخلو من غموض _تفكير جدلي)	منطق صوري يستبعد الغموض (تفكير تحليلي)
يستهدف الإقناع بوساطة جميع الوسائل العقلية وغير العقلية. تفكير لا شخصي تؤدي فيه صورة الذات التي تبحث عن الإقناع دورا أساسيا.	يستهدف الاقتناع العقلي بوساطة الفهم. تفكير غير شخصي وغير ملزم إنه مجال الرأي، والممكن والاحتمال	خطوات عقلانية تتوجه إلى الفهم. تفكير غير شخصي وملزم. و مجاله الحقيقة
	يتطلب حججا كثيرة	يمكن للدليل واحد أن يكون حاسما
يستهدف مستمعا خاصا ومقصودا	يستهدف مستمعا عاما بالإضافة إلى المستمع الخاص	تستهدف مستمعا عاما
يستهدف مستمعا سلبيًا	يستهدف مستمعا نشيطا ومشاركا في البحث عن الأفضل.	

وخلاصة ما سبق أنه من المهم جدا التنبه، إلى أن "الاستدلال والبرهان والإقناع هي مصطلحات؛ تمثل وجوه الحجاج من جهة، وتعرف سمات الخطاب الحجاجي بهم من جهة أخرى، بالنظر إلى المتكلم أهو يستدل؟ أو يبرهن؟ أم يقنع؟"⁽¹⁾ فالتفريق بينها لا ينبغي أن يجعلنا نقصي هذه المصطلحات؛ من أن تشكل أدوات في بناء وتشكيل النصوص الحجاجية.

* لمزيد من التفصيل حول الفروق بين الحجاج والبرهان يرجع إلى: رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، ضمن مؤلف "الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ اسماعيل علوي، ج 1 (الحجاج: حدود وتعريفات)، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص (185-193).

(1). عباس حشاني، "مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته"، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة-الجزائر، العدد 09، 2013، ص 275.

2-3 ثنائية (التخييل / الصورة):

2-3-1 التخييل:

يرتبط مفهوم التخييل بمفهوم آخر هو التصوير، وهما يكادان أن يكونا مفهوما واحدا، يقوم على مفهوم أساس هو الخيال. الذي يعرف فيما يلي:

2-3-1-1 مفهوم الخيال:

في الاستخدام اللغوي المعاصر تعني كلمة «الخيال»: "القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس. ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدرجات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك؛ فتعيد تشكيل المدركات، وتبني منها عالما متميزا في جدته وتركيبه، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباعدة في علاقات فريدة، تذيب التنافر والتباعد، وتخلق الانسجام والوحدة."⁽¹⁾

إن الخيال ليس قوة تخرج الإنسان من عالمه المحسوس؛ لتدخله عالم الوهم والهوس، بل هو ملكة لإعادة بناء عالم الواقع في صورة أرقى وأنقى، وأوضح وأصفى، و أمتن وأقوى، يسعى من خلاله الإنسان إلى تعاهد عالمه المحسوس بالترميم إذا تداعى، و بالتنشيط إذا تراخى، ويدنيه من المعالي إذا عنها تناءى؛ "فالخيال الحيوي المنتج هو المرحلة القوية للوصول إلى الحقائق، والوسيلة الجيدة في الكشف عن أسرارها، [لـ] يدرك مستعينا بالعقل حقيقة الوجود، والوقوف عن أسرار الكون..."⁽²⁾، فهو ليس طريقا مبهما ، ولا فضاء مغلقا، تغدو معه صورة العالم ضبابية مغطاة بل هو عكس ذلك تماما.

إن الخيال " نشاط خلاق لا يستهدف أن يكون ما يشكله من صور نسخا أو نقلا لعالم الواقع ومعطياته أو انعكاسا حرفيا لأشكال متعارف عليها، أو نوعا من أنواع الانفعالات بقدر ما يستهدف أن

(1) . جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1992، ص13 .

(2) . علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، دط، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1996، ص123-124

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

يدفع القارئ أو السامع إلى إعادة التأمل في واقعه، من خلال رؤية شعرية، لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة والطرافة وإنما من قدرتها على إثراء الحساسية وتعميق الوعي⁽¹⁾، ليستفيق المرء على أن الخيال في منتهى الأمر ليس هروبا من الواقع بل هو سعي حثيث لتغيير الواقع، وهناك تحديدا يلتقي الخيال مع التداولية، و التخيلي مع العقلي⁽²⁾.

بل وتجدد التداولية نفسها عن طريقه " لأن الخيال أبعد فتحا من العقل، وهو مقياس العبقرية والوجه المرئي لها، وبالتالي لا وجود للاختراع الفني إلا بوجود الخيال حتى إن اللغة «البراغماتية» ذات الدلالة النفعية، إذا ما هرمت وشاخت في إمكانها بواسطة «الصورة» أن تبعث للحياة بعد الموت، وأن تعيد للكائنات «نظارتها الميتولوجية» والمضامين الغيبية التي فارقتها فتبدل هندسة العالم⁽³⁾. وكأن هندسة العالم الواقعي، تشيخ من فرط الواقعية والرتابة، لثُرسم ثانية، حية نضرة، بواسطة التصوير وعبر «الصورة»؛ " فالصورة هي أداة الخيال، ووسيلته، ومادته الهامة التي يمارس بها، ومن خلالها، فاعليته ونشاطه⁽⁴⁾. فما هي الصورة؟

2-3-2 مفهوم الصورة:

تكاد تكون الدلالة المعجمية لـ«الصورة» واحدة عند العرب والغرب، إذ تدور حول الشكل والتشكُّل ففي تاج العروس: "الصُورَةُ، بالضمِّ: الشَّكْلُ، والهيئَةُ، والحقيقتُ، والصفَةُ..."⁽⁵⁾، أما عند الغرب

(1). جابر عصفور، م.س، ص14.

(2). كثيرا ما تحدث المقابلة بين الخيال والعقل على وجه التضاد والتناهي؛ فيقال عن غير المعقول خيالي، بيد أن العلاقة بينها علاقة تكامل. وهي العلاقة التي تظهر جلية في المفهوم الاصطلاحي للصورة عند علماء العرب؛ إذ يربطون بين المتخيل والعقل. وفي هذا الصدد يقول مُجد عبد المنعم خفاجي: "... والخيال والعقل غير متناقضين، بل هما يسيران معا جنبا إلى جنب في الكشق عن جوهر الحقائق ولبها المكنون" (دراسات في النقد الأدبي، ط1، ص39). وإذًا يتخلص الخيال من أن يكون وهما، وإن كان لا بد أن يقرن بمصطلح مادته تحوي هاء، و حرف مد، وميما، فإنه الإلهام.

(3). أنطوان كرم غطاس، عن خليل أبوجهجه، ط1، الحدائث الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد، دار الفكر اللبنانية، بيروت، 1995، ص232.

(4). جابر عصفور، م.س، ص14.

(5). الزبيدي، تاج العروس، م.س، ج 12، ص357، 358.

فـ«الصورة» مقابلان؛ إذ نجد في معجم "La rousse": "Figure" بمعنى الشكل المرئي للشيء وتكون أكثر ارتباطا بالمحسوسات، كما تطلق على الصورة البلاغية "Figure Rhétorique" (1)؛ أما "Image" فهي بمعنى الهيئة المرئية لشخص أو شيء، وارتباطها أكثر يكون بما هو ذهني تخيلي (2)، وعلى هذا الأساس، فإن كلمة (Image) تعني الصورة الذهنية، أو الخيال... [و] أن ما كانت تقصده البلاغة التقليدية هي الصورة البلاغية (Figure) لا الصورة الذهنية (Image) (3)، ومع هذا التفريق تبقى العلاقة بينهما قائمة.

علاقة قوامها أن الصورة الذهنية هي المشكلة للصورة البلاغية، عن طريق اللغة، وهو ما يعرف بالتخييل أو بالتصوير، بحيث تكون الصورة المادة المشكلة عن آلية التصوير، الذي يعد "جوهر كل ممارسة فنية أو أدبية، والتصوير في هذه الحالة يعني وضع الشيء أو الموضوع في صيغة غير حرفية، تمثله في حقيقته، وتضيف إليه بعدا رمزيا، يحفظ الشيء أو الموضوع قابلا للفهم والتأويل طيلة وجوده كأثر فني أو أثر أدبي" (4) وآلية التصوير هاته إنما تخلقها فلسفة التخيل والتخييل.

وهذا الربط بين النتيجة والآلية والفلسفة، هو ما يكفل عدم التفاوت بين مفهوم الصورة عند العرب والغرب؛ وهو التفاوت الذي يشير إليه جابر عصفور بقوله: "...، فإننا لا نفكر في الدلالات العربية القديمة للكلمة بقدر ما نفكر-مثلا- في الكلمة الأجنبية (Imagination) التي تبرز -على مستوى- الاشتقاق العلاقة الوثيقة بين الخيال والصورة الفنية، على نحو لا تؤدبه العلاقة اللغوية بين الكلمتين العريبتين." (5).

لكن إن تكون تلك العلاقة مفقودة على مستوى الاشتقاق؛ فإنها موجودة على مستوى المفهوم ذلك "... أن لفظ الصُورة تطلق على مَعْنين أَحدهما المَاهِيَّة المَعْلُومَة وَثَانِيهما العِلْم وَهُوَ الأمر المتشخص

(1) La rousse, p155

(2) Ibid.

(3) . بوزيان خال، الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين و الأسلوبيين، رسالة دكتوراه، إشراف: مُجّد العيد رتيمة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر (يوسف بن خدة)، 2006، ص36، (414 ورقة) .

(4) . مدحت الجيار ، علم النص دراسة جمالية نقدية، ط1، 2005، ص19.

(5) . جابر عصفور ، م.س، ص14.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

بالتشخص الذهني وَالْحَاصِلُ أَنَّ الصُّورَةَ تَطْلُقُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ هِيَ آلَةُ التَّعْقُلِ وَعَلَى الْمَعْلُومِ الْمُتَمَيِّزِ بِهَا فِي الدِّهْنِ..."، فالصورة نتاج نشاط ذهني تخيُّلي " تشير إلى ما نسميه الآن بالصورة الذهنية؛ أي أنها تشير إلى مادة الخيال لا إلى ملكة الخيال نفسها"⁽¹⁾. وبقدر غيبية الذهن و الخيال و تجريديتهما، بقدر غموض مفهوم الصورة.

يقول دي لويس: " وعندما نغمس في الحياة الغامضة للصورة الشعرية، فتلك عقوبة لمحاولتنا سبر غور الصورة بإمعان والطوف على سطحها، والعزاء الوحيد لنا هو أن الشعراء كانوا هنالك قبلنا"⁽²⁾، ويؤكد ذلك فرنسوا مورو بقوله: " إن الكلمة «صورة» Image هي واحدة من الكلمات التي ينبغي أن يستعملها عالم الأسلوب بحذر وضبط دقيقين، إذ أنها غامضة وغير دقيقة في نفس الآن، غامضة لكونها تسمح باستعمالها بمعنى عام مبهم جدا وواسع جدا، و ذلك بالنظر إلى هذا الاستعمال من منظور أسلوبى خاص، وغير دقيقة لأن استعمالها، ولو في مجال البلاغة المحصور، عائم وغير محدد بدقة"⁽³⁾، لذا؛ سنحدد مفهوم الصورة أولا، بالاعتماد على أهم ما تقوم عليه الصورة و هو مفهوم الانزياح.

الصورة ابتداء هي " انزياح بالنسبة إلى الضابط، "الدرجة الصفر" "⁽⁴⁾، ولأن هذا الضابط غير محدد كما يقول روبول، فهو إما انزياح عن المعنى الحقيقي، وإما انزياح عن اللغة المتداولة، لكن الأكيد أن إنزياحا نسبيا هو ما يجعل الصورة تقول أكثر من المعنى الحقيقي⁽⁵⁾، وهو ما يجعل مفهوم الصورة يجمع السمتين الأسلوبية والتداولية.

إن هذا الدمج بين الأسلوبى الممتع و التداولي المقنع في جوهر الصورة، ليس بالجديد فقد تطرق إليه من العرب حازم القرطاجني، مما جعل جابر عصفور ينتهي إلى أن دارسي الصورة من البلاغيين العرب ردوا "

(1). جابر عصفور ، م.س، ص15.

(2). سي دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد ناصف الجنابي وآخرون، دط، دار الرشيد للنشر، بغداد-العراق، 1982، ص159.

(3). فرنسوا مورو ، م.س، ص 15.

(4). أوليفيي روبول ، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص93.

(5). بنظر: أوليفيي روبول ، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص93، 94.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

وظيفة الصورة إلى إقناع بفكرة، أو إمتاع بتصوير مستطرف. وكان للإقناع وسائل متفاوتة درجاته، كما كان الإمتاع يتحقق بالمحاكاة المباشرة... ولكن الأصل في الإمتاع والإقناع هو المتلقي. والمعيار الأساسي في الحكم على نجاح الصورة أو فشلها- عند الجميع- هو تناسبها مع مقتضى «الحال الخارجي» أو مقامات المستمعين⁽¹⁾، وحينئذ تكون الصورة أداة للتأثير بشقيه الجمالي التخيلي، و الحجاجي التداولي.

وهو التأثير الذي يبدو ملازماً للصورة، بالسواء؛ عند العرب والغرب، قديماً وحديثاً، إذ تؤدي الصور بحسب روث أموسي، و لامي دور التأثير في العقل والأهواء، وضمن حجاجية ثرية ومتنوعة.⁽²⁾

هذه الوظيفة التي تملكها الصورة، يمكنه أن تشكل المعيار الثاني في تحديد مفهوم الصورة، لتكون الصورة؛ انزياحاً يحدده المتكلم في بنية الخطاب قصد التأثير في مدارك المتلقي الذهنية والقلبية. بهدف الاستمالة و الإقناع.

وهو المفهوم الذي نجده في تعريف روبول للصورة بأنها "طريقة أسلوبية شأنها أن تسمح للمرء بالتعبير التعبير الحر المقنن في الآن ذاته. تعبيرٌ حرٌّ، بمعنى أننا لسنا ملزمين باللجوء إليه لأجل التواصل... وتعبير مقنن، لأن كل صورة تشكل بنية معروفة، تقبل التحديد والنقل"⁽³⁾. وفي إطار التحديد ولو بالمفهوم المنهجي سنركز في الدراسة على الصورة التي يصنعها الدال (الصورة الصوتية)، وتلك التي تجري على مستوى المدلول (الصورة المعنوية)، وفي هذه الأخيرة سنقتصر على ما اقتصر عليه مورو في كتابه "البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية"؛ أي على الصور المبنية على علاقة المشابهة (الاستعارة)، والصورة المبنية على علاقة المجاورة (المجاز، والكناية).

(1). جابر عصفور، م.س، ص382.

(2). ينظر: علي الشبعان، الحجاج في الخطاب، الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي الحجاج في الخطاب، م.س، ص 250.

(3). ينظر: أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص93،94.

2-3-2-1 حجاجية الصورة:

الصورة بصورة كلية أو جزئية تُعد تقنية حجاجية، تتولى الفعل الحجاجي بنفسها، بأ تكون داعمة للحجة في تحقيق هدفها، أو تتمظهر في شكل قناة أسلوبية تُمرر الحجة عبرها؛ هذه عموماً مواقف الدارسين لدور الصورة في الخطاب، ولعل المهم في هذا البحث، هو دورها الحجاجي، حيث يرى مارك بونوم Marc bonhomme أن معظم الصور إجراءات حجاجية مستقلة؛ فهي أشكال مكثفة للحجج، تتجاوز مجال الأسلوب إلى مجال الإيجاد؛ فالتقارب بين بعض الصور وبين المواضيع البلاغية عند أرسطو يؤكد الصلة بينها، فهناك علاقة تقارب بين موضع التشابه وبين الاستعارة، وبين موضع الأضداد وبين الطباق، وبين موضع الأجزاء وبين المجاز المرسل. إن مثل هذه التقاربات بين المواضيع والصور يجعل البلاغيين المعاصرين يتبنون أطروحة برلمان التي ترى في الصور أشكالاً مكثفة للحجج والمواضع.⁽¹⁾

لكن هذا الدور لا تؤديه الصور إلا تحت شروط، محددة في ما يلي:⁽²⁾

- الشروط الخارجية:

أ- ثمة أنواع خطابية تقوم طبيعتها على منح الأولوية للإشغال الحجاجي للصور، مثل أنواع الخطاب العمومي، بيد أن الصور قادرة على الاضطلاع بوظيفة حجاجية في أنواع خطابية غير حجاجية مثل الأجناس الأدبية.

ب- يضطلع السياق الخطابي سواء أكان سوسيو ثقافياً أم تاريخياً بتلوين الصور حجاجياً. وكما لاحظ ميشيل مايير (1993) فإن الصور مهياً لاكتساب وظيفة حجاجية في مواقف الاختلاف والتوتر، باختصار إن التوضع التلفظي للمتكلم يؤثر حجاجياً في ملفوظاته التصويرية، وخاصة الأفعال اللغوية (التبرير والدفاع) أو (النقد والاتهام).

(1). محمد مشبال، في بلاغة المحاج- نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، م.س، ص 311.

(2). المرجع نفسه، ص 307.

- الشروط الداخلية.

أ- توجه الصور: يتعلق الأمر بتوجيه إذعان المتلقين في الاتجاه يرومه المتكلم.

ب- القوة الأنجازية: تنبثق القوة الإنجازية للصور عادة من مظاهرها البارزة، على هذا النحو فإن التوتر التلفظي الظاهر للمبالغة يزيد من الحمولة الحجاجية للخطاب.

إن هذه الشروط حينما تتحقق تكون بها الصورة الحجاجية نشاطا تداوليا يُلح من جانبه المجازي أو الاستبدالي على حضور متزامن لأطراف التخاطب والمقام في حركة تفاعلية مع مقصدية الخطاب.⁽¹⁾

و إذا كان هذا النشاط التداولي للصورة متاح الدراسة فيما تعلق بالصورة المعنوية، لالتقاءها مع التصور التداولي القائم على المعنى، فإن الدراسة التداولية للصورة الصوتية القائمة على الإيقاع تبدو أكثر تعقيدا لا سيما من ناحية جانبها الإقناعي، يقول عبد الله صولة في هذا الصدد: "... الإيقاع مبحث صعب بطبيعته فما بالك إذا جئته من جهة الحجاج؟ إنه ليس مجرد ثوب تزيين وتجميل خارجي يضاف إلى الكلام ليُمَيِّز به الشعر من النثر، كما عند أرسطو... وليس هو بالمساعد فحسب على جعل الكلام مؤثرا مقنعا... وإنما الإيقاع جزء من معنى الكلام الفني لا يتم بدونه، ... بل هو في رأينا، قد يحمل من الشحن المعنوية باعتباره دالا ما لا يحمله المدلول نفسه"⁽²⁾، ونظرا لما يملكه الإيقاع من أهمية بالغة، ودرجة صعوبة عالية، سنفيض في التأسيس لتداوليته وإقناعيته.

(1). ينظر: سلمان علي مُجد علي، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج-رسائله نموذجاً-، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 2010، ص240

(2). ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، م.س، ص50.

3- تداولية التصوير الإيقاعي: من الإيحاء الدلالي إلى الأثر التداولي.

شاع في الدراسات اللسانية الحديثة القول بانتفاء علاقة مبررة بين الدال والمدلول؛ بما يدل ذلك على اعتبارية، هي إلى العشوائية أقرب وإلى اللامعقولية أنسب، ترفض كل ما يتصل بالحكمة ، أو السر، أو المقصد، أو المناسبة، وحتى معان من قبيل الإيحاء لا تجد لها موضعا ذا قيمة علمية في فلسفة هذا الاتجاه، الذي ظل مهيمنا على الدراسات اللسانية، حاصرا العلاقة بين الدال والمدلول في كون المدلول هو التصور الذهني للدال، لكن " داماسو ألونسو " يعتقد أن هذا التحديد البسيط الفقير لا يصل إلى أعماق الواقع اللغوي في حقيقة الأمر، فالدوال لا تنقل مجرد تصورات ذهنية، بل تقوم بعدد معقد ومرهق من الوظائف. إذ ينبثق الدل- أو الصورة السمعية- من المتكلم تحت ضغط طاقة نفسية مركبة، قد تحتوي على تصور أو أكثر، وقد لا تحتوي على أي تصور، إلا أنها مشحونة بالرغبات المهمة والمعطيات الحسية المتعددة، من بصرية وسمعية ولمسية وغيرها، مما يجعل هذا الدال قادرا على تحريك ما لا يحصى من خيوط الشبكة النفسية للمستمع، وتلقي الطاقة المتضمنة في الصورة السمعية⁽¹⁾ وبمثل هذا الوعي ظهر القول بضرورة الالتفات إلى المكون الدلالي للعلامة اللغوية. مما فتح الباب واسعا أمام عودة الاهتمام بدلالة الصوت على معناه

ومع تلك العودة، أثير جدل قديم قدم البحث في نشأة اللغة، ما انفك مقترنا بعلاقة الصوت بالمعنى أو اللفظ بالمدلول ، وهو ما يعرف بالرمزية الصوتية " ورمزية الصوت هذه شغلت الباحثين في اللغات الإنسانية، وفي مختلف الثقافات، منذ القديم إلى يومنا هذا"⁽²⁾ و أقرب ما سجل حول هذا الجدل ما قال به السفسطائيون في القرن الخامس قبل الميلاد، و وافقهم فيه أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد، حول وجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومعناه، وفي نفس الفترة ولكن في الاتجاه العكسي، رفض الفيلسوف اليوناني

(1). صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الشروق، القاهرة-مصر 1998، ص 82،83.

(2). محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص-، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 1992، ص33.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

ديموقراطيس رأي السفسطائيين، مقرا أن لا علاقة بين اللفظ ومعناه إلا ما اصطلاح عليه الناس، وبهذا الرأي أخذ أرسطو مخالفا أستاذه أفلاطون⁽¹⁾.

وهكذا، ومنذ محاورات "كراطيلوس" "أفلاطون" Platon Cratylus لم تكف الأبحاث الفلسفية والفكرية عن دراسة ما يسمى بالرمزية الصوتية "symbolisme phonitique"؛ حتى "احتضنت [ها] اللسانيات، باعتبارها مبحثا ذا شرعية أسستها دراسات تطبيقية بدأت مع ساير Sapir، أو نظرية للسانيين عديدين.⁽²⁾

ومن هذه العلاقة سيتأسس "... حجر الزاوية في علم الدلالة، الذي اتخذ المعنى، محورا للدراسات اللغوية الحديثة. ومن ثمة آثار مجددا تساؤلات عدة حول طبيعة تلك العلاقة، أهي طبيعية؟ تتحدد معها دلالة اللفظ من جرس الأصوات المكونة له، وفقا للتناسب بين الأصوات والدلالات، ... أم هي اصطلاحية تنفي التلازم الدائم بين الصوت والمعنى"⁽³⁾، ورغم ما تمثله هذه الدراسات من جدة من حيث الفترة التي ظهرت فيها، والباحثين الذين اشتغلوا عليها فإن هذه "الدراسات المعاصرة لا تختلف عن القديمة من حيث انقسامها إلى ثلاثة تيارات في العلاقة بين الصوت والدلالة، الأول يؤيد القيمة التعبيرية الذاتية للصوت ... والثاني لا يؤيد، ... والثالث يقف موقفا وسطا منها"⁽⁴⁾

وفي هذا الشأن يميّز قيرو Guiraud بين ثلاثة مصطلحات هي: الاعتباطية l arbitraire والتعليل la motivation والتواضع la convention، ومن بين هذه الثلاثة يرجح أن الأصل في الدليل اللساني التواضع الذي لا ينافي التعليل، مستبعدا الاعتباطية التي لا تعدو أن تكون نتيجة لاختفاء

(1). ينظر: هادي نحر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط 2، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2011، ص (160-162).
و إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص(140-142). و مجاهد عبد الكريم، "العلاقة بين الصوت والمدلول"، الأعلام، العدد 7-8، 1 يوليو 1982، ص71، 72.

(2). ينظر: توفيق العلوي، "الرمزية الصوتية الحد والتجاوز"، حوليات الجامعة التونسية، العدد49، 1 يناير 2005، ص (209، 210).

(3). ينظر: مجاهد عبد الكريم، "العلاقة بين الصوت والمدلول"، الأعلام، العدد7-8، 1 يوليو 1982، ص71.

(4). مراد عبد الرحمن مبروك، جماليات الهندسة الصوتية الإيقاعية في النص الشعري بين الثبات والتغيير، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة،

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

التعليل المتواضع عليه، مع طول الاستعمال شيئاً فشيئاً، فالكلمات لا تنشأ إلا معللة، ولا تشيع إلا بالتواضع عليها، ثم يجعلها التداول والاستعمال والتطور تبدو وكأنها اعتباطية، ومع هذا تبقى معللة في أصلها سواء كانت دخيلة، أو محاكية للأصوات، أو مشتقة، أو مركبة، أو غيرها⁽¹⁾.

ويبدو رأي قيرو متناغماً مع ما ذهب إليه همبولت (1835م)، إن لم يكن منتزعا منه، إذ يمثل "همبولت" أحد أهم اللغويين والباحثين المنتصرين لفكرة العلاقة بين الصوت والمعنى والمؤيد لها بقوله: "إن اللغة تدل على الأشياء بالأصوات التي تارة بنفسها، وتارة أخرى بالمقارنة مع غيرها تترك انطبعا في الأذن مماثلاً للتأثير الذي تتركه على العقل"⁽²⁾،

أما ما يظهر من خلو بعض كلمات من أي علاقة تصل بين أصواتها المكونة لها ومعانيها الدالة عليها؛ فإن "همبولت" يعزوه إلى عامل الزمن، فيقول: "إن هذه الرمزية أو المناسبة الطبيعية تظهر في الألفاظ ولكنها في وقت ما تبدو غامضة"⁽³⁾، أي أن هذه العلاقة تختفي مع مر الأيام، وقد يأتي زمن تتلاشى فيه معالمها، لكن ذلك الغموض ومهما يثر من شك حول حقيقة العلاقة بين الصوت والدلالة؛ فإنه ليس مسوغاً ولا قرينة يمكنهما أن تخدمان القول بانتفائها. فـ "onomatopoeia [التي] لم يستطع أحد من اللغويين إنكارها، حتى أولئك الذين غالوا في معارضة فكرة الاتصال العقلي بين الأصوات والمدلولات"⁽⁴⁾ تكفي لافتراض وجود هذه العلاقة وإن كانت لا تنهض بتعميمها.

3-1 دلالة الصوت، وأثرها عند العرب:

إن هذا التعميم للفكرة والارتقاء به إلى مستوى النظرية المبرهنة، ظل مرام كل من عرج على قضية المناسبة بين الصوت ودلالته، ولعل أبرز هؤلاء، علماء عرب عرفوا بتحمسهم لهذه القضية، فبحثوا "... في

(1). Guiraud, La sémentique, pp23-26 نقلا عن: عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، ط1، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية-مصر، 2016، ص223-225.

(2). ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، م.س، ص143.

(3). Otto Fespersen, Language its nature, Developments Origin PP 396,397 نقلا عن عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، ط1، دار دجلة، عمان-الأردن، 2011، ص199.

(4). إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، م.س، ص145.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي يؤديه ذلك الصوت ... في وقت مبكر، ومنذ أن واجهوا مشكل الآيات القرآنية واعجازها، واستخراج الأحكام الشرعية واللغوية منها، سواء عند علماء الفقه والأصول، أم عند المفسرين واللغويين إدراكا منهم لأهمية قضايا الصوت والمعنى وما تفرزه من قيم دلالية تعين على فهم النص القرآني الكريم وبيان أوجه إعجازه اللغوي من جهة، وتؤكد ما للغة من وسائل كثيرة في تحديد القيم التعبيرية للأصوات وهي منظمة داخل البنيات، أو التراكيب...⁽¹⁾

و المستقره لجهودهم في هذا الصدد يجد أن دراساتهم للعلاقة بين جرس الكلمة ومعناها، اتخذت اتجاهات عدة أهمها:⁽²⁾

أ. الوقوف على قوانين الانسجام أو التنافر بين الأصوات لإدراك العلاقات بين المكونات الصوتية للكلمة،
أو العبارة، أو التركيب المعين.

ب. دراسة القيمة التعبيرية للأصوات، ومدى اتفاق المعنى مع جرس الحرف المختار، وهل هذا الاتفاق نابع من
اختيار مقصود لذلك الصوت "دون غيره" ليؤدي المعنى المعين "دون غيره"؟ أو أن مناسبة الصوت للمعنى المعين قد وقعت عندهم اتفاقاً؟

فالدراسات الصوتية العربية دراسات بنيوية ودلالية: بنيوية، من حيث اهتمامها بعلاقة الوحدات الصوتية فيما بينها، مشكلة العلامة اللغوية (الكلمة أو اللفظ)، متدرجة نحو بني أكبر في صورة الجملة والعبارة؛ ودلالية من حيث ربطها بين البنية الصوتية وما تحيل عليه من معان جزئية أو كلية؛ تسهم مجتمعة في توضيح "معالم الدراسة التي تناولت القيم التعبيرية للأصوات العربية وضوحاً متكاملاً متعدد الوجوه والمشارب والرؤى"⁽³⁾. وقد بلغت هذه الدراسة الذروة "عند ابن جني (ت 392 هـ) الذي يعد بحق القمة في مثل هذه

(1). ينظر: هادي نحر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، م س، ص 33.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص 33-34.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

الدراسات إذ تناولها من زوايا متعددة في منهج وصفي تطبيقي يؤكد أن هذه الدراسات التي تشغل بال المحدثين اليوم، وتتوجه إليها أنظارهم بعمّة قد حددت معالمها، وتعينت حدودها، وقلبت وجوهها بفكر ثاقب، وتطبيقات شاملة منذ أكثر من ألف سنة على يد ابن جني الذي استوعب فكر أسلافه في هذا الميدان، وبنى عليه درسا متكاملا ليس من السهولة علينا تجاوزه، أو إنكاره. لقد انطلق ابن جني في دراساته الصوتية الدلالية من الملامح التي رسمها الخليل وسيبويه فوجد لما قال "أشياء كثيرة على سمت ما حداه، ومنها ما مثله"⁽¹⁾. ولهذا "يعد ابن جني رائد دراسة الدلالة الصوتية قبل أن يتوسع فيها علم اللغة الحديث"⁽²⁾.

3-2 عند الغرب المحدثين:

وفي اتجاه التأسيس لما يشبه قاعدة علمية تقوم عليها فكرة الربط بين أصوات الكلمة ودلالاتها، يذهب ياكوبسون متجاوزا المبدأ السوسيري حول اعتبارية العلامة اللغوية، التي لا تعود اعتبارية وتغدو علاقيتين: داخلية مبنية على التجاور، وخارجية مبنية على التشابه، ومعا تمنحان الكلمة رمزية صوتية، ووحدة بين الصوت والمعنى⁽³⁾، تتشكل في صورة بناء متعلق بين ما يستدعيه الصوت من معنى وما يستثيره المعنى من تأثير،

إن " بناء الأصوات في الكلمة له ارتباط وثيق مع ظلال المعاني في أنفسها، ومع إشعاع المشاعر الوجدانية المنبثقة عن التجربة الشعرية، ومن التقاء هذين المنبعين تغني اللغة وتتكاثف دلالاتها، ويصبح للصوت دلالة وإيحائية، وصدى جمالي في النفس"⁽⁴⁾، حيث يحفز "... لدى المتكلمين رغبة في أن يضيفوا علاقة داخلية إلى العلاقة الخارجية - التشابه إلى التجاور - لكي يكملوا المدلول عبر صورة أولية، ... تثير

(1). ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، م، س، ص 34.

(2). محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة-دراسة في الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة-مصر، 2005، ص20

(3). كلود ليفي شتراوس، مقدمة كتاب: رومان ياكوبسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط1،

المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1994، ص19.

(4). ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع في العصر العباسي، م، س، ص 154.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

علاقات بإحساسات موسيقية ولونية وشمية ولمسية وغيرها من الإحساسات. فعلى سبيل المثال إن التقابل بين فونيمات مرهفة وقائمة له القدرة على الإيحاء بصورة مشرقة ومظلمة، محددة ومدورة، رقيقة وغلظة، خفيفة وثقيلة إلخ. إن هذه (الرمزية الصوتية sound symbolism)،...، تظهر إلى الحياة حالما تجد توافقاً في معنى كلمة ما، وفي موقفنا الانفعالي والجمالي تجاه هذه الكلمة،... وفي اللغة الشعرية تصبح عاملاً فعلياً وتبدع نوعاً مكملاً للمدلول⁽¹⁾

يعمل على منح الصوت طاقة تصويرية، تمتد سعتها من اللمع الإيحائية لأصغر وحدات الصوت وهو الفونيم، لتبلغ ذروة استمالة المتلقي، والهيمنة على قنوات التلقي لديه، عبر التشكيل الصوتي للرسالة التي يحملها الخطاب.

ويبدو القول بالتصوير الصوتي، بما يقوم عليه من تخيل وإمتاع، نقطة اتفاق بين منكري القيمة التعبيرية للصوت والمنتصرين لها، إبراهيم أنيس وهو من أشد الحاملين على القول بدلالة الأصوات على معانيها، يضرب مثلاً للمنتصرين لها بقوله: "ومثلهم في هذا مثل الفنان الذي يرى في الصورة ما لا يراه غيره، فقد يتخيلها ناطقة، متحركة، أو يرى في ظلها وانسجام ألوانها ما لا يدركه إلا أصحاب الخيال الخصب، وما يحتاج إلى الخيال والتخيل للاهتمام إلى دقائقه"⁽²⁾، وكأن إبراهيم أنيس يقول في سياق الإنكار ما قاله ياكوبسون في سياق الإثبات لتلك العلاقة.

يقول ياكوبسون: "ومن ناحية أخرى، فإن دراسة استخدام الأصوات في اللغة (بكلمات أخرى، دراسة استخدام الأصوات بوصفها إشارات لفظية) هي الجزء المتمم للسانيات، تماماً مثلما أن دراسة الألوان - بوصفها إشارات تصويرية - هي جزء من الفن التشكيلي figurative ولا سيما نظرية فن الرسم"⁽³⁾

(1). رومان ياكوبسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، م.س، ص 147.

(2). إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، م.س، ص 149.

(3). رومان ياكوبسون، م.س، ص (75، 76)

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

وعلى هذا فإن إيجابية الصوت ودلالته، إن لم تجد لها مكانا مع صرامة النظرة اللسانية، فمكانها في الدراسات الدلالية لا ينازع، أما ضمن المقاربة التداولية فذو أهمية بالغة، سواء أ تعلق الأمر بالخطاب أو مرسله أو متلقيه "فارتباط الأصوات بمعانيها وتكوينها للصورة الصوتية المحاكية، يعطي للمبدع القدرة على خلق الدهشة، مهما كانت درجتها، وتشد الذهن وتثير الانتباه نحوها"⁽¹⁾ فمنشئ الخطاب يتقصد توظيف الكلمات ذات الدلالة الصوتية القادرة على التأثير بنوعيه العاطفي الإمتاعي و الإقناعي الذهني، فهو كما يصفه إبراهيم أنيس " ينتقي من الألفاظ ويتخير، ويفاضل ويميز بعضها على بعض، متخذاً...لفظا خاصا يأبى غيره، لأن أصواته توحى إليه ما لا توحى أصوات غيره، فهو كصاحب الجواهر ينثرها تحت مجهره الفاحص لينتقي منها ما يلائم حلية بعينها، وهو في عمله حريص على كل جواهره شديد الاعتزاز بها"⁽²⁾، وهو ما يضعنا في موقف الإقرار بوظيفة دلالية تداولية للصوت.

فالظاهر أننا "... لا نستطيع نفي المؤثرات الصوتية في المعنى الدلالي للنص، وهذه المؤثرات تحكمها مجموعة معايير منها: المستوى الأدائي للصوت، ومستوى المعيشة للنص، والحالات السيكولوجية لمنتج الصوت ومتلقيه وعصر النص وبيئته، وطبيعة الواقع الذي أنتج فيه النص ومدى اقترابه من الواقع أو ابتعاده عنه، كل هذه المعايير وغيرها تؤثر إلى حد كبير في العلاقة الحميمة بين الصوت ومؤثراته الدلالية، ويصبح لكل نص خصائصه الصوتية المميز والدالة على معناه، وذلك من خلال النظر إلى الصوت وفق منظومة شمولية للنص. والصوت في هذه الحالة يكون صوتا قصديا، أي يرتبط بقصدية النص المكتوب..."⁽³⁾، وعبر هذه القصدية يلج الإيحاء الصوتي دائرة التداولية، وأخذ له موقعا بوصفه أحد قضاياها، بوصفها تراعي من يقول؟ وماذا يقول؟ ولماذا؟ وكيف يقول؟

وهكذا تغدو البحوث التي أهتمت بجرس الأصوات ودلالاتها، ضمن رحابة دائرة التداولية بعد أن ضاقت بها الدوائر اللسانية، و لم تستوعب كل أفرادها الدائرة الدلالية. وإن كانت مهدت وبصورة مثالية

(1). ظافر عبيس الجياشي، الانسجام الصوتي في خطب نوح البلاغة، م.س، ص 175.

(2). إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص 149.

(3). مراد عبد الرحمن مبروك، م.س، ص 8.

للأفق التداولي باعتبار أن " الأهداف البعيدة لعلم الدلالة، هي المتلقي، أو بالأصح العلاقة التفاعلية بين أطراف عملية التخاطب الأدبي، أي الملقى والمتلقي... [مع تركيز] الانتباه في استراتيجيات التلقي، أي الأبعاد التي يضعها الكاتب في النص وتفرعاتها التي تشمل القارئ الضمني ومصطلحات أفق الانتظار... " (1).

لكن كيف تمارس الأشكال الصوتية وظيفتها في التأثير ، بل كيف يسهم التأثير الجمالي ذي البعد الإمتاعي في بناء الإقناع، والانتصار لمقصد الرسالة، وتحقيق أغراضها؟ ثم ماهي المسالك المنتهجة لتأمين نجاح ذلك؟ وبعبارة أخرى وكشكل من أشكال الالتقاء مع من اهتم بإقناعية الخطاب، نستعير أسئلة حسن المودن التي ختم بها دراسته حول دور بلاغة اللفظ في الخطاب الإقناعي متسائلا: "...كيف يجعل المتكلم سامعه يتأثر بألفاظه؟ كيف يدفع باللفظ إلى أن يلعب دورا في الإقناع؟ وما حدود استغلال الانفعالي والنفسي في الإقناع؟ وكيف يكون الاشتغال بشعرية اللفظ وجماليته من دون أن يعيق ذلك وظيفته التداولية؟" (2)

3-3 التأثير الصوتي من الجمالية الدلالية إلى الإقناعية التداولية:

يبدو أن حسن المودن لم يقصد الإجابة عنها، بل جعلها كنافذة إلى مزيد من البحث، ومفتاح لولوج دائرة، مجالها دراسة آليات الإقناع، المنبثقة من جوهر اللفظ ذي المكونين الشعري والتداولي، وهما المكونان اللذان يمنحان اللفظ الكفاءة في الإسهام في بنية الخطاب الإقناعية، وهي النقطة التي أولاها المودن كل الأهمية، طلبا لاستنباط أهم المقومات، وأبرز الأسس الداعمة لتحقيق كفاءة اللفظ الإقناعية، هذه المقومات والأسس، يمكن أن تلخص في ما يلي:

1- الفصاحة: هذا المصطلح ذي التاريخ العميق في الدراسات البلاغية، استُثير ببعده جديد

خلفيته ما حواه كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي (ت466هـ)، الذي يعد "... أكثر المحاولات إغراقا في الانتصار للفظ وتخصيصه بالمزية والفضل في جودة الكلام وحسنه، إلا أنه حجة قاطعة لترابط

(1) محمد رضا مبارك ، "نظرية التلقي والأسلوبية منهاج التقابل الدلالي والصوتي"، عالم الفكر، العدد1، الكويت، 1 يوليو 2004، ص87.

(2) حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي- نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب-، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2014، ص203.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع.إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الألفاظ والمعاني وتداخل ميداني الفصاحة والبلاغة...⁽¹⁾، ويكفي لتبرير هذا الحكم تعريف الخفاجي للفصاحة مصدرًا به قوله، ومستفتحا به صميم كتابه قائلا: "ونبتدئ الآن بالكلام فيما أجرينا القول إليه ونقول إن الفصاحة على ما قدمنا نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف وبوجود أصدادها تستحق الأطراح والذم، وتلك الشروط تنقسم قسمين: فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض."⁽²⁾.

ومن هنا كان "... للفصاحة بعدان تقتضي دراستهما عملا مزدوجا و مركبا: اللفظ في حد ذاته، واللفظ في علاقته بالألفاظ الأخرى،..."⁽³⁾، فهذان البعدان يظلان على حالة من التجاذب، والتراوح بين الشعرية التداولية، اللتان تبقيان دون الفعالية المرجوة إلا عبر "... تفتن بالسبل الكفيلة بانتقاء أحسن الألفاظ والتأليف بينها على أقدر الوجوه على الإمتاع والإقناع"⁽⁴⁾، وهو ما ذهب إليه مُجد مفتاح منبها على ضرورة التساند بين قيمة اللفظ الذاتية، بوصفه وحدة معجمية، وقيمة اللفظ الموضوعية، من زاوية كونه وحدة تركيبية؛ إذ يقول: "... إن التشاكل الصوتي يتحقق في الكلمة ولكنه لا يؤدي وظيفته كاملة إلا إذا تجلّى في تركيب،..."⁽⁵⁾.

2- البيان: وهو المصطلح التاريخي الآخر الذي انتقل عبره الدرس البلاغي العربي مع الجاحظ(ت255 هـ) إلى مستوى عالٍ من النضج في المراوحة بين التداولي والشعري، حيث " يمكن أن نفترض ... أن التراوح بين التداولي والشعري، في نظر الجاحظ، خاصة جوهرية في اللفظ المبين.

(1). حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس - مشروع قراءة-، السلسلة السادسة: الفلسفة والأدب، عدد 21، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص460.

(2). ابن سنان الخفاجي (أبو مُجد عبد الله بن مُجد بن سعيد)، سر الفصاحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1982، ص63.

(3). حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي - نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب-، م.س، ص(164،165).

(4). المرجع نفسه، ص165.

(5). مُجد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص-، م.س، ص56.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

ومن أجل أن تتوفر هذه الخاصية في اللفظ، لا بد من توفر شروط ومبادئ يجمعها الجاحظ في قوله: "... ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا، ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلّم من فساد التكلف، كان قمينا بحسن الموقع، وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين، وآلات القلوب به معمورة، والصدور مأهولة. ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه، متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حَبَّب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشّت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب،..."⁽¹⁾، فاللفظ المبين بحسب الجاحظ، لفظ تضبطه شروط داخلية، وأخرى خارجية

أما الداخلية فمتعلقة باللفظ من جهة كونه بنية يشكلها تآلف بين مجموعة أصوات، وفقا لعلاقات محددة؛ وطبيعة ونوع هذه العلاقات هي ما يمنح اللفظ تميزه، ويصنع له قيمته في نفسه، وبين أفراد جنسه، وهو ما يعني أن "تخير اللفظ أو اختياره شرط أساس وأولي، لأنه يعني أن المتكلم البليغ هو الذي يفكر في الألفاظ الملائمة اللائقة التي تسمح لا بإبلاغ المعاني والمضامين فقط، بل وتسمح بالتأثير في السامع بخصائصها الذاتية أيضا."⁽²⁾.

أما الشروط الخارجية فهي تلك التي تحكم ترابطه بغيره، في بنية أكبر، نصا أو خطابا، وهي التي سماها المودن "المشكلة" آخذا لها من قول الجاحظ "ومتى شاكل ... اللفظ معناه..."⁽³⁾، وبناء على قول الجاحظ، وبحسب المودن فإن هذه المشكلة تضيق لتختص بما هو لفظي صوتي خالص، حينما يماثل ويتناغم مع معناه، كما قد تمتد وتتسع لتجعل اللفظ مشاكلا لجنس النص ومقامه وغرضه⁽⁴⁾.

(1). الجاحظ، البيان والتبيين، م.س، ج2، ص7.

(2). حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي - نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب-، م.س، ص167.

(3). الجاحظ، البيان والتبيين، م.س، ج2، ص7.

(4). ينظر: حسن المودن، م.س، ص(168،169).

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

وباجتماع الشروط داخليا وخارجيا يكتسب اللفظ كفاءة تداولية إقناعية وإمتاعية؛ إقناعية... تتصل بالأذهان، وتلتحم بالعقول...⁽¹⁾، وإمتاعية تصير... القلوب به معمورة، والصدور به مأهولة...⁽²⁾، وكلاهما يعمل على وضع المستمع تحت توجيه الخطاب، والعمل بمقتضاه محققا كفاءته الإنجازية، التي ينتجها اللفظ المبين باعتبار أن "البيان ليس تنميكا للكلام ولا تحريفا للخطاب، وإنما تحقيقا لأقصى إمكانات التبليغ تحقيقا يؤدي إلى إغماض المخاطب بالعمل والتغيير"⁽³⁾؛ فيكون الخطاب "... قمينا بحسن الموقع، و بانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين..."⁽⁴⁾.

3- البديع: وهو غير ذلك الذي لا يُمنح إلا دورا ثانويا، ولا يقع من البلاغة إلا موقعا هامشيا، بل هو الذي يمتد إلى "...معنى أوسع و أخطر من التحسين والتجميل..."⁽⁵⁾، ويكتسب مفهوما إيجابيا مغايرا، محوره الأساس "... أن يستعمل المتكلم أسلوبا راقيا رفيعا، وهو أسلوب ينظر إليه على أنه جليل وغني وقوي وخطير، لأنه يؤثر في السامعين بكل الطرق والعناصر الأسلوبية الممكنة"⁽⁶⁾، مما يرتقي بالبديع إلى مستوى وظيفي تداولي.

يؤدي فيه دور التأثير في المستمع، يجعله يتفاعل مع الرسالة الموجهة بشكل أكثر فاعلية. وحينها تغدو فكرة حصر وظيفة أشكال البديع في التحسين الشكلي، فكرة قاصرة، ويصبح "هذا الرأي ليس صحيحا، إذ أنّ لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك. والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي

(1). الجاحظ، ، البيان والتبيين، م س، ج2، ص7 .

(2). المرجع نفسه، ص.ن.

(3). طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1، م.س، ص293.

(4). الجاحظ، البيان والتبيين، م.س، ج2، ص7 .

(5). ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي - نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب-، م.س، ص178.

(6). Michel Patillon : Eléments de rhétorique classique, ed Nathan Université, Paris, 1990, p85.

نقلا عن: حسن المودن، م.س، ص178.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

تثبت أنّ الحجاج من وظائفها الرئيسة، وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها، وإن كان لا يمنع المرسل من أن يبدع كيفما شاء.⁽¹⁾

فأساليب البديع التي طالما سيقّت في سياق الحلية والزينة "مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست طرق اصطناع التحسين والبديع، وإنما هي أصلاً، أساليب للإبلاغ والتبليغ"⁽²⁾، كما سيظهر من خلال التطبيق على الخطابة العربية.

إذن فالثلاثية المكونة من الفصاحة، والبيان، والبديع، ليست مجرد عناوين إعتباطية لأقسام البلاغة، أنشأتها النظرة الجزئية والتجريبية⁽³⁾، لدراسة الخطاب، بل هي أقطاب لبيان آلية اشتغال البلاغة وفقاً لنظرة كلية وتكاملية.

فقد "اتجهت الدراسات التي اهتمت بهذه الفنون بمنهج جزئي غير متكامل في تعاملها مع النص الإبداعي، فلكل مساره الذي لا يلتقي مع الآخر، حتى أصبح النص-حينئذ- فنونا غير متلاقية لا تصب في رافد واحد. مما مزق العمل الإبداعي وأضاع عليه تكامله واتحاده نحو غايته ورسالته"⁽⁴⁾. ولعل فلسفة الاتجاه الكلي والتكاملي قد تجلت عبر فحص كفاءة اللفظ الإنجازية، بعدّه عنصراً بنائياً في الخطاب، تبينها الخطاطة التالية:

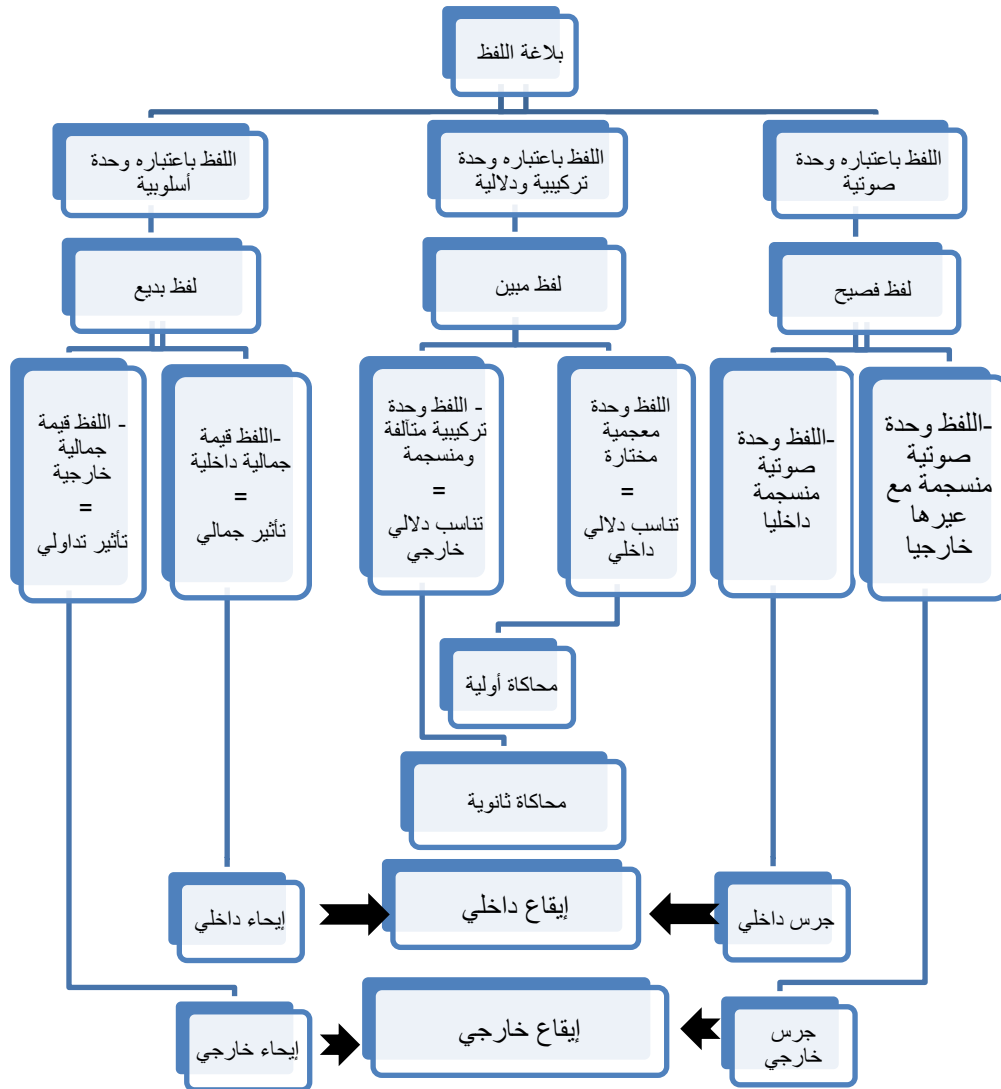
(1). عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، ط2، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015، ص(282،283)

(2). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. م.س، ص290.

(3). توضيح حول المصطلحين الجزئية المهمة بجزءاً من النص أي الجملة، والتجزئية المعنوية بتقسيم النص إلى مستويات منفصلة، دون البحث في علاقات الترابط والتكامل.

(4). محمد السيد أحمد الدسوقي، إنتاج المكتوب صوتاً-دراسة في إبداع الصوت في النص الأدبي، ط1، دار العلم والإيمان للنشر و التوزيع، الإسكندرية-مصر، 2008. ص 32.

الفصل الثاني _ ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي



3-4 التصوير اللفظي من ثلاثية (فصاحة بديع، بيان) إلى ثنائية (إقناع محاكاة):

إن مخرجات الخطاطة السابقة، ستجد لها في الدراسات المعاصرة موضع احتفال، ومنزل اهتمام ، سيقودانها إلى مستويات من الصقل المنهجي و العلمي، سيمسّ المحتوى والشكل، بصورة تتناسب والمناهج اللسانية الحديثة، لتؤول آلية اللفظ الحجاجية، وبنية كفاءته الإنجازية إلى ثنائية الإقناع، والمحاكاة، وهنا سؤال نصه: كيف تسهم هذه الثنائية، وبصورة متكاملة في تلقّي الخطاب، والعمل بمقتضاه؟ لكن وقبل الإجابة على هذا السؤال، لتتعرف على مفهوم طرفي هذه الثنائية، فما الإقناع؟ ومحاكاة؟ .

3-4-1 مفهوم الإقناع:

الإقناع مفهوم واسع الانتشار، كثير الحضور في حياتنا، وقد اتسم بهذه السمة، واستحق هذا الوصف لما يحمله من دلالة على الحركية، حسا ومعنا؛ ذلك أن " ... فكرة الإقناع [هي] من التصورات المألوفة جدا عندنا، فتعاقب النهار والليل، تعاقب الفصول الحارة والفصول الباردة، ... تعاقب العمل والراحة، تعاقب اليقظة والنوم... حتى إنّ لعبة أعضائنا الأساسية جدا تقدّم دوما أمثلة عن الحركة الإقناعية"⁽¹⁾، وحين تقترن " الحركية" بنظام في التعاقب والتناوب، على وجه التوازن أو التناسب، يكتسب الإقناع هيمنة على الحياة، فعلا و تأثيرا.

لكن ويقدر الحضور والهيمنة، يشند غموضه، ويزداد خفاؤه، ليصير " ... واحدا من الظواهر التي يتعذر تعريفها بشكل دقيق؟ لا لشيء إلا لكونها مألوفة، ولأن تأثيرها ملموس ومستمر دون أي انقطاع..."⁽²⁾، وهو الرأي الذي يذهب إليه ل. بواس معتقدا أن: "... الإقناع هو في جوهره مفهوم ذاتي... [و] هو روح الديمومة، و أن هذا في كل مكان... لهذا بالذات يكون من الصعب جدا تحديد الإقناع،..."⁽³⁾، لذا ومن

(1) L. weber, Le rythme du progrès, ch.IV, p.105. 4)

نقلا عن: أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، مج1، ط2، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 2001، ص1226.

(2) . علي عبد الله، "جماليات الإقناع في الفن الإسلامي"، البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد 16، العدد 1، الأردن، 2013، ص175.

(3) . أندري لالاند، م.س، ص 1226 .

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

أجل تخفيف الغموض حول مفهوم الإيقاع، وبغرض دفعه إلى مستوى أرفع من الوضوح، والانضباط رأى عدد من الباحثين⁽¹⁾ أنه "من اللازم تخصيص هذا اللفظ لما يتسم إما بسمة دورية منتظمة، وإما بسمة صورة متناسقة، مماثلة لصورة الدور الخطابي أو الجملة الموسيقية..."⁽²⁾، و تبعا لهذه النظرة وقصدا لهذا الهدف" صار مصطلح "الإيقاع" بمفهومه الضيق والمتشعب من المصطلحات المتداولة بين الموسيقيين وهم الأصل، والعرضيين وهم الفرع، والشعراء وهم المنتجون، والنقاد وهم المقيمون. ثم زحف إلى مجالات أخرى..."⁽³⁾، فما مفهوم هذا المصطلح؟

• الإيقاع في الاصطلاح:

قد يكون من المناسب القول أن تقديم تعريف اصطلاحي للإيقاع لا يتأتى إلا عبر انتقاء، يمليه إطار البحث، ويحدده منهج المقاربة، ذلك أنه " لا يوجد للإيقاع في الاصطلاح الفني عند النقاد تعريف جامع مانع، بل تعددت التعريفات حسب ثقافة المعرف وخبراته..."⁽⁴⁾، حتى إن معاجم ذات صلة وثيقة بمجال تردد هذا المصطلح، لم تورد، مثل (معجم المصطلحات البلاغية عند العرب لأحمد مطلوب)، و (معجم العروض والقوافي لرشيد العبيدي)، و(معجم مصطلحات الفارابي الموسيقية لحسين علي محفوظ)⁽⁵⁾، لكن المعاجم التي تتطرق إليه وضعته في مقابل "rhythm" الإنجليزية، و"rythm" الفرنسية، اللتان تعودان إلى الأصل اليوناني "rhuthmos".

(1). ينظر: أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، م.س، ص 1226 .

(2). المرجع نفسه، ص 1226 .

(3). محمد علوان سلمان، الإيقاع في شعر الحدائث — دراسة تطبيقية على دواوين: فاروق شوشة- إبراهيم أبو سنة-حسن طلب-رفعت سلام-، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر، 2008، ص 21.

(4). المرجع نفسه، ص22.

(5). ينظر: الحساني عادل نذير بيري، الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع-الأردن، ودار مؤسسة دار الصادق الثقافية- العراق، 2012، ص27.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

ومعناه الجريان والتدفق، ويقصد به التواتر المتتابع بين حالة وضدها، كما بين الصوت والصمت، أو النور والظلمة،...، أو الإسراع والإبطاء،...، راسماً علاقة بين الجزء ونظيره، بالنسبة لمحور داخلي ضمن الجزء نفسه، أو بالنسبة لمحور خارجي بين الجزء و كل الأجزاء الأخرى للأثر الفني أو الأدبي⁽¹⁾.

وارتباط الإيقاع بالفن والأدب يجعله " في الاصطلاح الأدبي بعامته، والشعري بخاصته، هو حركة النعم الصادر عن تأليف الكلام المنثور والمنظوم، والنتائج عن تجاوز أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، وعن نسق تزواج الكلمات فيما بينها، وعن انتظام ذلك كله، شعراً، في سياق الأوزان والقوافي."⁽²⁾، فالإيقاع إذن حاصل نشاط نغمي مرافق لحركة التجاور والتآلف المنتجة للكلام.

وقد يرافقه الوزن والتقفية شعراً، أو يغيب عنه نثراً، وإن كان حضوره في الشعر أُلزم منه في النثر، "...فظاهرة الإيقاع غير مختصة بالشعر فقط، إنما هي قاسم مشترك بين الشعر والنثر على تباين في نسبة تجليها..."⁽³⁾، فالإيقاع مظهر اتفاق بين النثر والشعر، لا معيار افتراق، وإن يكن هناك من فرق فإن " الفرق الإيقاعي بين الشعرية والنثرية، هو فرق في الدرجة، حيث يجمع بين الخطاب الشعري والنثري كثير من ظواهر التغير والثبات، والتخالف والتوافق، وكثير من ظواهر التساوي والتوازي."⁽⁴⁾

وهو الأمر الذي يدفع إلى القول إن " الإيقاع نوع من الانزياح في الخطاب، ينقله من المستوى النثري إلى المستوى الشعري، وهذا الانزياح يختص بالكيفية التي ترتب بها الأصوات في النص، فالشعرية لا تتحقق دون الإيقاع..."⁽⁵⁾

(1) ينظر: ثروت عكاشة، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، إنجليزي-فرنسي-عربي، د ط، مكتبة لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، 1990، ص400. و وهبة مجدي وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص71.

(2) إميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1987، ص276.

(3) محمد علوان سلمان، الإيقاع في شعر الحدائث، م.س، ص23.

(4) محمد عبد المطلب، البلاغة العربية -قراءة أخرى-، ط1، الشركة المصرية العلمية للنشر-لونجمان، القاهرة-مصر، 1997، ص354.

(5) هدى الصحنوي، "الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة: بنية التكرار عند البياتي نموذجاً"، مجلة دمشق، المجلد 30، العدد 1+2، 2014، ص92.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

فما يمنحه الإيقاع للخطاب النثري ليس شيئاً سحريا يجعله شعرا، بل هو نوع يشبه السحر يجعله مؤثرا وممتعا. دون أن يفقده طاقته التقنية المتولدة عن شكله الخطي المفتوح، التي تبقيه أنسب للحجاج والإقناع.

والإيقاع في النثر من الناحية التاريخية وجد ملتزما في النثر اليوناني في عهد ثراسيمخوس Thrasymachos (كان حيا بين 430 و 400 ق م تقريبا)، كما أهتم به في الحقبة اللاتينية، ومنها إلى الآداب الفرنسية والإنجليزية، أما عند العرب فقد كان النثر ابتداء على غير وزن ولا قافية ولا إيقاع، ولا اهتم بالتخييل والتصوير، ثم تدرج ناميا مستعيرا من الشعر بعض خصائصه، فدخله المكون الإيقاعي، والسجع فيه أبرز الأمثلة⁽¹⁾.

مما سبق قد يكون الإيقاع شديد الصلة بوسم حركي ميكانيكي⁽²⁾، خال من البعد النفسي الإيحائي، مما يوهم رفضه لنزعة أسلوبية نفسية، بيد أن " الإيقاع هو، في حصيلته النهائية، تواتر الحركة النغمية، من حيث تألف مختلف العناصر الموسيقية، أو تنافرها، ومن حيث درجة ذلك التألف، ومؤثراته الإيحائية، ..."⁽³⁾، مما يعني اعتضاد الموازنة الصوتية بالإيحائية الأسلوبية لخلق الأثر الإيقاعي، المتولد عن التشكيل الصوتي، ذلك أن "... للتشكيل الصوتي علاقة قوية بالصورة التي يتطلبها المقام، كالعذوبة والرقّة عند الوعد، أو الشدة والتوجس عند الوعيد، وما يثير من أحاسيس مختلفة، أو متباينة، كالإحساس بالبهجة والرضا، الأمل والرجاء، أو الإحساس بالألم، والخيبة، واليأس والإحباط."⁽⁴⁾

إن عرض الإيقاع وفقا لمفهومه الاصطلاحي، ينتهي بنا إلى استخلاص النقاط التالية:

- الإيقاع مكون فاعل في بنية الخطاب النثري، فضلا عن الخطاب الشعري.

(1). نظر: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، م.س، ص(71،72).

(2). ويعطي عز الدين إسماعيل مثلا لهذا السمة بقوله: "... ومثله صوت القطار، فهو ممل وإن كان به إيقاع، ومن ثم برزت الحاجة إلى إدخال عنصر جديد على هذا الإيقاع، ويلونه ويبعث فيه الحياة." (الأسس الجمالية في النقد العربي، ط 3، 1974، ص124) وهذا العنصر الذي من شأنه فعل ذلك بالنسبة إلى الدكتور عز الدين إنما هم النغم أو " المبلودي" و هو عنصر وإن أدخل الانتعاش على النفس، فإنه يظل مفتقرا لمشاعر الحياة من قوة، وسعادة و شفقة، وحزن،... وغيرها، وهي المعاني التي يؤديها الإيحاء الأسلوبية النفسي، بصورة أنجع وأدق .

(3). إميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، م.س، ص276.

(4). بوزياني خالد، الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين و الأسلوبيين، م.س، ص 305.

- الإيقاع صناعة صوتية تنشؤها حركية الأصوات، وفقا لضوابط الموازنة، والتناسب.
- يشتغل الإيقاع في الخطاب حول محورين: داخلي، وخارجي؛ منقسما إجرائيا إلى: إيقاع داخلي، وإيقاع خارجي؛ يبين مفهومهما ما يلي:

3-4-2 أقسام الإيقاع:

جرى في تحليل الخطاب الشعري تقسيم الإيقاع إلى إيقاع خارجي متعلق بالوزن والقافية، وإيقاع داخلي ينتظم كثيرا من مظاهر البديع كالترصيع، والتصرّيع، والجناس، والموازنة، وما إلى ذلك،⁽¹⁾ " فالإيقاع مفهوم شامل للهندسة الصوتية في القصيدة، بينما الوزن والقافية لا يشكل إلا المستوى الخارجي منه... ولذلك يضم الإيقاع إلى مداره ضروب البديع والتكرار والقافية الداخلية وحروف المد والهمس والجهر ومدى التآلف بين هذه العناصر نفسها، من جهة، وتناغمها مع تجربة الشاعر، من جهة أخرى، هو الذي يحدد الإيقاع الداخلي،... " ⁽²⁾.

وبهذا يفهم أن "الإيقاع ليس إشارة بسيطة، بل هو نظام إشاري مركب ومعقد من مفردات عديدة، إذ لا يقف التناسب الصوتي عند المقاطع لكنه يمتد إلى الجناس، أو الجرس الصوتي، وإلى الأوزان الشعرية، والإتباع والازدواج، وكلها تسهم في تشكيل المعنى التنغمي وتوسيعه، وتوسيع دلالة النص الأدبي، ويظهر بوضوح عندما يعمد الشعراء إلى استغلال إمكانيات الأصوات وتطويع قدرتها على الإيجاء بالمعنى ومحاكاته"⁽³⁾

وإذا كان الإيقاع الخارجي في الخطاب الشعري ركيزته الوزن والقافية ، وكان مدار الإيقاع الداخلي فيه، حول صنوف البديع، و السمات الأسلوبية الصوتية، فإن افتقاد الخطاب النثري لخاصية الوزن والقافية؛ يجعل المصطلحين يحملان مفهومين آخرين، ليس بالضرورة مغايران تماما للأولين ، بل على العكس، يتفقان في جانب واسع، ويلتقيان في عديد القضايا. يكشف عن ذلك التالي:

(1). ينظر سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، م.س، ص 126.

(2). هدى الصحنوي، الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة، م.س، ص 95.

(3). علي عبد الله، "جماليات الإيقاع في الفن الإسلامي"، م.س، ص 187.

• الإيقاع الداخلي في الخطاب النثري:

وهو ذلك الذي يظهر على مستوى المفردة، ويعرفه أبو حمدان بقوله: "... الإيقاع الداخلي ونعني به جرس اللفظ المفرد أو ما يطلق عليه بلاغيوننا القدامى اسم "فصاحة المفرد" له وقعه النفسي، ومدى التوافق بين هذا الإيقاع وبين ما ينطوي عليه اللفظ من دلالة وإيحاء." (1)

وهذا النوع يقصد إليه المبدع في مسلك أول باختياره أصوات بعينها تملك دلالة محورية في بنية دلالة نصه العامة، فيجعله مرتكزه لخدمة رسالته، وإبلاغها إلى المتلقي، وذلك عن طريق تكرار هذه الأصوات، إما عبر مفردة كاملة، أو عبر جزء منها (2).

• الإيقاع الخارجي في الخطاب النثري:

وهو الإيقاع الذي يبرز عبر السياق، ويحمله التركيب، ويعرفه بقوله: "... الإيقاع الخارجي ولعلنا نعني به الموسيقى الناتجة عن ارتباط عدد من الألفاظ وتآلفها مع بعضها البعض، إن هذا الارتباط وذلك التآلف بين الألفاظ والمفردات يولدان الإيقاع العام الخارجي سواء في النثر أو في الشعر..." (3)

ويتسم هذا النوع على مستوى الملكة الإبداعية بكونه المسلك الثاني الذي ينهجه المبدع، من أجل توزيع وتوظيف المسلك الأول في مساحة النص، وعبر وحدات بنيتها، سواء على مستوى البيت في الخطاب الشعري، أو على مستوى التركيب في النص النثري. (4)

إن تقسيم الإيقاع هذه القسمة أمر اتفق عليه المحدثون و القدماء، يجعلهم الإيقاع نمطين : الأول يحدثه انتظام الصوت، نظماً ووزناً في الشعر ونغماً في النثر، والثاني يستوي فيه الشعر والنثر، و ينشئه التناسب والتوافق على مستوى نسيج الخطاب ونظمه، سبكا وتأليفاً (1).

(1). سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ط1، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، 1991، ص 68.

(2). ينظر: محمد السيد أحمد الدسوقي، م.س، ص(13،14).

(3). سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، م.س، ص 69.

(4). ينظر: محمد السيد أحمد الدسوقي، م.س، ص 14.

3-4-2 الأثر التداولي للإيقاع:

يعد الإيقاع في الأصل مبحثاً من المباحث التي لا يمكن أن تغفلها المقاربات الجمالية للخطابات، ورغم هذا فهو ليس ذلك المبحث الجمالي المحض، والخلو من أي مقوم تداولي، بل إن البعد التداولي فيه كامن بالأساس في تلك الطاقة الإيحائية والدلالية للصوت، حيث إن "الإيقاع الصوتي يقوم على التأثير في حاسة السمع، ثم ينعكس ذلك على الحالة الوجدانية، والفكرية عند المتلقي، ويترك أثراً في قواه الذهنية والتخيلية، ويتحقق ذلك من خلال الإطار البنائي، الذي ينتظم أحرفاً، وألفاظاً، وتراكيب، تتوزع وفق هندسة صوتية معينة؛ يعتمد فيها الشاعر على التقسيم والتكرار، أو يستخدم تقنيات صوتية تابعة من استثمار آليات البديع، مما يجعل الإيقاع منبثقا عن جملة من التقنيات، التي تخلق بتضافرها وحدة وزنية متكاملة ومتناسقة..."⁽²⁾

و تشكل هذه الوحدة حلقة وصل بالغة الأهمية في عملية التواصل بين المرسل والمتلقي، ورابطاً متيناً تُتبادل عبره شحنات التأثير والتأثر بينهما، "ولعلنا لا نغلو في القول إن هذا الإيقاع يصيب مرمى إبلاغياً مؤثراً في حالتين: أن يكون تعبيراً عن حركة النفس الداخلية للشاعر أو الأديب، وأن يتضمن الشحنات والإيحاءات النفسية التي تسهل مروره إلى الجانب الآخر حيث المتلقي"⁽³⁾

فالإيقاع "...أن يستخدم الفنان قدرات أصوات الحروف، ونغمات الألفاظ، والتراكيب، وينسق بينها، بحيث تترجم ما يعتمل في نفسه، وتجذب المخاطب إلى محيطها، ليدوب في أجوائها، ويظل في جنباتها، لا ينفك عقله مع نفسه مع روحه في تجاوب متصل مع الفنان وعمله الفني."⁽⁴⁾

(1). ينظر: معن مشتاق عباس، "أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين-قراءة في وظيفة التداخل المعرفي"، الرسالة 250، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السابعة والعشرون، جامعة بغداد-العراق، 2006، ص 48.

(2). هدى الصحنائي، الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة، م.س، ص 91.

(3). سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ص 69.

(4). منير سلطان، البديع تأصيل وتحديد، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986، ص 23.

أي أن الإيقاع يملك قدرة فائقة على التجسيد والتشكيل لذا؛ ففي صلب العملية الإبداعية "تتمتع وظيفة الإيقاع في العمل الفني، على وفق نظام تشكيل المرئي في المكان، وتشكيل المسموع في الزمان، بحيث يؤثر إمتاعاً وإقناعاً في ذائقة المتلقي، وإدراكه الثقافي لذلك الدور المؤثر في بنية العمل الفني وتركيبته،..."⁽¹⁾.

وعلى هذا الأساس فإن " ... ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك من الظواهر الشكلية المحضنة يمكن أن يكون له تأثير حجاجي من خلال ما يتولد عنه من إعجاب ومرح وانبساط وحماس لدى جمهور السامعين."⁽²⁾. وحاصل الأمر فيما يتعلق بالوظيفة التداولية للإيقاع، وكما قال أوليفي روبرول أنه: "و في كل الأحوال، يخلق الإيقاع إحساساً بالبداية خاصة بإرضاء الذهن، لكنه خاص أيضاً بتعبئته... إنه يضع الفكر في الطريق الصحيح"⁽³⁾،

وكأن الإيقاع يتجاوز سيمته الجمالية، ووظيفته التطريزية، و يحوّل جهة تأثيره من المشاعر القلبية إلى المدارك العقلية. بحيث " لا يعني خضوع الجانب الجمالي للجانب التداولي حجراً على الإبداع كما قد يتوهم بادي النظر، وإنما هو استجابة لقانون عام يحكم التواصل الإنساني بمجمله، وهو الذي يقضي بأن نجاح التواصل لا يتم إلا بالاستجابة لقوانين التداول..."⁽⁴⁾، وذلك هو الأمر الذي تكشف عنه آلية عمل المكون البلاغي في الخطاب.

ففي سياق (تواصل)، ينتجته مقام محدد، تحمل البنية التركيبية-والبنية الصوتية إحداها- دلالة، هذه الدلالة تقول إلى معنى ذي قيمة حجاجية، وفقاً للخطاطة التالية⁽⁵⁾:

(1). علي عبد الله، "جماليات الإيقاع في الفن الإسلامي"، م.س، ص 176.

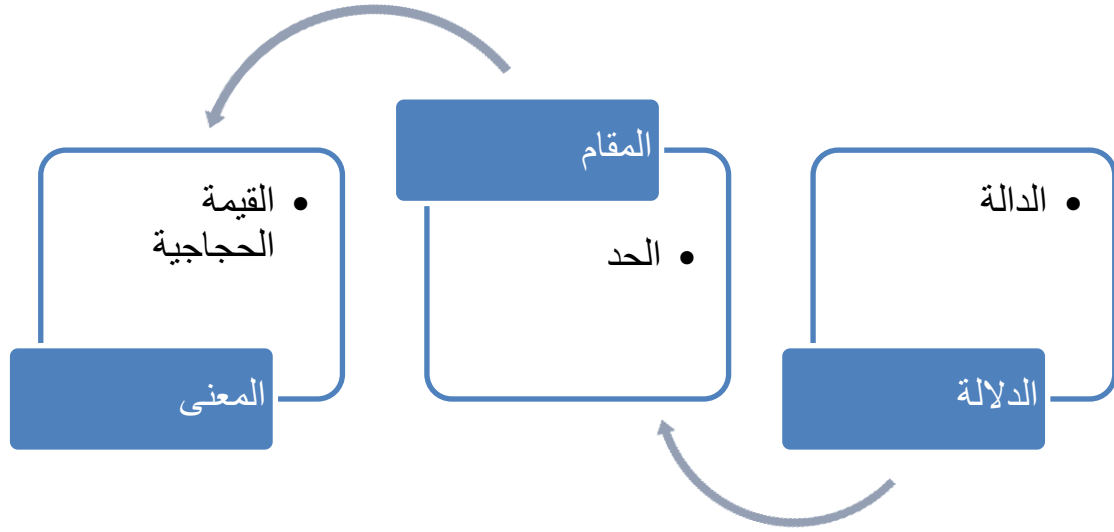
(2). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص 34.

(3). أوليفي روبرول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص 144.

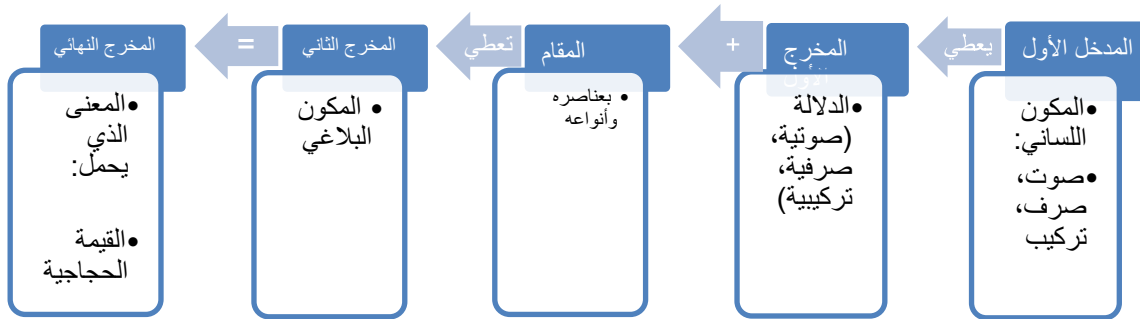
(4). عبد الجليل هنوش، "ابن طباطبا العلوي والتصور التداولي للشعر"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 21، الرسالة 168، مجلس النشر العلمي-جامعة الكويت، 2000، 2001، ص 68.

(5). ينظر: جاك موشلر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م.س، ص 230.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

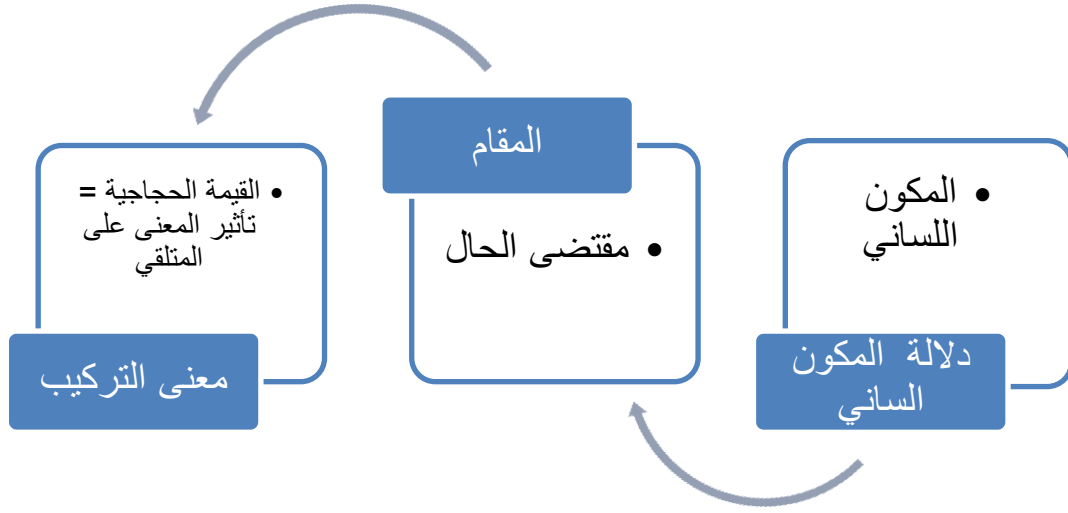


ومن أجل توضيح هذه الآلية بصورة أكثر تفصيلاً، وبحسب ديكرود فإن الهندسة التداولية تنظر إلى المكون البلاغي بوصفه حلقة وصل بين المكون اللساني، و معنى القول وأثره الحجاجي، حيث يشكل المكون اللساني مدخلاً مخرجه دلالة الجملة (الملفوظ)، التي تتعاضد مع المقام (ملايسات إلقاء القول)؛ فيشكلان مدخلاً آخر مخرجه معنى القول، الذي يحمل القيمة الحجاجية للقول.⁽¹⁾ ولعل الترسيم التالية توضح المقصود:



و الجمع بين الخطاطين نخلص إلى ما يلي:

(1). ينظر: جاك موشلر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م س، ص 230.



3-4-2 المحاكاة:

المحاكاة مفهوم أساس في الصناعة الفنية والأدبية، جعله أرسطو ركنا حاضرا في كل عمل فني، وإنما تختلف باختلاف مادة المحاكاة، أو موضوعها، أو طريقتها، وإذا كان في الناس من يوظف في محاكاته ألوانا وأشكالا ومنهم من يستعمل الصوت، فإن فنونا قوامها اللغة كالشعر، والنثر؛ فالمحاكاة فيها تحدث بالوزن والقول والإيقاع، إما بواحد منها على الانفراد أو بما مجتمعة⁽¹⁾،

ومن أنواع المحاكاة التي تتوسل بها اللغة، لتشكيل الحدث اللغوي، المحاكاة الصوتية، التي تحمل في فلسفتها ما مفاده أن "لبعض الأصوات قدرة على التكيف والتوافق مع ظلال المشاعر في أدق حالاتها، وترتبط الظلال المختلفة للأصوات باتجاه الشعور، وهنا تثيري اللغة ثراء لاحدود له"⁽²⁾، تكتسبه اللغة بكونه أثرا واضحا للبعد التصويري المنبثق من المحاكاة الصوتية، التي يمكن تعريفها تبعا لكونها "طاقة خالصة للغة"⁽³⁾ بأنها: "هي الصورة التي ترسمها الأصوات في ذهن المتلقي، من خلال الربط بين إيجاء الصوت ودلالته

(1). ينظر: أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: ابراهيم حمادة، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت، ص 55، 56.

(2). ينظر: محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي -مدخل لغوي أسلوبي-، ط 1، دار المعارف، 1988، ص 14.

(3). ينظر: المرجع نفسه، م ن.

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

على المعنى في ضوء معطيات السياق الوارد فيه، ووفق تشكيله، وترتيبه على نحو معين في اللفظ"⁽¹⁾. وتعتبر بسيط هي كما قال أولمان Ullmann: "نوع من التوافق بين العلامة اللغوية ومعناها"⁽²⁾.

وعلى غرار الإيقاع الصوتي، فإن المحاكاة الصوتية تنقسم إلى: داخلية على مستوى الكلمة أو اللفظ المفرد، وتسمى أولية؛ و خارجية على مستوى نسيج الخطاب، أو اللفظ المركب، وتسمى ثانوية.

• المحاكاة الأولية:

يأتي هذا النوع من المحاكاة على مستوى المفردات فقط، إذا اشتملت على صوت، أو أكثر يحاكي الحدث وينسجم معه، أو مع الحالة الشعورية لدى الإنسان "ورما سميت بالأولية لكونها أبسط أشكال المحاكاة، ولأنها تلحظ سريعا فور ورودها على ذوي الآذان المرهفة"⁽³⁾، فالمبدع يكرر صوتا بعينه، أو مجموعة من الأصوات فيكون لها مغزى يعكس شعورا داخليا للتعبير عن مقصد محاكاتي دلالي، وفيه يتفوق الجرس الصوتي على منطق اللغة، فيخرج عن قيد الصوت المحض إلى دلالة تحرك المعنى وتقويه"⁽⁴⁾

• المحاكاة الثانوية:

تعتمد المحاكاة الثانوية على التراكيب التي تضم مفردات لها صفات صوتية معينة، أو مرتبة ترتيبا موسيقيا خاصا توحى، أو تحكي للسامع الصورة المراد التعبير عنها بواسطة الأصوات، إما بنقلها إليه ووضعها بين يديه قريبة منه، أو جعله يقتبسها لحظة من الزمن"⁽⁵⁾، وهذا النوع من الموسيقى الداخلية "ليس نغمات مكررة فقط، بل هي تصوير لجو المعنى طلبا للتواصل المستمر بين المتكلم، والمخاطب، والموضوع"⁽¹⁾.

(1). ظافر عبيس الجياشي، الانسجام الصوتي في خطب نوح البلاغة، ط1، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015، ص175.

(2). Ullmann, Stephen, Meaning and Style, Oxford, 1973, p15. نقلا عن: محمد العبد، م.س، ص14.

(3). صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، ص277.

(4). ظافر عبيس الجياشي، الانسجام الصوتي في خطب نوح البلاغة، م.س، ص176.

(5). المرجع نفسه، ص190.

3-4-3 الفرق بين المحاكاة والإيقاع:

المحاكاة الصوتية، باعتبارها وسيلة تعبيرية، تسهم في تحقيق الكفاءة التواصلية، في تداول الخطابات، قد تتداخل مع الإيقاع من منطلق انبثاقهما من المكون الصوتي للخطاب، لكن يمكن الحجز بينها وتمييز أحدهما عن الآخر، باعتبار أن الإيقاع عمدته القيمة الإيجابية الصوتية ذات الطابع الفيزيائي، في حين تقوم المحاكاة الصوتية على القيمة الدلالية للصوت اللغوي⁽²⁾، ومعلوم أن " الفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت وبين الإدراك الذهني الذي للحرف أي بين ما هو مادي محسوس وبين ما هو معنوي مفهوم"⁽³⁾. و باندماج الحرف أو الصوت في اللفظ يصبح " اللفظ... من جهة، وحدة دلالية تتجاوب مع أخرى بالاختلاف الدلالي أو عدمه، وهو من جهة ثانية، سلسلة من الأصوات تقابل سلسلة أخرى في لفظ آخر"⁽⁴⁾، وباعتماد معياري الصوت والدلالة يمكن تحديد أهم نقاط التمايز بين المحاكاة الصوتية، و الإيقاع الصوتي وفقا للخطاطة الآتية⁽⁵⁾:

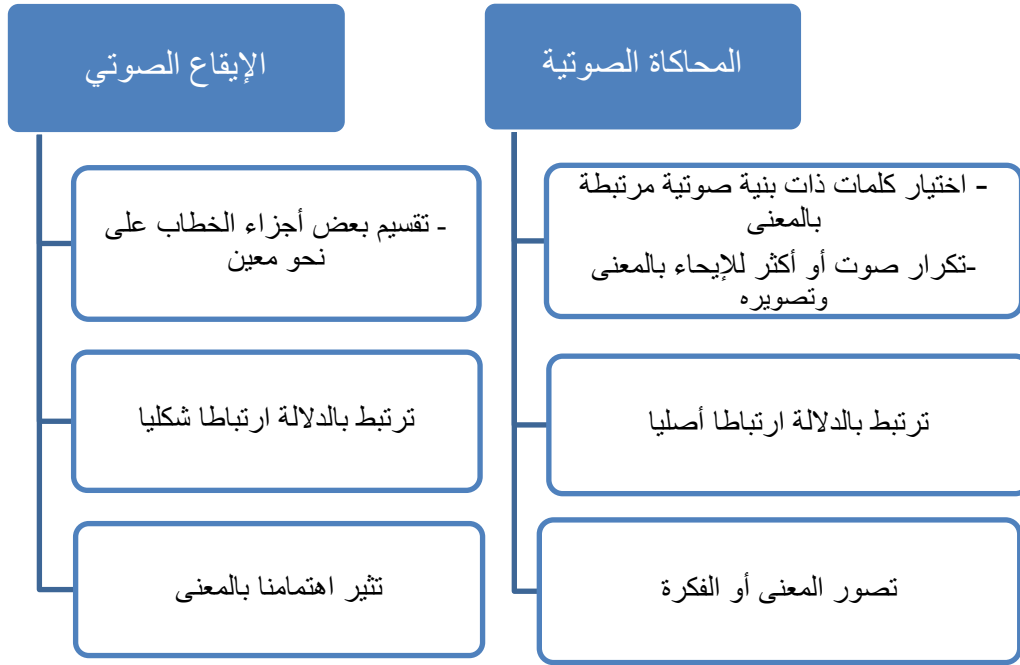
(1). منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، م س، ص 23.

(2). وأساس التفريق هو تفريق علماء الصوت بين الصوت Sounds الذي ينتمي إلى مجال علم الأصوات العام Phonetics، والحرف Lettre الذي ينتمي إلى علم الأصوات الوظيفي Phonology؛ فالأول -فونيتيك- مهمته دراسة الجانب المادي للصوت، دون النظر إلى وظائفه اللغوية، أما الثاني- فونولوجيا- فتهتم بالبحث عن وظائف الأصوات، وذلك بعرض القيم الصوتية، وصورها الذهنية، وتنظيمها، ووضع القواعد والقوانين لها، على ما هو محتزن في ذهن المجموعة الاجتماعية المعنية. (ينظر: هلال حامد عبد الغفار ، علم اللغة بين القديم والحديث، ط2، مطبعة الجبلاوي البولاقية-شبرا، 1986، ص 86).

(3). تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 73.

(4). محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية-نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2001، ص 182.

(5). ينظر: محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي-مدخل لغوي أسلوبي-، م.س، ص(31،32).



3-4-4 علاقة ثنائية (الإيقاع، محاكاة) بالبديع:

كثيرا ما تشير الدراسات الحديثة إلى أن الإيقاع يبعده الصوتي، والمحاكاة ذات الطبيعة الدلالية، يضمّان تحتها ألوانا من التقابلات الدلالية والصوتية، التي تندرج ضمن ما أسماه القدماء بعلم البديع⁽¹⁾

ومن ثمّ صار المعياران، الدلالي والصوتي هما أساس مختلف التقسيمات لأنواع البديع، سواء تلك التي قسّمتها إلى محسنات معنوية ولفظية كما هي عند القدماء، أو إلى محسنات صوتية لفظية، ومحسنات الإيقاع الجملي والدلالي كما هي عند عبد الواحد حسن الشيخ، أو إلى سطحية وعميقة كما هي عند مُجّد عبد المطلب،⁽²⁾ وهي التقسيمات التي استثمرها مسعود بودوخة مقترحا التقسيم التالي⁽³⁾:

(1). مُجّد علوان سلمان، الإيقاع في شعر الحدائث، م.س، ص 29.

(2). ينظر: بودوخة مسعود، الأسلوبية والبلاغة العربية، مقارنة جمالية، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2015، ص 171.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص(172، 173).

- 1- توافق الأصوات واختلاف الدلالات، ويمثلها الجناس.
- 2- تخالف الأصوات و تناسب الدلالات، ويمثلها الطباق.
- 3- توافق الأصوات وتناسب الدلالات، ويمثلها التكرار.

ويبدو أنّ هذا التقسيم رغم قيمته التقنية فإنه غير شامل، فقد لاحظ صاحبه غياب أنواع من البديع، ذات أهمية وحضور قويان، كالترصيع والسجع، ومن ثم استدركهما بإضافة قسم آخر سماه التناسبات الصوتية، تضم تحتها المحسنات الصوتية التي لا ترتبط بدلالة.

لكن في دراسة أساسها المقاربة التداولية للخطاب، يبقى التقسيم الأخير، وملحقه قاصر عن أن يفيا بالعرض التداولي، الذي يمنح الدلالة أهمية مركزية؛ وبالتالي لا مناص من إدراج قسم آخر يخص المحسنات التي تصنعها الدلالة المعجمية مستقلة عن أي اعتبار صوتي، وهو ما يسمى بالاعتناء المعجمي.

3-4-5 آلية عمل ثنائية (المحاكاة، الإيقاع):

تعد التأثيرات الصوتية أحد عناصر تحليل الخطاب، وتتطلب دراستها منهجية فعّالة وعميقة، وفي هذا الصدد يقول Gurry: "فإن الذي يجب ألا يغيب عن بالنا أبداً في تقويمنا لكل عنصر من عناصر القصيدة [الخطاب بصورة أعم]. هو ربطه بالعناصر التي تنشئ لنا وحدة واحدة. ولذلك، فإن التأثيرات الصوتية ينبغي أن تدرس دائماً مرتبطة بالمعنى، والفكرة، والتخيل، والإيقاع"⁽¹⁾، وهي المعاني التي يجمعها مفهوم الإيقاع والمحاكاة.

لكن وحتى وإن بدت المحاكاة ببعدها الدلالي أكثر تأثيراً، فإن "للإيقاع الصوتي المؤثر دلالات بلاغية، لا تقل في أهميتها عن دلالة الألفاظ، وتزيد أهمية الإيقاع الصوتي، إذا تطابقت دلالتهما مع دلالة

(1) . Gurry, P, The appreciation of Poetry, Oxford, Uni. Press (1968), p73

نقلا عن: محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي-مدخل لغوي أسلوب، م.س، ص14

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

الألفاظ، أو وسّعتها، أو أكملتها"⁽¹⁾؛ ومعنى ذلك أنه سواء طغى دور المحاكاة، أو ضاهاه دور الإقناع؛ فإن ذروة التأثير لا تتحقق إلا بتكاملهما.

فعلى مستوى الخطاب إنشاءً و تحليلاً، لا يشتغل طرفا الثنائية كل على حدا، دون تناسق أو تكامل بل، إن كليهما موجه إلى تحقيق ميزة القيام بوظيفة تصويرية Imaginative Function، أي الإفصاح عن المعنى وتصويره، مهما اختلفت الطرق والأساليب.⁽²⁾

إن الناتج عن تحديد وظيفة المحاكاة والإقناع، وتعيينه في الوظيفة التصويرية، وباستحضار معياري الصوت والدلالة، تصبح بموجب ذلك بلاغة اللفظ كلاً يصنعه التصوير اللفظي، المنقسم بدوره إلى داخلي على مستوى المعجم، وخارجي على مستوى التركيب، كما هو ممثل في الخطاطة التالية:



وتندرج تحت كل قسم من قسمي التصوير أنواع من صور التحسين، التي ستضم إلى وظيفتها التحسينية الإمتاعية المعتادة، ووظيفة حجاجية إقناعية؛ لتغلف روابط النسيج الخطابي ذات الطبيعة الإمتاعية، بطبقة ذات تركيبة إقناعية؛ "لأن الغرض من التصوير هو التأثير في النفس بحيث يسيطر على العقل والمشاعر، وهذا التأثير للصورة لا يتم ولا يقوى إلا إذا اتفقت مع الحالة التي تعبر عنها..."⁽³⁾ فيغدو الخطاب أمتن وأنجع في

(1). سمير ستينية، "روافد البلاغة، بحث في أصول التفكير البلاغي"، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد6، سبتمبر 2001، ص276.

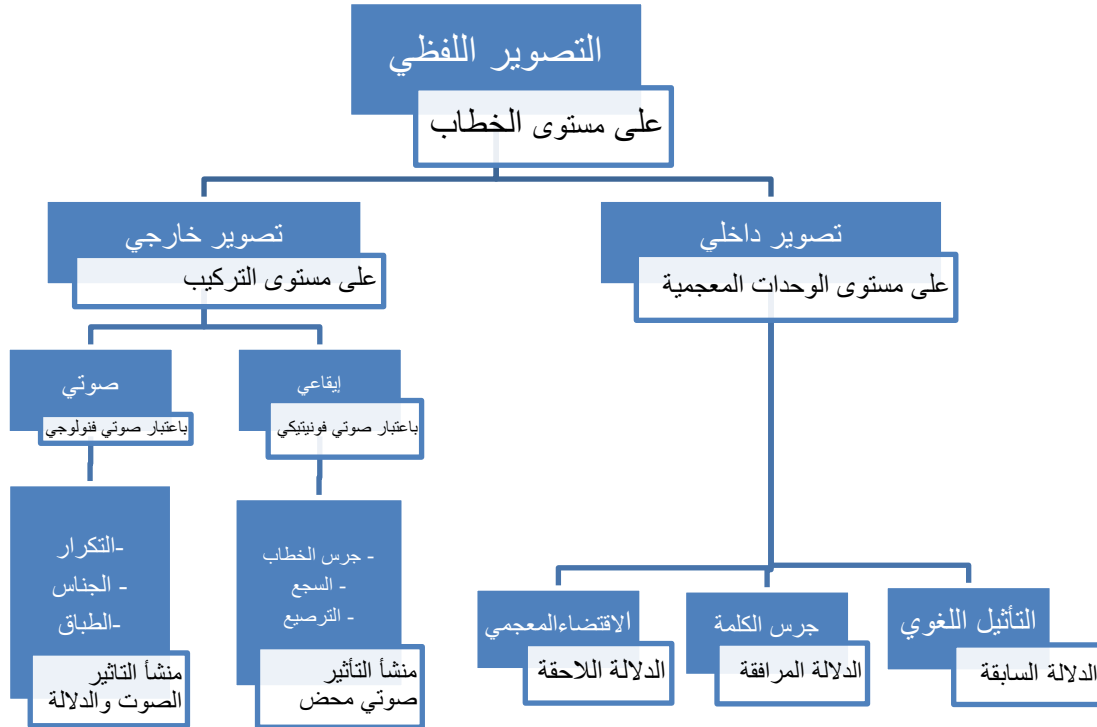
(2) ينظر: محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، م.س، ص13، 14.

(3) علي علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، ط، م.س، ص18.

الفصل الثاني _ ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

تبليغ الرسالة، والعمل بمقتضاها؛ فيستجيب لها المخاطب بأحد صور التفاعل مع الخطاب؛ مشاركة ومقاسمة للفكرة، أو تسليمًا وإذعانًا، أو تغييرًا وتعديلاً للسلوك، أو كل ذلك مجتمعًا.

وعند هذا الحد يكون تقسيم التصوير اللفظي، مع بيان عناصره الوظيفية، في صورة قريبة إلى حد التطابق مع تصور أوليفي روبرول لأقسام التصويرات اللفظية بوصفها عناصر حجائية⁽¹⁾، والخطاطة التالية تبرز بصورة مبسطة هيكلية التصوير اللفظي داخل الخطاب.



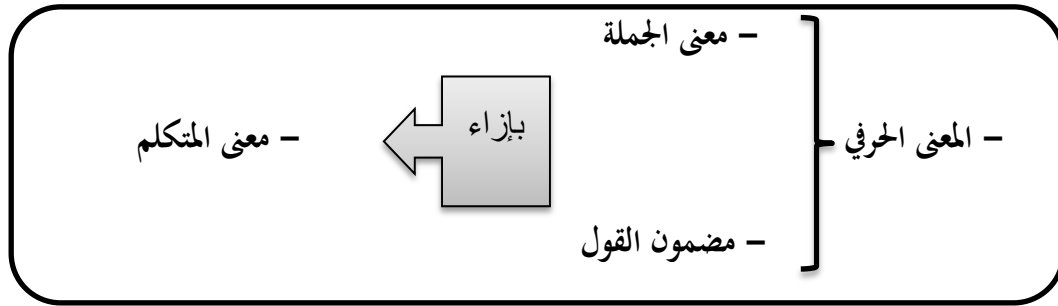
هذا، وبعد بيان استراتيجية الإقناع على مستوى اللفظ، القائمة على آلية التصوير، يبقى من الضروري وضع تحديد لمستويات التحليل، حيث تتم الدراسة التطبيقية.

⁽¹⁾ ينظر: روبرول أوليفي، مدخل إلى الخطابة، م س، ص 143-147.

4- مستويات التحليل التداولي:

درج التداوليون على أن ينظرو إلى الخطاب على أنه متشكل من مستويين، مستوى حرفي، سطحي قليل الأهمية بالنسبة إلى التداولية، وكثيرا ما يعبر عنه بـ «ما قيل»، ومستوى ضمني عميق، يستقطب معظم اهتمام التداولية، وقد يعبر عنه بـ «ما لم يقل»،

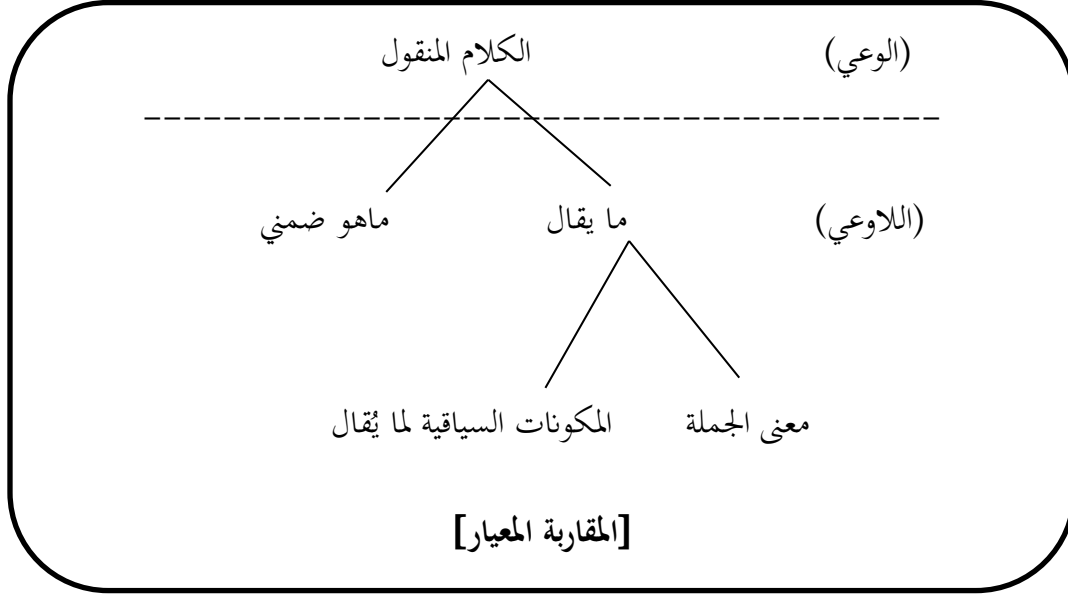
ومن هذا التقسيم ينشأ ما يسميه ريكاناتي الثالث الأساسي، المتكون من معنى الجملة، مضمون القول، والمستلزم؛ حيث إن «معنى الجملة» معنيّ عرفيا ومستقل عن السياق، ونادر ما يشكل قضية تامة، أما «مضمون القول» و «مضمون الاستلزام» فمتعلقان بالسياق، ويحملان قضية، والفرق بينهما أن الأول يتحدد في الجملة، أما الثاني فخارجها، ويتحدد هذا الثالث عبر التمييز بين معنى الجملة ومعنى المتكلم، كما يلي: (1)



وحاصل من المعنى الحرفي ومعنى المتكلم يشكل الكلام المنقول، أو الملفوظ، بحيث " لا نكون واعين إلا بما يُبلَّغ بصورة إجمالية عند الكلام. وعندما نحلل ذلك إلى شق «المضمون الحرفي للقول» و شق «مضمون الاستلزام» يصبح التحليل مهمة خاصة باللساني، ولا يهتم به مستعمل اللغة العادية كما هو مبين في الشكل الأتي" (2)

(1). ينظر: فرونسوا ريكاناتي، المعنى الحرفي، ترجمة، أحمد كروم، مراجعة: عز العرب لحكيم بناني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، 2018، ص16.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص(25،26).



وفي هذه الدراسة سنتقمص دورا لسانيا تداوليا، لتحليل نماذج من الخطابة العربية، مستهدين بالمقاربة المعيار، هاته المقاربة التي نجدها عند روث أموسي مُقترحةً للتحليل التداولي للحجاج، ونقلها كما وصفها علي الشبعان، فيما يلي: (1)

• تقسيم العناصر التداولية في التحليل الحجاجي إلى:

- 1- ما قيل / استراتيجيات البسط والربط. (2) Le dit : strategies de présentation et d'enchenement
- 2- ما لم يقل: الضمني / سلطة الضمني (المضمر) (3). Le non-dit ou le pouvoir de l'implicit
- 3- الروابط.

• ضبط دراسة (ما قيل) وما (لم يقل)، وفقا لمشغلين نظريين أساسيين اثنين:

(1). ينظر: علي الشبعان، الحجاج في الخطاب، الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي الحجاج في الخطاب، م.س، ص(243-245).

(2) Amossy,Ruth, L'argumentation dans le discours, Armand Colin,Paris,2012,pp(183-189)

(3) Ibid,(190-195).

الفصل الثاني — ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي

1- مشغل الشحنات الحجاجية التي تتضمنها الوحدات النحوية مثل دراسة اختيار الألفاظ والعبارات منزلة في فضائها التحويلي، .

2- مشغل دراسة الضمني من خلال أشكاله المختلفة، حتى يتم الوقوف على الكيفيات التي تشغل بها العناصر الحجاجية القابعة في عمق المؤسسة الإقناعية.

• تناول الدراسة في «ما قيل» مايلي:

1. الاختيارات المعجمية وقيمها الحجاجية:

وهي الاختيارات التي يعالجها التحليل الحجاجي للكشف عن الطريقة التي تمت وفقها عملية توجيه الحجاج وهيكلته، من خلال اختيار ملفوظ أو عبارة ما، فهي لا تدرس المعجم في ذاته ولذاته، بل المعجم في خدمة الإقناع والإمتاع. وهو ما يقضي بالتحليل الحجاجي أن يرد اللفاظ والعبارات والجمل والتراكيب إلى أسقيتها الثقافي والحضارية، كي تكون تلك الأسقية دالة على ذهنية اللفظين بها والحاملين دلالاتها⁽¹⁾.

2. اشتغال المعجم من جديد: التحويلات الدلالية:

و يحمل ما يدرك السامع من خلال إعادة تعريف الوحدات المعجمية، وظيفتين أساسيتين إثنين:

1- التوجيه الحجاجي. كما في الطباق والتكرار.

2- التحويل الدلالي. وما يرتبط به من دلالات ناشئة، سابقة، ومرافقة، ولاحقة.

وهو ما من شأنه أن يبني في ذهن السامع مقولات يحمل على الاقتناع بها حمل المجبر والمكروه لا حمل المقتنع والمريد.

(1) يبدو هذا الرأي جليا في قول أموسي:

Le recerclés lexicologiques qui ne reléuent pas en soi d'une analyse argumentative dévoilent ainsi leur fécondité quand on mobilise leurs résurs résultats pour mieux comprendre exploitation rhétorique d'un mot ou d'une expression a une éparque donné.(amossy.148)

• ضبط دراسة ما لم يقل/ سلطة الضمني:

وهي السلطة المنبثقة عن الثنائية التأويلية (المظهر والمخبر)، أو بتعبير أدق (الحرفي، والمضمر)، التي تجعل دلائل الضمير والموضع والحجة إحالات على ترسيمات منطقية خطابية، تنخرط جميعها في مجال الضمني وفي محيط المضمر.

فالضمني يأسر السامع من جهة كونه يجبره على إتمام العناصر الناقصة في متواليه الخطاب، وهو ما يصنع قوة الضمني الحجاجية. وهو ما يظهر جليا في الفعل الكلامي غير المباشر، المترتب على عدم كفاءة الحرفي في تحقيق التواصل، والاستلزام الحوارية من خلال الصور البيانية، التي تعد من قبيل الخوافي ذات الطبيعة السياقية الخاصة التي تحتاج، لكي تفهم وتؤول إلى فك السامع شفراتها اللسانية والمعنوية.

• ومن أجل تحقيق ذلك تتطلب دراسة الضمني أمرين أساسيين:

- 1- اعتماد القاعدة اللسانية، اللغوية.
- 2- الوقوف على الكفاءات الموسوعية أو استخراج القيم المشتركة التي تستخدم فيما بعد في فك شفرات اللفاظم.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تستبعد دراسة الروابط، لسببين، الأول: تركيز الدراسة فيما له علاقة بالتداولية والبلاغة، والروابط عموما مبحث نحوي تركيبى بالخصوص، وإن كان لا يعدم لمحات بلاغية. الثاني: ارتفاع درجة الصعوبة لتوجيه الروابط إمتاعيا وإقناعيا. ومع هذا فهي ليست منعدمة الحضور بوصفها مفهوما حجاجيا، يستدعي التحليل الحجاجي التطرق له من حين إلى آخر.

الفصل الثالث

حجاجية "ما قيل"

من التطريز

إلى التحفيز

إنه وبعد بيان الاستراتيجية الإقناعية القائمة على آلية التصوير، فإن من تمام البيان إقامة البرهان على المقال، و تصديق التصوّر بالمثل، وهو ما ستكشف عنه النماذج التطبيقية الآتية، المشفوعة بمقدمات تعقيدية، وفقرات تحليلية وخطاطات توضيحية، منتهى غايتها الوقوف مع كل عنصر من عناصر التصوير اللفظي، ليفصح عن نفسه، ويكشف عن دوره في شحن طاقة الخطاب التأثيرية، وبناء استراتيجيته الإقناعية؛ فالتصورات اللفظية وإن كانت تبدو "... أنها مندورة للشعر، وعند الضرورة، للهزل. ومع ذلك، يجب أن تلعب دورا حجاجيا مادام الفلاسفة الأشد عقلانية يلجؤون إليها. ..." ⁽¹⁾، والسؤال كيف تفعل ذلك في المتن الخطابي العربي؟

تقوم الدراسة التداولية في تحليل الخطاب - كما مضى في الشق النظري- على مكون أساس يكاد يكون وجهها الآخر، ذلك هو المقام، الذي يقوم بدور المحدد للقيمة والوجهة الحجاجيتين للخطاب، غير أن القضايا المدروسة، منها ما يكون دور المقام فيه ملحا لا يمكن بناء تحليل ناجع حجاجيا، دونه، ومنها ما يتقلص فيها هذا الدور، ولا يندم فاسحا المجال إلى البنية اللغوية للخطاب، لإبراز الطاقة الحجاجية له.

وبناء على ذلك تكون الإجابة على هذا السؤال المطروح، في العرض التطبيقي كما يلي:

1- حجاجية التصوير اللفظي الخارجي:

1-1 حجاجية التصوير الإيقاعي:

1-1-1 حجاجية التصوير الإيقاعي المرسل:

يُدرس الإيقاع في العادة على أنه انعكاس مباشر للبنية السطحية للخطاب، سواء كانت الدراسة فنية جمالية أو حجاجية تداولية؛ ويحمل مثل هذا الإجراء شبهة انفصال البنية الإيقاعية عن البنية الدلالية والتداولية للخطاب المدروس، وفي أضعف الاحتمالات ينظر إليها على أنها بنية ثانوية، لكن في حقيقة الأمر يعمل الإيقاع بصورة متزامنة مع المستوى الدلالي والتداولي، مشركا في عمله كل جزئية من جزئيات الخطاب، وفي اللغة العربية "يرجع الإيقاع ... إلى كل مكوناتها الأساس دون استثناء لأي جزء من أجزائها حتى وإن كان

⁽¹⁾. أوليفي رويول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص143.

صغيراً، فجميعها تشكل هيكل اللغة المبني على الإيقاع، إذ لكل حرف صوت نغمي محدد وإيقاع معين⁽¹⁾، وإذا كان الإيقاع يسهم في بناء هيكل اللغة فإن " اللغة بمكوناتها تعد خزاناً للمبدع يستقي منها تعابيره، وتراكيبه اللغوية، ويوظف المبدع أصواتها بالشكل الذي يتناسب مع موضوعه المطروق،..."⁽²⁾، والتناسب مع الموضوع بما فيه مراعاة المقام، ومجاراة السياق أمر بالغ الأهمية، ومع ذلك فهو يتطلب تناسبا آخر أولي، يضيف على الخطاب شحنات تأثيرية تصنعها الصورة الإيقاعية.

ولا شك أن عمدة هذا التأثير إنما هو جمال الإيقاع، والموسيقى المتدفقة من عناصره الصوتية اللفظية، ممثلة في الحروف والحركات والمقاطع الصوتية⁽³⁾، " والأساس في ذلك يكمن في انتقاء الأصوات المناسبة في تأدية المعنى في كل مناحيه، سعياً وراء الدقة في التصوير مع ما يتناسب والسياق والموقف،..."⁽⁴⁾ فالحروف بصفاتها ومخارجها؛ والحركات بأنواعها؛ والمقاطع باختلاف أطوالها؛ كل ذلك مجتمعاً هو أساس الأثر الصوتي للخطاب عند المتلقي، نفسياً وذهنياً؛ لكن ذلك ليس في كل الخطابات، بل هو ألصق بالخطاب المنطوق دون المكتوب، " إذ أن كل قول مكتوب يمكن أن يصبح منطوقاً، لكن ينبغي أن نلاحظ أن القول المنطوق يحتوي بطبيعته على جملة من الخصائص، التي لا تتمثل في القول المكتوب،..."⁽⁵⁾، وعلى رأس هذه الخصائص ما يسمى بالفونيمات الثانوية أو الفونيمات فوق مقطعية، وهي " ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي،.. وليست بصوت رئيس بل صوت ثانوي يصاحب الصوت الرئيس"⁽⁶⁾ لذا فهي لا تظهر إلا عبر الأداء الصوتي، ولا يتأتى تمثيلها كتابةً، ولذا ليست مقصودة بالدراسة.

إذن ففي مدونة مكتوبة، كالتالي نحن بصدد دراستها، وبوصفها تضم جنساً أدبياً هو الأجدر بالتجاوب مع المقاربات التحليلية للخطابات، والمقاربة التداولية تحديداً، إذ الخطابة جنس في أصله منطوق، وموجه

(1). علي عبد الله، "جماليات الإيقاع في الفن الإسلامي"، م.س، ص185.

(2). ظافر عبيس الجياشي، الانسجام الصوتي في خطب نوح البلاغة، م.س، ص325.

(3). ينظر: محمد صادق درويش، إعجاز القرآن الكريم-دراسة موضوعية لإعجاز القرآن الكريم، في أسلوبه ومضمونه وبيانه ومعانيه في ضوء الأصالة والمعاصرة-، ط 1، دار الإصلاح، دمشق-سوريا، 2009، ص538.

(4). بلقاسم دفة، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم-دراسة دلالية-، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 05، جوان 2009، ص165.

(5). عادل نذير بيري الحساني، الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع-الأردن، ودار مؤسسة دار الصادق الثقافية-العراق، 2012، ص37.

(6). محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة-دراسة في الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، م.س، ص18.

للاتصال الشفهي، وحتى وإن حُضِرَ كتابةً، فإن طابع المشافهة لا ينفك يوجه النص الخطابي؛ مما يمنح المكون الصوتي قيمة في بنية نص الخطبة، الموجه إلى المستمع بقصد إقناعه. كما في تحليل المثال التالي:

– نص الخطبة، وسياق ورودها:

- في وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز، واعتذاره عنه لدى الأمير مُجَّد بن عبد الرحمن الأوسط:

كان الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً للوزير هاشم بن عبد العزيز، ثابتاً على مودته، فلما قضى الله على هاشم بالأسر، أجرى السلطان مُجَّد بن عبد الرحمن الأموي⁽¹⁾ ذكره في جماعة من خُدَّامه، والوليد حاضر، فنسبه إلى الطَّيِّش والعَجَلَة والاستبداد برأيه، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد، فقال:

"أصلح الله تعالى الأمير، إنه لم يكن على هاشم التخيُّر في الأمور، ولا الخروج عن المقدور، بل قد استعمل جهده، واستفرغ نصحه، وقضى حقَّ الإقدام، ولم يكن مَلَاك النصر بيده، فخذله من وثق به، ونكّل عنه من كان معه، فلم يزحزح قَدَمَه عن موطن حِفَاظَه، حتى ملك مقبلاً غير مُدْبِرٍ، مُبْلِياً غير فَشِلٍ، فجوزي خيراً عن نفسه وسلطانه؛ فإنه لا طريق للملام عليه، وليس عليه ما جنته الحرب العُشُوم. وأيضاً فإنه ما قصد أن يجود بنفسه إلا رضا للأمير، واجتناباً لِسُخْطِهِ، فإذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالب التقصير، فذلك معدودٌ في سوء الحظ"⁽²⁾

– تحليل الخطبة:

- مقام الخطاب:

إن أول ما يكشف الوجه العام لمقام الخطاب، عنوانه؛ لما يحمله العنوان من دلالات ومعلومات مكثفة عن منشأ الخطاب وغايته، وعن أهم قضاياها، وعنوان الخطبة محل التحليل قد صيغ في ما يلي: "وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز واعتذاره عنه لدى الأمير مُجَّد بن عبد الرحمن الأوسط". وهو ما يجيل على ما مفاده أن المقام العام للخطاب يمتزج فيه مقامان اثنان هما: مقام الاعتذار ومقام الوفاء.

(1) هو الأمير مُجَّد بن عبد الرحمن الأوسط، حكم الأندلس من سنة 238 إلى سنة 273هـ، وكان غزاه لأهل الشرك والخلاف، وربما أوغل في بلاد العدو ستة أشهر أو أكثر يحرق وينسف وله في العدو وقعة وادي سليط، وهي من أمهات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قبله.

(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج3، ص168.

• مقام الوفاء:

الوفاء كلمة اجتمعت فيها من المعاني السامية ما جعلها مأنوسة في الأذن، مبعجلة في الصدر، موقرة في العقل، مستحسنة في الفطر، ففيها معاني الكرامة والشرف، ومعالم الشهامة والبروءة، ومخايل اللطافة والعدوابة؛ فالوفاء خلق عالي المرتبة رفيع المنزلة يصفه ابن حزم (ت 456هـ) بقوله: "ومن حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق ... الوفاء؛ وإنه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، ... وفي ذلك أقول:

أفعال كل امرئ تنبي بعنصره ... والعين تغنيك عن أن تطلب الأثر"⁽¹⁾.

والوفاء بهذه المعاني، يبدو وكأنه يتسامى نحو الكمال في الخلق، والتمام في الكرامة، وهو بذلك يعود إلى أصل معناه في اللغة إذ هو: "الخلق الشريف العالي الرفيع. من قولهم: قد وفي الشعر فهو وافي: إذا ازداد." ⁽²⁾، وهو أكثر من مجرد اتصاف به وانتساب إليه، بل هو تمام الشرف والرفعة، يقول ابن فارس (ت 395هـ): "الواوُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ." ⁽³⁾، وملكانة الوفاء أضحي عزيز الوجود بين الناس، ويتحدث الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) عن ذلك بقوله: "إن يحيى بن خالد إذا اجتهد في يمينه يقول: لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى. وكان يقول هو أعز من الوفاء، ...

قال أبو فراس:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ... ومن أين للحرّ الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئابا على أجسادهنّ ثياب⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي)، طوق الحمامة في الألفه والألاف، تحقيق: إحسان عباس ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، 1987، ص205.

⁽²⁾ أبو بكر الأنباري، (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1992، ج2، ص240.

⁽³⁾ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م س، ج 6، ص 169.

⁽⁴⁾ أبو فراس الحمداني، الديوان، إعداد: محمد بن شريفة، دط، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، 2000، ص32.

وله:

أبغى الوفاء بدهر لا وفاء له ... كأنني جاهل بالدَّهر والنَّاس⁽¹⁾،⁽²⁾

ولعزة الوفاء، تزداد كرامته إذا اعترضته العقبات، و ضيّقت سبيله الصعاب والشدائد فقد " قيل: أكرم الوفاء ما كان عند الشدّة،..."⁽³⁾، والوفي في تلك الحالة قد يصير مضرب الأمثال، وفي العرب عدد ممن ضرب به المثل في وفاءه، منهم السموأل في وفائه لامرئ القيس⁽⁴⁾.

فمقام الوفاء إذن، مقام علو وشرف، مقام كمال وتمام، ومقام عزة لا تمنح بل تطلب وترام.

● مقام الاعتذار:

إذا كان الوفاء خلقاً يأبى على صاحبه إلا السمو والعلو، والتنزه والتعالي؛ فإن الاعتذار وإن كان خلقاً كريماً حين تقتضيه الحاجة، وتدفع إليه الظروف، فإنه مدعاة تنازل، ومضنة تذلل، لكن لا مناص منه إذا طُلب الوصل بعد الانصرام، والعتو بعد الإجمام؛ تماماً كالإبرة تحترق موضع الجرح طلباً للالتئام، وكالدواء المر يبرء الأسقام.

(1). أبو فراس الحمداني، الديوان، م س، ص 283 .

(2). الراغب الأصفهاني، (أبو القاسم الحسين بن محمد)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1999، ج1، ص 353 .

(3). المرجع نفسه، ص 352 .

(4). يقال: هو أوفى من السموأل بن عاديا، وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما أراد الخروج إلى قبصر ملك الروم استودع السموأل دروعاً له، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموأل، فأخذ الملك ابناً له ذكروا أنه كان متصبداً، فصاح به: يا سموأل هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بميراثه فإن دفعت إليّ الدروع وإلا ذبحت ابنك. فقال: أجلي، فأجله. فجمع أهل بيته وشاورهم، فكلّ أشار عليه أن يدفع الدروع وأن يستنقذ ابنه، فلما أصبح أشرف فقال: ليس إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع! فذبح الملك ابنه وهو ينظر إليه، وكان يهودياً، فانصرف الملك، ووافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس وقال في ذلك:

وفيت بأدرع الكنديّ، إني ... إذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا عنده كنزٌ رغيبتُ ... فلا وأبيك أغدر ما مشيت
بنى لي عادياً حصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئت استقيت
وقال الأعشى في ذلك:

كن كالسموأل إذ سار الهمام له ... في جحفلٍ كسواد الليل جرار
خيّره خطي خسف، فقال له ... إذبح أسيرك إني مانعٌ جار؛ ينظر: الراغب الأصفهاني، (أبو القاسم الحسين بن محمد)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1999، ج1، ص 352 .

يقول أبو هلال العسكري(ت395هـ): "الاعتذار أيّدك الله، ذلة ولا بد منه؛ لأن الإصرار على الذنب فيما بينك وبين خالقك هلكة، وفيما بينك وبين صديقك فرقة، وعند سائر الناس مثلبة وهجنة؛ فعليك به إذا واقعت الذنب، وقارفت الجرم، ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه، وربما استثير العز من تحت الذلة، واجتني الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه (والمجد شهد يجتني من حنظل)"⁽¹⁾.

وأعظم محبوب في الاعتذار هو آثار الخطيئة، وجبر قلب من تضرر بها، ذلك أن "معنى الاعتذار هو أثر الموجودة من قولهم اعتذرت المنازل إذا درست ويقال بل معناه قطع ما في القلب."⁽²⁾ ومع ما في الاعتذار من إظهار للتأسف، فهو محتاج ليثمر ثمرة إلى بيان الحجة المبررة للخطأ إذ أن "العُدْر: ما أدليت به من حجة تذهب بها إلى إسقاط الملامة..."⁽³⁾، غير أنها حجة ليست لدفع الاعتراف، بل حجة بعد الاعتراف، لأجل هو الاعتراف؛ وكما "كان يقال: الاعتراف يهدم الاقتراف"⁽⁴⁾، وفي مقابل ذلك فإن "سوء الاعتذار دليل على الإصرار، قال [القائل]:

لا ترجع رجعة مذنب ... خلط احتجاجا باعتذار"⁽⁵⁾

فمقام الاعتذار إذن مقام حجاج، لكنه حجاج في لباس اللطافة و اللباقة، لا في رداء الجفوة والصفاقة، تُحتمل فيه المذلة لمحو المذلة، ويلاذ فيه بالإقرار وترك الانتصار.

إن هذا الفحص لدلالات مقامي الوفاء و الاعتذار، كشف عن كم غير يسير من المواقف المتولدة عنهما، وهو الأمر الذي يجعل الواقف في مقام يجمعهما- كما هو الحال مع الوزير ابن غانم في خطابه الأمير مُجّد بن عبد الرحمن الأوسط- ، محتاجا لبذل جهد من أجل مطابقتها باستعمال اللغة، ولتحقيق ذلك يلجأ إلى إجراء انزياح عن اللغة المعيار المعتمدة في المقامات التواصلية المعتادة بناء على أن " المتكلم ، عادة ينطلق في بناء خطابه من مقومات مقامية كثيرة، وبالتالي يعدل عن الأسلوب المباشر الذي يعبر عن القصد... إلى

(1). أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، د ط، عالم الكتب، بيروت-لبنان، د ت، ج 1، ص 216.

(2). أبو منصور الجواليقي (موهوب بن أحمد بن مُجّد بن الخضر بن الحسن)، شرح أدب الكاتب، تقديم: مصطفى صادق الرافعي، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، د ت، ص 229.

(3). ابن سيده، م.س، ج 4، ص 53.

(4). ابن قتيبة (أبو مُجّد عبد الله بن مسلم الدينوري)، عيون الأخبار، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1997، ج 3، ص 113.

(5). الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، م.س، ج 1، ص 285.

الفصل الثالث _____ حاجية " ما قيل " من التطريز إلى التحفيز

أسلوب آخر، مراعيًا فيه كل الظروف المحيطة...⁽¹⁾، و تبعًا لذلك تزيد أو تنقص كثافة الانزياح كما ونوعًا. و العدول عن عنصر لغوي إلى آخر، ليس مجرد إجراء أسلوبية جمالي بقدر ما هو فعل حجاجة إقناعي وإلى هذا يشير برلمان، حيث يقول: "حين يكون اللفظ (أ) الذي وقع عليه الاختيار لفظًا فيه عدول عن الكلام العادي فباستخدام هذا اللفظ القائم على العدول يقع التنبيه إلى مقصد حجاجة"⁽²⁾.

والكشف عن هذا العدول الحجاجة هو الأمر المطلوب دراسته، والكشف عنه وجودًا وعدمًا، وأثر ذلك في تحقيق أهداف الخطاب الإقناعية، القائمة على المكون اللساني الصوتي.

إن عملية إحصاء تردد كل صوت في الخطبة، مقارنة بتردده في اللغة؛ أعطت النتيجة المبينة في

الجدول التالي:

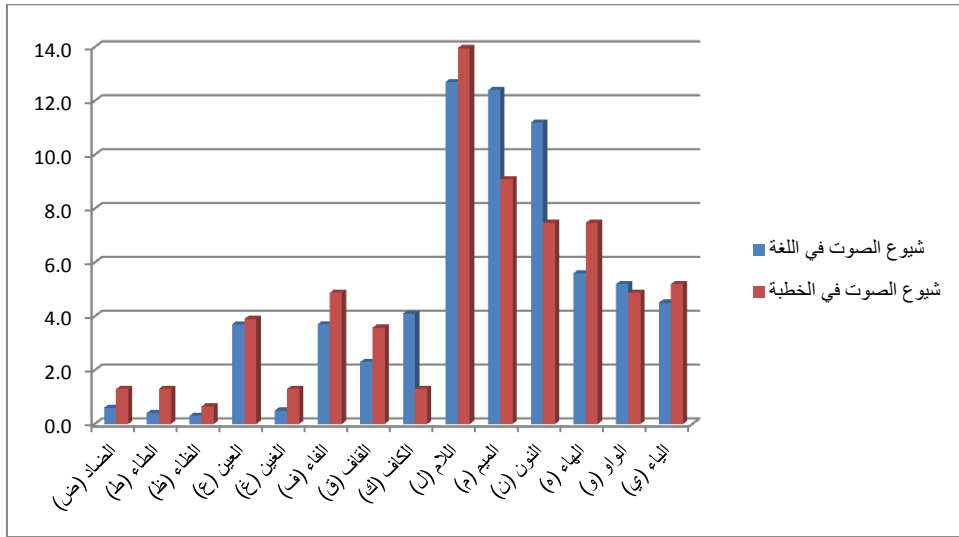
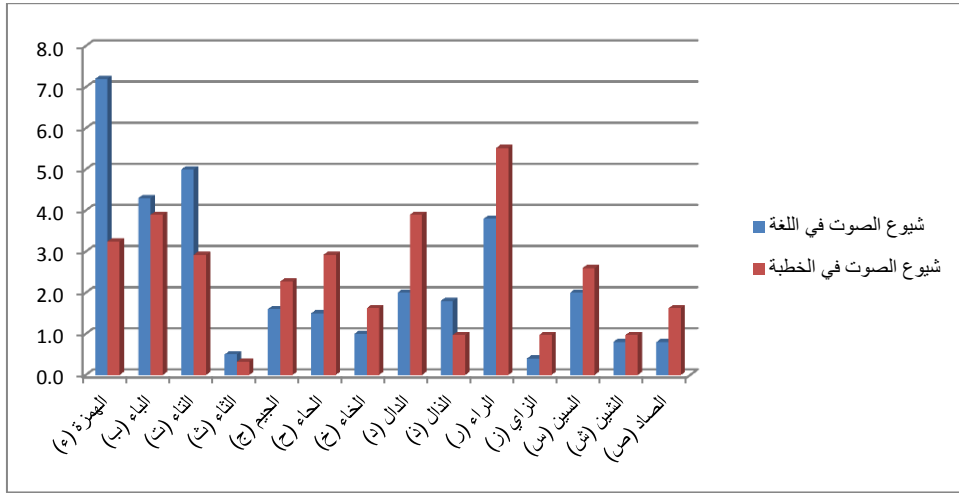
الحرف	الهمزة (ء)	الباء (ب)	التاء (ت)	الثاء (ث)	الجيم (ج)	الحاء (ح)	الخاء (خ)	الدال (د)	الذال (ذ)	الراء (ر)	الزاي (ز)	السين (س)	الشين (ش)	الصاد (ص)
تردده														
في اللغة	7.2	4.3	5.0	0.5	1.6	1.5	1.0	2.0	1.8	3.8	0.4	2.0	0.8	0.8
في الخطبة	3.2	3.9	2.9	0.3	2.3	2.9	1.6	3.9	1.0	5.5	1.0	2.6	1.0	1.6
نسبة الانزياح %	-55.6	-9.3	-42	-40	43.7	93.3	60	95	-44.4	44.7	150	30	25	100

الحرف	الضاد (ض)	الطاء (ط)	الظاء (ظ)	العين (ع)	الغين (غ)	الفاء (ف)	القاف (ق)	الكاف (ك)	اللام (ل)	الميم (م)	النون (ن)	الهاء (هـ)	الواو (و)	الياء (ي)
تردده														
في اللغة	0.6	0.4	0.3	3.7	0.5	3.7	2.3	4.1	12.7	12.4	11.2	5.6	5.2	4.5
في الخطبة	1.3	1.3	0.6	3.9	1.3	4.9	3.6	1.3	14.0	9.1	7.5	7.5	4.9	5.2
نسبة الانزياح %	116.6	225	100	5	160	32.4	56.5	68.3	10.2	-26.6	-33	33.9	32.7	17.5

هذه النتائج يقابلها التخطيط البياني التالي:

(1) أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، 1993، ص 32.

(2) عبد الله صولة، في نظرية الحجاجة دراسات وتطبيقات، م.س، ص 79.



ومن خلال ملاحظة الجدول والتخطيط البياني، يظهر أن الانزياحات في توظيف الأصوات كثيرة، حتى إن الخطبة تبدو للوهلة الأولى مزاحة كلياً، إن بزيادة أو نقصان عن المعيار المعتمد⁽¹⁾، والأمر يُفسَّر بكثرة المواقف التي تضمنها مقام الخطاب، كما مر بيانه، ومن أجل حصر معيار الانزياح نعتمد فكرة المجموعات الصوتية، التي يمثلها أنجع تمثيل طريقة تقسيم الأصوات بحسب صفاتها و بحسب محارجها، وإن كان هذا المعيار

(1). المعيار المعتمد هو جدول إحصائي للغة في الحالة العامة ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت، ص 170-171 و: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952، ص، الفكرة مستفادة من: بن خوية رابع، التشكيل الإيقاعي وعلاقته بالدلالة، ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2017، ص 174.

الفصل الثالث _____ حاجية " ما قيدا " من التطريز إلى التحفيز

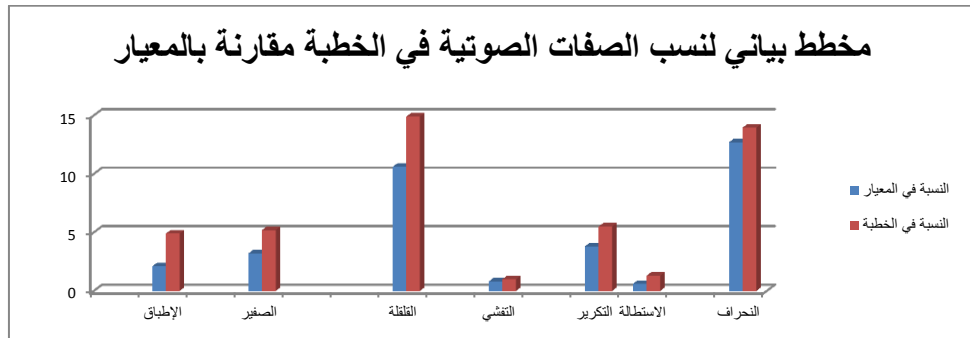
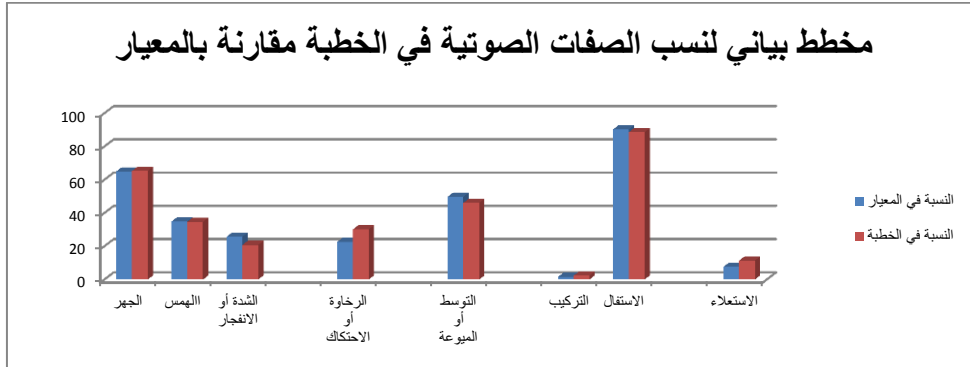
يتيح حصر المعيار كميًا، فإن حصره نوعيًا يقتضي تحديد متى تعد الزيادة أو النقصان عن المعيار انزياحًا، وهو أمر سيتطرق له حال التحليل الدلالي لاحقًا.

و على هذا الأساس يمكن عرض نتائج الإحصاء كما يلي:

- بحسب الصفات:

الانحراف	التكرير	التفشي	الثقلية	الصغير	الإطباق	الاستعلاء	الاستفقال	التركيب	التوسط	الرخاوة	الشدّة	الهمس	الجهر	صفة الصوت	النسبة
12.7	3.8	0.8	10.6	3.2	2.1	7.6	90.3	1.6	49.8	22.6	25.8	34.9	65	في المعيار	
14.0	5.5	1	14.9	5.2	4.9	11.4	88.6	2.3	46.1	30.2	20.8	34.7	65.3	في الخطبة	

وهي النتائج التي يقابلها التخطيط البياني التالي:



إن العرض الرقمي والبياني للنتائج الإحصائية لأصوات الخطبة، وفقا لمعيار الصفات، يكشف عن الانزياحات التالية:

- إنزياح بالزيادة في:

- مجموعة الأصوات الرخوة⁽¹⁾: والأصوات الرخوة هي: الثاء (ث)، الحاء (ح)، الخاء (خ)، الذال (ذ)، الزاي (ز)، السين (س)، الشين (ش)، الصاد (ص)، الظاء (ظ)، العين (ع)، الغين (غ)، الفاء (ف)، الهاء (ه)؛ وبالرجوع إلى نسبة إنزياح كل صوت (في جدول -1)، نجد أن الانزياح المسجل في هذه المجموعة يعود في معظمه إلى أصوات: (ح، خ، ز، ص، ظ، غ).

- مجموعة الأصوات المطبقة: وأصواتها هي: الصاد (ص)، الضاد (ض)، الطاء (ط)، الظاء (ظ)، و بالرجوع إلى الجدول -1، نجد أن الانزياح في هذه المجموعة، صنعته أصوات المجموعة كلها؛ فقد تضاعفت نسبة كل من: (ص، ض، ظ) مرتين، في حين تضاعفت نسبة الطاء ثلاث مرات بالنسبة إلى نسبتها في اللغة المعيار.

- مجموعة الأصوات المستعلية: وأصواتها هي: أصوات الإطباق، مضاف إليها أصوات: الحاء (خ)، الغين (غ)، والقاف (ق)، وهي تماما مثل مجموعة الأصوات المطبقة، كل أصواتها منزاحة.

- مجموعة الأصوات المقلقلة: وحروفها هي: الباء (ب)، الجيم (ج)، الدال (د)، الطاء (ط)، القاف (ق)، ويعود الانزياح في هذه المجموعة لهذه الأصوات (ج، د، ط، ق).

- مجموعة أصوات الصفير: و أصواتها هي: الزاي (ز)، السين (س)، والصاد (ص). والانزياح فيه ناتج عن حرفا (الزاي، والصاد) والسين بنسبة أقل.

- مجموعة الأصوات المركبة: وفيها صوت واحد وهو الجيم (ج).

- مجموعة أصوات التكرير: وفيها صوت واحد هو الراء (ر).

- انزياح بالنقصان: وتحلى هذا الانزياح في المجموعتين التاليتين.

⁽¹⁾ والحروف الرخوة هي التي لا ينحس فيها النّس. وهي مرتبة بحسب درجة رخاوتها: (س.ز.ص.ش.ذ.ث.ظ.ف.ه. ح. خ) ويسميتها الدكتور بشير الحروف الاحتكاكية. كما يضيف إليها حرفي (ع.غ). (حسن عباس، خصائص الحروف العربية و معانيها، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص49).

- مجموعة الأصوات الشديدة: أو الانفجارية، وهي (الهمزة.ب.ت.د.ط.ك.ق). ويضيف الدكتور أنيس إليها حرف (ج) القاهرية⁽¹⁾، ويعود الانزياح بالنقصان في هذه المجموعة إلى أصوات: الهمزة، والتاء والكاف

- مجموعة الأصوات المائعة: وانزياح النقصان فيها سببه صوتا: الميم، والنون.

- التحليل:

إن أول ما يستوقف المحلل لهذه الخطبة، بناء على الملاحظات المسجلة، سؤال نصه: إذا كان للانزياح بعدا حاججيا، فأيهما يصنع هذا البعد؛ أهو الانزياح بالزيادة، أو الانزياح بالنقصان؟ إنه وإذا كان الخطاب في الحالة المعيار بناء لغويا يتربك من تشكيلات صوتية، لكل تشكيل نسبته، وأثره، فإن؛ الزيادة في نسبة تشكيل ما يقتضي آليا انخفاضاً في نسبة إحدى باقي التشكيلات. و قد يكون من البديهي القول: إنه إذا كان قوام بعض هذه التشكيلات ثنائيات؛ حيث تشكل كل ثنائية من متقابلين؛ الصفة وضدها؛ فالنتيجة أن الزيادة في صفة، نقصان في الثانية. لكن يبقى الأمر غير معلل، إذ من الصفات ما لا ضد لها.

وبالتالي فالحجاجية إن تكن ، فإنها كامنة في ثلاثة أمور: الأول، التوازن بين الزيادة والنقصان في الثنائية الضدية الواحدة؛ والثاني، وجود علاقة تناسب بين نوع الانزياح الواقع في المجموعة الصوتية التي لا ضد لها، مع الانزياح الغالب في الثنائيات الضدية⁽²⁾، الثالث: نوع الأصوات التي صنعت الزيادة أو النقصان سواء في ما له ضد، أو في ما لا ضد له.

وعند الرجوع إلى موضع التحليل، نجد أن الخطيب استعمل أصوات الرخاوة معتمدا عليها بنسبة أكبر مقارنة بنسبة استعمالها في المعيار؛ فنسبتها في المعيار 22.6%، في حين وظفت في الخطبة بنسبة 30.2%. وفي الواقع فإن هذا الانزياح متلائم مع مقام الخطاب، وتحديدًا مع موقف الاعتذار الذي كما مر يستدعي نوعاً من النزول عن المرتبة، و التنازل عن الصفة، وهو الشيء الذي لا يتوافق مع خطاب ذي نبرة شديدة، ومن

(1) حسن عباس، خصائص الحروف العربية و معانيها، ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص46.

(2) مثلاً: تناسب القلقة مع الشدة، والصغير مع الهمس، فضلاً على أنه يتناسب طرف ثنائية مع طرف ثنائية أخرى كتناسب الاستعلاء مع الشدة، والرخاوة مع الصغير، وفي الواقع فإن هذا التناسب هو لب الإيقاع ...

أجل إضفاء تلك الليونة واللفظ على الخطاب، حدثت زيادة في عدد من الصوات أهمها - كما يوضح ذلك الجدول الإحصائي - الغين والصاد ثم الحاء.

أما الغين بنسبة زيادة بلغت 160% فقد أسبغ على الخطاب مسحة من الاستحياء، والوجل، في رداء من التخفي والغور، كمن يخفي سوء انكشاف، أو يللم أثوابا على عيب بدا، وما كان ذلك ليكون إلا إثر تعثر، جرّ إلى السعي وراء محو آثاره، وإزالة تبعاته، التي ساقته إلى التماس العذر؛ وهي المعاني التي يحملها حرف الغين الدال على " غؤور المعنى والغموض والخفاء"⁽¹⁾ وقد تتعمق دلالاته على الخفاء إلى أن " يوحي ... بالانحفاء والعدم"⁽²⁾، المتناسب مع محو الموجدة من القلب، و الحفيظة من الصدر، وهما غاية الاعتذار.

والغين إذ يعلن عن نية في مسح أثر الخطأ، يأتي الصاد بما فيه من "صفاء صورة وذكاء معنى مشعر بصدق مليء غير أجوف، تماما كما هو الصاد الأملء صوتا، والأشد تماسكا"⁽³⁾، وهو الصدق الذي لن يكون خفيف الحمل سهل التصريف، أمام أمير يحمل في صدره على صديق الوزير، وهي الصورة التي يؤديها حرف الصاد الذي "يدل على المعالجة الشديدة"⁽⁴⁾.

وأمام هذا الوضع يُزاد في تردد الحاء بنسبة 93%، تخفيفا لثقل الموقف، بما يملكه من دلالة على حرارة العاطفة، وشفافية المشاعر⁽⁵⁾، فلطالما كانا مجلبة للعطف والتّفهم.

ومع مثل هذه الحال، تصبح معاني الشدة ممجوجة، فالتخفيف من أصواتها أمر مطلوب، و التجاني عن أظهرها تعارضا مع موقف الاعتذار مسلك مرغوب، لذلك شهدت الخطبة نزولا في نسبة الأصوات الشديدة من 25.85% إلى 20.8%. وأبرز هذه الأصوات انزياحا فيها بالنقصان، حرفا الكاف و الهمزة.

أما الكاف فإنه "صوت مهموس شديد، هو عند العلابلي والأرسوزي (للاحتكاك)،... وصوته في هذه الحال يوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوة والفعالية،... أما إذا لفظ بصوت عالي النبرة وبشيء من لتفخيم والتجويف، فإنه يوحي بالضخامة والامتلاء والتجميع"⁽⁶⁾، وهما دلالتان ياباهما مقام الاعتذار، فالتقليل منهما أنسب و أقوم، خدمة لرسالة الخطاب.

(1). ينظر: عبد الله العلابلي، مقدمة لدرس لغة العرب، المطبعة العصرية، مصر، د ت، ص 210.

(2). حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، م س، ص 128.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

(4). ينظر العلابلي، م.س، ص 210

(5). حسن عباس، م س، ص 190.

(6). المرجع نفسه، ص 65.

وعلى غرار الكاف تقف دلالة الهمزة، عائقاً أما فشوها في الخطاب، بل ودافعا بها إلى التواري، والغياب؛ ذلك أن "صوت الهمزة في أول اللفظة يضاهاى نتوءاً في الطبيعة.. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع"⁽¹⁾، فمعنى البروز و الرفعة، لا يلائم مقام الخطاب القائم على نوع من التراجع والاستحياء، إذن فانخفاض نسبة شيوع الهمزة في الخطبة قد تولى تعزيزا لمقام الاعتذار، وتوجيها وتعديلا للخطاب؛ وهو الانخفاض الذي سيقوم بدور مشابه مع مقام الوفاء.

إن مقام الاعتذار بما أملاه من التجاء إلى اللين والرخاوة، وبعد عن الشدة والفظاظة، سيستدعي في هذا السياق تقليلا في الأصوات المائعة المعروفة بقوة إسماعها؛ وقوة الإسماع في مثل هذا الموقف لا داعي لها، ولا مسوغ لاعتمادها، بل قد تكون معكّرة لجو اللين والتلطف. لذا فقد نزلت نسبتها من 49.8% في اللغة المعيار إلى 46.1%، وهذا الانزياح بالنقصان لم يكن حادا كما هو الشأن بالنسبة لأصوات الشدة، وذلك لوجود موقف ثاني في مقام الخطاب له تأثيره هو أيضا، ذلك هو موقف الوفاء، الذي يلح في خفاء على الإسماع، وعدم الخضوع بالكلية في نبرة الصوت.

وإذا كانت الزيادة في نسبة توظيف الأصوات الرخوة استدعت نوعا من التقليل في الأصوات المائعة، فهي بالمقابل اعتضدت بزيادة في نسبة أصوات الصفير التي ارتفعت بشكل بارز من 3.2% إلى 5.2%. ومعروف ما لهذه الأصوات من نغمة موسيقية مأنوسة، ونبرة صوتية منطلقة في غير اندفاع، وسلسة نافذة في غير أذى وضجيج، ولطيفة خفيفة في غير ثقل وفضاضة. وهي بوصفها هذا ونسبة حضورها تلك، تمكن لجو الاعتذار وطلب الصفح. بما تملكه من تأثير على جرس الخطاب تطريزا، وعلى مدارك المتلقي تحفيزا للإقبال على الخطاب وتقبل رسالته. ومن ثم تهيئ الوضع، لصوت الحجة ليبرز ويظهر، ولتقتضى الوفاء لينكشف ويعلو. ومما سيمكن لهذا الانتقال أكثر، أن من كان وراء تعالي هاته النغمة بنسبة أكبر إنما هو صوت الزاي الذي بلغت نسبة انزياحه +150، وهو الصوت الدال كما يقول العلابي على: "التقلع القوي"⁽²⁾، وكأن الوزير سينهض بعد تهيئة جو الاعتذار ليستحضر معاني الشرف مع مقام الوفاء.

وهنا يحدث نوع من التردد والقلق، وشيء من الارتباك في الموقف، تعكسه أصوات القلقله التي ازدادت نسبتها من 10.6% إلى 14.9%، ففي تهذيب اللغة: "الْقَلْقَلَةُ وَالتَّقْلُقُ: قَلَّةُ التُّبُوتِ فِي الْمَكَانِ،

(1). حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، م.س، ص94.

(2). ينظر: العلابي، مقدمة لدرس لغة العرب، م س، ص128.

والمسما السلس يتقلقل في موضعه، إذا قلِق، ... " (1)، وفوق هذا فإن دلالة على الانحباس والكتم، كتّم للسبب والدافع الحقيقي لإنشاء هذا الخطاب (الخطبة)، وهو الوفاء؛ وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز، انحباس وكتّم يتلوه بيان وصدع، تماما كما هو الحال مع حروف القلقلة إذ أن " القلقلة ما ينضم إلى الشدة فيها ضغط في الوقف، وذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة معا. فالجهر يمنع النفس أن يجري معها، والشدة تمنع الصوت أن يجري معها، فلذلك يحصل ما يحصل من الضغط للمتكلّم عند النطق بما ساكنة فيحتاج إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه، حتى يجري صوتها فيسمع،..." (2)

وحين ينتقل الوزير لإسماع صوت الوفاء، يجد نفسه مستعينا بما يتوافق مع هذا الخلق الكريم من أصوات، ذات الدلالة على العلو والرفعة، المنتهيان إلى مطابقة التمام والكمال. إن هذه الأصوات لا يمكنها إلا أن تكون أصوات الاستعلاء والإطباق؛ يتقدمها صوت الضاد الذي يقول عنه العلابلي: إنه " يدل على الغلبة تحت الثقل " (3). وهي المغالبة نحو التخلص من التردد والقلق، وانتهاء عند تحمل مهمة الوساطة والشفاعة وفاءً للصديق، فالضاد هاهنا ليس دلالةً على غلبة الثقل على من أمر فنفذ، بل من أخذ زمام الأمر لينفذ، وهنا " فإن صوت الضاد بفخامته ونضارته وعُنته، إنما هو أوحى أصوات الحروف قاطبة بمشاعر الشهامة والمروءة والشمم " (4)

ومن أجل التفرغ لطلب الشريف من الخلق، والعالي من المكارم، الثاويان في خلق الوفاء، يلجأ الخطيب إلى المضاعفة من حرف يدل على ذلك التحليق نحو الأفق؛ إنه صوت الطاء، وهو صوت " مهموس شديد يشبه شكله في السريانية صورة الطير " (5)، وكأن صاحب الوفاء طيرٌ متعالٍ إلى السامي من المطالب، ليس فقط تحليقا، بل تحليقا وتحقيقا، وهذا التحقيق سيتكفل صوت الطاء بالتنبيه عليه، فالطاء صوت، يقول عنه العلابلي: إنه (للتمكن). وهو يوحي بالفخامة والنضارة والأناقة والظهور، ... " (6) وكلها معان من صميم الوفاء.

(1). الأزهري، تحذيب اللغة، م.س، ج8، ص233.

(2). التهانوي مُجد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، ترجمة: جورج زيناني، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، 1996، ج1، ص648.

(3). ينظر: العلابلي، مقدمة لدرس لغة العرب، م.س، ص128.

(4). حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، م.س، ص164.

(5). المرجع نفسه، ص120.

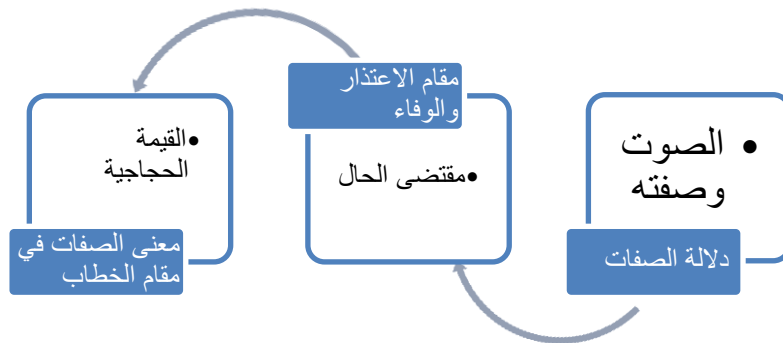
(6). ينظر: العلابلي، م.س، ص128.

وبلغة الإحصاء فإن الانزياح في أصوات الاستعلاء والإطباق، هو الأبرز والأظهر في سلسلة الانزياحات الحادثة، إذ ناهزت فيهما نسبة الزيادة الضعف، بل وتجاوزته؛ حيث انتقلت نسبة توظيف مجموعة الأصوات المستعلية من 7.6% إلى 11.4% بنسبة زيادة بلغت 75%، وارتفعت نسبة توظيف مجموعة الأصوات المطبقة من 2.1% إلى 4.9% أي بنسبة زيادة تقدر بـ116.7%.

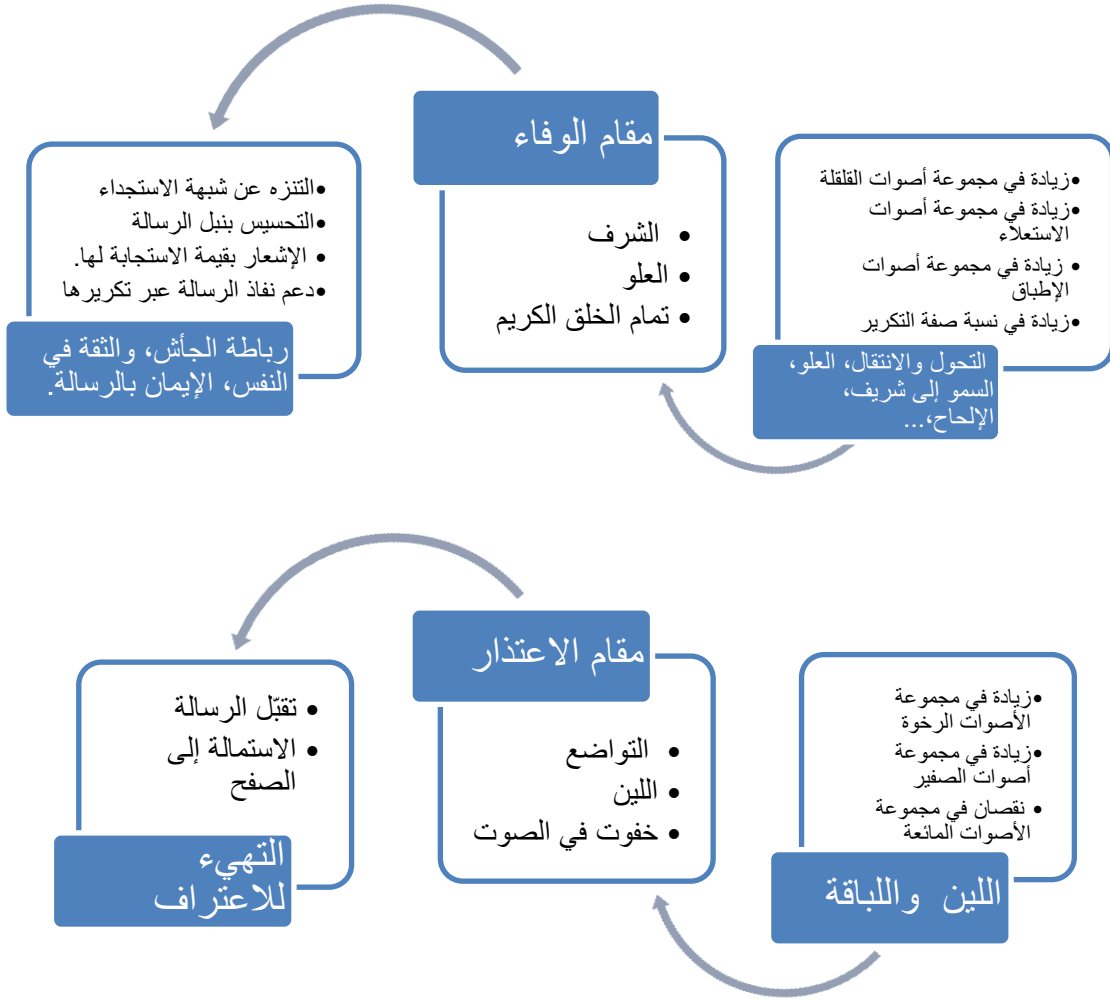
إن طغيان سمة الاستعلاء قد تطرح إشكالا في تلاؤمها مع مقام الاعتذار ذي صبغة الاتّضاع، وهنا يمكن القول أن هذا الاستعلاء ليس استعلاء على المخاطب، وإنما هو استعلاء نحو ذروة قيم رسالة الخطاب، الماثلة في الوفاء؛ كما أن الإطباق ليس تسلط على المستمع؛ فهذا منتفٍ في سياق الاعتذار لتعذره، ولكنه سعي لمطابقة قمة خلق الوفاء الدال بذاته على التمام والكمال. فضلا عن هذا فقد مر الحديث عن انخفاض في نسبة توظيف صوت الهمزة، وهو تخفيض يدفع شبهة التعالي من خلال ما يدل عليه تقليل صوت الهمزة، المتناسب مع الدلالة على النزول عن الارتفاع.

وعلى هذا النحو يغدو ما يبدو موضع تعارض واختلاف، موطن تعاضد وائتلاف. و الجمع بينهما يبدو قد انعكس في زيادة الأصوات المركبة التي ارتفعت من 1.6% إلى 2.3%، مترجمة الجهد المبذول للتوفيق بين ما ظاهره التعارض والتناقض. وحينها لا يبقى إلا التأكيد على مضمون الرسالة وما حوته من نسج وبناء، وهو ما تتولى صفة التكرير التنبيه عليه، وشحذ معناه؛ وهو ما يفسر الزيادة في نسبتها من 3.8% إلى 5.4%، وهي زيادة تنم عن دور مهم لصوت الراء في خلق إيجاءات الإلحاح والتأكيد على طلب قبول العذر، المحمول عبر تناغم الأصوات السابقة.

إن هذا التحليل لإقناعية الجرس الخارجي للخطاب، يتضح بشكل من الإيجاز عبر الترسيمات التالية:



وبتوظيف النتائج التحليلية، نحصل على الترسيمة التالية:



وفي صورة أخرى يمكن توضيح حاجية جرس الخطاب، في الخطبة محل الدراسة من خلال تقنية السلم

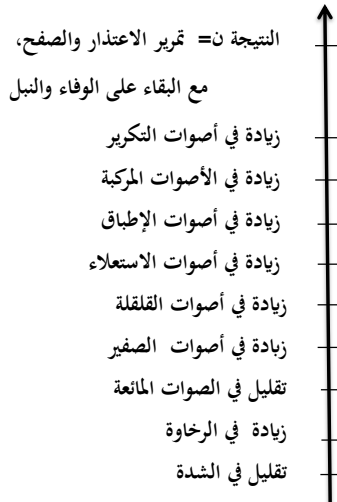
الحجاجي ، كما يلي:



- السلم الحجاجي لمقام الوفاء-

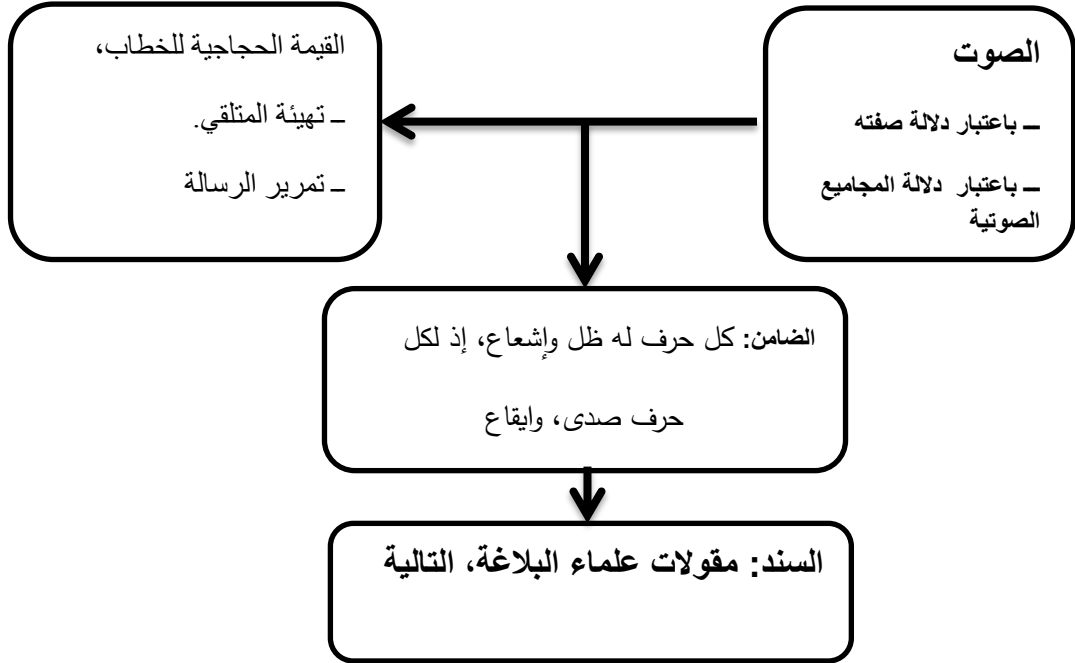
- السلم الحجاجي لمقام الاعتذار-

هاتين البنيتين الحجاجيتين، تبدوان منفصلتين، بحكم انتماء كل واحدة لمقام معين، لكنهما في سياق الخطاب، تندمجان، لتشكّل البنية الحجاجية الكبرى للخطبة، التي يمكن تصويرها في المسلك الحجاجي الآتي، ليس بطريقة سلمية ترابعية، بل بصورة بلاغية تستجيب لمقولة " لكل مقام مقال " ، عاكسة بذلك ما تم تناوله في الجانب النظري حول السياق والمقام.



المسلك الحجاجي للمقام العام للخطبة "وفاء واعتذارا".

وبصورة تخطيطية حاجية أخرى ، يمكن أن نصور حاجية جرس الخطاب من خلال خطاطة تولين كما يلي :



الضامن:

يدعم مُجدِّ المبارك فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة باندفاع ويرى في ثقة تامة أن: "للحرف في اللغة العربية إيحاء خاصا، فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى،..."⁽¹⁾

السند:

يقول صالح الفاخري، وبعد استقرا ناقص لمدى اطراد مناسبة الأصوات للمعاني بحيث تشمل جميع أصوات العربية وثانيا: مدى حصول المعنى الإجمالي من اجتماع معان جزئية لعدد من الأصوات مكونة لكلمة واحدة خلص إلى أن "... للصوت في اللغة العربية قيمة دلالية مستمدة من طبيعة الصوت نفسه، فالأحداث

⁽¹⁾ مُجدِّ المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت، ص261.

الشديدة تناسبها أصوات شديدة، وعلى العكس منها الأحداث السهلة، حيث تناسبها أصوات غير شديدة... " (1)

أما ابن جني إمام هذا الاتجاه فيقول: "... فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بما ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره. " (2)

وفيما يشبه التدعيم، والاحتجاج لذلك، يقول صاحب الطراز، حول تاليف اللفظ مع المعنى: " وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له، فإذا كان المعنى فخما كان اللفظ الموضوع له جزلا، وإذا كان المعنى رقيقا كان اللفظ رقيقا، فيطابقه في كل أحواله، وهما إذا خرجا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملائمة وقعا من البلاغة أحسن موقع، وتألفا على أحسن شكل وانتظما في أوفق نظام، وهذا باب عظيم في علم البديع، وجاء القرآن الكريم على هذا الأسلوب، فإذا كان المعنى وعيدا وزجرا أو تهديدا، أو إنزال عذاب، أو إيقاع واقعة، أتى فيه بالألفاظ الغريبة الجزلة، وإذا كان المعنى وعدا وبشارة، أتى فيه بالألفاظ الرقيقة العذبة.... " (3)

1-1-2 حاجية التصوير الإيقاعي الموزون (السجع):

1-1-2-1 مفهوم السجع:

دلت مادة "سجع" في اللغة على معان، ستشكل في مجموعها لبنات مفهوم "السجع" الاصطلاحي، و أثره البلاغي. جاء في مقاييس اللغة: " (سَجَع) السَّيْنُ وَالْحَيْمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى صَوْتٍ مُتَوَازِنٍ. مِنْ ذَلِكَ السَّجْعُ فِي الْكَلَامِ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ وَلَهُ فَوَاصِلُ كَفَوَائِي الشَّعْرِ... "، فالسجع صورة صوتية تنشأ عن خروج الكلام من حالة الإرسال والإطلاق إلى نوع يراعى فيه الوزن، بما يمتلئه الوزن من جهد في تحقيق التساوي أو التقارب، وفي درجة أقل التشابه والتناسب، بين طرفين مقترنين؛ فقد جاء في لسان العرب: "سجع: سَجَعٌ يَسْجَعُ سَجْعًا: اسْتَوَى وَاسْتَقَامَ وَأَشْبَهَ بَعْضُهُ بَعْضًا وَالسَّجْعُ: الْكَلَامُ الْمُقْفَى، وَالْجُمُعُ أُسْجَاعٌ وَأَسَاجِيْعٌ؛

(1). الفاخري صالح محمد سليم، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، دط، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية-مصر، دت، ص152.

(2). ابن جني، الخصائص، م.س، ج2، ص152.

(3). العلوي يحيى بن حمزة (المؤيد بالله)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2002، ج3،

وَكَلَامٌ مُسَجَّعٌ. وَسَجَّعَ يَسَجِّعُ...: تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَهُ فَوَاصِلُ كَفَوَاصِلِ الشَّعْرِ مِنْ عَيْرٍ وَزُنٍ⁽¹⁾، وَهُوَ مِنَ الِاسْتِوَاءِ وَالِاشْتِبَاهِ؛ لِاشْتِبَاهِهِ أَوَاجِرَهُ وَتَنَاسُبِ فَوَاصِلِهِ.

وأقل التشابه والتناسب تواطاً الفواصل على روي واحد، ففي تاج العروس "السَّجَّعُ: الكلامُ المَقْفِيُّ، كَمَا فِي الصِّحَاحِ، أَوْ هُوَ مُوَالَاةُ الكَلَامِ عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ، كَمَا فِي الجُمَهْرَةِ."⁽²⁾

والقصد من إيراد الكلام على صورة السجع هو إحداث أثر مرضي في نفس المتلقي، يحدثه الإيقاع الموزون، ففي تهذيب اللغة "... تقول العرب: سجعت الحمامة تسجع سجعا، إذا دعت وطربت في صوتها، فهَي سَجُوعٌ وساجعة، وحمائم سواجع."⁽³⁾ فمن شأن السجع التطريب، والتطريب لا ينشأ من السجعة الواحدة، بل يقتضي التردد والتكرار، فالترديد على ميزان واحد هو جوهر السجع و"سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حد واحد،... [و]سمي السجع في الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة، وكلمات متوازنة متماثلة، فأشبه ذلك الترجيع"⁽⁴⁾

إذن فالسجع من جهة اللغة صورة صوتية، تتشكل في الخطاب، تتركب من جزء شكلي يمثله توالي الكلام على مقطع صوتي واحد؛ حرفا واحدا، أو فافيةً واحدةً، ومن جزء سمعي، يصنعه الوزن استواءً وتساويا، أو تشابهاً و تناسبا، بين أجزاء الكلام المسجوع.

أما اصطلاحا : فله عدة تعريفات أهمها ما أورده الخفاجي (ت466هـ) بقوله: "... ويحد السجع بأنه تماثل الحروف في مقاطع الفصول..."⁽⁵⁾، أما ابن الأثير (ت637هـ) فإنه يعرّفه بتعريف قريب من السابق، لكن مع قصره على المنثور قائلا: "... السجع وحده أن يقال: تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد."⁽⁶⁾، والحقيقة أن السجع على "... الأرجح بين علماء البلاغة ... خاص بالكلام المنثور؛..."⁽⁷⁾،

(1) . بمعنى أنه يشبه الشعر في مراعاة التقفية ويخالفه في التزام الوزن لا سيما الوزن العروضي.

(2) . الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، م.س،ص179.

(3) . الأزهري، تهذيب اللغة، م.س، ج1، ص219.

(4) . الفلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دت، ج 2، ص302.

(5) . ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، م س، ج1، ص171.

(6) . ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، د ط ، دار نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، دت، ج 1، ص210..

(7) . شفيع السيد، أساليب البديع في البلاغة العربية، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2006، ص88.

ذلك أن "...صناعة تركيب الألفاظ والمعاني تنقسم إلى ثمانية أقسام، منهما السجع وهو يختص بالمشهور...".⁽¹⁾ ولعل اقتران السجع بالنثر في مقابل اقتران التصريح بالشعر، يشي بما للسجع من أثر جمالي وتأثيري تُصبغ به رسالة الخطاب، و تُستمال به مدارك التلقي لدى المخاطب، ولهذا نجد أحمد شوقي يقول مقرا ومقررا إن: "السجع شعر العربية الثاني، وقواف مرنة رِيضة حُصت بها الفصحى، يستريح إليها الشاعر المطبوع، ويرسل فيها الكاتب المتفنن خياله، ويسلو بها أحيانا عما فاته من القدرة على صياغة الشعر، وكل موضع للشعر الرصين، من حكمة تختزع، أو مثل يضرب، أو وصف يساق، وربما وشيت به الطوال من رسائل الأدب الخالص، ورضعت به القصار من فقر البيان المحض؛ وقد ظلم العربية رجال قبحو السجع وعدوه عيبا فيها، وخلطوا الجميل المتفرد بالقبيح المرذول منه..."⁽²⁾، و السؤال هنا لاشك أنه يحمل صيغة من قبيل: ما موضع السجع في التفكير البلاغي العربي من المدح و الاعتبار، ومن الذم والإنكار؟

1-1-2-2 قيمة السجع، في بنية الخطاب:

رغم ما للسجع من أثر فني، فإن قيمته البلاغية كانت موضع تنازع بين علماء البلاغة، الذين انقسموا حوله إلى فريقين:

الفريق الأول: وذهب إلى جوازه وحسنه " وهذا هو الذى عول عليه علماء أهل البيان، والحجة على ذلك هى أن كتاب الله تعالى والسنة النبوية ... مملوء منه وكلام البلغاء أيضا ...، فلو كان مستكرها لما ورد في هذا الكلام البالغ في الفصاحة كل مبلغ، ولأجل كثرته في ألسنة الفصحاء لا يكاد يبلغ من البلغاء يرتجل خطبة، ولا يجر موعظة إلا ويكون أكثره مبني على التسجيع في أكثره، وفي هذا دلالة قاطعة على كونه مقولا مستعملا في ألسنة الفصحاء في المقامات المشهورة والمحافل المعهودة."⁽³⁾

الفريق الثاني: وذهب إلى استكراهه، وذمه⁽⁴⁾ يقول في ذلك ابن الأثير (ت637هـ): "وقد ذمّه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهًا سوى عجزهم أن يأتوا به..."⁽¹⁾.

(1). ابن أبي الحديد (عبد الحميد أبو حامد)، الفلك الدائر على المثل السائر، دط، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، دت، ج 4، ص190.

(2). أحمد شوقي، أسواق الذهب. دط، مطبعة الهلال، مصر، 1932، ص109.

(3). العلوي، الطراز، م.س، ج3، ص14.

(4). ولعل من استكرهه إنما مستنده في ذلك ما ورد عن النبي ﷺ في صحيح البخاري، في باب الكهانة، في الحديث رقم 5758، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هَذَيْلٍ افْتَتَلْنَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجْرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَفَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاحْتَضَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا عُزَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِي الْمَرْأَةِ الَّتِي

أما عن الراجح من المذهبين فيقول صاحب سر الفصاحة "...والمذهب الصحيح: أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة،..."⁽²⁾ وعلى الاشتراط لقبول السجع سار علماء البلاغة، مفصلين و مبينين.⁽³⁾

1-1-2-3 البعد التداولي في شروط السجع الوظيفي (المحمود):

إن فحص وتحليل مجموع الشروط المطلوبة في السجع، حتى يتعال عن أن يكون حشوا لا وظيفة له، إلا التزيين الباهت، والتنميق البارد؛ يوقفنا على أن هذه الشروط، يمكن وسمها بأنها عوامل لتحقيق الأثر التداولي للسجع، كما يمكن عدّها قاعدة لاشتغاله الحجاجي في الخطاب.

وإن من اللافت في هذه الشروط انبناؤها على نظرة لسانية، فقد جاءت موزعة على مستويات: المعجم؛ التركيب والدلالة؛ ثم التداول، دون أن تغفل البعد الأسلوبي. يقول صاحب الطراز: "... اعلم أن المقصود بالتسجيع في الكلام إنما هو اعتدال مقاطعه وجريه على أسلوب متفق،...، لكنه لا يحسن كل الحسن، ولا يصفو مشربه إلا باجتماع شرائط أربع"⁽⁴⁾:

عَرِمَتْ: كَيْفَ أَعْرَمُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»

ويعلق القلقشندي على الحديث، دافعا وجه استدلال من استدلال بالحديث على كراهة السجع فيقول: "فليس فيه دلالة على كراهة السجع في الكلام، وإن تمسك به بعض من نبا عن السجع طبعه، ونفرت منه فريخته، إذ يحتمل أنه ﷺ إنما كره السجع من ذلك الرجل لمشاهدة سجعه حينئذ سجع الكهّان، لما في سجعهم من التكلف والتعسف كما وجهه أبو هلال ، وإما لجريلانه على عادتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما وجهه غيره، أو أنه إنما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بإنكار إيجاب الدية، لا نفس السجع المأتي به كما اختاره صاحب «المثل السائر» ؛ ولو كره صلى الله عليه وسلم السجع نفسه، لا تقتصر على قوله: أسجعا، ولم يقيد بسجع الكهّان". (القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دت، ج 2، ص 304).

أما ابن الأثير فيرى: "أنه -صلى الله عليه وسلم- قد نطق به في كثير من كلامه، حتى إنه غيّر الكلمة عن وجهها اتباعاً لها بأخواتها من أجل السجع، فقال لابن ابنته -رضي الله عنهما: "أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة" ، وإنما أراد "ملمة"؛ لأن الأصل فيها من "الم" فهو "ملم".

وكذلك قوله -صلى الله عليه وسلم: "ارجعن مأزوراتٍ غير مأجورات". وإنما أراد "موزورات" من الوزر، فقال: "مأزورات" لمكان "مأجورات"، طلباً للتوازن والسجع، وهذا مما يدل على فضيلة السجع". (ابن الأثير، المثل السائر، م س، ص 211).

(1). ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م س، ج 1، ص 210..

(2). ابن سنان الخفاجي، م س، ج 1، ص 171.

(3). ينظر: العلوي، الطراز، م.س، ج 3، ص 14. و: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 1، ص 212. .

(4). ينظر: العلوي، الطراز، م.س، ج 3، ص 13. .

الشرط الأول: والغاية من وضعه، ضبط السجع مع ما يتوافق مع المحافظة على وظيفة الوحدة المعجمية، جماليا وتداوليا، يقول العلوي: "الشريطة الأولى: ترجع إلى المفردات، وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق رطبة طنانة، صافية على السماع حلوة طيبة رنانة، تشتاق إلى سماعها الأنفس، ويلذ سماعها على الآذان، مجنبه عن الغثاثة والرداءة، ونعني بالغثاثة والرداءة أن الساجع يصرف نظره إلى مؤاخة الأسجاع وتطابق الألفاظ، ويهمل رعاية حلوة اللفظ وجودة التركيب وحسنه..."⁽¹⁾، وليست هذه الحلوة والجودة والحسن "في اللفظ إلا أثر ينتجه تآلف أصوات الكلمة، في انسجام جرسها مع دلالتها.

الشرط الثاني: وفيه مزيد عناية بعلاقة وحدات السجع بعضها ببعض، بحيث يقصد جلاء المعنى ووضوحه، فلا يطغى تتبع النغمة الموسيقية، على الفائدة التبليغية و الإبلاغية ، إلهاما وإقناعا.

يقول العلوي: "الشريطة الثانية راجعة إلى التركيب، وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة في تركيبها تابعة لمعناها، ولا يكون المعنى فيها تابعا للألفاظ فتكون ظاهرة التمويه وباطنة التشويه،...، فما هذا حاله هو الذي يذم من التسجيع ويقبح، لما فيه من إصلاح اللفظ دون المعنى، ولما فيه من التكلف والتعسف المستغنى عنه، فأما إذا كان من غير تكلف فإنه يأتي في غاية الحسن."⁽²⁾

وحول مضمون هذا الشرط دار كلام أرسطو فيما يتعلق بأثر الوزن والإيقاع في الإقناع إيجابا وسلبا؛ وحاصل كلامه أن القول الموزون غير مقنع بل على الضد من ذلك؛ فهو يحمل في طياته عناصر فشله، إذ يبدو مريبا مخادعا، بما يظهر عليه من تكلف في تطريز بنية الخطاب، وتعسف في توظيف النغم لتطويع المخاطب، وتشويش على الحجة أو تشويه لها

يقول ابن رشد(ت595هـ): "وإنما لم يكن الوزن مقنعا في الأقاويل الخطيبية لثلاثة أشياء:

أحدها: أنه يقع في نفس السامعين أن القول قد دخلته صناعة ما وحيلة حتى يظن أن الإقناع إنما أتى من قبل الصناعة لا من قبل الأمر نفسه.

(1).: العلوي، الطراز، م.س، ج3، ص13. و: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص213. .

(2). العلوي، ص14. و: ابن الأثير، ص213. .

والثاني: أن يظن به أنه قصد به التعجيب والإلذاذ واستفزاز السامعين بذلك، فيقع القول عندهم موقع ما قد غولطوا في الإقناع به.

والثالث: أن القول الموزون إذا ابتدأ القائل بصدده، فهم منه السامع عجزه للمناسبة التي بينهما والمشاكله قبل أن ينطق به القائل. وإذا نطق به بعد، فكأنه لم يأت بشيء لم يكن عند السامع قبل، فيقل لذلك إقناعه.⁽¹⁾

الشرط الثالث: وهو شرط ذو بعد دلالي أسلوبى، غايته تحصيل التوافق بين اللفظ وما يدل عليه، مراعيًا في ذلك مبدأى الاختيار والعدول الأسلوبيين فيختار المؤلف ويتجنب المستنكر، على ضوء من التعاضد لا التعاضل بينهما، من أجل بنية خطابية تلقى لدى المتلقي التقبل والاستحسان؛ وتهيبه لاستقبال الرسالة والتفاعل معها، لخلق التأثير لديه.

يقول العلوي: "الشريطة الثالثة: أن تكون تلك المعاني الحاصلة عن التركيب مألوفة غير غريبة ولا مستنكرة ولا ركيكة مستبشعة، لأنها إذا كانت غريبة نفرت عنها الطباع وكانت غير قابلة لها، وإذا كانت ركيكة مجتهدا الأسماع، فكل واحدة من السجعتين دال على معنى حسن بانفراده، لكن انضمام إحدهما إلى الأخرى هو الذى ينافر من أجل التركيب."⁽²⁾

الشرط الرابع: وهو الشرط الذى إذا تخلف بقي معه السجع في دائرة أسلوبية إمتاعية، ينتهي عند التأثير النفسى، والإثارة الوجدانية، لا يتخطى بهما وظيفة الداعم للإقناع إلى الصانع له.

يقول العلوي: "الشريطة الرابعة: أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى الذى دلت عليه الأخرى،..."⁽³⁾. وعلة ذلك إنما هو التطويل والحشو، كما بينه ابن الأثير (ت637هـ) في قوله: "... فإن كان المعنى فيهما سواء فذاك التطويل بعينه؛ لأن "التطويل" إنما هو الدلالة على المعنى بالفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها، وإذا وردت سجتان يدلان على معنى واحد كانت إحدهما كافية في الدلالة عليه، وجُلّ كلام الناس المسجوع جارٍ عليه."⁽⁴⁾

(1). ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح/ محمد سليم سالم، إشراف: محمد توفيق عويضة، الكتاب الرابع عشر، لجنة إحياء التراث الإسلامى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة-الجمهورية العربية المتحدة، 1967، ص589.

و: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م، س، ج1، ص213.

(2). العلوي، الطراز، م، س، ص14.

(3). المرجع نفسه، ص. ن. 4.

(4). ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م، س، ج1، ص214.

ويرى ابن الأثير أن هذا الشرط هو سر وجوهر الصناعة السجعية؛ الوظيفة التكوينية، لا التحسينية التطريزية، ودونه يضحي السجع زخرفا من القول، ولغوا في الكلام، غير معتد به في الخطاب.⁽¹⁾

وأهمية هذا الشرط لا تتوقف عند حدود بيان الضابط في ما هو تحسني وما هو تداولي بالنسبة للسجع، بل تتجاوز ذلك إلى الإلماع إلى ما صار يسميه ديكرود شرط التكوين الجيد للخطاب؛ "إذ الخطاب، حسب ديكرود يجب أن يفني بشرطين حتى يكون تكوينه جيدا: هما من ناحية، شرط التنامي الذي يؤمن الزيادة في معلومات الخطاب، ومن ناحية ثانية شرط الانسجام الذي يحدد الإطار الذي تكون فيه بعض المعلومات على درجة من الإطناب [والتناسب] تكفي لكي لا يبدو المتكلم يجبط خبط عشواء."⁽²⁾، وبالتالي يغدو هذا الشرط ذا بعد تداولي في مرماه وغايته.

والسجع إذ يمارس دوره الحجاجي ووظيفته التداولية فإنه لا يكون في مستوى واحد، ففضلا عن تفاوت جودة نسجه، يتفاوت أثره تبعا لنوعه، فالنوع على المستوى التداولي ليس مجرد تقسيم، بل هو فئة ودرجة لها قيمة تداولية تختلف عن نظيراتها من قيم ودرجات الأنواع الأخرى؛ مشكلة سلمية باعتبار بنائها كما باعتبار أثرها، مما حدا بجميل عبد الحميد أن يطلق عليها مصطلح "هرمية"⁽³⁾. وتظهر هذه الهرمية من خلال بيان أنواع السجع.

1-2-4 أنواع السجع:

يتحدد نوع السجع تبعا لعامل الحرف (الروي) أو "معيار التوازن الفونيمي"، والوزن أو "معيار التوازن المورفيمي"، فإما أن تتفق فقري⁽⁴⁾ الكلام في الحرف دون الوزن، أو في الوزن دون الحرف، أو تتفق فيهما معا.

(1). ينظر: ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م.س، ج1، ص214.

(2). جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م.س، ص258.

(3). جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2000، ص87.

(4). وهي القطعة من الكلام (جملة، أو جزء من الجملة)، التي يقع فيها عنصر السجع (الوزن أو الروي أو كلاهما)، وقد تسمى فصلا كما عند ابن الأثير، أو فقرة أو قرينة؛ يقول القلقشندي: "...ويقال للجزء الواحد من [السجع] سجعة، وتجمع على سجعات، وفترة بكسر الفاء أخذا من فقرة الظهر وهي إحدى عظام الصّلب، وتجمع على فقر وفقرات بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها، وربما فتحت الفاء والقاف جميعا، ويقال لها أيضا: قرينة لمقارنة أختها وتجمع على فرائن، ويقال للحرف الأخير منها: حرف الرّويّ والفاصلة" (صبح الأعشى ج2، ص203).

ومن أحسن التقسيمات وضوحاً وترتيباً ما أورده القلقشندي في صبحه، حيث أرجع أقسام السجع إلى صنفين: (1)، و يهمننا في هذا البحث الصنف الأول المتعلق بالخطاب النثري، وبيانه كما يلي:

الصنف الأول: أن تكون القرينتان متفتحتين في حرف الرّويّ، ويسميه الرّمانيّ السجع الحاني؛... وفيه ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى- أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الأوزان متعادلة الأجزاء ويسمى الترصيع، وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها.

ومنه في الخطابة العربية قول قيس بن رفاعه للحارث الغساني: "... ولقلبك أكثر من كثيره، ولشماذك (2) أغزر من غديره،..." (3)

المرتبة الثانية- أن يختص التوازن بالكلمتين الأخيرتين من الفقرتين فقط دون ما عداهما من سائر الألفاظ، ويسميه بعض البلاغيين المتوازي (4) أو الموازي (5).

ومن خطب العرب، قول بعض أشرف العرب بين يدي كسرى (6) منهم:

● مقالة حذيفة بن بدر الفرزاري: بين يدي كسرى: "قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم، والأعز الأعظم، ومأثرة للصنيع الأكرم؛ فقال من حوله: ولم ذاك أخوا فزارة؟ فقال: ألسنا الدعائم التي لا تورم، والعز الذي لا يضام، قيل صدقت،..." (7).

● مقال الأشعث الكندي: "ثم قام الأشعث الكندي ... فقال: قد علمت العرب أنا نقاتل

(1). القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفرزاري)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دت، ج2، ص304-306.

(2). الشماذ: الماء القليل لا مادة له.

(3). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، دط، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ج1، ص32.

(4). ينظر: الصعيدي عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط 17، مكتبة الآداب، مصر، 2005، ج4/4، ص654.

(5). ينظر: ابن حجة الحموي، (تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله)، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام عشتيتو، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1987، ج2، ص411.

(6). قال كسرى للنعمان بن المنذر يوماً، هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال نعم، قال فبأي شيء؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه رؤساء، ثم اتصل بذلك بكمال الرابع؛ فالبيت من قبيلته فيه، وينسب إليه، قال فاطلب ذلك، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر، وآل حاجب بن زرارة، وآل ذي الجدين، وآل الأشعث بن قيس بن كندة؛ فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم، وأقعد لهم الحكام والعدول، وقال: ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق؛.

(7). أحمد زكي صفوت، م.س، ج1، ص46.

عديدها الأكثر، وزحفها الأكبر، وإنا لغيث الكربات، ومعدن المكرمات،...⁽¹⁾.

- مقال بسطام الشيباني: "ثم قام بسطام الشيباني؛ فقال قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذي لا يزول، ومغرس عزها الذي لا يحول، قالوا يا أبا شيبان؟ قال: لأنا أدركهم للثار، وأضربهم للملك الجبار، أقومهم للحكم، وألدهم للخصم،...⁽²⁾".

المرتبة الثالثة: أن يقع الاتفاق في حرف الرّويّ مع قطع النظر عن التّوازن في شيء من أجزاء الفقرة في آخر ولا غيره، ويسمّى المطرّف:

ومن خطب العرب قول المنذر - المنذر بن النعمان الأكبر، جد النعمان بن المنذر-: "يا عام، وإنك لتخال هضيبيات أجأ ذات الوبار⁽³⁾، وأفنيات سلمى ذات الأغفار⁽⁴⁾، مانعاتك من الحجر⁽⁵⁾ الجرار، ذي العدد الكثار⁽⁶⁾، والحصن والمهار⁽⁷⁾، والرماح الحرار⁽⁸⁾، وكل ما مضى الغرار⁽⁹⁾، بيد كل مسعر كريم النجار⁽¹⁰⁾؟"⁽¹¹⁾ فبين الوبار، و الأغفار، والجرار، والكثار، والمهار، والحرار، والغرار، والنجار، اتفاق في الروي دون الوزن.

الصنف الثاني: أن يختلف حرف الرّويّ في آخر الفقرتين، وهو الذي يعبرون عنه بالازدواج . والرّمانيّ يسميه السّجع العاطل، وعليه كان عمل السلف من الصحابة ومن قارب زمانهم، وهو على ضربين: الضرب الأوّل أن يقع ذلك في النثر، وفيه مرتبتان:

المرتبة الأولى- أن يراعي الوزن في جميع كلمات القرينتين أو في أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزناً، ويسمّى التوازن وهو أحسنها وأعلاها،

(1) . أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ص 47 .

(2) . المرجع نفسه، ص.ن.

(3) . الوبار: شجرة حامضة شائكة.

(4) . الغفر بالتحريك: صغار الكأ.

(5) . الحجر: الجيش العظيم.

(6) . الكثير.

(7) . الحصن: جمع حصان، وهو الفرس الذكر، والمهار: جمع مهر، وهو ولد الفرس.

(8) . الحرار والأحرار: جمع حر، وهو خيار كل شيء.

(9) . الغرار: حد الرمح والسهم والسيف.

(10) . يقال هو مسعر حرب: أي موقد نارها كأنه آلة لسعر الحرب أي إيقادها، والنجار: الأصل .

(11) . أحمد زكي صفوت، م.س، ج 1، ص 29.

ومن الخطابة العربية قول عمرو بن الشريد السلمي؛ : "...، وفي كثير ثقله، وفي قليل بلغه،..."⁽¹⁾.

المرتبة الثانية- ألا يراعى التوازن إلا في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين فقط، ويسمى التوازن

أيضا، و مما جاء في خطب العرب ما يلي:

● قول قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر: " ولك من سؤدد منصبك، وشرف أعراقك، وكرم

أصلك في العرب، محتد يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، ورجوع عن الهفوة،"⁽²⁾.

● وقول قام حاجب بن زرارة التميمي: "...وهي العلقم مرارة، والصاب⁽³⁾ غضاضة⁽⁴⁾، والعسل

حلاوة، والماء الزلال⁽⁵⁾ سلاسة⁽⁶⁾..."⁽⁷⁾، فكل من مرارة، وغضاضة، وحلاوة، وسلاسة لا روي واحد يربطها

وإنما جاءت على وزن واحد هو فعالة، يجمعها.

وبناء على أثر الوزن في هذا القسم سماه ابن الأثير موازنة، ويعرفها بقوله: "وهي أن تكون ألفاظ

الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، ...، وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون

المماثلة؛"⁽⁸⁾

ومعناه أن هناك فرقا بين السجع والموازنة حقيقته " أن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال، وهي

تمائل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد. وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في

فواصلها؛ فيقال إذاً: كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعاً. وعلى هذا، فالسجع أخص من الموازنة."⁽⁹⁾

إن هرمية السجع المبنية على كثافة إمتاعيته الجرسية، والمعتمدة بوظيفته التواصلية والتأثيرية تحديدا

تجعله ضمن الإطار التداولي، المهتم بالكشف عن في أثره.

(1). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ص59.

(2). المرجع نفسه، ص34.

(3). الصاب : عصارة شجر مر.

(4). هي احتمال المكروه. والذلة والمنقصة.

(5). ماء زلال: سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس.

(6). سهولة. السلس: السهل اللين المنقاد.

(7). أحمد زكي صفوت، م.س، ج1، ص57.

(8). ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م.س، ج 1، ص291.

(9). المرجع نفسه، ص291.

1-1-2-5 الأثر الإقناعي التداولي للسجع:

إن السجع من وجهة نظر تداولية، ومن خلال ما تم بيانه في شروط وظيفيته، وبناء على ما سبق من أمثلة، يمكن القول أن تأثيره التداولي يقوم ويرتكز على دعامتين:

● الدعامة الأولى ذات تركيبة سمعية نفسية:

تستمد تكوينها من الماهية الإيقاعية⁽¹⁾ للسجع، التي " تستلزم توظيف إمكانات اللغة التي من شأنها جعل المتلقي متفاعلا مع المعاني الإيجابية والأفكار التي يروم المتكلم إيصالها إلى متلقيه، ولعل السجع بما يمتلك من مؤثرات صوتية تتردد بنحو منتظم أو شبه منتظم قادر على إيجاد رابط لغوي وجمالي بين طرفي الخطاب المتكلم والمتلقي،..."⁽²⁾

ففي مثل مقالات أشرف العرب عند كسرى، كان جليا تعويل كل خطيب على سوق حججه، في فقرات، كلها معلّمة ومؤشّرة عليها في نهايتها، أو في صلبها، بتوقيع صوتي؛ فونيمي أو مورفيمي، أو معا؛ بحيث يعود بذاته في كل فقرة مكررا، محدثا تماسكا وترابطا بين الحجج المدرجة في كل فقرة، وحينها يكون السجع قد اضطلع بوظيفة الرابط الحجاجي⁽³⁾؛ وإذا كان عمل الرابط الحجاجي أن يدرج الحجج، ويرتبطها نحو النتيجة و فقط؛ فإن السجع يكتنفها، ويزيد من قوتها الإنجازية.

ففي قول المنذر -السابق مثلا عن السجع المطرف- لا نجد رابطا معنويا قوي بين الوبار، و الأغفار، والجرار، والكثار، والمهار، والحرار، والغرار، والنجار،؛ بل قد نلمس في هذه المفردات ضعف في الانسجام. فالوبار: شجرة حامضة شائكة؛ والغفار: صغار الكالأ؛ والجرار: صفة للجيش العظيم؛ والكثار مبالغة في الكثرة؛؛ والمهار: جمع مهر، وهو ولد الفرس؛ والحرار والأحرار: جمع حر، وهو خيار كل شيء؛ والغرار: حد الرمح والسهم والسيف؛ والنجار: الأصل. ومع هذا استطاع السجع عن طريق تكرر روي (ار) من نظمها في سلك واحد، وسبكها في قالب واحد ولفها حول هدف واحد، وتوجيهها نحوه، هذا الهدف هو إشعار

(1). ينظر الأثر التداولي للإيقاع ص 126 من هذا البحث .

(2). الحميداوي خالد كاظم حميدي ، أساليب البديع في نصح البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية، إشراف: مشكور كاظم العوادي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، 2011، ص 49، (254 ورقة)

(3). الروابط الحجاجية تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) ، وتسد لكل قول دورا محدد داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن ، إذ... " (الغزوي أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 26)

المتلقي بقوة وتماسك الحجة المقدمة دعماً للقضية المطروحة وهي استحالة رد إغارة الجيش على عامر بن جوين الطائي وقبيلته، الطالبة لامرء القيس حين كان جاراً (مجاراً) عند عامر⁽¹⁾

والسجع إنما يفعل ذلك، مستندا إلى ركيزته النفسية الإمتاعية، التي تفتح منافذ الاستقبال والتلقي لاستيعاب أكبر قدر من طاقة الفعل الحجاجي، الذي يمارسه المخاطب بوساطة الخطاب، على عقل وقلب المتلقي.

وعن هذا الدور الإمتاعى التداولي للسجع يشير ابن رشد، متحدثاً عن خصيصة السجع الجوهريّة وهي الإيقاع المؤلف، في غير صنعة ولا تكلف، معبرا عن الإيقاع بالنبرات؛ فيقول: " فكذلك يظهر أيضا في الأقاويل التي ليس بينها نبرات - بل هي متناسقة - أنّها قليلة الإقناع. وذلك لسببين: [السبب الأول سيأتي لاحقا في الدعامة الثانية]، وأما الثاني فإن القول يكون بما غير لذيد المسموع، لأنه إنما يلتذ السمع بالنبرات والوقفات التي بين أجزاء القول. وأيضا فلكون الفصول التي في أمثال هذه الأقاويل متساوية لتقاربها فهي مملولة، لأن اللذة إنما هي في الانتقال من جنس إلى جنس. وإذا كان هذا هكذا، فلم يبق أن تكون أجزاء القول الخطيبي إلا القسم الثالث من الأقسام وهو الذي يكون بين أجزاء نبرات ووقفات لا تخرج القول إلى أن يكون بها موزونا⁽²⁾ " (3)

والنتيجة، أن ما يثيره السجع من لذة وإمتاع يقود للقول: إن " للسجع أثر كبير في حسن الكلام، وقيمة كبرى في انعطاف النفس نحوه، وإصغاء الأذن إليه، كما أنه إن أحسن استخدامه يسهم بصورة فعالة بالغرض من العبارة،... " (4) التي يترجمه المتلقي تأثرا وعملا بها.

(1). ولقد ورد حول مقام وسياق ما دار بين المنذر وعامر أنه: " وقد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر، جد النعمان بن المنذر؛ وذلك بعد انقضاء ملك كندة، ورجوع الملك إلى لحم، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس ابن حجر، أيام كان مقيماً بالجليلين، وقال كلمته التي يقول فيها:

هنالك لا أعطي مليكاً ظلاماً... ولا سوقة حتى يثوب ابن مندله (قال صاحب اللسان: " ابن مندلة رجل من سادات العرب، " ينظر: هامش جمهرة الخطب، ج 1، ص 27-28).

(2). الموزون عند أرسطو يقصد به الشعر: " فأرسطو يقول إن الكلام الخطيبي يجب أن لا يكون موزونا-فهو نثر وليس بشعر- ولكن يجب أيضا ألا يكون خلوا من الإيقاع الموسيقي " ينظر: هامش: تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: محمد سليم سالم، إشراف: محمد توفيق عويصة، المقالة 140 ب، دط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967، ص 588.

(3). ابن رشد، م.س، ص 591.

(4). عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، ط 1، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1993، ص 11.

• الدعامة الثانية ذات بعد عقلي استدلائي:

وهو البعد الذي لمحه العمري في دراسته للخطاب الإقناعي قائلاً: "وهذا الارتباط بين الدين والكهانة وبين الصناعة الصوتية يبيّن الوظيفة الإقناعية للإيقاع، ذلك أن توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه، وهذا ملحوظ في الأمثال والحكم التي يندر أن تكون غير مسجوعة وموزونة"⁽¹⁾، فقد ربط مُجد العمري ربطاً ضمناً بين سلطة الخطاب الديني، وما تشكله من قوة إقناعية وبين البناء الصوتي لهذا الخطاب، وكأن جانباً من تلك السلطة راجع بالأساس إلى الإيقاع، وإلى السجع تحديداً؛ لكن يبقى السؤال مطروحاً: كيف تحدث إقناعية السجع؟

لقد حاول الإجابة عن هذا السؤال عدد ممن تعرض لدراسة السجع وبلاغته قديماً وحديثاً، وفي كل الأحوال كان مدار الإجابة حول ما يقدمه السجع من سبعة شعرية تقرب النثر من الشعر، فيغدو الكلام المنثور أسهل حفظاً، وأدوم تناقلاً بين الناس، وفي هذا يقول ابن الأثير: "ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعاً لَدَّ لسامعه فحفظه، وإذا لم يكن مسجوعاً لم يأنس به أنسه في حالة السجع؟"⁽²⁾، وساق الجاحظ في هذا الصدد أنه "قيل لعبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلّت. وما تكلمت به العرب من جيّد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عُشره، ولا ضاع من الموزون عُشره"⁽³⁾. فالكلام الموزون الموقّع ألصق بالذاكرة، وهو ما نبه عليه ولتر أونج متحدث عن ارتباط الفكر بالغة. يقول أونج: "في الثقافة الشفاهية لا تكون الكلمات سوى أصوات؛ ولا يؤدي ذلك إلى التحكم في أنماط التعبير فقط، بل إلى التحكم في العمليات الفكرية أيضاً فالمرء لا يعرف إلا ما يمكنه تذكره."⁽⁴⁾، فاستشارة الصوت للفكر هو لبّ وظيفته في عملية التواصل، التي تقل جدواها كلما قلت نسبة ما يحفظ من الرسالة المتلقاة.

(1). مُجد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2002، ص116.

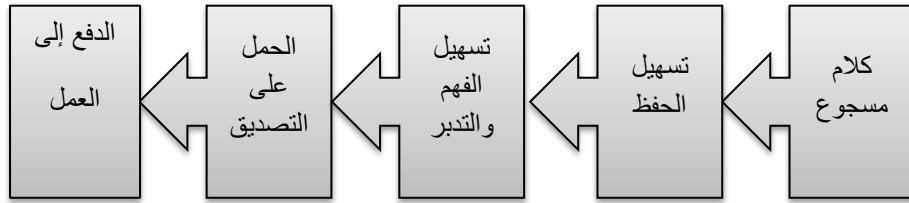
(2). ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م.س، ج 2، ص53..

(3). الجاحظ، البيان والتبيين، م.س، ج 1، ص239.

(4). والترج أونج، الشفاهية والكتابية، ترجمة: حسن البنا عز الدين، مراجعة: مُجد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، رقم 182، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، فبراير 1994، ص77.

وهذه نسبة لا تتحقق بمجرد وجود تحفيز أو تفاعل تواصل بين مرسل ومتلقي. يقول أونج نقلا عن هافلوك: " ولكن حتى مع وجود مستمع يحفز تفكيرك ويعطيه محورا فإنك لايمكن أن تحفظ جزئياته في مذكرات مدونة؛... عليك لكي تحل مشكلة الاحتفاظ بالتفكير المعبر عنه لفظيا واستعادته على نحو فعال، أن تقوم بعملية التفكير نفسها داخل أنماط حافزة للتذكر، صيغت بصورة قابلة للتكرار الشفاهي وينبغي أن يأتي تفكيرك إلى الوجود إما في أنماط ثقيلة الإيقاع، متوازنة، أو في جمل متكررة أو متعارضة؛ أو في كلمات متجانسة الحروف الأولى أو مسجوعة،...⁽¹⁾، لكن هل تتوقف الغاية من السجع في تحفيز الذاكرة والحفظ فقط؟

في الواقع، إذا كان السجع وسيلة فاعلة في حفظ الكلام؛ فإن حفظ الكلام يحمل غاية حاجية، تداولية، " فحفظ النفس للكلام مدعاة للفهم والتأمل والتدبر والعمل بمحتواه، والامتثال لما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه،... وبناء على ذلك يمكن القول إن السجع، إذ يرد في الكلام ويسهل عملية حفظه، فإنه يجعل هذا الكلام يحقق أغراضه الحاجية كما يلي:⁽²⁾



إن الكلام عن الحفظ بوصفه أحد مسالك السجع في التأثير التداولي يستدعي الإشارة إلى السبب الأول-حسب ابن رشد- وراء ضعف إقناعية الأقاويل غير ذات النبرات، إذ أن " ...الألفاظ إذا لم يكن بينها فصول زمانية عسر فهم تلك المعاني، لأنها إذا وردت مشافعة في الذهن، لم يتمكن الذهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر، شبيه ما يعرض لمن يجب أن يتناول شيئا من أشياء سريعة الحركة، فإنه لا

(1). والترج أونج، الشفاهية والكتابية، م.س، ص77.

(2). كمال الزماني، حاجية الأسلوب في الخطابة السياسية، م س، ص187.

يتمكن منها⁽¹⁾، وهذا معناه أن السر وراء إقناعية السجع إنما هو تسهيل الفهم، المؤدي إلى تسهيل الحفظ، والدفع إلى العمل بمقتضى الخطاب.

ومن خلال كلام ابن رشد يظهر أن السجع بصفته الإيقاعية، يوفّر فاصلاً زمنياً، يمكّن الذهن من استقبال رسالة الخطاب، بشكل متراخ، ومتعاقب؛ مما يمنح المتلقي فسحة للتدبر، والفهم. وزيادة على ذلك يعمل السجع على تبئير Focalisation⁽²⁾ الحجة المقدمة، وتوجيه الذهن نحوها، فينتج عن ذلك حالة من الوعي بالرسالة، ومن ثمة الإقتناع، فالعمل بها.

وليبيان حاجية السجع بصورة أوضح نعرض بالتحليل للأمثلة التالية وهي أمثلة تضمنتها الوقفات الخطابية، أما ملكة اليمن في سياق خطبتها:

• إحدى ملكات اليمن وخاطبوها.

ذكروا أن ملكة كانت بسباً؛ أتاها قوم يخطبونها؛ فقالت: ليصف كل رجل منكم نفسه، وليصدق وليوجز، لأنتقدم إن تقدم، أو أدع إن تركت، على علم؛ فتلكم رجل منهم يقال له مدرك؛ فقال: "إن أي كان في العز الباذخ⁽³⁾، والحسب الشامخ، وأنا شرس الخليفة، وغير رعديد⁽⁴⁾ عند الحقيقة" قالت: لا عتاب على الجنادل فأرسلتها مثلاً⁽⁵⁾، ثم تكلم آخر منهم ويقال له ضبيس بن شرس؛ فقال: "أنا في مال أثيث⁽⁶⁾، وخلق غير خبيث، وحسب غير عثيث⁽⁷⁾، أخذو النعل بالنعل، وأجزى القرض⁽⁸⁾ بالقرض" فقالت: لا يسرك غائباً من لا يسرك شاهداً، فأرسلتها مثلاً. ثم تكلم آخر منهم، يقال له شماس بن عباس فقال: "أنا شماس بن عباس، معروف بالندی والباس، حسن الخلق في سجية، والعدل في قضية، مالي غير محظور على القل والكثر، وبابي غير محبوب على العسر اليسر، قالت: الخير متبع والشر محذور؛ فأرسلتها مثلاً. ثم

(1). ابن رشد القرطبي مجّد بن أحمد، تلخيص الخطابة، م س، ص 591.

(2). " في اللسانيات يمثل التبئير ... عملية تبرز مكوناً من مكونات الجملة،... ويمكن أن يتحقق التبئير بوسائل صوتية (إلحاح).... ولا يمكن إدراكه خارج الحركة النصية". باتريك شارودو ودومنيك منغو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر لمهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، د ط، دار سناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، 2008، ص 257.

(3). العالي.

(4). الرعيد: الجبان.

(5). قال الميداني: "يضرب في الأمر إذا وقع لا مرد له، قاله أبو عمرو".

(6). كثير: عظيم.

(7). ليس في كتب اللغة وصفاً من مادة عث على فعيل؛ وإنما الذي فيها "رجل عث بفتح العين أي ضئيل الجسم" " وامرأة عثة: خاملة محقورة" وسياق الفواصل يرجح أن الوصف الذي هنا فعيل، وأرى أن معناه مشين معيب من عث العثة الصوف إذا أكلته فهو عثيت بمعنى معثوث.

(8). القرض: القطع.

قالت: اسمع يا مدرك، وأنت يا ضبيس، لن يستقيم معكما معاشره لعشير حتى يكون فيكما لين عريكة⁽¹⁾، وأما أنت يا شماس؛ فقد حلت مني محل الأهنع⁽²⁾ من الكنانة، والواسطة⁽³⁾ من القلادة، لدمائة⁽⁴⁾ خلقك، وكرم طباعك، ثم اسع بجد أودع، فأرسلتها مثلاً، وتزوجت شماساً. ⁽⁵⁾

يحيي هذا المثال عددا من الخطب، وهي على وجازتها⁽⁶⁾ تقدم نموذجاً جيداً للحجاجية السجع، فضلاً على أن مقام ورودها مقام خطبة، والخطبة هنا ليست موجهة إلى أيّ كانت، بل إلى امرأة ملك، فمقام الحديث إليها لا يقبل الإطالة، ويتطلب الإقلال والإشارة؛ فالإيجاز في هذا المقام أول خطوة إلى نجاح الخطبة، وإثمار الخطبة.

وكل خطبة في هذا المثال، تقوم على وصف الخاطب نفسه، بما يستجلب إعجاب الملكة، فيحظى برضاها عليه زوجها، مما جعل الوصف إقناعياً سالكا مسلكاً إمتاعياً، هو السجع، الذي اعتمده كل خاطب من الثلاثة المتقدمين، كل بما يملكه من قدرة على انتقاء الحجج، وبنائها. وفيما يلي تحليل للعمل الحجاجي المقدم من كل خاطب:

1- الخاطب الأول: مدرك، ونص خطبته: " إن أبي كان في العز الباذخ، والحسب الشامخ، وأنا

شرس الخليقة، وغير رعديد عند الحقيقة"

(1). العريكة: الطبيعة، ورجل لين العريكة: أي سلس الخلق.

(2). الأهنع آخر سهم في الكنانة رديئاً كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها؛ لأنه يدخر لشدة أو هو أردؤها، والمراد هنا الثاني.

(3). واسطة العقد: الجوهرة الفاخرة التي تجعل وسطه.

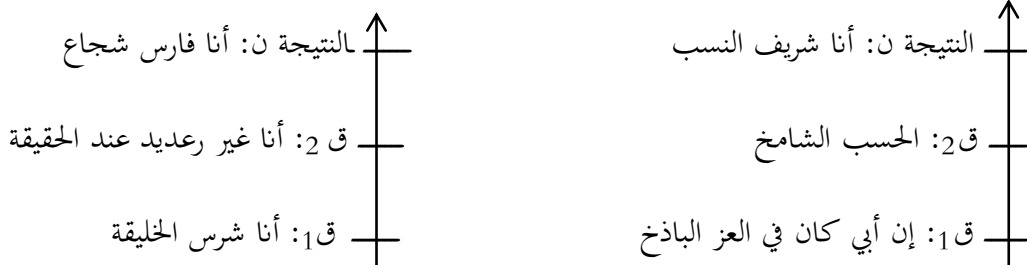
(4). الدمائية: السهولة.

(5). أحمد زكي صفوت، م.س، ج1، ص25.

(6). لا يهيم في الخطاب الحجاجي، حجمه، فكل خطاب يحتوي على ملفوظين اثنين على الأقل: م1م، 2م، حيث يقوم أحدهما بتعزيز الآخر، فيسمى الأول حجة والثاني نتيجة؛ فهو خطاب حجاجي. (الراضي رشيد، "الحجاجيات اللسانية عند أنسكومير وديكرو"، علم الفكر، عدد 1، مج 34، الكويت، يوليو-سبتمبر 2005، ص227).

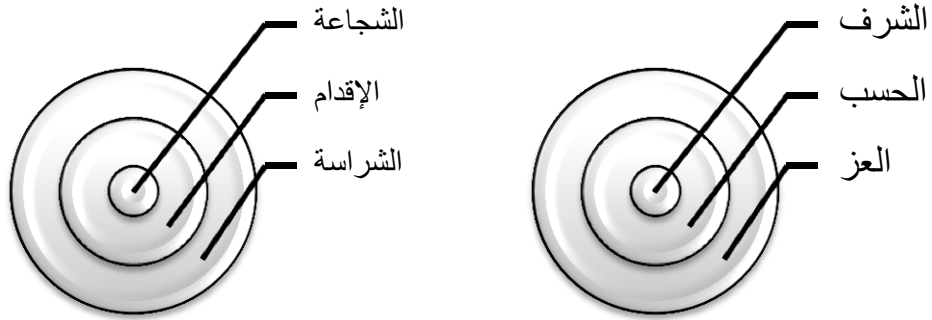
الفصل الثالث _____ حاجية "ما قيل" من التطريز إلى التحفيز

يمكن القول أن في الخطاب قسَمين حجاجيين⁽¹⁾؛ الأول: متكون من حجتين، الأولى: إن أبي كان في العز الباذخ، والثانية: أبي كان في الحسب الشامخ؛ والثاني من حجتين أيضا، الأولى: أنا شرس الخليقة، والثانية: أنا غير رعديد عند الحقيقة. ويمثل كل قسم سلما حجاجي كما يلي:



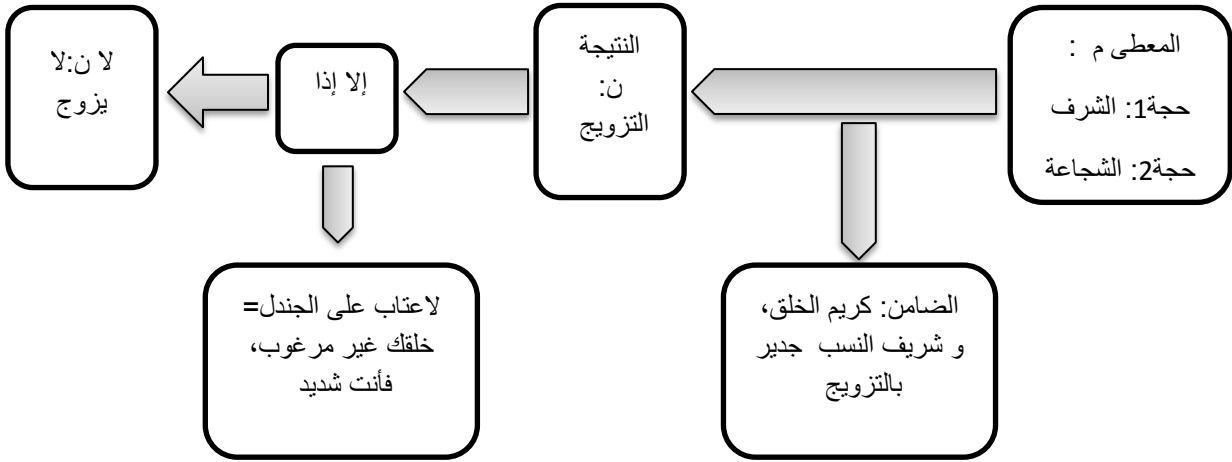
وفي كل قسم حجاجي يقوم السجع بتبئير النتيجة عبر ربط المحتجين برابط إيقاعي يمثله حرف الروي الخاء، والمقطع الصوتي صائت طويل، صائت قصير، صامت، صائت قصير في (امخ) و(اذخ) بالنسبة للقسم الأول و(يقة) و(يقة) بالنسبة للقسم الثاني.

ولعله يمكننا إعطاء تخطيط للتبئر في الحالتين كما يلي:



ومع هذا الكشف عن الاشتغال الحجاجي في خطبة مدرك، يمكن تمثيل البنية الحجاجية لخطبته وفقا لترسيمة تولمين كما يأتي:

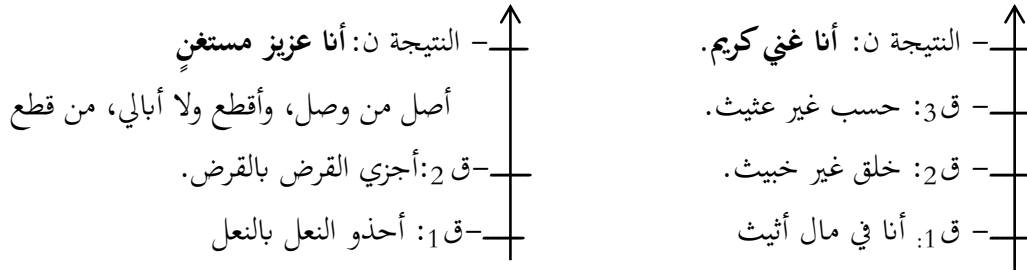
⁽¹⁾ نقول عن ق وق' إنهما ينتميان إلى باب حجاجي واحد يحدده قول ن إذا كان المتكلم يعتبر أن ق وق' بمثابة حجج لفائدة؛ فمفهوم القسم الحجاجي هو إذن [محدد] بالنسبة إلى مفهوم النتيجة من ناحية والمتكلم من ناحية أخرى: فإذا انتمى قولان أو أكثر إلى باب حجاجي واحد فذلك يعني أنهما يمكن أن من خدمة النتيجة نفسها ويمثلان اختبار متكلم واحد (: جاك موشلرو آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية س، ص 298)



2- الخاطب الثاني: ضبيس بن شرس، ونص خطبته: "أنا في مال أثيث، وخلق غير خبيث، وحسب

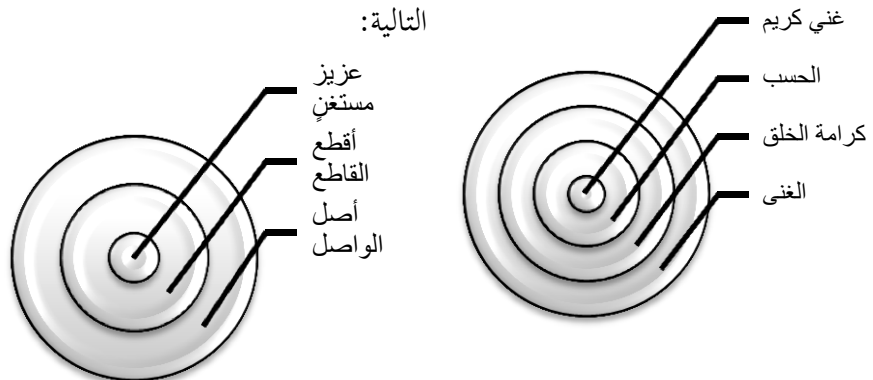
غير عثيث، أخذو النعل بالنعل، وأجزى القرض بالقرض"

وهو كسابقه مركب من قسمين حجاجيين، يبينهما ما يلي:

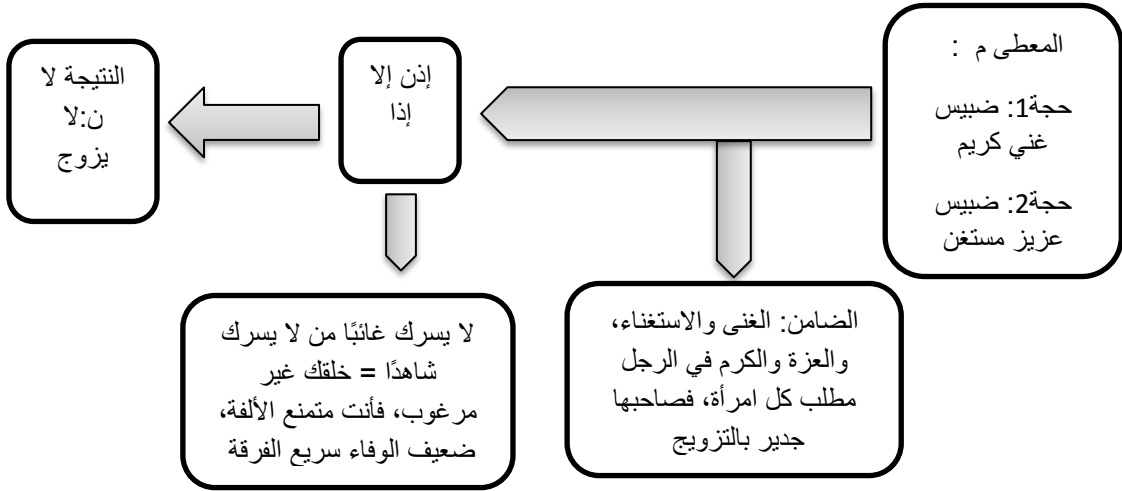


وعلى ذات المنوال يؤدي السجع دوره التبئري كما تبينه الترسيمة

التالية:



وعلى غرار خطبة مدرك، توضح لنا ترسيمة تولمين البنية الحجاجية لخطبة ضبيس كما يأتي:



- **الخطاب الثالث:** شماس بن عباس، ونص خطبته: "أنا شماس بن عباس، معروف بالندی والباس، حسن الخلق في سجية، والعدل في قضية، مالي غير محذور على القل والكثر، وبابي غير محبوب على العسر اليسر"

إن المتأمل لهذا الخطاب يجده بخلاف السابقين، كثيف البناء الحجاجي، على المستوى نوع الحجج، ومسلك بنائها، وطريقة عرضها. يوضح ذلك النقاط التالية:

- 1 - زيادة قسم حجاجي ثالث،
- 3 - استعمار الخطيب التأثيل اللغوي كحجة، في التعريف باسمه.
- 2 - الدمج بين أكثر من نوع سجعي؛ بين الازدواج، والتوازي، وذلك في: "مالي غير محذور على القل والكثر، وبابي غير محبوب على العسر اليسر"؛ فبين "مالي غير محذور" و "وبابي غير محبوب" ازدواج؛ وبين "على القل والكثر" و "على العسر اليسر" توازٍ.

وفي الجمل يمكن ترجمة البنية الحجاجية لهذه الخطبة كما يأتي:

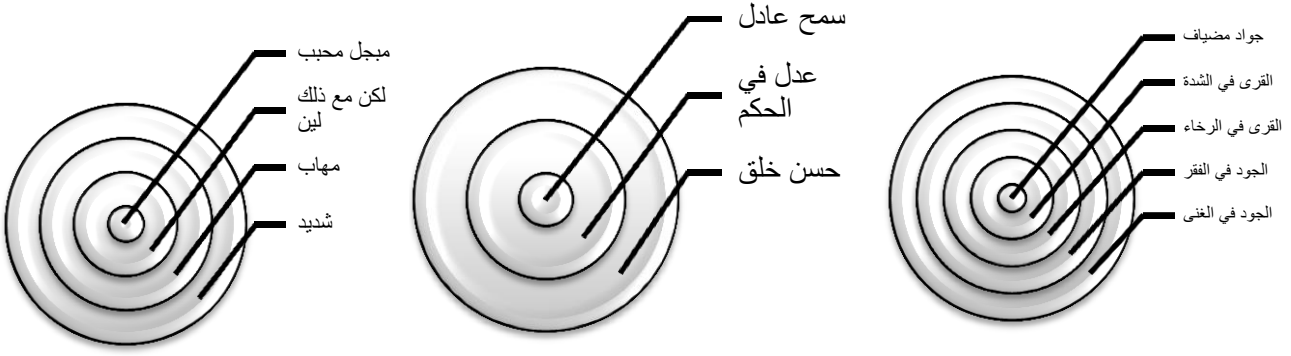
<p>النتيجة ن: أنا سمح عادل</p> <p>ق2: أنا أعدل في القضية</p> <p>ق1: أنا حسن الخلق في سجية.</p>	<p>النتيجة ن: مهاب الاسم واللباس.</p> <p>لين المعاملة والمراس مع الناس.</p> <p>ق3: معروف بالندى واللباس.</p> <p>ق2: أنا ابن عباس. فأنا مهاب⁽¹⁾</p> <p>ق1: أنا شماس، فأنا شديد⁽²⁾</p>
--	--

<p>النتيجة ن: أنا جواد مضياف</p> <p>ق4: باي غير محجوب في العسر.</p> <p>ق3: باي غير محجوب في اليسر.</p> <p>ق2: مالي غير محظور على القل.</p> <p>ق1: مالي غير محظور على الكثر.</p>

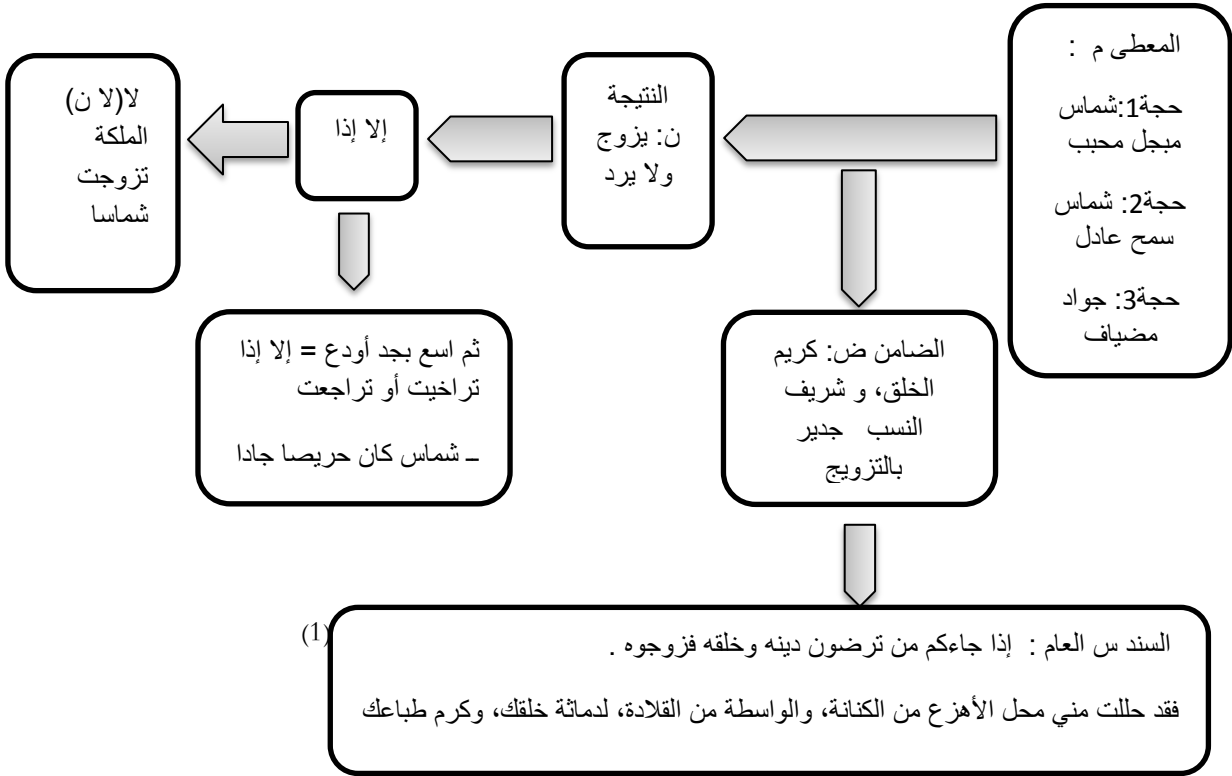
إن الملاحظ والدارس للخطبة نصا وتحليلا، يمكنه القول إن السجع في كل قسم حاججي من هذه الثلاثة، قد قام بدوره التبئيري، خاصة في القسم الثالث؛ حيث يتساند التوازي مع الازدواج، في عمل تبئيري غاية في التناسق، إذ يقوم الازدواج بين "مالي غير محضور" و "باي غير محجوب" بتبئير صفة الجود والضيافة، وفي ذات الوقت يقوم التوازي بين "على القل والكثر" و"على العسر واليسر"، بتبئير الذروة والمنتهى فيهما، كما توضحه الترسيمات الآتية:

(1) عَبَسَ يَعْبِسُ عَبُوسًا فَهُوَ عَبِيسٌ وَعَبَسَ عَبِيسًا إِذَا كَرِهَ وَجْهَهُ. فَإِنْ كَثُرَ عَنْ أَسْنَانِهِ مَعَ عِبْوِيهِ فَهُوَ كَالْح. وَعَبَسَ: قَبِيلَةٌ مِنْ قَبِيلَةِ عَبَسَانَ، وَهِيَ إِحْدَى الْجَمْرَاتِ. وَعَبِيسٌ: اسْمٌ. وَعَبَّاسٌ: اسْمٌ. وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الْعَبَّاسُ: الْأَسَدُ الَّذِي تَهْرُبُ مِنْهُ الْأَسَدُ، وَبِهِ سَمِّيَ الرَّجُلُ عَبَّاسًا تَهْدِيبُ اللَّغَةِ، ج2/ص69)

(2) رَجُلٌ شَمُوسٌ: عَبِيسٌ، وَهُوَ فِي عَدَاوَتِهِ كَذَلِكَ خِلَافًا وَعَسْرًا عَلَى مَنْ نَازَعَهُ، وَإِنَّهُ لَدُو شَمَّاسٍ شَدِيدٍ. وَشَمَّسَ لِي فَلَانٌ إِذَا أَبْدَى لَكَ عَدَاوَتَهُ، (تهديب اللغة ج11/ص206).



وبعد بيان الوحدات الحجاجية الجزئية في خطبة شماس، تكون البنية الحجاجية الكبرى قد اتضحت وفقاً لترسيمة تولين كما يلي:



(1). الواقعة وإن كانت في الجاهلية إلا أن الرسول ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق، فما قاله يصالح لمن يأتي بعده، ويسند ما استقام في الفطر والعقول السليمة قبله.

1-2-1 حاجية التصوير الصوتي:

1-2-1-1 حاجية الجناس:

1-1-2-1 مفهوم الجناس:

يعود الجناس في أصل دلالته إلى جذر "جنس" الذي يحيل حسب ابن فارس على أصل واحد، فـ "الجَيْمُ وَالنُّونُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الضَّرْبُ مِنَ الشَّيْءِ، .. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَدْفَعُ قَوْلَ الْعَامَّةِ: هَذَا مُجَانِسٌ لِهَذَا. وَيَقُولُ: لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ صَحِيحٍ. وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ هَذَا غَلَطٌ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي وَضَعَ كِتَابَ الْأَجْنَاسِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا اللَّقْبِ فِي اللُّغَةِ." (1) وسواء كان هذا الاستعمال عربيا أو مولدا، فإن جوهر ما يدل عليه إنما هو التشاكل، "...يُقَالُ: هَذَا مُجَانِسٌ هَذَا أَي يَشَاكِلُهُ، ... (2)، وبناء على معنى التشاكل ينشأ الضرب من الشيء، وتتولد الأصناف، "... وَقَالَ اللَّيْثُ: الْجِنْسُ: كُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الشَّيْءِ وَمِنَ النَّاسِ وَالطَّيْرِ، وَمِنْ حُدُودِ النَّحْوِ وَالْعُرُوضِ وَالْأَشْيَاءِ: جُمْلَةٌ، وَالْجَمِيعُ: الْأَجْنَاسُ.

والجناس من جهة الصرف مصدر جانس ، وتعطي صيغة التفعيل منه "التجنيس" كما تعطي صيغة المفاعلة منه "المجانسة" (3) ، والتجنيس والمجانسة كل منهما مصطلح مكافئ للجناس في عرف البلاغيين، غير أن صيغتا التفعيل والمفاعلة تحمل دلالة جوهرية، تقضي بأن التجنيس فعل يحدثه منشأ الخطاب قصدا، لغرض ما، بخلاف مصطلح الجناس الذي يوحي بأن المشابهة و المشاكلة تحدث بطريقة عفوية.

و في الاصطلاح: "يعد الجناس أبرز أساليب البديع ارتباطا باللفظ، و أحفلها بالأقسام والأنواع، إلى حد يثير الملل، بدأ بتعريفه حيث حاول كل منهم أن يصوغه، على نحو يجعله جامعا لكل أنواعه،..." (4)، فتعددت تعريفات الجناس حتى بلغت من الكثرة ما يملأ العدد من الصفحات (5)، مما يعني أن محاولة تهذيبها، أمر منهجي، تنضبط به الدراسة التحليلية، التي لا يهتما تفتيت الظاهرة البلاغية، بقدر ما تسعى إلى استثمار مفهومها و فلسفتها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، م س، ج 1، ص 479.

(2) الأزهرى، تهذيب اللغة، م س، ج 10 ص 321.

(3) ينظر: الكفوي ، الكليات م.س، ج 1، ص 275.

(4) شفيح السيد، أساليب البديع في البلاغة العربية: م.س، ص 127.

(5) ينظر: علي الجندي ، فن الجناس: أدب- بلاغة- نقد، د ط، دار الفكر العربي، مصر، دت، ص 12، 8 .

وعموماً ينشأ الجناس في النص بأن يعتمد منشأ الخطاب إلى كلامه فيشد بناءه، بأن يبيث فيه دعامات في شكل تشكيلات صوتية متجانسة، تختلف قوتها و متانتها، بحسب ما تحويه من عناصر التشابه والتشاكل، وهو أوجه كثيرة، لكل وجه مصطلحه الخاص.

ولعل من أجمع التعريفات ما جاء في كشف مصطلحات الفنون، بأن "الجناس عند أهل البديع هو من المحسنات اللفظية [و] هو تشابه اللفظين في اللفظ، أي في التلفظ ويسمى بالتجنيس أيضاً،..."⁽¹⁾، ويقابله في الإنجليزية Paronomasia "وفي الفرنسية Paronomase، paronymie، calembour"⁽²⁾، وبهذا المفهوم "...ذكره أرسطو في خطابه ويحدده بأن يكون المكرر وإن كان لفظين في المسموع فهو مختلف في المفهوم،..."⁽³⁾

1-2-1-2 أنواع الجناس، من سرد القسمة إلى بيان البنية:

الجناس كما سبق الإشارة إليه أنواع كثيرة، مما يجعل انتظام أنواع الجناس في معان جامعة، يعد مسلكاً مرضياً في اتجاه الضبط المنهجي. ومن أوائل من قام بذلك السكاكي (ت626) الذي جمع مصطلحات الجناس تحت مصطلحين: جناس تام، وجناس ناقص.⁽⁴⁾، وإذا كان الجناس التام قد حظي بنوع إجماع على أنه ما اتفق فيه اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها، وترتيبها⁽⁵⁾؛ فإن الجناس الناقص أو غير التام دار تعريفه حول أنه و ما اختلفت حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب⁽⁶⁾. لكن لم يكن - الجناس غير التام - من حيث أنواعه موضع اتفاق فقد اختلفوا في عدد صور الجناس غير التام، كما اختلفوا في أسمائها فهي ست عند ابن الأثير، وهي عشر صور عند يحيى العلوي، وهي عشر صور عند ابن حجة الحموي⁽⁷⁾

(1). التهانوي محمد بن علي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، م.س، ج 1، ص588.

(2). المرجع نفسه، ص.ن.

(3). ابن المعتز أبو العباس عبد الله، البديع في البديع، ط1، دار الجيل، 1990، ص25.

(4). السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبط وهميش وتعليق: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1987، ص429..

(5). ينظر: الصعيدي عبد المتعال، م.س، ج4، ص640.

(6). ينظر: المرجع نفسه، ص643.

(7). أحمد أحمد فشل، علم البديع، دط، دار المعارف، 1996، ص161.

وفي العصر الحاضر يعد سعيد العوادي من الذين قدموا تقسيما يدعم هذا التصور، فقد اختار العوادي أن يحتزل فروع الجناس في مفهوم واحد، هو التكاثر؛ ومنه جمع شتات التفرع لأنواع الجناس تحت اثنين: تكاثر كلي، وتكاثر جزئي، وبرغم ما لصنيعه هذا من فائدة لا تنكر، إلا أن مصطلح التكاثر يحمل وسما أسلوبيا، و بعدا دلاليا، قد لا يطرد في كل عمل جناسي، ولعل الاستعاضة عن التكاثر بالتشاكل، يؤدي الغرض التقني في التقسيم، ويبقى على جوهر الجناس كصورة صوتية مبنها على التشابه؛ فبنية "الجناس، أو التجانس تعتمد التماثل السطحي، والتسمية ذاتها تشي بذلك"⁽¹⁾، وهذا لا يعني إقصاء للبعد الدلالي للجناس، بل هو إرجاء له لاستثماره في دراسته تداوليا.

وهو الموقف الوسط بين مُجد العمري وسعيد العوادي؛ أما العمري فإنه يعرف الجناس في كتابه الموازنات بقوله: "التجنيس في مفهومنا هو تكرار الصوامت أساسا"⁽²⁾، وهو مفهوم صوتي محض تعقبه العوادي قائلا: "والواقع، أن إغفال شرط الاختلاف الدلالي في الجناس من شأنه أن يفضي إلى محق السر الدفين لهذا المكون الأسلوبى، الذي يقدم للغة خدمة جليلة إذ يوائم بين المعطى اللغوي المحدود وصنوف المعاني اللامتناهية."⁽³⁾

وقريبا من هذا التوجه المحافظ على بعدي الجناس؛ الصوتي والدلالي، والجامع بينهما، جَمَعَ ضم لا جمع دمج، سار منير سلطان، الذي يقترح تعريف الجناس بناء على بنيته: السطحية الصوتية والعميقة الدلالية⁽⁴⁾ فيقول: "ومصطلح الجناس في رأيي، مقطعان صوتيان متفقان في الإيقاع مختلفان في المدلول"⁽⁵⁾، إن أهم ما في هذا التعريف التنبيه على وظيفة المقطع الصوتي في صناعة النغم الموسيقي الممتع، عبر علاقة التماثل أو التشابه، و في تحفيز النشاط الدلالي للوحدات اللسانية، عبر علاقة التخالف والتباين.

(1). عبد المطلب مُجد، البلاغة العربية -قراءة أخرى-، ط1، الشركة المصرية العلمية للنشر-لوجمان، القاهرة-مصر، 1997، ص372.

(2). مُجد العمري، الموازنات الصوتية، م.س، ص64

(3). سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري -من التحسين إلى التكوين-، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2014، ص124.

(4). حلل مُجد عبد المطلب- في كتابه: البلاغة العربية قراءة أخرى بنية الجناس، إلى بنيتين: أحدهما: المستوى السطحي الذي يقوم على تتبع إيقاع الأحرف عند تجاوزها مكونة كلمة أو بعض كلمة، سمعا؛ وتتبع رسم الحروف بصرا؛ والآخر: المستوى العميق المرتبط بحركة الدهن لتمييز الدلالة وضبطها، من بين ما يتبادر، وما يُقصد. (ينظر: مُجد عبد المطلب، م س، ص 272-273.

(5). منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986، ص 72.

لكن ليس كل مقطعين تماثلاً صوتاً، واختلفاً دلالة يعد جناساً بالمفهوم البلاغي العربي، إلا على سبيل التوسع، ومن طريق إعمال المفهوم اللغوي للجناس.

وحينها يمكن الحديث حتى على "المجانسة الحرفية Allitération التي تلعب على تكرار الحرف نفسه في الجملة"⁽¹⁾، وهذا النوع من الجناس غير مقصود في هذا البحث الذي، يرمي إلى دراسة دور الجناس في صناعة الإقناع بما يقوم عليه من إمتاع. وهو ما قد يعبر عنه بحاجية الجناس.

3-1-2-1 حاجية الجناس:

إن القول أن الحجة عنصر دلالي يساق دعماً لعنصر دلالي آخر، يفتح الباب واسعاً للجناس ليكشف عن طاقة حاجية لا تنكر، بناء على أن "بنية التجانس ليست ذات قيمة إيقاعية فحسب، وإنما بنية تعمل على المستوى الدلالي وتدفعه إلى النضج والاكتمال"⁽²⁾، وهذا النضج والاكتمال كان محل اهتمام البلاغيين، خاصة منهم الجرجاني (ت471هـ) في أسراره، حيث أتى بما يمكن أن يكون فصل الخطاب في قيمة الجناس، فيقول: "أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمَى بعيداً، ... فقد تبين لك أن ما يُعطي التجنيس من الفضيلة، أمرٌ لم يتم إلا بِنُصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وَحْدَهُ لما كان فيه مستحسنٌ، ولما وُجد فيه معيبٌ مُستهجنٌ، ولذلك ذمَّ الاستكثار منه والوُلُوعُ به،..."⁽³⁾

وفي موضع آخر وفي صورة مكثفة لهذا الشرط يقول "واعلم أنّ النكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العلة في استيجابه الفضيلة وهي حُسن الإفادة، مع أنّ الصورة صورة التكرير والإعادة..."⁽⁴⁾، وعند هذا الحد ينزع الجرجاني عن الجناس لباس الإيهام، ليلبسه لباس الإفهام، الهادف إلى تقديم الفائدة للمتلقي.

وهنا يكون الجناس آلية تداولية، تتعامل مع الإدراك العقلي عبر الاستشارة النفسية، وفي هذا يقول فندريس: "والجناس في حد ذاته مسلك غير طبيعي، فهو عمل فني يتطلب انتباهاً خاصاً ككل إنتاج فني. وأولئك الذين يقبلون على هذا النوع من الممارسة يعرفون جيداً ضرورة تحضير الجو وإيقاظ عقل السامع ليكون

(1) أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص145.

(2) محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحدائث، : التكوين البديعي، ط1، دار المعارف، مصر، 1993، ص332.

(3) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، د ط، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د ت، ص8، 7.

(4) المرجع نفسه، ص17.

على بينة مما يجري فيقف بالمرصاد لاقتناص النكته العقلية. فلو كانت الكلمة تمثل دائما في الكلام بكل معانيها الممكنة، لأحس السامع في المحادثة على كل حال ذلك الأثر المضايق الذي تحدثه في نفسه سلسلة من الجناسات.⁽¹⁾

إن ما قاله الجرجاني و فندريس يكتسي أهمية بالغة في "... تقرير قيمة الجرس في التجنيس، من خلال ما تحدثه الألفاظ المتجانسة في التعبير، من إثارة وخيال لاستجلاء المعنى، فإن ترجيح الألفاظ المتشابهة تدقّ السمع وتوقظ الأذهان وتتشوف لوقعها النفوس"⁽²⁾. لقوة تلك العلاقة بين التخيلي والعقلي، في بنية الجنس؛ لذا فإن يكن للجناس من قيمة حاجية إقناعية، فإنها كامنة في صميم هذه العلاقة.

وهي علاقة تربط بين المتبادر إلى الذهن، والمتدبر فيه، أي: بين ما تثيره العلاقة الصوتية السطحية، وما تتطلبه العلاقة الدلالية العميقة. ولعل هذه الثنائية أن تشكل أصلا لكل وظيفة تداولية للجناس، فقد نبه إليها الجرجاني بقوله: "وذلك أنك تتوهم قبل أن يردّ عليك آخر الكلمة ...، أنها هي التي مضت، وقد أرادت أن تجيئك ثانية، وتعود إليك مؤكّدة، حتى إذا تمكن في نفسك تمامها، ووعى سمعك آخرها، انصرفت عن ظنك الأول، وزلت عن الذي سبق من التخيل، وفي ذلك ... من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها، وحصول الربح بعد أن تُغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال"⁽³⁾.

ويكاد يكون ما نبه إليه الجرجاني نفسه ما أشار إليها روبول في كتابه مدخل إلى الخطابة، متحدثا عن الجناسات التامة وما تحمله من ثقل تكراري تماثلي، ليقول عنها، مستدركا على ما يتوهم أنه ذم لها: "ولما كان يغلب أن تكون فظة [أي: الجناسات التامة]، فإنها تصبح رفيعة عندما تكون لها علاقة غير منتظرة مع الموقف"⁽⁴⁾، فقيمة الجنس حقيقة هي تلك التي تصنعها علاقته مع المتلقي، متجلية في كسر أفق توقع المتلقي.

ومن هنا يكتسب الجنس خصيصته بأنه " فن صوتي يقوم على فكرة (التوقع)، ...، ذلك أن الجنس يخاتل سامعه، بأن يجعله-أولا- يتوقع مع تكرار اللفظ تكرار المعنى، ثم يفاجئه-ثانيا- بأن المعنى

(1) جوزيف فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومُجد القصاص، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950، ص 229.

(2) ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د ط، دار الحرية للطباعة، بغداد-العراق،

1980 ص 273

(3) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، م.س، ص 18.

(4) أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص 145.

مختلف⁽¹⁾، ومن المؤكد أن الجرجاني وروبول مسبقان بأرسطو الذي يقول: " إن معظم النكت البلاغية التي نلم بها في الصورة وفي النقل، بلاغتها في المخاتلة التي يلجأ إليها الأديب، فإذا انتظرنا من أديب معنى فختلنا عليه ليأتي بمعنى آخر مضاد له تأثرنا به وتأثرنا بكلامه أكثر من غيره، وكأننا من أثر الدهشة وتلك المخاتلة نقول: ما أحق ما يقول وما أصدقه نحن الذين أخطأنا الفهم لا الخطيب"⁽²⁾.

واسترشادا بهاته الأقوال، يمكننا أن نحدد بعض وظائف الجناس الحجاجية، ممثلين لها من المتن الخطابي العربي فيما يلي:

1- المثال الأول:

خطب أبو بكر رضي الله عنه من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لیتم بعث أسامة... فحمد لله وأثنى عليه ثم قال: "يا أيها الناس: إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبق. إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن استقمتم فتابعوني، وإن زغت فقوموني: ... ألا وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قومًا نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم؛ فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد، والوفا الوفا، والنجاء النجاء؛ فإن وراءكم طالبًا حثيثًا أجلاً مره سريع، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات"⁽³⁾.

• مقام الخطبة

في هذه الخطبة يقف أبو بكر شاحداً للهمم، ومستنهضاً للغزائم، حاملاً على التراخي والدعة، وطاعنا في الأمل والتسويف، يفعل هذا إثر وفاة الرسول، الإمام القائم، والقائد العاصم، الداعي إلى المعالي والمكارم؛ إلى فعل الطاعات والتجافي عن المآثم، طلباً للفوز بالجنة، والنجاة من الحزي والنار يوم التغابن.

ومن هذا المقام استوحى مسلماً حجاجياً، يثبّت موقفه في مقامه، ويعضد خطابه ومقاله. أقام

بعضه على الجناس تاماً وناقصاً:

(1). جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2000، ص(90،91).

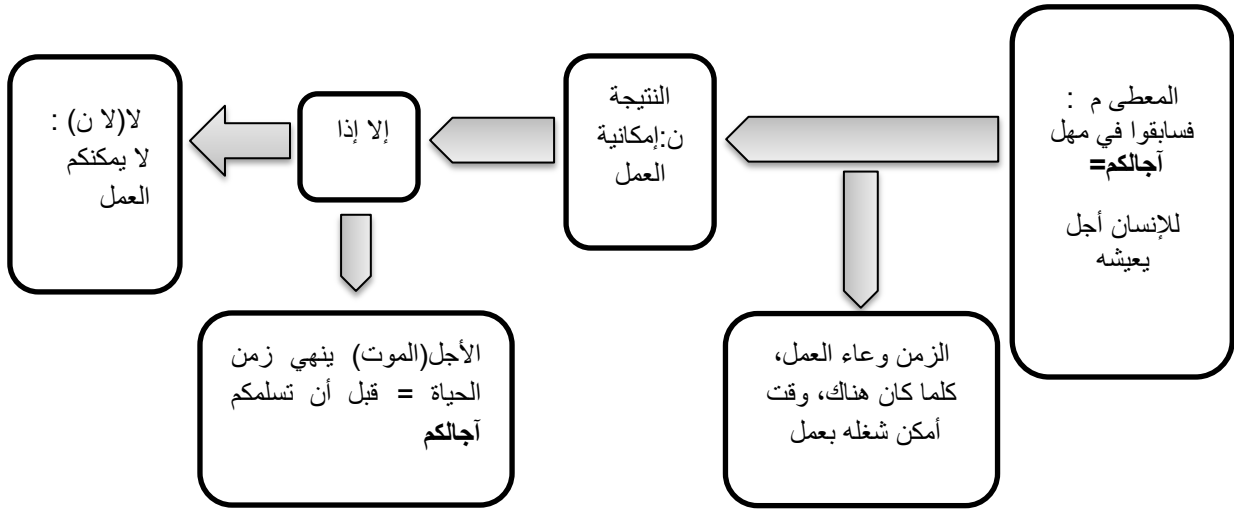
(2). إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950، ص170.

(3). أحمد زكي صفوت، م.س، ج1، ص181.

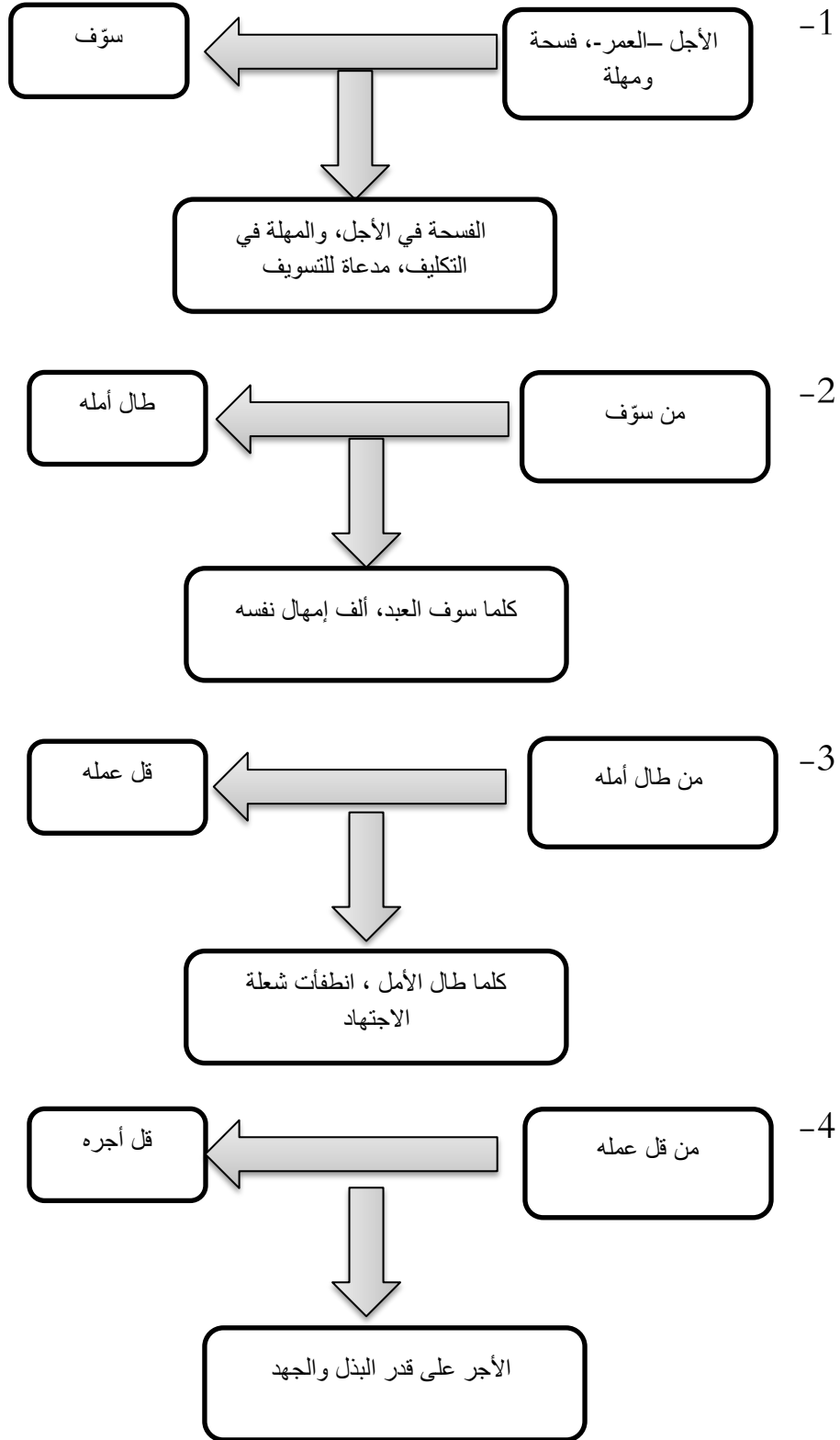
فالتام قوله: "... فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال،..."

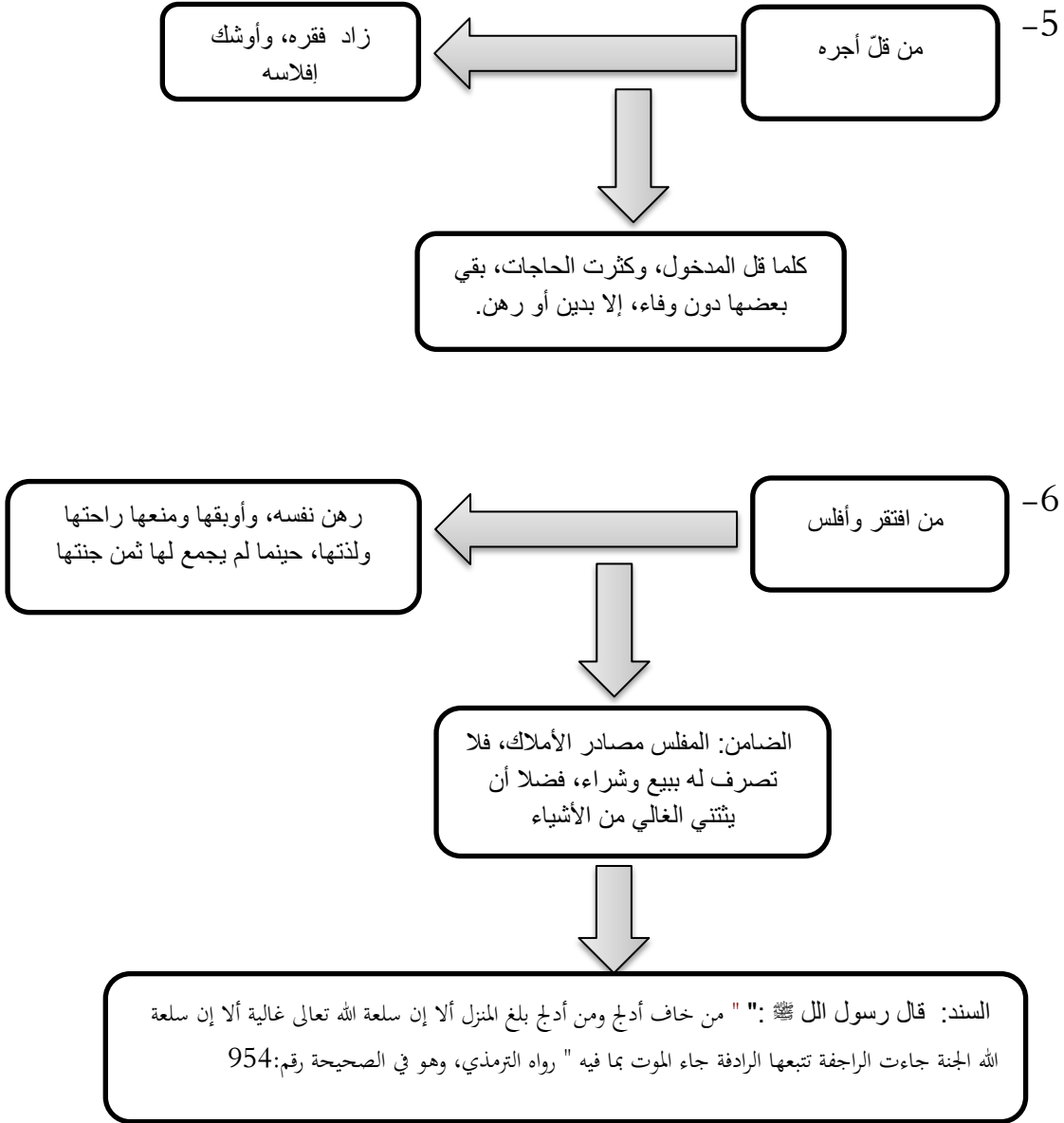
فـ"آجال" الأولى المهلة، والمدة من الزمن تُحدد، و"آجال" الثانية، لحظة الموت، وساعة مفارقة الحياة الدنيا، وفي مثل هذا يصدق أثر الجناس القائم على الإيهام المستدعي للتدقيق والتحقيق، القائد إلى الاستفادة، وقطف الثمرة بعد إعمال الذهن وإيقاظ الفكرة؛ إنهما الفكرة التي قصدها أبو بكر ليقنعهم بضرورة، الجد والحزم، وحتمية اغتنام الحياة، قبل أن يقطعها سيف الممات، والمرء ساء لاه، معتر بفسحة الأجل -الأولى-، وطول الأمل، الذي مهما تمادى، فهو مقطوع بالأجل -الثانية-.

إن إيراد هذا الجناس يخفي تحته، تقوية لفعل حجاجي، توضحه الترسيم التالية:



والنتيجة الموضحة في الترسيم نتيجة مصرح بها في قول إبي بكر رضي الله عنه، "... انقطاع الأعمال"، بيد أن صورة الظاهرة والمصرح به تحوي عملا حجاجيا ضمينا أبلغ وأقنع؛ متأسس بدوره على الجناس بين "آجالكم" و"آجالكم"، هذا العمل الحجاجي، تبينه البنى الحجاجية الصغرى الآتية:





ومن الجناسات التامة ما جاء في خطبة أبي جعفر المنصور (ت158هـ)، وقد قتل أبا مسلم الخراساني؛

فقال:

"أيها الناس: لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة، فإنه لم يسر أحد قط منكراً إلا ظهرت في آثار يده، وفلتات لسانه، وصفحات وجهه، وأبداها الله لإمامه، بإعزاز دينه، وإعلاء حقه، إنا لن نبخسكم حقوقكم، ولن نبخس الدين حقه عليكم، إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه

خبي هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه، ثم نكث بنا، فحكمتنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له، من إقامة الحق عليه".

فـ"الحق" الأولى ما يستحقه من الإكرام والمكافأة، و"الحق" الثانية، ما يستوجب من إقامة الحد، (حد الحيانة من منظور أبي جعفر المنصور).

والجناس التام في هذا المقام، يبدو وأنه خرج عن المألوف في التأثير بالإيهام والمخاتلة، إلى التأثير بالإفهام والمعادلة، بين مقتضى الجناس في ركنه الأول، ومقتضاه في ركنه الثاني؛ ففي الركن الأول كلمة "الحق" منحت أبا مسلم الإكرام والتبجيل، بالمكافأة والهدية؛ وكلمة "الحق" في الثانية، سلبت منه روحه بالموت والمنية.

فهذا الجناس أوحى بعدل أبي جعفر المنصور، وبُعدّه عن الظلم والجور، لم يكن ليحققه لو قال مثلاً: " ولم تمنعنا رعاية الإكرام له، من إقامة الحق عليه". ولا " لم تمنعنا رعاية القربة له، من إقامة الحكم عليه".

وهذه الأخيرة أبعد الصيغ محاجةً عن حكم أبي جعفر المنصور على أبي مسلم الخرساني، فالذي منح القول إقناعاً وتأثيراً، ليس كلمة "الحق" وحدها بما تحمله من دلالة شرعية، تقوم على النزاهة والعدل⁽¹⁾، وإنما بتوظيفها في عمل جناسي كثف الدلالة، والصوت. وبالتالي تظهر جلياً وظيفة الجناس في الحجاج والإقناع، معتمدة على الاستمالة والإمتاع.

2- المثال الثاني:

وهو حول خطبة الإمام علي عليه السلام حين استنفر بني تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة، من يكفيه أمر ابن الحضرمي، ويرد عادية بني تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد فخطبهم فكان مما قال: "... ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان⁽²⁾ تصاول الفحلين يتخالسان⁽³⁾ أنفسهما، أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت⁽⁴⁾، وأنزل علينا النصر،

(1). سيأتي الحديث عن هذا النوع من الحجاج ضمن حاجية المقتضى المعجمي. ينظر: ص(227-230) من هذا البحث.

(2). التصاول: أن يصول كل من القرنين على صاحبه.

(3). التخالس: التسالب، أي يبغي كل أن يسلب روح الآخر.

(4). الإذلال.

حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه⁽¹⁾، ومتبوعاً أوطانه، ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود، وإيم الله لتحثلبنها دمًا⁽²⁾، ولتبعنها ندمًا⁽³⁾.

فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي⁽⁴⁾ فقال: "أنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب، وأتكفل لك بقتل ابن الحضرمي، أو إخراجه عن البصرة" فأمره بالتهيؤ للشخص، فشخص إلى البصرة.

وفي هذه الخطبة وظف على بن أبي طالب عليه السلام الجنس بشكل جلي في عدده وأثره؛ ففي خطبته هذه جناس معكوس، وآخر مكنتف، والثالث مطرف. والثلاثة تجاوزوا إمتاعية الجنس المعهودة، إلى إقناعية مقصودة.

أما المعكوس ففي قوله "فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا"، والجناس المعكوس، ترافقه حركة نغمية ممتعة، تفعل بأذن المتلقي ونفسه، ما تفعله الأرجوحة بالمستلقي عليها، راحة ونشاطا، ونشوة وانسباطا، يقول ابن حمزة العلوي (ت 745هـ) متكلماً عن أثر التجنيس المعكوس معرفاً له: "وله في التجنيس حلاوة ويفيد الكلام رونقا وطلاوة، وقد سماه قدامة الكاتب بالتبديل، وكل واحد من اللقبين يصدق عليه، لأن صاحبه يقدم المؤخر من الكلام ويؤخر المقدم منه، فلهذا لقبه بالعكس، وهكذا فإنه يبدل الألفاظ فيقدم ما كان منها مؤخراً ويؤخر ما كان منها مقدماً، ويقع في الألفاظ، والحروف جميعاً..."⁽⁵⁾

إن ما يقوم عليه هذا النوع من الجنس يكمن في إحداث هزة إيقاعية، تقوم على قلب ترتيب المقاطع الصوتية لذات الملفوظ، فيصير آخره أوله، وأوله آخره، وما يتبع ذلك من مضاعفة تكرارية وتناسبية، إذ الإيقاع مبناه على عنصر التكرار والتناسب، فالجناس المعكوس إيقاع على إيقاع.

ومع ما للجناس المعكوس من طاقة إمتاعية؛ فإنه دون تجواب مع المعنى، وبغير هدف إلى صناعة الأثر في المتلقي إفادة؛ يغدو قرع أجراس أجوف. و يبدو ما أتى به علي عليه السلام متبراً منه، متعالٍ عليه، نحو إقناع أنصاره من الكوفيين والبصريين، بأن الحرب كما قيل: سجال يوم لك ويوم عليك. فلا ينبغي حينما تكون

(1). جران البعير: مقدم عنقه، وهو كناية عن التمكن كالبعير يلقي جرانه على الأرض.

(2). يقال لمن أسرف في الأمر: لتحثلبن دمًا، وأصلها الناقة يفرط في حلبها فيحلب الحالب الدم.

(3). أحمد زكي صفوت، م.س، ج1، ص437.

(4). مجاشع بن دارم: أبو قبيلة من تميم، وأعين بن ضبيعة، هو الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة يوم الجمل

(5). العلوي، الطراز، م.س، ج2، ص191.

عليك، أن تركز إلى الهزيمة، وتخلد إلى المهانة، وتتوارى عن الوثبة، بالخيبة، كما قال هانئ بن قبيصة الشيباني يحرص قومه يوم ذي قار⁽¹⁾. "يا معشر بكر، هالك معذور؛ خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنيا، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر⁽²⁾ النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا بد"⁽³⁾.

وفي مثل هذا المقام تصبح مقولة علي عليه السلام " فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا"، جرعة من الأمل منعشة، ونضحة تشجيع للقلب موقظة، وأنشودة بطولة مجيشة.

ثم هي قبل كل ذلك كله قاعدة في الحياة، وسنة في الوجود، ثابتة؛ خبرها النبي وصحابته يوم أحد، وهل خير من النبي من أحد. هذه القاعدة هي جوهر ما أراد علي عليه السلام تثبيته؛ فكرة تقنع، قبل أن تكون أنغاماً تمتع وتشجع. بينها السلم الحجاجي المبني على التساند المهمل بين الحجج⁽⁴⁾، الذي قد يتحول إلى تساند مقيد⁽⁵⁾ بوساطة المقام حيث يقوم المقام غالباً بتوضيح اتجاه التساند، وهو الحال مع الحجتين الواردتين في الجنس المعكوس " فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا"، وبيان ذلك كما يلي :

ح1: مرة لنا من عدونا.

ح2: مرة لعدونا منا.

ن: محتملة بين (ن1: هذه المرة الكرة لنا) و(ن2: هذه المرة الكرة لعدونا)

ولأن المقام مقام تحضيض على العودة لمقارعة الخصوم، فالنتيجة المرجحة هي(ن1: هذه المرة الكرة لنا)، فالسياق هنا أدى دور المحدد، والموجه للعمل الحجاجي. ليصبح كما في هذا السلم الآتي:

(1). كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم، وهو لبني شيبان، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً؛ فظفر بنو شيبان، وهو أول يوم انتصر فيه العرب من العجم.

(2). جمع ثغرة بالضم: وهي نقرة النحر بين الترقوتين..

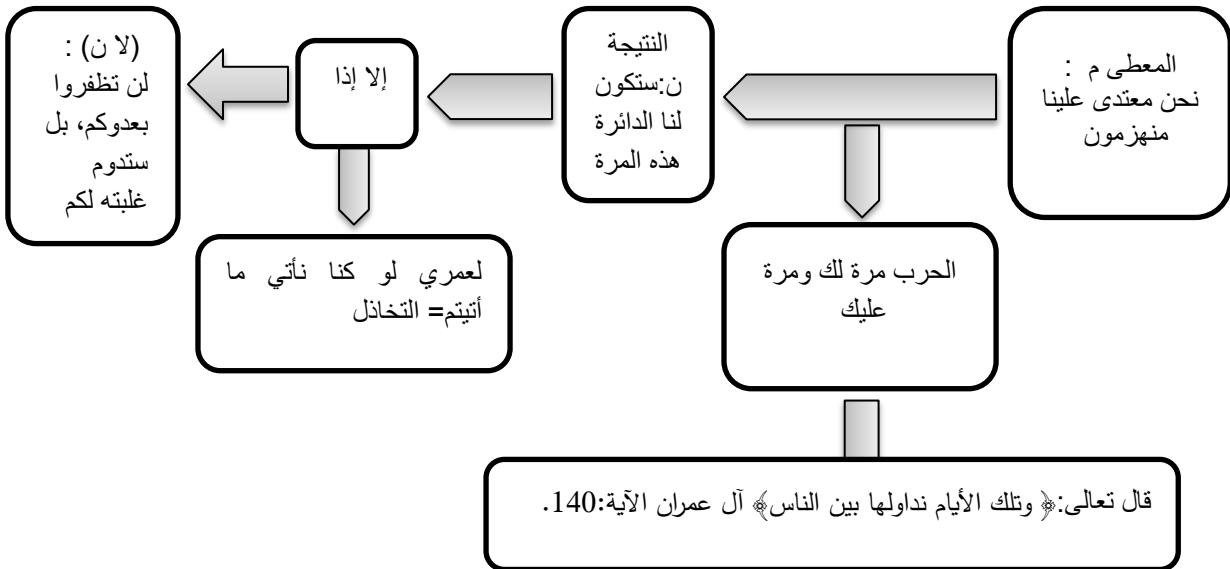
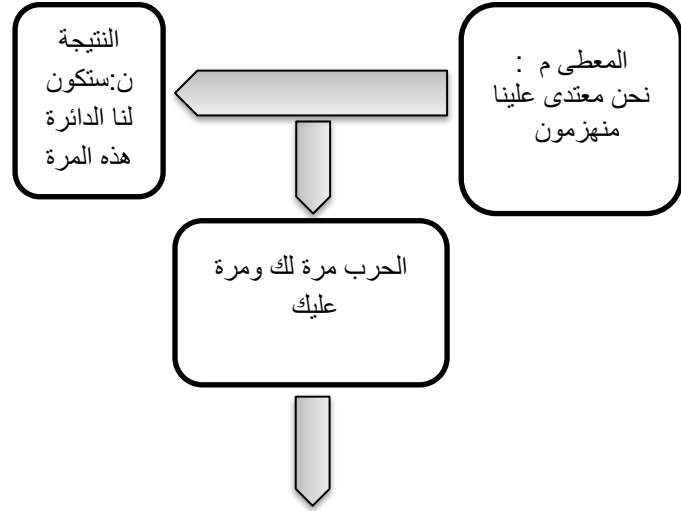
(3). أحمد زكي صفوت، م.س، ج1، ص37.

(4). قول عن حجتين إحداهما متساندتين، إذا سيقنا لعزير النتيجة نفسها،.... والمقصود بالإهمال هنا غياب أي تحديد لطبيعة العلاقة بين الحجتين المتساندتين، من حيث القوة والضعف، فلا نعلم أي الحجتين (أو الحجج)، أقوى في تعزيز النتيجة المشتركة (الراضي رشيد، الحججيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو "، م س، ص228).

(5). وهو التساند الذي يمكننا فيه تمييز الحجة الأقوى بين حجتين (الراضي رشيد، "الحججيات اللسانية عند أنسكومبر م س، ص229).

ن: هذه المرة الكرة لنا
 مرة لعدونا منا.
 مرة لنا من عدونا.

كما يمكن توضيحها من خلال ترسيمة تولين كما يلي:



وبعد أن عرض علي عليه السلام فكرته، وسعى في توضيحها وتثبيتها، طفق إثر ذلك يحميها، وينشر الحرس حواليها، ومن ذلك جناسان، أما الأول فمكتنف أو لاحق⁽¹⁾ في قوله: " لو كنا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود،" أما الثاني فمطرف أو مذيّل⁽²⁾ في قوله: " وايم الله لتحتلبنها دمًا، ولتبعنها ندماً".

أما الأول فقصد به علي عليه السلام، أن يضع الدين باعتباره الحق في مقابل ضمني هو الكفر بوصفه الباطل، والحائل بينهما الجبن والتخاذل في مقابل الشجاعة والإقدام، فأيهما استحکم نصب من يليه سلطانا، فإما شجاعة وإقدام وحق، وإما جبن وتخاذل وباطل.

ومن قلب هذه المقابلة، انتزع مقابلة أخرى بين الإيمان بكونه روح الدين، وماءه، في مقابل ضمني هو العصيان بوصفه ورم في جسد الدين، إذا استشرى أرواده، ميتا بلا روح، و حطبا مآله التلف والحرق. ويجز بين هذين الاثنيين مصابرة ومجاهدة، في مقابل استسلام ومسايرة. فإما صبر يقود إلى حياة ونضارة، أو استسلام يورد على موت وحقارة.

ثم استمر علي عليه السلام، على منهج التقابل، ليصوغ على منوال الدين/الإيمان وما تولد عنه من ضمنيات، ثنائية أخرى هي الإفراط/الندم، وإذا كانت الثنائية الأولى مطلوبة، وضمينها مردود، فإن الثانية على عكسها مذمومة مردودة، وضمينها محمود مطلوب.

فالإمام علي عليه السلام حذر من الإفراط في الركون إلى الدنيا، والتمسك بها، والإسراف في الوثوق بدوام نعيمها، كالذي يُفْرِط في حلب الضرع، حتى لا يحصل بعده إلا على الدم، فكذلك لا ينال المتلف لساعات

(1). الجناس المكتنف واللاحق واحد، بمصطلحين فالمكتنف: وهو ما اختلف فيه اللفظان بزيادة حرف وسط أحد ركنيه، أما الجناس اللاحق فهو: ما أبدل من أحد ركنيه حرف بحرف آخر من غير مخرجه، ولا قريب منه،... مثل قوله تعالى: قوله تعالى: إنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد ﴿العاديات الآية 7-8﴾

(2). " وأما الجناس المطرف، فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في طرفه الأول، وهذا هو الفرق بينه وبين المذيّل، فإن الزيادة في المذيّل تكون في آخره، وأما المطرف لتكون زيادته في أوله لتصير له كالمطرف، ويسمى: الناقص والمردف، وفي تسميته اختلاف كثير، " الحموي ابن حجة، م.س ج 1، ص 84.

رخائه إلا الشدة، ولا يجني المتواكل على السعة إلا الضيق، وفي سياق الخطبة فإنه لا يحصد المتأخر عن النزال إلا الإذلال. وأي حياة يحياها الذليل: يقول القائل:

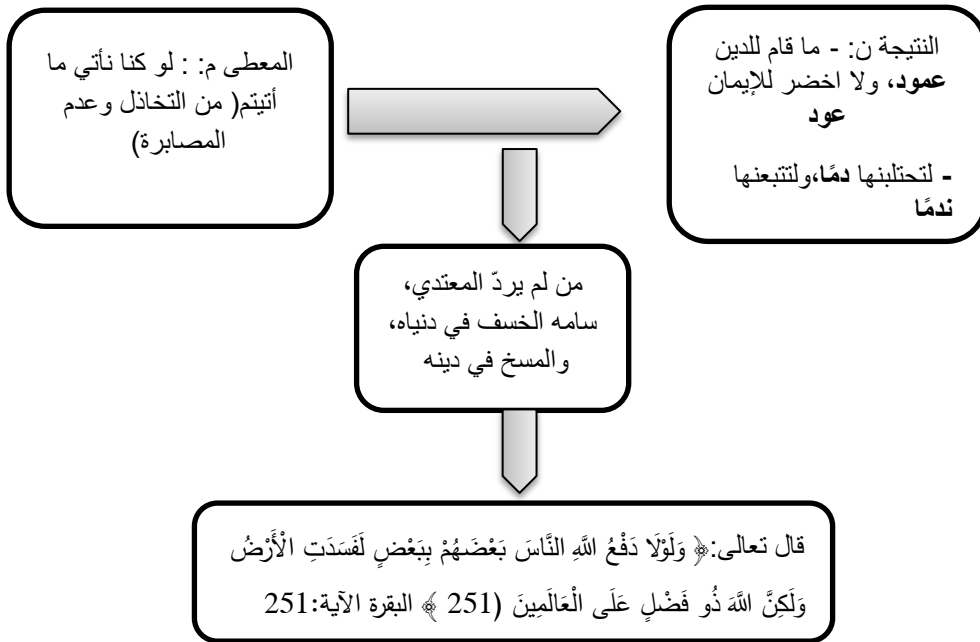
تأخرت أستبقي روح الحياة فكانت حياتي مع المقدمين
 ألا لا تطيب حياة الذليل وعيش الجبان أو الخائفين
 ألا قد يرى الموت عذبا زلال ويصبح طعم الحياة هجينا
 إذا أوثق المرء قيد وغل وعاش لدى الغاصبين مهينا⁽¹⁾

ولأن المذلة مرير طعمها علقم تجرعها، فهي مع التفريط باب إلى الندامة وما أشد مرارتها، أو ليست هي التي جعلت الكسعي يقطع إبهامه، ندامة على كسره قوسه، ثم أنشأ يقول:

ندمتُ نَدَامَةً لو أَنَّ نَفْسِي ... تُطَاوَعُنِي إِذَا لَقَطَعْتُ حَمْسِي

تَبَيَّنَ لي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي ... لَعَمْرُ أَبِيكَ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي⁽²⁾

إن هذا البناء الحجاجي، بصورته التحليلية، يحتاج إلى إيجازه بصورة تخطيطية في الخطاطة التالية:



وبمثل ما مضى من تحليل لعل حاجية الجنس تكون قد اتضحت.

(1). من إنشاء الباحث.

(2). أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دط، دار الفكر بيروت لبنان، دت، ج2، ص325.

1-2-2-2-1 حاجية الطباق:

1-2-2-1 مفهوم الطباق:

يعد الطباق عند كثير من البلاغيين من المحسنات المعنوية يقول صاحب كشاف اصطلاحات الفنون: "الطباق بالكسر عند أهل البديع من المحسنات المعنوية، ويسمى أيضا بالمطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ"⁽¹⁾، وإنما عد محسنا معنويا كونه ينهض في ما يبدو على العلاقة بين الشق المعنوي للكلمات والجمل، لا على شقها الصوتي.

والأمر حقا كذلك، لكن فقط إذا تم انتزاع المتطابقان من بنية الخطاب، وعزلا عن سياق ورودهما؛ أما إذا نُظر إليهما بوصفهما وحدات في بناء أكبر، وعناصر متعلقة مع غيرها في سياق جامع، فحينها سيتبدى الوجه الإيقاعي للطباق، "وإن كانت الدراسات لم تنقص ماهية إيقاعه، بل اكتفت بإدراجه اعتباريا ضمن الإيقاع دون تعليل ذلك"⁽²⁾، ولعل تلك الاعتباطية تخفي تحتها وضوحا لا يحتاج إلى كثير بيان وتعليل، ذلك أن العلاقة الضدية المتشكلة على مستوي التصور الذهني، لا تنشأ دون باعث صوتي مترامن تنتجه الأصوات المؤلفة للكلمات المكونة للطباق، وهو ما عبر عنه سعيد العوادي بقوله: "والواضح، أن إيقاع الطباق قد يتحصل حدسيا من خلال بعده الدلالي،..."⁽³⁾، وهذا الحدس ليس فكريا بقدر ما هو تلقائي تكفله علاقة الاستدعاء بين الدال والمدلول. والحاصل "أن الطباق هو نوع من الإيقاع الذي ييسم الأعمال الفنية على اختلافها"⁽⁴⁾، وفي الطباق خصوصا لا يمكن الاستعاضة عن الإيقاع بالوزن، لاختلاف الطرفين صوتا وتناسبهما دلالة.

ورغم اهتمام الأقدمين بالطباق فإنهم لم يهتموا بالنظر إليه من زاوية أن التضاد نوع من "التوازن" الضروري لأي حركية ونشاط كوني، مادي كان أو معنوي، كما بدو غير مقدرين للتأثير المتبادل بين الطباق

(1). التهانوي محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، م.س، ج 2، ص 1125. و النويري شهاب الدين (أحمد بن عبد

الوهاب البكري)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط 1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002، ج 33/7، ص 99.

(2). عبد الرحيم كنوان، من جماليات الإيقاع في الشعر العربي، ط 1، دار أبي رزاق للطباعة والنشر، الرباط، 2002، ص 383.

(3). سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري، م.س، ص 214.

(4). مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية، مقارنة جمالية، م.س، ص 197.

والسياق، ودور كل منهما في خدمة الآخر وإبرازه، فقد كان أكبر همهم الوقوف على الطباق اللغوي، في صورته الظاهرية كما حدده الخليل والأصمعي⁽¹⁾.

حد الطباق لغة واصطلاحاً:

أورد ابن المعتز مفهوم الطباق أو المطابقة مسنداً كلامه حوله إلى الخليل والأصمعي قائلاً: "قال الخليل رحمه الله: "طابقت بين الشيئين: إذا جمعتهما على حذو واحد". وكذلك قال أبو سعيد⁽²⁾، وجمع الشيئين على حذو واحد، يندرج تحته معان ذات أثر في بناء دلالة الطباق، لعل أهمها المساواة بين طرفي الطباق من كل وجه قال الزبيدي (ت 1205هـ) في تاج العروس: "وقد طابقتُه مُطابقتُه وطِباقتُه: وافقته وسأواه"⁽³⁾

ويبدو أن دلالة المساواة هذه، هي منشأ الاختلاف بين البلاغيين في المعنى الاصطلاحي للطباق بين حمله على معنى التضاد⁽⁴⁾ أو على معنى الجناس، "وقال الأخفش: من قال إن المطابقة اشتراك المعنيين في لفظ واحد، فقد خالف والأصمعي"⁽⁵⁾، وبالمثل فإن من ادعى أنه تجنيس فقد خالف الجمهور الذي توأمت صيغ تعريفاته على أن الطباق مجمع عليه بين علماء البلاغة بأنه: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء

(1). ينظر: منير سلطان ، البديع تأصيل وتحديد، م س، ص 118.

(2). ابن المعتز، البديع، ص 25.

(3). الزبيدي ، تاج العروس، م س، ج 26، ص 55.

(4). ولقد شكل حمل الطباق اصطلاحياً على التضاد نقطة استغراب عند كثير من البلاغيين فقالوا: "ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة، ومعناها اصطلاحاً، فإنها في اللغة الموافقة، يقال: طابقت بين الشيئين: إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر، وطابق الفرس في جريه: إذا وضع رجله مكان يديه، والجمع بين الضدين ليس موافقة."

و قال ابن الأثير في المثل السائر: "ولا أعلم من أي شيء اشتقوا هذا الاسم، ولا وجه للمناسبة بينه وبين مسماه، ولعلمهم قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن" م.س، ج 3، ص 144.

ولعل تلك اللطيفة أن الطباق جمع بين متساويين متوافقين من كل الوجوه إلا أنهما متضادين، وهذا التضاد هو ما يكفل انطباق أحدهما على مقابله ، كما تنطبق اليمى على اليسرى، ودفة الكتاب العليا على السفلى، فالتضاد هنا ليس عامل اختلاف بل عامل اتلاف.

وفي هذا المعنى يقول ابن أبي الأصبغ العدواني (ت 654هـ): "... وقد رد ابن الأثير على كل من ألف في الصناعة هذا الباب [يعني الطباق]، وقال: إن الجمع من تسميتهم الضدين في هذا الباب خطأ محض، لأن أصل الاشتقاق يقتضي الموافقة لا المضادة، وهو أولى بالخطأ منهم، لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد في موطئ واحد، والرجل واليد ضدان، أو في معنى الضدين، فرأوا أن الكلام الذي قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً لأن المتكلم به قد طابق فيه بني الضدين..." (تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، د ط، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دت، ص 111).

(5). ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، م.س، ج 1، ص 157.

الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحزّ والبرد⁽¹⁾.

1-2-2-2 أنواع الطباق:

يختلف البلاغيون في تقسيمهم الطباق إلى أنواع، معيارا و اصطلاحا، لكن في العموم يلتقون في جوهر كل نوع، ويمكن تلخيص ذلك في القول أن الطباق ينقسم كما يلي:

- بحسب طرفيه: ينقسم إلى طباق بين اسمين، أو بين فعلين، أو بين حرفين، أو بين مختلفين.
- بحسب علاقة التضاد بين الطرفين:

أما من حيث نوع التضاد فينقسم إلى: طباق إيجاب ، وطباق سلب.

وأما من حيث ظهور التضاد وخفائه ينقسم إلى: ظاهر وخفي.

1-2-2-3 حاجية الطباق، وأثره في الخطاب:

لئن كان السجع والجناس، ظواهر إيقاعية بيّنة الأثر في نغمها، خفية التأثير من جهة إفادتها، فإن الطباق على خلاف ذلك؛ فقد احتاج إدراجه ضمن الظواهر الإيقاعية، للحفر في بنيته، والكشف عن آلية تشكّله.

ولعل احتياج الطباق للنظر النافذ، والبحث في معناه لا في لفظه، هو ما كان وراء "التفات عبد القاهر... إلى فصل الطباق عن السجع والجناس وإحاطه بالاستعارة وغيرهما، بحكم أن هذه الألوان متعلقة بالمعاني، فالطباق والمقابلة مبناها على التضاد، وعلاقة التضاد وثيقة الارتباط بالمعنى⁽²⁾. ومن ثمّ كانت مقاربات الطباق حججيا، أقلّ عسرا وأوضح مثالا. ومن هذه المقاربات، مقارنة عبد الله الصولة، ومقاربة طه عبد الرحمن .

أما مقارنة صولة فتقوم على مبدأ الأنفع الذي يوضحه بقوله " هذا المصطلح من وضعنا وضعناه أسوة بديكرو في حديثه عن قانون النفع أو الجدوى *Loi de l'utilité* بتطبيقه نفهم ما يقال لنا ونحسب

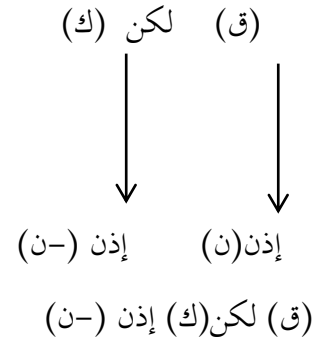
(1). ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين ، م.س، ص307 وابن الأثير في المثل السائر، م.س، ج3، ص143 وابن رشيق، م.س، ج2، ص5.

(2). ينظر: بلع عيد، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية: السياق وتوجيه دلالة النص، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، سلسلة سياقات، رقم 1، ط1، دار الكتب المصرية، 2008، ص254 .

Calculons دلالة هذا الذي يقال لنا في ضوء المقام أو الوضعية منطلقين من دلالاته في مستوى المكون اللساني فقانون النافع يترجمه متأول الملفوظ إلى سؤال من قبيل: لماذا قال المتكلم ما قال؟ ويستعين في تحصيل الجواب عن ذلك بالمقام أو الوضعية ... وهو قانون تخضع له عملية تأويل الخطاب بصفة عامة في نطاق مايسميه براندنار Berrondonner بالتداولية المدجة وبنظرية الدلالة وفق الشكل: Y " (1).

بمعنى أن هذا القانون هو أداة للتأويل التداولي، يدخل في تكوينها وبطريقة ضمنية، مفهوم أسلوبى شهير هو العدول، الذي بنى عليه صولة قانونه: الأنفع حجاجيا معرفا أياه بقوله: فالسؤال الذي يطرح هنا عند سماعنا خطابا ما هو: لماذا ترك المتكلم العنصر (ب) وعبر بدلا عنه بالعنصر (أ) وما وجه النفع في ذلك؟ أي فيم كان العنصر (أ) أو الطريقة (أ) أنفع وأجدى من الطريقة (ب)؟ (2)

وأهم ما يقوم عليه هذا القانون في التحليل الحجاجي إنما هو ثنائية الظاهر والواقع أو الحقيقة و Apparence/Réalite (3)، الوردتان ضمن ملفوظ حجاجي واحد، ومن صورها التطبيقية القضية وضدها، الناشئة عن الطباق الذي يمكن صياغته في ما يسمى المربعات الحجاجية الموضحة للقاعدة التي تقول: "من القضية الأولى (ق) أستنتج (ن) ومن الثنائية (ك) أستنتج (ن) ومن (ق لكن ك) أستنتج (ن)". (4)، وصورتها التخطيطية كما يلي:



ومن أمثلة ذلك في مدونة البحث: ما جاء في خطاب هارون الرشيد وقد غضب من عبد الملك بن صالح: بعدما كاد له ابنه "عبد الرحمن" وكأنيبه "قمامة" فسعيا به إلى الرشيد، وقال له: إنه يطلب الخلافة،

نقلا عن: عبد الله Ed.Minuit 1981.P11 :Elements de pragmatique linguistique .A.Berrondonner (1)

صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص78.

(2). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص79.

(3). ينظر تفصيلها: عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص(63-66).

(4). المرجع نفسه، ص83.

ويطمع فيها، فأخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع، وذكروا أنه أدخل على الرشيد حين سَخَطَ عليه، فقال له الرشيد: أكفراً بالنعمة، وجحوداً لجليل المنَّة والتكرمة؟ فقال: "يا أمير المؤمنين، لقد بُؤْتُ إذن بالندم، وتعرضت لاستحلال النَّقْم، وما ذاك إلا بغِي حاسد، نافَسني فيك مودة القرابة، وتقديم الولاية، إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول -الله ﷺ- في أمته، وأمينه على عِترته، لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة، ولها عليك العدل في حكمها، والتثبت في حادثها، والعُفْزَان لذنوبها"، فقال له الرشيد: "أضع لي من لسانك، وترفع لي من جنانك؟ هذا كاتبك قمامة، يخبر بعلِّك وفساد نيتك،..." (1)،

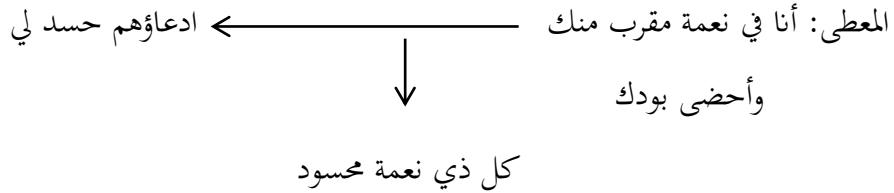
إن البناء الحجاجي لهذا الخطاب يمكن تلخيصه في ما يلي:

- 1 - الدعوى الأولى: مُنشئها(عبد الرحمن ابن الرشيد وقمامة كاتبه) حاصلها (عبد الملك يطلب الخلافة، ويطمع فيها).
إدعاء {
2 - الحجة على الدعوى الأولى: لا توجد

3 - الرد على الدعوى: عبد الملك يتبرأ: "يا أمير المؤمنين، لقد بُؤْتُ إذن بالندم، وتعرضت

لاستحلال النَّقْم، وما ذاك إلا بغِي حاسد، نافَسني فيك مودة القرابة، وتقديم الولاية..."

4 - حجة الرد:

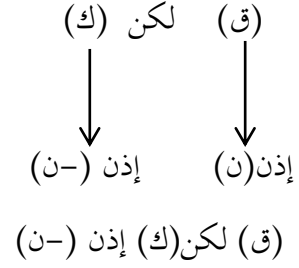


5 - رد حجة الرد نقضها بحجة أخرى: قول الخليفة الرشيد: "أضع لي من لسانك، وترفع لي

من جنانك؟" وهي حجة وظف فيها الرشيد الطباق بناء وتمكيننا، يوضحها المربع الحجاجي كما يلي:

- (ق): تضع لي من لسانك
- (ن): تخضع لي، وتنزل تحت ولايتي.
- (ك): ترفع لي من جنانك.
- (-ن): تتكبر على ولايتي، وتتمرد على سلطتي.
- (ق) و(ك) إذن (-ن): أنت تضمير التمرد، و تتشوف للسلطة.

(1). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، م.س، ج3، ص93.



6- تدعيم النتيجة (-ن): بحجة غير صناعية وهي الشاهد " هذا كاتبك قمامة، يخبر بعلك وفساد

نيتك " = شهادة قمامة

هذا عن مقارنة عبد الله صولة، أما مقارنة طه عبد الرحمن فهي من نوع الحجاج التفاعلي والأفعلي⁽¹⁾، القائم على مبدأ التقابل بين طرفين متعارضين، بحيث يستدل على أحدهما بنفي أسباب الآخر عنه، مثل الاستدلال على عراقة العجم في التحضر بعدم وجود الجمال والصحارى عندهم⁽²⁾، ومما يميز هذا التقابل تناميته من المقدمة (أحد طرفي التقابل) إلى النتيجة (الطرف الآخر من التقابل)، وفيما يلي مثال تطبيقي لهذه المقاربة على الخطابة العربية:

وهو مثال متصل بالمثل السابق من حيث سياقه ومقامه، ففي مجلس آخر، أشبه ما يكون بجلسة محاكمة ثانية، حيث "سلم عبد الملك لما دخل، فلم يردّ عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوماً أحتجّ فيه، ولا أجادب منازعاً وخصماً. قال: ولم؟ قال: لأن أوله جرى على غير السنة، فأنا أخاف آخره..."⁽³⁾، فقد احتج عبد الملك بعدم الأخذ والرد في الخطاب، بحجة نسجها في صورة طباق بين "أوله" و"آخره".

طباق لم يأت به عبد الملك زخرفاً، فلا شك أن الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً، ويزيده بهاءً ورونقاً، لكن هناك هدف أسمى، ومعنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد، ذلك هو الإقناع بالفكرة والدفاع عن الموقف؛ فعبد الملك يضرب عن المحاججة عن نفسه، ودفع التهمة عنها، مبرراً موقفه، بسلسلة من الحجج منطلقها طرف الطباق الأول ومنتهاها عند طرف الطباق الثاني، أضمّرها بينهما، كما يلي:

أوله جرى على غير السنّة ← فهو قليل البركة، أقطع.
 ما كان قليل البركة، أقطع ← فخيره أبطاء، وشره أسرع.

(1). التفاعلي من التفاعل بين المتحاوران، و الأفعلي: من التفاضل، تقديم الأفضل حجاجاً.

(2). ينظر: عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 399، 400.

(3). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، م.س، ج 3، ص 94.

ما كان خيره أبطأ وشره أسرع ← فالإقبال عليه أهلك،
ما كان الإقبال عليه أهلك ← فأخره أخوف وتجنبه أمتع.

وإلى جانب المقاربتين السابقتين، هناك مقارنة لا يمكن تجاوزها، بل ما من مقارنة إلا وهي عليها متكئة، أو منها مقتبسة، أو بها متصلة، أو إليها منتهية؛ تلك هي المقاربة -لنقل- الفلسفية للطباق، القائمة على تحليل علاقة التضاد والبحث في أثرها، هاته العلاقة التي نظمها الشعراء، ووقف عندها الفلاسفة، مفادها أن الضد إذا تنكر عرّفه ضده، وإذا أُجْم جَلّاه مقابله.

ومما قيل في ذلك: (1)

قال المتنبي:

ونديمهم وبهم عرفنا فضله ... وبضدها تتبين الأشياء (2)

هذا من قول القائل:

ضدّان لما استجمعا حسنا ... والضدُّ يظهر حسنه الضدُّ (3)

ويشبه قوله قول الحصني:

ولم يك لولا الشر للخير حامداً ... كذلك لولا النقص لم يُعرف الفضلُ

ومنه قول ابن المعتز:

وبخيلٍ ذو سخاءٍ ولولا ... بخلٌ هذا ما قيل هذا كريم (4)

ولابن رشد في شرحه لأرسطو كلام كثير حول فلسفة الطباق، وعلاقة التضاد، فعنده أن الكلام منه ما هو مبني على غير تضاد ومنه ما هو مبني على التضاد إما جلي كما في قول القائل: أما العقلاء فأنجحوا، وأما الحمقى فأخفقوا، وإما خفي كما في قول القائل: أما فلان فمشتاق إلى الكسب، وأما فلان فمشتاق إلى اللهو، لأن الاشتياق إلى الكسب هو لازم للفقير، والاشتياق إلى اللهو لازم للثروة. (5)

(1). ابن وكيع الضبي (الحسن بن علي)، المنصف للشارق والمسروق منه، تحقيق وتقديم: عمر خليفة بن ادريس ط1، جامعة قات يونس، بنغازي، 1994، ص584.

(2). المتنبي، الديوان، ط3، دار صادر، بيروت - لبنان، 2003، ص85.

(3). دوقلة المنبجي، القصيدة اليتيمة، برواية القاضي علي بن الحسن التنوخي، تقديم: صلاح الدين المنجد، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، 1983، ص30.

(4). ابن المعتز، الديوان، دط، دار صادر، بيروت - لبنان، دت، ص393.

(5). ينظر: ابن رشد، تلخيص الخطابة، م.س، ص602. وينظر: أرسطو، الخطابة، مقالة 1410أ، ترجمة عبد القادر قنيني، م س، ص206.

وعند أرسطو فإن الكلام الذي يرتبط بعلاقة التضاد، هو كلام ممتع ومقنع، ويقول في ذلك: "والكلام الذي بهذه الصفة لذيذ، وذلك أن الأشياء المتضادة تكون أعرف إذا وضع بعضها حيال بعض، وذلك أنها تعلم بوجهين بذاتها وبزيادة، أعني بمقايستها إلى الضد. وفي ذلك أيضا بجهة ما استدلال على الشيء. فهي بهذه الجهة تشبه الاستدلال على الدعوى"⁽¹⁾، وهو ما يمنح الطباق والمقابلة صفة إقناعية، فضلا عن إمتاعيته مما يجعل "استحضار المسمى ومقابلة من أهم الوسائل اللغوية الأسلوبية لنقل الإحساس بالمعنى والفكرة والموقف نقلا صادقا"⁽²⁾، بما يحمله الصدق من قوة في التأثير والدفع نحو التغيير، فعلا أو تركا، أو معتقدا راسخا على مستوى التفكير.

ومن الأمثلة التي حملت هذه المقاربة: منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين، مما جاء فيها قول علقمة لعامر: "والله إني لبر، وإنك لفاجر، وإني لولود، وإنك لعافر، وإني لعف، وإنك لعاهر، وإني لوفي، وإنك لغادر؛ فقيم تفاخري يا عامر؟

وفي هذه المنافرة عمد علقمة إلى الطباق، أداة لبيان فضله على عامر، فكان يجيء بالخصلة الممدوحة من الفضل، فينسبها لنفسه، ثم يأتي بضد تلك الخصلة من المثالب وينسبها إلى عامر، معولا على مقولة "بضدها تتبين الأشياء"، فما كان حسنا ازداد حسنا، وما كان سيئا ازداد سوءا، وما يتبع ذلك من ظهور على الخصم، بإدخال الوهن على مقاله، والضعف على حججه، وتأييسه من بلوغ منزلة من ينافره.

فليس هناك ما هو أبعد مدى، بين حجة وأخرى كما بين الخلق ونقيضه، فإذا كان موضع المنافرة تركيبة النفس، فبين البر والفاجر أشسع بون، وإذا كان موضع التفاخر كثرة الولد، فبين الولود والعافر، أقصى مبالغ المنافرة، وهكذا هو الأمر في العفة والطهارة، وفي الوفاء والأمانة، ونتيجة هذا النوع من المنافرة، نتيجة خلاصتها شتان ما بيني وبينك، فعلام تنافري، وفيما تفاخري.

إن الكلام والتمثيل لحجاجية الطباق بالمقاربات الثلاث، لا يعني انحصارها فيها، فعلاقة التضاد بوصفها علاقة تجمع وحدات معجمية أسماء وأفعال و أخرى تركيبية بين الجمل، يجعلها ثرية الدلالة، مما يمنحها قابلية عالية للتحليل التداولي، ولعل الكشف عن حجاجية الطباق في المثال التالي توضح المقصود.

(1) ابن رشد، تلخيص الخطابة، م.س، ص602.

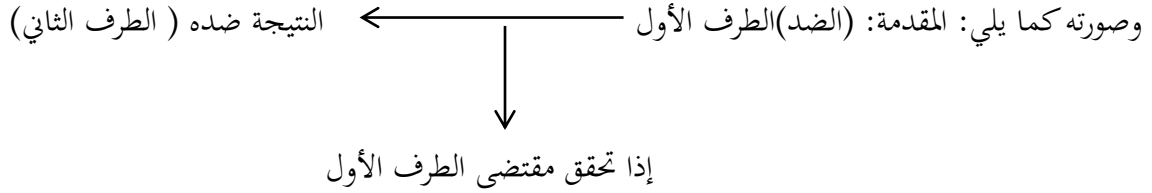
(2) ينظر: محمد العبد، إبداع الدلالة، م.س، ص71.

المثال محل التحليل، مثال متصل بالمثال الأول من حيث سياقه ومقامه، فبعد دخول عبد الملك السجن، "لم يزل عبد الملك محبوسا حتى تُوفِّي الرشيد، فأطلقه مُجَّد الأمين وعقد له على الشام ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله به قال مبينا كيف كان خليقا بالخلافة، جديرا بالملك، غير أنه كان فيه زاهد، وعن بابه متباعد، ومع ذلك فالخليفة عاقبه على ما لم يقترف، وقرّره وهو لم يعترف⁽¹⁾، ودفعا لذلك جاء بحجاج قائم على نوعين من الطباق: الأول خفي، والثاني جلي بين فعلين.

أما الأول فقوله: "فليس ذلك بذنب جنيته فأتوب منه،..."

أما الثاني قوله: "ولا تطاولت له فأحط نفسي عنه،..."

هذا حجاج يقوم على نفي المقدمة لنفي النتيجة، فما يربط المقدمة بالنتيجة إنما هو علاقة تضاد، بحيث يكون الطرف الثاني حكما على الطرف الأول، متى وجد الطرف الأول في سياقه الطبيعي، أي متحققا؛ لكن إذا كان الطرف الأول في غير سياقه الطبيعي، (لم يتحقق)، وجودا، أو عدما، حكم عليه بنقيض مقتضى الطرف الآخر، لعلاقة التمانع بينهما.



ولعل هذا قريب مما عند بلانتان حول الحجاج بالأضداد، وهو عنده "طريقة حجاج تتم بتحويل الملفوظ الحجة إلى ملفوظ نتيجة... فيكون رسم الحجاج الحاصل إذن: أ هو ق إذن لا أ هو لا ق، [و] هذا الشكل من الحجاج يعتمد على الصدق بضرب من النفي المزدوج، نفي الموضوع ونفي المحمول، ومن المفروض

(1). وذلك في قوله: «والله إن المُلْك لشيء ما نَوَيْتَه، ولا تَمَنَيْتَه، ولا نَصَبْتَ له ولا أَرَدْتَهُ، ولو أَرَدْتَه لكان إليّ أسرع من الماء إلى الحدور، ومن النار إلى بيس العَرْفَج، وإني لمأخوذ بما لم أجن، ومسئول عما لا أعرف، ولكنه حين رأيي للملك قَمِينا، وللخلافة خطيرا، ورأى لي يدا تناها إذا مُدَّت، وتبلغها إذا بُسِطت، ونفسا تكمل الحِصَالها، وتستحقها بفعالها، وإن كنت لم أختَر تلك الحِصَال، ولم أَصْطَنع تلك الفِعال، ولم أترشَّح لها في السِّر، ولا أشرتُ إليها في الجهر، ورأها تحنُّ إليّ حنين الوالدة الواهية، وتميل إليّ ميل الهلوك، وخاف أن ترغب إلى خير مرغَب، وتترع إلى أحصب مُنزع، وعاقبني عقاب من سهر في طلبها، وجهد في التماسها، فإن كان إنما حسبي على أي أصلح لها وتصلح لي، وأليق بما وتليق بي،...» جمهرة خطب العرب ج3، ص96.

أن كليهما يلغي الآخر، وإذا لم يكن لهذا التحويل أية صحة منطقية واقعية فإننا نرى أنه يسمح ببناء ملفوظ صادق، أي يسمح بالمحاجة.⁽¹⁾ وهو المطلوب بناءه.

وبتطبيق ذلك على المثال من الخطبة نحصل على ما يلي:

- المقدمة = الطرف الأول: الذنب.
- قانون العبور = الطرف الأول في موضعه الطبيعي: اقتراف ما نهي عنه.
- النتيجة = الطرف الثاني: التوبة (حكم الطرف الأول).

وفي مقال عبد الملك:

- المقدمة = الطرف الأول: الذنب.
- قانون العبور = الطرف الأول وهو غير متحقق: لم يقترف ما نهي عنه.
- النتيجة = نقيض مقتضى الطرف الثاني: لا أتوب.

وبذات الطريقة: يحلل حاجية الطباقي الثاني كما:

أصل صورة الحجاج:

- المقدمة: الطرف الأول: أتطلع إلى الخلافة
- قانون العبور = تحقق التطلع: التشوف والطمع.
- النتيجة = الطرف الثاني: وجوب حط النفس.

توظيفها الحجاجي:

- المقدمة = الطرف الأول: لم أتطلع إلى الخلافة.
- قانون العبور: غير متحقق.

- النتيجة = نقيض مقتضى الطرف الثاني: لا أحط نفسي.

ومما يستوجب التنبيه إليه أن علاقة التضاد كما تربط بين طرفي الطباقي بوصفهما مقدمة ونتيجة،

فقد تحتاج إلى المقام لتحديد نتيجة ما، وفي هذا صدد نقدم ما يمكن أن يشكل بعض تمثيلات هذا

التصور وفقا للقاعدة المقترحة: **علاقة التضاد + مقام = نتيجة.**

- الصغير والكبير + العلاقات الاجتماعية = الاحترام والتوقير.

(1). كريستيان بلاتان، الحجاج، ترجمة المهيري عبد القادر، م.س، تونس، 2009، ص(104،105).

- الليل والنهار + السنن الكونية = المحو والرفع.
- الليل والنهار + المعرفة = العلم والجهل.
- الغني والفقير + المكانة والمنزلة = التكبر من الغني والتذلل من الفقير.
- الغني والفقير + مجتمع المسلمين = الإحسان من الغني، والمحبة من الفقير.

والخلاصة، أن الطباق آلية حاجية إمتاعية وإقناعية، سلسلة، وفعالة، عند توظيفها في الخطابة، من أجل توجيه العقل والقلب معا.

1-2-3 حاجية التكرار:

1-3-2-1 التكرار مفهومه وآليته التداولية:

التكرار أو التكرير هو الرجوع على الشيء، والعود عليه، مرة فأكثر، ففي معجم العين: " والكَرُّ: الرجوع عليه، ومنه التُّكرار. " (1) و في معجم مقاييس اللغة: " الْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَرْدِيدٍ. مِنْ ذَلِكَ كَرَرْتُ، وَذَلِكَ رُجُوعُكَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَهُوَ التَّرْدِيدُ... " (2)، وفي الفروق للعسكري (ت نحو 395هـ): " الفرق بَيْنَ الإِعَادَةِ وَالتُّكْرَارِ أَنَّ التُّكْرَارَ يَقَعُ عَلَى إِعَادَةِ الشَّيْءِ مَرَّةً وَعَلَى إِعَادَتِهِ مَرَّاتٍ وَالإِعَادَةُ لِلْمَرَّةِ الْوَّاحِدَةِ... " (3).

إن إفادة التكرار الترديد جعله محور الإيقاع، فما من مظهر إيقاعي إلا وهو على التكرار مشتمل؛ ولكن أن يكون التكرار مظهرا إيقاعيا بذاته، فذلك مما يستدعي تحديدا أكثر ضبطا، وتمييزا أكثر دقة، وفي هذا الصدد يقدم مُجَّد العبد استقراء عن التكرير مفهومها ووظيفتها، ومن أهم نقاط هذا الاستقراء ما يأتي (4):

1- التكرار مأخذ بلاغي دقيق، و منزع بياني لا تدرك قيمته بدهاة، فهو مشته بالاطناب عند قوم، وبالتطويل عند آخرين. (1)

(1). الخليل، كتاب العين، م س، ج 4، ص 222.

(2). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س ج1، ص261.

(3). أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: مُجَّد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د ت، ص39.

(4). ينظر: مُجَّد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، ضمن: ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، ج4 (الحجاج والمراس)، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص32-33.

2 - التكرار، " هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى"⁽²⁾، ولا يشوش على هذا التعريف قول ابن رشيق: "... فإذا كرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه،..."، فإنما قصد بذلك " التكرار الذي ليس له أي وظيفة دلالية ولا فنية"⁽³⁾، ويشهد لذلك ما عتّب به ابن رشيق على ما قاله أنفا مبينا حالات يسوغ فيها تكرار اللفظ والمعنى، تندرج كلها تحت المعاني البلاغية التي يأتي التكرار لأجلها.

فيقول: " ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشوق والاستعذاب،... أو على سبيل التنويه به، والإشارة إليه بذكر،...أو على سبيل التقرير والتويخ،... أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجه،...أو على سبيل التعظيم للمحكى عنه،...أو على وجه التوجع إن كان رثاء وتأيناً،... أو على سبيل الاستغاثة،... ويقع أيضاً على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص..."⁽⁴⁾، إن ابن رشيق من خلال قوله، يكون قد نظر إلى التكرار نظرة وظيفية تداولية، متجاوزا شكل التكرار و حرفيته، إلى مضمونه الدلالي وفعله الإنجازي، القاصد إلى إحداث التأثير في المتلقي.

3 - لأنواع التكرير عند البلاغيين تصنيفات عدة، أهمها ما أورده ابن الأثير في قوله: "... وهو قسمان: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه (أسرع أسرع)

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك (أطعني ولا تعصني) فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية." ⁽⁵⁾

4 - ولا يأتي التكرار في الكلام إلا لإفادة معنى في الكلام تأكيداً له وتشبيهاً من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على معاني تزيد من إبلاغية الخطاب ⁽⁶⁾؛ فيفيد أحد المعاني التي ذكرها ابن رشيق أو غيرها.

(1). ابن الأثير، المثل السائر، م.س، ج3، ص3.

(2). ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، م.س، ج1، ص361.

(3). شفيح السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص132.

(4). ابن رشيق القيرواني، العمدة، م.س، ج2، ص78.

(5). ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق: مصطفى جواد، د ط، مطبعة المجمع العلمي، 1966، ص204.

(6). المرجع نفسه، ص204.

1-2-3-2-3-2-1 حاجية التكرار في الخطاب:

يملك التكرار في الدراسات الحجاجية، موقعا ضمن آليات الإقناع والإمتاع، فهو شائع الاستعمال في الخطابات، ويستمد وظيفته الحجاجية مما يمنحه من طاقة للملفوظ تحدث أثرا في المتلقي وتدفعه نحو الاقتناع، والإذعان، معتمدا على ما يحدثه من أثر عقلي متصل بالفهم، والترسُّخ.⁽¹⁾

ويؤكد بروتون هذا الدور الذي يؤديه التكرار بقوله: "وليس التكرار مجرد تقنية أسلوبية، فهو طريقة في تقديم أطروحة تسمح بإنتاج تأثير البروز، ورؤية الفكرة الواحدة من زوايا عدة، باختصار إنها طريقة لتأطير الأطروحة [والوصول إلى] فهم جيد من دون أن يؤدي ذلك إلى الخمول. فالتكرار قلما يكون مفردا، إنه يصلح غالبا للربط بين حجج أخرى تسبقه، مجتمعة في حزم، في اختلاق رؤية شاملة"⁽²⁾،

ومما تمثل به تصور بروتون، تحليل خطبة داود بن علي، فيما يلي.

فقد خطب داود بن علي الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس، فقال: "شكرًا شكرًا، إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرًا، ولا لبنني فيكم قصرًا، أظن عدو الله أن لن نقدر عليه، أن روحي له من خطامه، حتى عثر في فضل زمامه؟... والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فرشنا... لكم ذمة الله، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكم ذمة العباس، لا ورب هذه البنية -وأوما بيده إلى الكعبة- لا نهيح منكم أحدًا"⁽³⁾.

ففي هذه الخطبة كرر الخطيب قوله "لكم ذمة" ثلاث مرات في كلّ يضيفها إلى ذي حجة سلطوية مستمدة من دين الإسلام، فالتكرار أولا قام بوظيفة الربط بين مقتضيات هذه الحجج، التي تقتضي التسليم لله عزّ وجلّ، الرب الإله، الرازق المعبود، ثم للرسول ﷺ، النبي القدوة المتبع، ثم للعباس عمّ الرسول ﷺ وأولى الناس به قرابة من جهة الأصول، لا كعلي رضي الله عنه فقرابته من جهة الفروع، فضلا عن بني أمية الذين لا قرابة لهم إلا قرابة البطن و القبيلة.⁽⁴⁾ (هذا طبعا من منظور الخطيب داود بن علي).

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيت وأساليبه، م.س، ص 168.

(2) بروتون فيليب، الحجاج في التواصل، م.س، ص 108.

(3) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، م.س، ج 3، ص 14.

(4) . وإن كانت الخلافة ليست لا بالقرابة والنسب، ولا بالملك والقوة، ولا بشرف البيت، فهذه الثلاثة هدمها الإسلام مع ما هدم من دين اليهود، والنصارى والمجوس، أما اليهود فقد كانت تسوسهم الأنبياء، ولا نبي بعد النبي، وأما النصارى فقد آل دينهم إلى القياصرة والملوك، و الملوكية بداية القطع مع الخلافة الراشدة، وأما المجوس فقد كان السلطان فيهم لا يخرج عن بيت يسمونه شريفا، وليس شرف في الإسلام لنيل الملك والقيادة، وإنما لنيل الجنة بالعبادة. كما قال النبي ﷺ " شرف المسلم قيام الليل". ومع هذا كله فإن شأن المسلمين ليس التنازع على ذلك وإنما السمع والطاعة في

ثم إن التكرار مس لفظة "لكم" بما تفيده من تملك واستحقاق، فأفاد التأكد والثبوت، ورفع النزاع فيه، أو الإرجاء له، فهو عاجل مقبوض.

إن هذا المقبوض هو "الذمة"⁽¹⁾ التي تكررت بدورها، لتتدعم وتتقوى وتتمتّن، فهي ليست ذمة واحدة يمنحها الإسلام في مجمله، بل هي ذمة فوق ذمة فوق ذمة.

إن حاجية هذا التكرار، سهلت تأكيد نيتها الضمنية وهي العهد و الأمان، والتصريح بها دون أن ينظر إليها على أنها مجرد ادعاء، فكان يسيرا قول الخطيب بعد ذلك التكرار: "لا ورب هذه البنية -وأوماً بيده إلى الكعبة- لا نهيح منكم أحداً" فقرأوا عينا بالأمان والاطمئنان على النفوس، والأموال، والأعراض.

وترى باربرا جونستون كوتش B.J. Koch أن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللغوي للدعوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة... وتسمي باربرا هذه الاستراتيجية البلاغية: استراتيجية الإقناع بالتكرير "...repeating..."⁽²⁾

فبحسب رأي باربرا فإن فلسفة التكرار، فلسفة نصية تجعل التكرار "يقوم... على التشابه والاختلاف، ويعكس نمواً واستمرارية على جسد النص، ويؤدي في بعض النصوص وظيفتهً جمالية من خلال الإيقاع الذي يحدثه، وقد يعتمد التكرار أسلوباً للمحاججة والضغط على الخصوم، خصوصاً إذا كان العنصر المكرر مشحوناً بمحولات دلالية وفكرية."⁽³⁾، تسهم في تقوية قوة الملفوظ الإنجازية⁽⁴⁾،

ويمكن أن نمثل لذلك بتحليل الخطبة الآتية:

المعروف، وتأدية الحقوق بلا تأويل لتعطيلها أو تحريفها عن أهلها، لا خضوعاً وخوراً، وإنما طاعة لمن له الملك بلا منازع فقد دان له الكون كله جواً، وبراً وبحراً.

(1). [الدِّمَةُ]: العهد، ... وقال أبو عبيدة: الذمة: الأمان ومنه سمي أهل الذمة، لأنهم أدوا الجزية فأمنوا على دمائهم وأموالهم. (نشوان بن سعيد الحميري اليميني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، 1999، ج4، ص2228.

(2). ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، م س، ص34.

(3). بشار إبراهيم، الأبعاد النصية والتداولية في التراث البلاغي العربي، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد خان، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015-2016، ص204. (407 ورقة)

(4). محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن: التداوليات-علم استعمال اللغة-، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيل علوي، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2014، ص336.

خطبة المغيرة بن زرارة: يخاطب كسرى بعد أن ازدري العرب، ونسبهم إلى السفول والدناءة. فقال:

أيها الملك: إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشرف يستحيون من الأشرف؛ وإنما يكرم الأشرف الأشرف، ويعظم حقوق الأشرف الأشرف، ويفخم الأشرف الأشرف، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك؛ فجاوبني لأكون الذي أبلغك، ويشهدون على ذلك، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً،... (1).

إن مقام الخطاب في هذه الخطب كان له وظيفة تأسيسية للحجاج، ودورا توجيهيا له، فازدراء كسرى العرب دعوى تحتاج إلى نقض.

هذا النقض سيتكفل به خطباء غير المغيرة، غير أن المغيرة قد بصر بحجة مبنها على القيم، فهي حجة قيمة، هذه القيمة هي قيمة الشرف، فمقتضى الشرف أن يعرف الشريف للشريف قدره، سواء كان شريفا في أهله، أو قومه، أو بلده، أو...، كيفما كان شرفه.

ولقد دعم المغيرة حجة القيمة هاته، بحجة ثانية هي التكرار، فدعم القوة الإنجازية لقيمة الشرف، ونبه على أهميتها، وعرّض بجهل من قتل من تقديرها، كما شكك في نسبته إليها، إذ لم يحترمها؛ كل ذلك تكفل به تكرار ذكر لفظة "الأشرف" في قوله: "إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشرف يستحيون من الأشرف؛ وإنما يكرم الأشرف الأشرف، ويعظم حقوق الأشرف الأشرف، ويفخم الأشرف الأشرف...". فكرر "الأشرف ثمان مرات، أنبأت عن مقدار تحسُّس، وتوجُّس المغيرة من دعوى كسرى، كما كشفت عن مدى عزم وإصرار المغيرة ومن معه على نقض دعواه تلك، ويكفي للبيب، النبيه صدر خطبة المغيرة المتكأ على تكرار لفظة "الأشرف" أن يمسك عن تنقصه، ويتراجع عن موقفه، وأن يقوم سوء فهمه، ويرمم بنيان فكره، إن كان له إلى الشرف سببا، وكان له في الشرف أبا.

وحاصل حجة التكرار هنا، هو زعزعة ادعاء كسرى الشرف لي نفسه، ونفيه عن غيره، عن طريق التكرار في سياق الإنكار المفيد إدخال الوهن والشك في تصور المتلقي حول قضية ما.

(1). أحمد زكي صفوت، م.س، ج1، ص240.

2- حاجية التصوير اللفظي الداخلي، أو التصوير المعجمي:

2-1 مفهوم الكلمة، من الوحدة المعجمية إلى الأداة التداولية:

يقوم التصوير المعجمي على وحدات معجمية، تشكل أساسه، و ترسم حدوده، " وتعتبر الكلمة الوحدة المعجمية بامتياز،... كما تعتبر الوحدة الدالة الحاملة للمعنى، الأفضل من غيرها. بيد أنه لا يمكن فصل شكلها عن مضمونها أو دالها le signifiant عن مدلولها le signifié. وتفرض الكلمة نفسها في أي نظام لساني، باعتبارها وحدة لسانية unité linguistique قائمة على ثنائية الصيغة والمعنى." (1)

وهي الثنائية التي قسمت الآراء حول الكلمة، فرغم ما للكلمة من حضور لا يمكن دفعه، ولا يتأتى لدارس الخطاب تجاهله، إلا أن ضبط الكلمة تعريفاً وتحديداً، ثم وظيفة واستعمالاً، تجاذبته الرؤى، بحسب زوايا النظر ومناهج الفكر، التي قاربت الكلمة.

ومهما كثرت تلك التحديدات فكل واحد منها- في الأخير - يمثل وجهاً من وجوه الكلمة، غير أن اعتداد كل فريق بتعريفه، مستبعداً غيره، بحيث إما أن تكون الكلمة وحدة لسانية فقط، أو وحدة نحوية وكفى، أو وحدة معنوية لا غير؛ جعل مبعث السعة مدعاة ضيق، ومصدر الثراء مسلك فقر، فتحجم دور الكلمة، وتضاءل تأثيرها في فضاء الخطاب. حتى استبعدت ردحا من الزمن من الدراسات اللسانية، لكنها عادت، فكان حالها أنها " خرجت من الباب لتعود من النافذة على حد تعبير برنيي M.PERNIER " (2).

ولا شك أن عدم التوفيق في ربط تلك الوجوه، و التنسيق بينها، ضمن تعريف أشمل وأمنع، مرده إلى بعض الأخطاء، يعددها W.L.GRAFF فيما يلي:

1. الأهمية البالغة التي خص بها الجانب الصوتي أو الجانب الدلالي على حساب الدمج بين المستويين.
2. عدم تقدير أهمية العلاقة بين الكلمة و الجملة.
3. عدم التمييز بشكل واضح بين خصائص الكلمة من الناحية اللسانية ومن الناحية الدلالية.

(1) عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، م.س، ص20،21.

(2) المرجع نفسه، ص63.

4. عدم الفصل بين وقائع تطور اللسان بوقائع النظام اللساني الثابتة.⁽¹⁾

ويبدو "عراف" في تحديده لأخطاء التعريفات الغربية أعمق وعيا بضرورة تفعيل النظرة التداولية للكلمة، بخلاف تمام حسان في انتقاده للتعريفات العربية⁽²⁾ ذات الملمح التداولي، ولعل ذلك راجع إلى ترجيح تمام حسان للنظرة اللسانية على النظرة الجامعة بين مختلف اتجاهات النظر إلى مفهوم الكلمة، إذ أن " من الآراء المهمة في هذا الشأن الآراء التي تأخذ بالجوانب المختلفة للكلمة، ...، أي الصوت والمعنى و الاستعمال... ويدعو كرامسي Kramsky إلى الأخذ بعين الاعتبار مجموع الخصائص التي تميز الكلمة، من دون تغليب بعض الخصائص على بعض، ..."⁽³⁾

وحينها تصير " للكلمة ... وظيفة مزدوجة، فهي تسمي وتوجه، وبالأحرى ، هي بتسميتها الأشياء بطريقة معينة، تكشف اتجاه الخطاب ، فهي بهذا عاكسة لصورة الخطاب الكلية"⁽⁴⁾، و إذآك تقترب الكلمة في تعريفها من التصور التداولي، بله الحجاجي، حيث يعرفها عبد الله صولة بقوله: "إنها الوحدة؛ المعجمية - الصرفية - الإعرابية معا، القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في ذلك المقال والمقام بفضل ما لها من قيم دلالية مختلفة بعضها مستمد من اللغة نفسها وبعضها متأت من الاستعمال والتداول"⁽⁵⁾.

فالكلمة تملك معناها المجرد الذي يمنحها إياه مجال المعاني اللغوية، والمعنى التداولي الذي تكتسبه من السياق، وتستيعب بسبغته وتصير على معنى يتوافق معه،⁽⁶⁾ فمجال الكلمة بهذا المفهوم، ليس إلا سياقات

نقلا عن: (1) Kramski, The word as a linguistic unit, éd, Mouton, The Hague, Paris, 1969, p 18.

عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، م.س، ص 64، 65.

(2). يقول تمام حسان متعقبا للتعريفات العربية للكلمة: "و يمكن تلخيص العيوب التي في هذه التعريفات، فيما يأتي:

1. أمآ لا تفرق بين الصوت والحرف، أي بين عملية النطق والنظام الذي تجري عليه.

2. أمآ تخلط بين الوظيفة اللغوية، والمعاني المنطقية والوضعية.

3. أمآ لا تفرق بين وجود الكلمة وعدمها في تعريفها، وهذا ما يؤدي إلى الخلط في التفكير (تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها)

(3). عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، م.س، ص 30.

(4). كريستيان بلاتان، الحجاج، م.س، 2009، ص 111.

(5). عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، م.س، ص 68.

(6). ينظر: توماس جيني، المعنى في لغة الحوار: مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ترجمة: نازك إبراهيم عبد الفتاح، ط 1، دار الزهراء، الرياض -

م.ع. السعودية، 2010، ص 10

التواصل، حيث تنخرط الكلمة في بناء الخطاب، بوصفها بنية متعددة المكونات، ومتكاملة الوظائف، ومنسجمة الأوجه، بحيث تستمد طاقتها التواصلية، وكفاءتها التأثيرية، من بنيتها الصوتية، وطبيعتها المعنوية، ووظيفتها التداولية.

ولذلك تصبح دلالتها المعجمية، واحدة من عديد الدلالات، التي قد تنتزع من الدلالة المعجمية، صفة ووظيفة المدلول، المرتبطة تلقائياً بالمدال (العلامة الصوتية) لتحل محلها، وهذه القدرة على تعويض الدلالة المعجمية، تكتسبها من سياق الحدث الكلامي، ذلك أن "من طبيعة المعنى المعجمي أن يكون متعددًا ومحتملاً... وإن تعدد معنى الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق،..."⁽¹⁾. وبالتالي تتعدد دلالاتها.

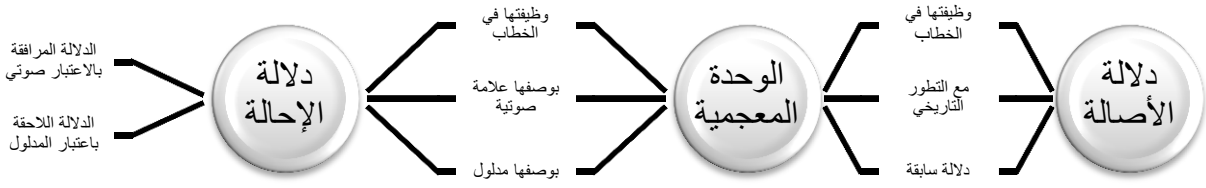
ولعله يمكن انتظام الدلالات المترتبة عن ذلك في دالتين: **دلالة الأصالة**، أو ما يعرف بالتأثيل اللغوي وسنسمي هذه الدلالة الدلالة السابقة ؛ و**دلالة الإحالة**، وهي بدورها اثنتان: **دلالة صوتية**، تقتضيها البنية الصوتية للكلمة، وسنسميها **دلالة مرافقة** من جهة أنها ملتحمة مع بنية الكلمة مهما كان موضع الكلمة من السياق، و**دلالة معنوية** تقتضيها الدلالات الحافة للكلمة، أو ما يعرف بالمقتضى المعجمي. وسنسمي هذه الدلالة **بالدلالة اللاحقة** ، باعتبار أنها تلحق الكلمة بعد وضعها في سياق معين، وهي متغيرة بتغير موقع الكلمة السياقي من الخطابات.⁽²⁾

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط 5، عالم الكتب، 2006، ص 323.

(2) وللتفريق بين هذه الدلالات يمكن القول أن الدلالة اللاحقة : هي الدلالة التي تلحق الوحدة المعجمية وترتبط بما حين توظف في سياق معين ، وهي في هذه النقطة تلتقي مع الدلالة السابقة، من حيث طروئها على الوحدة المعجمية، لكن تختلف عن السابقة، أن السابقة دلالة ميمة يجهيها التوظيف التداولي الحجاجي؛ أما اللاحقة فهي أحد الاحتمالات الدلالية الممكنة للوحدة المعجمية، فقط يقوم السياق بترجيحها، مع شحنها بدلالات إضافية مكتملة يفرضها السياق.

أما المرافقة فهي لصيقة بالوحدة المعجمية، تنبثق من جرس أصواتها، وبالتالي فمزية الدلالة المرافقة، أنها علامة على عملية الاختيار الحجاجي للوحدة المعجمية ، لا على أساس الدلالة (المعنى)، وإنما على أساس ما تضيفه من جرس منسجم مع الجرس الصوتي العام للخطاب، فقد يكون عدد من الوحدات المعجمية، المتقاربة الدلالة، حد الترادف، فُتختار واحدة دون الكل، لا على أساس دلالتها المعنوية، وإنما على أساس دلالتها (إيجاءها) الصوتية، هاته الدلالة الصوتية هي المكافئ لما نعنيه بالدلالة المرافقة.. ولعله يستأنس في هذا التقسيم بما قاله ابن رشد حول الإبدال في الألفاظ الذي يكون بالشبه، أو باللازم، ولأن الدلالة هي أقرب إلى مفهوم اللازم فإن اللازم عند أرسطو وابن رشد ثلاثة، كما يقول ابن رشد: "واللازم ثلاثة: إما متقدم على الشيء، وإما مقارن له، وإما متأخر عنه" (تلخيص الخطابة، م س، ص 547)، وهو ما يقابل (دلالة سابقة ، ودلالة مرافقة ودلالة لاحقة).

وهذه الدلالات يمكن أن توضحها الترسيمة التالية:



إن أهم ما يميز هاته الدلالات المرتبطة بالوحدة المعجمية، خضوعها لمبدأ الاختيار، أي أنها لم تقم في بنية الخطاب اعتباراً ، بل قصداً لتحقيق أهداف الرسالة التي لأجلها أنشأ ذلك الخطاب. ولا سيما في خطاب هدفه تحقيق الاستمالة وصناعة الإقناع، والدفع إلى العمل ، وفي هذا الصدد يرى برلمان أن اختيار المتكلم ألفاظه للتعبير عن أفكاره قلماً يكون اختيار لا تتحكم فيه غايات حاجية ...⁽¹⁾ حيث لا مناص من اختيار الألفاظ المناسبة والعدول عن الأخرى المنفرة الصادمة للوعي أو الشعور أو الحس المشترك، فانسجام المقال مع المقام شرط حاجي جوهري⁽²⁾ لذا ففي تحليل خطابٍ مبناه على الحجاج والإقناع والاستمالة والإمتاع " لا يعالج... المعجم في ذاته ولذاته، بل يعني بالطريقة التي تمت وفقاً لها عملية اختيار ملفوظات أو عبارات تعمل على توجيه الحجاج وهيكلته"⁽³⁾، فعلى ضوء مبدأ انتقاء الكلمة، تتحدد قيمتها الحجاجية، وتتغزز أكثر بواسطة وظيفتها التوجيهية، التي تمارسها على الخطاب.

ذلك أن " القيمة الحجاجية للكلمة هي بمقتضى تعريفها، الوجهة التي تحددها للخطاب هذه الكلمة"⁽⁴⁾ لذا؛ فكل من دلالة الأصالة ودلالة الإحالة للوحدات المعجمية -بدالاتها الثلاث-، لا يمكن كشف وظائفهما الإقناعية ولا الإمتاعية، إلا عبر فحص البعدين الاختياري، والتوجيهي لهما، في بنية الخطابة العربية-موضوع التطبيق-، ومدى إسهامهما في صناعة الفعل الحجاجي للخطاب نصاً ومقاماً.

(1) . عبد الله صولة صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص 79.

(2) محمد سالم ولد محمد الأمين الطلبة، " مفهوم الحجاج عند برلمان " م.س، ص 196.

(3) علي الشبعان ، الحجاج في الخطاب: الحجاج وقضاياها من خلال روث أموسي-الحجاج في الخطاب-، م.س، ص 244.

(4) . باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، م.س، ص 399.

2-2 دلالات الكلمة وأدوارها الحجاجية:

2-2-1 دلالة الأصالة أو التأثيل اللغوي Etymologie، وأبعادها الحجاجية:

يعرّف التأثيل بأنه: "علم أصول الألفاظ، وأنه مشتق من "الأئثل"⁽¹⁾ -بمعنى الأصل- فهو على هذا اصطلاح مقابل لكلمة Etymologie"⁽²⁾، ويقابل علي عبد الوائي بين "Etymologie" و"أصول الكلمات" معرفاً أياه بأنه: "البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما،..."⁽³⁾، وبالتالي يكون التأثيل عملاً تأصيلياً موضوعه دلالة الكلمة، ويصفه فندريس بأنه: "العلم الذي موضوعه دراسة المفردات ... وتنحصر في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلبات التي مرت بها، فهو إذن علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة، مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى، أو من جهة الاستعمال..."⁽⁴⁾.

إن ما يقدمه فندريس في تحديد ماهية التأثيل، يقيم رابطاً بين التأثيل بوصفه عمل لغوي تاريخي، وبين التأثيل بوصفه مجال يحوي إمكانات حجاجية، تنبثق من ديناميكية الكلمة، وقدرتها على التلبس بمعان عديدة، وعلى التوظيف في استعمالات مختلفة، لا شك أنها نتاج اختلاف السياق بكل أنواعه، وبالتالي فتوجيه سياق الكلام الواقعي بما يتوافق مع أحد تلك السياقات التي وردت فيها الكلمة، تاريخياً، أو ثقافياً، أو اجتماعياً، يمنحها معنًاً حجاجياً يخدم وجهة نظر على حساب أخرى، بما يوفره من تصوير وتجسيد لموضع التنازع وفقاً لتصور الطرف المحاجج به، مما يجعل مستعمله أقوى حجة، وأقنع فكرةً.

(1). ففي لسان العرب: "أثَل: أَثَلْتُ كَلِمَةً شَيْءٌ: أَصَلَهُ؛ ... يُقَالُ: فُلَانٌ يَنْحَثُ [يَنْحِثُ] أَثَلْتَنَا إِذَا قَالَ فِي حَسَبِهِ فَيَبْحَا. وَأَثَلٌ يَأْتِلُ أَثُولًا وَتَأْتِلُ: تَأَصَّلُ. وَأَثَلٌ مَالُهُ: أَصَلَهُ... وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ أَصْلٌ قَدِيمٌ أَوْ جُمِعَ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ أَصْلٌ، فَهُوَ مُؤْتَلٌ؛... والتأثيل: التأصيل. وتأثيل المجدد: بناؤه..." (ابن منظور، لسان العرب، ط3، م.س، ج11، ص9).

(2). صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط3، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1968، ص348.

(3). علي عبد الواحد وائي، علم اللغة، ط1، نضضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 1940، ص11.

(4). جوزيف فندريس، اللغة، م س، ص 226.

وهذا النوع من الحجاج يسميه بلانتان: "الحجة بأصل الكلمات وإعادة تعريفها"⁽¹⁾ ويعرفه بالقول: "إنها حجة تقوم على إعادة معنى كلمة متنازع فيها، وكثيرا ما يستنجد بأصل معنى الكلمة"⁽²⁾. لأن "استدعائه لأجل تحديد المعنى "الحقيقي" للكلمة، إنما هو في الحقيقة فعل سلطة، يفرض به الخطيب "معناه"، وبالتالي وجهة نظره على السامع"⁽³⁾، وأبعد من هذا نجد أوليفي روبول يرى بأنه: "يجب اعتبار التأثيل اللغوي، الذي يصلح حجة للتعريف والفصل في الوقت نفسه، من بين التصويرات اللفظية"⁽⁴⁾ لا بمعناها الإقناعي فحسب بل وبعده الإمتاعي.

ويضرب روبول مثالا على ذلك، بما قام به خصوم فرويد-عالم النفس-، ردا عليه ودحضا لبحثه حول الهستيريا؛ مستعملين حجة التأثيل اللغوي، فكلمة هستيريا مشتقة من الكلمة اليونانية *hystéra*، التي تعني الرحم، وبالتالي فالهستيريا لا يمكن أن تكون «من حيث التعريف»، إلا مرضا نسائيا!⁽⁵⁾

ومن الأمثلة التي تقرب مفهوم حجية التأثيل اللغوي "أن يقال في مقام الاعتذار...: لقد نسيت أن أرد على رسالتك وما أنا إلا إنسان وما سمي الإنسان إلا لنسيه. أو يقال في مهاجمة شخص: إنه ذو أهواء يعتمد قلبه والقلب من التقلب."⁽⁶⁾

وفي جمهرة خطب العرب نجد مثال مماثلا، تضمنته مفاخرة بين خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار:

فقد "فاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة، فقال له العبدري: من أنت؟ قال: أنا خالد بن صفوان بن الأهتم، فقال له العبدري: أنت خالد "كمن هو خالد في النار"⁽⁷⁾ وأنت

(1). كريستيان بلانتان، الحجاج، م.س، ص 97.

(2). المرجع نفسه، ص 97.

(3). أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص 147.

(4). المرجع نفسه، ص.ن..

(5). ينظر: المرجع نفسه، ص.ن.

(6). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص 64.

(7). وتام الآية الكريمة: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ سورة محمد، الآية: 15.

ابن صفوان، وقال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾⁽¹⁾، وأنت ابن الأهتم، والصحيح خير من الأهتم⁽²⁾، فقال له خالد ابن صفوان: يا أبا بني عبد الدار، أتتكلم؟ وقد هشمتك هاشم، وأمتك⁽³⁾ بنو أمية، و خزمتك بنو مخزوم، وجمحتك بنو جمع⁽⁴⁾؟ فأنت عبد دارهم⁽⁵⁾ تفتح إذا دخلوا، وتغلق إذا خرجوا" فقام العبدري محموداً.⁽⁶⁾

في هذه المفارقة تحجج بين خالد بن صفوان، بن الأهتم من تميم، و رجل من بني عبد الدر من قريش، كلاهما حاج الآخر أيهما أشرف نسبا، ومن جميل هذا الحجاج أن الطرف الثاني التزم أن يردّ على الأول بذات التقنية الحجاجية، وهي عند الاثنتين: الحجاج بالتأثيل اللغوي، الذي قد يسلك مسلك جناس الاشتقاق، إلا أن التأثيل اللغوي أخص من جناس الاشتقاق، و أعمق أثرا، فقد يتجه جناس الاشتقاق، منحى تصريفي، فيشتق من الكلمة الفعل، أو الصفة، أو صيغة التفضيل، أو...، لكنه في التأثيل اللغوي يتجه الاشتقاق للوقوف على الأصول السابقة للكلمة، مما يعطيها حجية الأصل على الفرع، بحكم السبق، والفضل.

لقد كان مبدأ الحجاج قول العبدري خطأ من نسب خالد، وازدراء له: "أنت خالد" كمن هو خالد في النار" وأنت ابن صفوان، وقال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾، وأنت ابن الأهتم، والصحيح خير من الأهتم،... " وقد تضمن قوله ثلاث حجج تأيلية هي:

(1). صفوان جمع صفوانة: وهي الحجر الصلد الضخم كالصفواء والصفاء. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة، الآية: 264.

(2). هتم كفرح: انكسرت ثناياه من أصولها فهو أهتم

(3). قادتك.

(4). غلبتك بشدة

(5). كانت الحجابة في بني عبد الدار

(6). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س، ج3، ص24. والمفارقة في الغرر لوضحة أوسع تائلا، وأبلغ تقتيلا، فقد "حكى إن قرشياً سأل خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي عن اسمه فانتسب له فقال القرشي إن اسمك لكذب ما أحد في الدنيا بخالد وإن أباك لحجر بعيد من الرشيح وإن جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد قد سألت فأجبتك فممن أنت قال من قريش قال من أي قريش أنت قال من بني عبد الدار قال خالد لم تصنع شيئاً يا أبا عبد الدار فمثلك يشتم تيمماً في عزها وشرفها وقد هشمتك هاشم وأمتك أمية وجمحت بك جمع ورضخت رأسك فهر وخزمت أنفك مخزوم ولوت بك لوي وغلبتك غالب وفتكت مناف وزهرت عليك زهرة وأقصتكم قصي فجعلتكم عبد دارها ومنهى عارها تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا فخر الرجل ميتاً من شدة الغيظ فكانت امرأته تنادي في أزقة البصرة صارخة خالد قتل بعلي بلسانه وادعى أهله على خالد بديته لأنه مات بسبب كلامه." (الوطواط (أبو إسحق برهان الدين محمد)، غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة، تحقيق، وتعليق: ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2008، ص259)

-ح1: أنت خالد، كمن هو خالد في النار، وفي رواية الغرر: إن اسمك لكذب ما أحد في الدنيا بخالد

- ح2: وأنت ابن صفوان، وقال الله تعالى: "كمثل صفوان عليه تراب"

- ح3: وأنت ابن الأهتم، والصحيح خير من الأهتم⁽¹⁾.

هذه الحجج تقابلها الترسيمات الآتية:

1- أنت اسمك خالد ← لن تكون إلا في النار
↓
لم يذكر لفظه خالد في كتاب الله إلا مرة واحدة؛ مقرونة بالنار

2- أنت ابن صفوان ← أنت حجر لا تفقه، وصلد أملس:
↓
مزلفة في السير، متلفة للبذر
الصفوان حجر أملس كبير

3- أنت ابن الأهتم ← فأنت بالعجوز أشبه، وعن الفصاحة، وعن الحسن أبعد،
مدعاة إشفاق، و مضحكة للرفاق.
↓
والهتم: انكسار الثنايا والرابعيات هتمت

الرجل أهتمه هتما وهُوَ أهتم إذا كسرت مقدم أسنانه

وأمام هذه النعوت اللاذعة، والحجج الدامغة، لم يكن بدا أمام خالد بن صفوان إلا أن يرد عليه، بمثل قوله، ويذيقه ما هو أمر من كأسه.

(1). الهتم انكسار الثنايا والرابعيات (الأزهري تهذيب اللغة، مرجع سابق، ج1، ص411).

فكان أن تنبه خالد إلى أن تكون حججه متوجهة إلى صلة العبدري بالعائلة الأكبر، فهي على جلب الانتصار عليه أقدر، فإن العبدري حطّ من نسب خالد في آبائه الأقربين، وصورهم أشأم، وأبلد، وأكذب، وأبشع. ومثل هذا التصوير بالنسبة إلى صفات المرء في نفسه، لا يححوها ولا يقلل من دناءتها، إلا أن يصور خصمه أرذل بين أقرانه، وأذل بين قومه. ففطن خالد إلى أن يشتق من كل بطن من بطون قريش، حجة بما يخزي بطن عبد الدار، ويحطه حط لا قيام بعده.

- فمن بني هاشم، معنى فعل هشم، جاء في مقاييس اللغة: "الهَاءُ وَالشَّيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى كَسْرِ الشَّيْءِ الْأَجُوفِ وَعَيْرِ الْأَجُوفِ وَهَشَمْتُهُ هَشَمًا. وَالْهَاشِمَةُ: الشَّجَّةُ تَهْشِمُ عَظْمَ الرَّأْسِ. وَجُمِعَ عَلَى أَنَّ هَاشِمًا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ هَشَمَ التَّرِيدَ، وَاسْمُهُ عَمْرُو. وَالْهَشِيمُ مِنَ النَّبَاتِ: الْيَابِسُ الْمُتَكَسِّرُ." (1)

- ومن بني أمية معنى فعل أمّ، ففي جمهرة اللغة: "وَأَمُّ رَأْسُهُ بِالْعَصَا يَوْمَهُ إِذَا أَصَابَ أُمَّ رَأْسِهِ وَهِيَ أُمَّ الدِّمَاغِ وَهِيَ مَجْتَمَعُهُ فَهُوَ أَمِيمٌ وَمَأْمُومٌ وَالشَّجَّةُ أَمَةٌ" (2)، و في مختار الصحاح: "ورئيسُ القوم: أمهم" (3)

- ومن بني مخزوم، معنى فعل خزم، ومعناه في لغة العرب الثقب يقول ففي معجم مقاييس اللغة: " (خَزَمَ) الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِقَابِ الشَّيْءِ. فَكُلُّ مَثْقُوبٍ مَخْرُومٌ." (4)

- ومن بني جمح، معنى فعل جمح، ففي مقاييس اللغة: " الْجِيمُ وَالْمِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرَدٌ، وَهُوَ ذَهَابُ الشَّيْءِ قُدْمًا بِعَلْبَةٍ وَقُوَّةٍ" (5)

- ومن عبد الدار، معنى فعل عبد ففي مقاييس اللغة: " (عَبَدَ) الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالذَّالُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، كَأَنَّهُمَا مُتَضَادَّانِ، وَ [الْأَوَّلُ] مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ يَدُلُّ عَلَى لِينٍ وَذُلٍّ،" (6)

(1) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج6، ص 53.

(2) ابن دريد ، جمهرة اللغة، م.س، ج 1، ص59.

(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، م.س، ج 5، ص1863.

(4) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج2، ص178.

(5) المرجع نفسه، ج1، ص476.

(6) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج4، ص205.

وبناء على هذه المعاني التي ستؤدي دور الموضوع الحجاجي، للانتقال من وضع المنافسة بين بني عبد الدار وبتون قريش الأخرى، إلى نتيجة المنافسة،⁽¹⁾ أو من علاقة بني عبد الدار بباقي بطون قريش (علاقة النسب الظاهرة)، إلى حقيقة وضعهم بالنسبة إلى تلك البطون، (علاقة التنافس على المكانة، وهي العلاقة الواقعة)

هاته العملية الحجاجية تقوم على:

معطى أو مقدمة ضمنية: بنو عبد الدار وباقي بطون قريش في تنافس.

قانون عبور: تضمنه حجة التأثيل، لكل حظ من اسمه.

النتيجة: مقتضى حجة التأثيل. وبهذا تصير مقالات خالد بن صفوان، في الصور التالية:

• عبد الدار/ هاشم ← كسر هاشم رأس عبد الدار، وأذله

↓
هشّم = كسّر

• عبد الدار/ أمية ← شح أمية رأس عبد الدار، وترأس عليه

↓
أم = شح الرأس + ترأس

• عبد الدار/ مخزوم ← ثقب مخزوم رأس عبد الدار

↓
خزم = ثقب

• عبد الدار/ جمح ← غلب جمح عبد الدار

↓
جمح = غلب

• عبد الدار/ بطون قريش ← عبد الدار أذلهم، وأدناهم، عبدهم وخادمهم

↓

من تسيده الكل، فليس له إلا الخضوع، والخدمة

(1) هذا التنافس كان على الشرف واليسادة وفي سياقه يقول أبو جهل مصورا تنافس بني مخزوم مع بني هاشم: " قال المسور بن مخزوم: قلت لأبي جهل - وكان خالي - يا خال هل كنتم تتهمون محمدا بالكذب قبل أن يقول مقالته؟ فقال: والله يا ابن أخي لقد كان محمدا وهو شاب يدعى فينا الأمين، فلما خطه الشيب لم يكن ليكذب، قلت: يا خال فلم لا تتبعونه؟ فقال: يا ابن أخي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف؛ فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثنا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبي، فمتى نأتيهم بهذا « نضرة النعيم في أخلاق الرسول،

ومن هذا التحليل نستنتج أن حجة التأثيل حجة دامغة، غير أنها تحتاج ذهنًا متوقداً، يقتنص الموضوع،

المناسب، لينتزع منه، العلاقة الأنسب للمقام، والأقوم للإفحام.

2-2-2 دلالة الإحالة الصوتية (الدلالة المرافقة):

يستند الكلام عن هذه الدلالة بشكل أساسي على الجوانب النفسية لعناصر التخاطب، وهي وإن رفضها المنظور العلمي الصارم للسانيين، فإن التواصل بين متكلم ومستمع، يتضمن تفسيراً يقوم على أن الكلمة ذات طبيعة نفسية تدعمها دلائل صوتية تدل عليها⁽¹⁾.

ومن هذا المنظور يرى فندريس أن "الكلمة لا تحدد فقط بالتعريف التجريدي الذي تحددها به القواميس. إذ يتأرجح حول المعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي يحيط بها وينفذ فيها ويعطيها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالها. بل حتى عند أقل الناس خيالاً وأبعدهم عن التأثر يختلط بالمعنى التجريدي العام الذي تبين عنه الكلمة، بألوان خاصة هي التي تكون قيمتها التعبيرية. وإذا أردنا تحليل هذه القيمة اكتشفنا فيها خصائص متنوعة وأصولاً عديدة فهي تنشأ أولاً من اتفاق يتكون بين معنى الكلمة والأصوات التي تتألف منها." (2)

هذه القيمة التعبيرية تُستثمر في بناء كلمات لها طاقة تأثيرية تمد وتشحن الخطاب بما يلزمه لتحقيق غرضه الحجاجي، من جهة "أن أصوات الكلمة الواحدة تتفاعل فيما بينها، وتتفاعل مع الأفكار والمعاني من جهة أخرى، وينتج عن هذا التفاعل إثارة الخيال والمشاعر مما يجعلها أداة مهمة من أدوات الحجاج، إذ التأثير في الأسماع يفضي إلى إثارة المشاعر، واستجاشة الانفعالات التي يتولد عنها نوع من الاستجابة السلوكية أو العقلية أو الانفعالية." (3)

ويعتقد ابن الأثير ذلك الأثر النفسي وما يتبعه من قيمة تصويرية تأثيرية بقوله: "الألفاظ الجزلة تُتَحَيَّل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار. والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذي رماثة ولين أخلاق ولطافة

(1). عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، م.س، ص 94.

(2). جوزيف فندريس، اللغة، م.س، ص 235.

(3). أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي-دراسة تداولية-، ط 1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2016، ص 177.

مزاج. ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم، واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى ألفاظ البحثري كأنها نساء حسان عليهنّ غلائل مصبغات، وقد تحلّين بأصناف الحلي." (1).

وبذات القول يقول حازم القرطاجني، و بتمثيل لا يبعد عن ما جاء به ابن الأثير يوضح فكرته قائلاً: "واعلم أن منزلة حسن اللفظ المحاكى به وإحكام تأليف كل من القول المحاكى به، من المحاكاة، بمنزلة عتاقة الأصباغ وحسن تأليف بعضها إلى بعض، وتناسب أوضاعها من الصور التي يمثلها الصانع.

وكما أن الصورة إذا كانت أصباغها رديئة وأوضاعها متنافرة وجدنا العين نائية عنها غير مستلذة لمراعاتها، وإن كان تخطيطها صحيحاً، فكذلك الألفاظ الرديئة والتأليف المتنافر، وإن وقعت بها المحاكاة الصحيحة فإننا نجد السمع يتأذى بمرور تلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف عليها، يشغل النفس تأذي السمع عن التأثير لمقتضى المحاكاة والتخييل. فلذلك كانت الحاجة في هذه الصناعة إلى اختيار اللفظ وإحكام التأليف أكيدة جداً" (2).

وحتى لا يلتبس تأليف الكلمة بتأليف الجمل والعبارات، يبين ابن الأثير بطريق الإشارة أن قيمة اللفظة المفردة من قيمة الأصوات التي تؤلفها، في نفسها وفي علاقتها ببعضها فيقول: "اعلم أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنب ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف، كالتاء والذال والحاء والشين والصاد والطاء والظاء والعين، فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الأحرف المشار إليها." (3)

ولب القول أن الأصوات "تجري من السمع، مجرى الألوان من البصر" (4) وعلى منشىء الخطاب أن يمنحها عناية خاصة، بأن يتقصد "...أن يختار تلك الأصوات التي تلفت بقوّتها الانتباه، وتستحوذ بملاحظتها المميّزة على الأذهان؛ وتناسب مضمون نصّه، وتشحن معانيه، وتصبغه بتألفها بصبغة جماليّة جذّابة؛ فتحمل بذلك كلّها، ما يريد الكاتب إيصاله على أتمّ حال، فإرضاه سيادتها على المتلقّي" (5)، وهنا يطرح السؤال إلى أي مدى كان الخطيب العربي يراعي ذلك إمتاعاً وإقناعاً؟

(1) ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م.س، ج 1، ص 195.

(2) القرطاجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، ج 1، ص 42.

(3) ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، م.س، ج 1، ص 195.

(4) ابن سنان الخفاجي،: سرّ الفصاحة. م.س، ص 64.

(5) مهدي عناد أحمد قيهما، التحليل الصوتي للنصّ- بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجاً-، رسالة ماجستير، إشراف: محمد جواد النوري، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011، ص 25. (173 ورقة).

لقد مضى في أول هذا الفصل التطرق لأثر جرس الأصوات في صناعة القوة الإنجازية للخطبة، وتحقيق الإقناع بها. لذا فقد يُكتفى بما يلي من تمثيل:

المثال الأول:

• خطبة زهير بن القين:

وفيها يقول مخاطبا أهل الكوفة ممن كان مع أميرها، أو ممن كان يريد التقرب إليه، بما لم يفكر فيه:

"يا أهل الكوفة، نذاري لكم من عذاب الله نذاري، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم، وخذلان... عبيد الله بن زياد،..."

...فقال لهم: "عباد الله، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم، فأعينكم بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين..."

فناداه رجل فقال له: "إن أبا عبد الله يقول: "أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه، وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء، وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ"⁽¹⁾.

إنها خطبة ألقاها زهير بن القين تثبيطاً لجند ابن زياد عن أن يلحقوا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذى، ويتجاوزوا معه المدى، فيهدموا عرى القربة، والأخوة، ويدوسوا قيم الإسلام في معاملة المقدور عليه أو الأسرى، جنح فيها إلى السلم و طلب الصلح، وإلى التذكير وإسداء النصح. وعلى النصح عول، فبذل ما استطاع وشهد له ابن بنت رسول الله ﷺ بذلك وأياداه في مسلكه، وأثنى على منطقته.

إن سبيل النصح، سبيل جمع الكلمة على ما لا دخن فيه، وما لا فتن تعتربه، فالنصح من الإصلاح، والإخلاص، والنقاء، والصفاء، ففي مقاييس اللغة "النُّونُ وَالصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُلَاءَمَةٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَإِصْلَاحٍ هُمَا. أَصْلُ ذَلِكَ النَّاصِحُ: الْحَيَّاطُ. وَالنَّصَاحُ: الْحَيَّاطُ يُحَاطُ بِهِ، ... وَمِنْهُ النَّصْحُ وَالنَّصِيحَةُ: خِلَافُ

(1). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س، ج2، ص55.

الغشِّ. وَنَصَحْتُهُ أَنْصَحَهُ. ... وَنَاصِحُ الْعَسَلِ: مَاذِيئُهُ، كَأَنَّهُ الْحَالِصُ الَّذِي لَا يَتَحَلَّلُهُ مَا يَشُوبُهُ...⁽¹⁾، فالنصح إذن معنى ترتاح له النفوس، وتطمئن له الأفئدة، فهي له منبع، و هو إلى المؤلفَة بينها يرجع. فهذه الكلمة توحى، وتحاكي تلك المشاعر النفسية النقية، والنوايا الصادقة الجدّية، بأصواتها جرسا وإيحاء، فأول أصواتها النون بما يملكه من وضوح سمعي نابع من ليونته، متوافق مع ما يكنه الناصح للمنصوح من لطف في إطلاع المنصوح على عيب فيه، يحتاج إلى ستر وترقيع، أو نقص يستلزم تداركه بالتعاهد حتى يُستوفى. وكل هذا والنون بدلالاتها على الانبثاق والظهور⁽²⁾ توحى بأن قول الناصح نابع من قلبه، ظاهر بيّن في غير تخفي ولا تستر، فليس فيه قصد نجوى ولا تواطؤ على خيانة.

وحين تلتحق الصاد بالنون تتقوى الدلالة ويتأكد أثرها، فالصاد المهموس، الرخو، يؤكد ميزة اللين في النصح، حتى لكأن الناصح يرفق بالمنصوح رفق الوالدة بولدها، فالصاد "...يشبه رسمه في السريانية صورة الصبي"⁽³⁾. رفق يحتاج إلى مجاهدة نفس، ودفع هواها، الداعي إلى ميلٍ إلى تفرغ المنصوح، أو تعبيره، تلك المدافعة لنزعة الشدة يترجمها الصاد بدلالته على " المعالجة الشديدة"⁽⁴⁾، ورغم تلك المعالجة فإن النصح لا ميل معه إلى الغش، وتلك صفة أخرى يضمنها صوت الصاد الذي منحته خصائصه الصوتية "... شخصية فذة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وذكاء معنى، ومن صلابته شدة وقوة وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقية..."⁽⁵⁾ معان نجدها في النصح واضحة جلية.

سيزداد جلاؤها ويبرز أثرها لما تلتحق الحاء بالصاد، آتية من وسط الحلق، رخوة مهموسة لتؤكد أن النصح شيء نابع من العمق، ومقرون بالرفق، ولتعزير مشاعر الصدق، يدعمها في ذلك ما فيها من "حفيف وصحل، واحتكاك لئّن بصفحات الأنسجة الحلقية وبدلالاتها على حرارة العاطفة، وشفافتها"⁽⁶⁾؛ وهل يعقل للناصح التدليس، أو أن يكون بارد الأحاسيس؟

(1). ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص435.

(2). ينظر: حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، م.س، ص160.

(3). المرجع نفسه، ص151.

(4). ينظر: عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب، المطبعة العصرية، مصر، دت، ص210.

(5). حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، م.س، ص151.

(6). المرجع نفسه، ص190.

إن المعاني التي حملتها أصوت كلمة "النصح" كانت حاضرة في محاولة زهير ابن القين إقناع جند ابن زياد لتخليه سبيل ابن بنت رسول الله ﷺ، فقد ذكره برابطة الدم، وما فيها من مشاعر حارة، و دعاه إلى الصلح، ورتق الفتق، ورأب الصدع، حفاظا على صرح الوحدة، وما فيها من منعة وقوة، وظهور وعزة، ثم أخلص له في التحذير من مغبة تكدير حياض النبي ﷺ، وما يتبع ذلك من شائبة تذهب صفاء الدين. لكن كلام النصح بسمو معانيه لا يقدره الغلاظ، ولا يفقهه أصحاب القفي العراض. فحسب العامل به أن يكون كمؤمن آل فرعون. وأعظم به مثيلا، وأكبر به شرفا. حين تُعزَى بهذا القول: "أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه، وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء، وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ"

وعند هذا الحد، فإن تكرار كلمة "النصح" كان شاهدا على أهميتها في إقناعية الخطاب، بما أحالت عليه أصواتها من جرس ونغم مؤثر، متناسب مع المقام، ومنسجم مع القصد من المقال. يمكن الوحدة المعجمية من تقوية وإبراز لازم معناها في ذهن المتلقي، ومن ثم إقناعه.

● المثال الثاني:

● تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر:

● **مقام الخطاب:** "كان المنذر ابن الأمير عبد الرحمن الأوسط سيئ الخلق في أول أمره، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة، مُفْرِطُ القَلْقِ مما يقال في جانبه، ... فطال ذلك على الأمير، فأمر ثِقَّةً من ثقاته أن يبني بجبل منقطع عن العمران بناء يُسْكِن فيه ابنه، وألا يدع أحداً من أصحابه يزوره، فلما استقر المنذر في ذلك المكان، وبقي وحده، ونظر إلى ما سُلِبَ من الملك، ضَجِر ... فعلم أن الأمير قصد بذلك مُحَنَّتَهُ وتأديبه، فكتب إليه يشكو استيحاظه بمكانه، ... فقال له: "سماع ما كنت أضجُرُّ منه، وأخفُّ عليَّ من التوحُّد والتوحُّش، والتخلِّي مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي".⁽¹⁾

ولما بلغت موعظة الوالدِ الولدَ، وأثرت فيه، وانفتح قلبه، وتنبه عقله، انتهز الوالد الفرصة ليثبت فيه خلقا لا ينفك إنسان محتاجا إليه؛ ذلك هو خلق التغاضي أو الإغضاء.

(1). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س، ج3، ص166

فقال له: "فإذ قد عرفت وتأدبت، فارجع إلى ما اعتدته، وعوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع، وترى كأنك لم تر... وإنك لذو همة ومطمح، ومن يكن هكذا يصبر ويغض ويحمل، ويبدل بالعقاب الثواب، ويصيّر الأعداء من قبيل الأصدقاء، ويصبر من الشخص على ما يسوء، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسرّ، ولقد يخفّ عليّ اليوم من قاسيت من فعله وقوله ما لو قطعتم عضوا عضوا لما ارتكبه مني، ما شفيت منهم غيظي، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال، لاسيما عند الاقتدار أولى، ونظرت إلى جميع من حولي ممن يحسن ويسيء، فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض، ونظرت إلى المسيء يعود محسناً، والمحسن يعود مسيئاً، وصرث أندم على من سبق له مني عقاب، ولا أندم على من سبق له مني ثواب؛ فالزم يا بني معالي الأمور، وإن جماعها في التغاضي، ومن لا يتغاض لا يسلم له صاحب، ولا يقرب منه جانب، ولا ينال ما تترقى إليه همته، ولا يظفر بأمله، ولا يجد معيناً حين يحتاج إليه".

فقبل المنذر يده وانصرف، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده، حتى تخلّق بالخلق الجميل، وبلغ ما أوصاه به أبوه ورفّع قدره. (1)

إن ما تدل عليه لفظة الإغضاء كثيرٌ نفعه، وكثرة دوراتها في هذه الخطبة، أسهمت في الحجاج لمعناها، لكن ليست فقط كثرة ترددها بل أيضا إحياءات أصواتها، فالتغاضي يعود إلى جذر "غضض" وهو الكف " وكل شئ كفته فقد غَضَّضْتُهُ،" (2)، فالتغاضي إذن خلق يلزم من طالبه أن يمنع جموح نفسه، واندفاع غيظه، فيما يلحقه من أذى الرفيق، والصديق، ومن يعاشر من الناس " قال أبو حاتم ... من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن ينال منهم الوداد وترك الشحنة ومن لم يدار صدق السوء كما يداري صدق الصدق ليس بحازم" (3)، فمن أراد صفاء عيش، فليتحمل مرارة الإغضاء، ولا يظهر تبرما، أو تضايقا، أو غيضا يمكن معه الكتم والإخفاء.

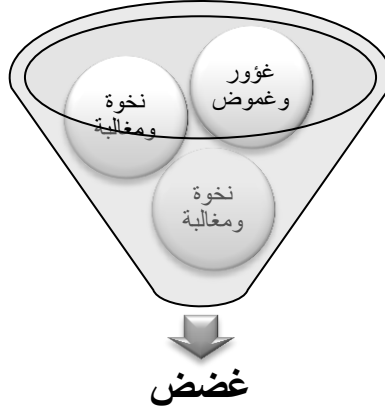
(1). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س، ج3، ص166.

(2). الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، م.س، ج3، ص1095.

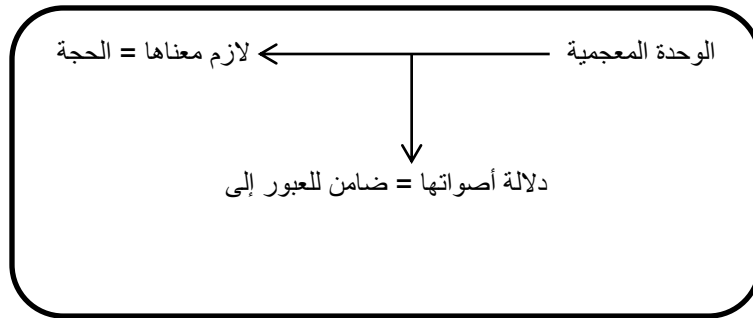
(3). البستي محمد بن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص72.

الفصل الثالث _____ حاجية " ما قيل " من التطريز إلى التحفيز

وهو ما تدعو إليه إيجاءات جرس "غضض" ومشتقاته؛ فالعين مجهور رخو وهو "لغؤور المعنى والغموض والخفاء"⁽¹⁾، أما الضاد فهو "للفخامة والنضارة ومشاعر النخوة"⁽²⁾، وهو مع ذلك "يدل على الغلبة تحت الثقل"⁽³⁾، ف"غضض" مركبٌ أصوات كما يلي:



فالتغاضي في معناه وفي جرسه، واحد؛ لذا فتأثير ترديديه في الخطاب، يقوي لازم معناه، ويمرره في سلاسة إلى وعي المتلقي، فيقتنع بما يحمله من قضايا. ومما مضى من تحليل للمثالين يمكن أن نقترح خطاطة أولية لحجاجية الدلالة المرافقة للوحدة المعجمية كما يلي:



(1) . ينظر: عبد الله العلابي، مقدمة لدرس لغة العرب، المطبعة العصرية، مصر، د ت، ص 210.

(2) . حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، م.س، ص 273.

(3) . ينظر: عبد الله العلابي، مقدمة لدرس لغة العرب، م.س، ص 210.

2-2-3 حاجية الدلالة اللاحقة أو المقتضى المعجمي (Présumé lexical):

في اللغة كما يرى عبد الله صولة كلمات ينبثق من معناها المعجمي مقتضى يسم السياق الذي وردت فيه، بما يقتضيه معناها المعجمي لا بما يفرضه المعنى الإسنادي، معتمدة في ذلك على محتواها الدلالي القابع تحت الملفوظ المنطوق، وعن طريقه تسم ذلك الملفوظ بميسم دلالي وحجاجي خاص، سماه ديكر (وقع الكلمة المعنوي). ومثال ذلك ما ساقه "زوبير" "Zuber" في دراسته المقتضى الناتج عن ما يلي:

- رفض فلان أن يأتي.

-وافق فلان على المجيء.

فالمسؤول عن ظهور المقتضى (فيهما) هما فعلا رفض ووافق الناشئين عن المعنى المعجمي للفعالين وليس عن عملية الإسناد⁽¹⁾

وفي هذا الاتجاه يرى كريستيان بلانتان أنه "إذا لزم استعمال بعض الكلمات فذلك لأنّ له نتائج، فالذي يسمّى يضطلع بالتزامات خطابية، والأسماء لا تعيّن الأشياء فقط، فهي تعينها من بعض وجهات النظر، وفي الوقت الذي تعيّن فيه تقتضي محمولات تربطها بالكائنات (الموجودات). عندما نسمّ الشخص بأنه عنيف فإنني أعلق عليه سلسلة من القوالب الجاهزة، فالعنيف إنسان خطر يجب أن يحتمي المرء منه وأن يتم التحكم فيه، وأن يسجن بل وحتى يصرع، فإن لم تحدّد هذه القوالب الجاهزة ضروبا من السلوك فإنها على الأقل توجه الخطابات"⁽²⁾

إن هذه التي سماها بلانتان قوالب جاهزة، في الواقع ليس بتلك الجاهزية المتوقعة، بل تحتاج إلى إعمال الذهن من أجل التوصل إليها، ذلك أنه "في حالة [المقتضى المعجمي] يؤخذ استعمال المتكلم لتعبير معين على أنه يفترض مسبقا مفهوما آخر (غير مذكور)"⁽³⁾، فعملية الافتراض التي يقود إليها المقتضى، أو كما ترجمه مترجم كتب التداولية لـ"بول" بـ "الافتراض المسبق"، تُنشأ حجاجا مضمنا في ملفوظ وحيد هو الحامل

(1) ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص(88,90).

(2) كريستيان بلانتان، الحجاج، م.س، ص110، 109.

(3) جورج بول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، ط1، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، 2010، ص55.

للمقتضى المعجمي " فملفوظ وحيد بسيط يمكن له أن يجعل "من نفسه حجاجا"، فلم يُعد حجة ولا نتيجة، ولكنه، إن جاز التعبير، حجاج قائم برأسه"⁽¹⁾.

وعلى هذا النحو يصبح عسيرا التفلّت من قبول الفكرة المضمنة في الوحدة المعجمية، ويجد المتلقي نفسه أما حتمية التسليم، والإذعان وفي هذا تقول أوريكيوني: "إن صوغ المضامين الجديدة في قالب مقتضى يسمح لك بأن تعتبرها مما دخل بعد في حيز الحقائق التي بات مخاطبك يقر بها ولو مؤقتا، فالمقتضيات تقدم على أيها غير قابلة للدفع أو الدحض، ذلك أنه بإمكاننا أن نرفض المنطوق، أما المقتضى قد فاتتنا مبدئيا ساعة رفضه"⁽²⁾. وهو ما سنحاول توضيحه في ما يلي من مثال:

• خطب أبو جعفر المنصور بمكة، فقال:

"أيها الناس: إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتسديده وتأييده، وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قفلاً، إن شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم، وقسم أرزاقكم، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله".

في هذه الخطبة تبرز وحدتان معجميتان مارستا فعلا حجاجيا بما تحمله من مقتضى:

• الأولى: "سلطان الله" في قول الخطيب "أنا سلطان الله في أرضه"، فلفظة سلطان الله تؤل إلى

حجة الله ذلك أن "السُّلْطَانُ: الحجة، قال الله تعالى: ﴿فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾⁽³⁾، أي حجة. وأكثر ما في القرآن من سلطان فهو حجة،..."⁽⁴⁾، فالوحدة المعجمية تقتضي أنه إن تكن لله حجة في

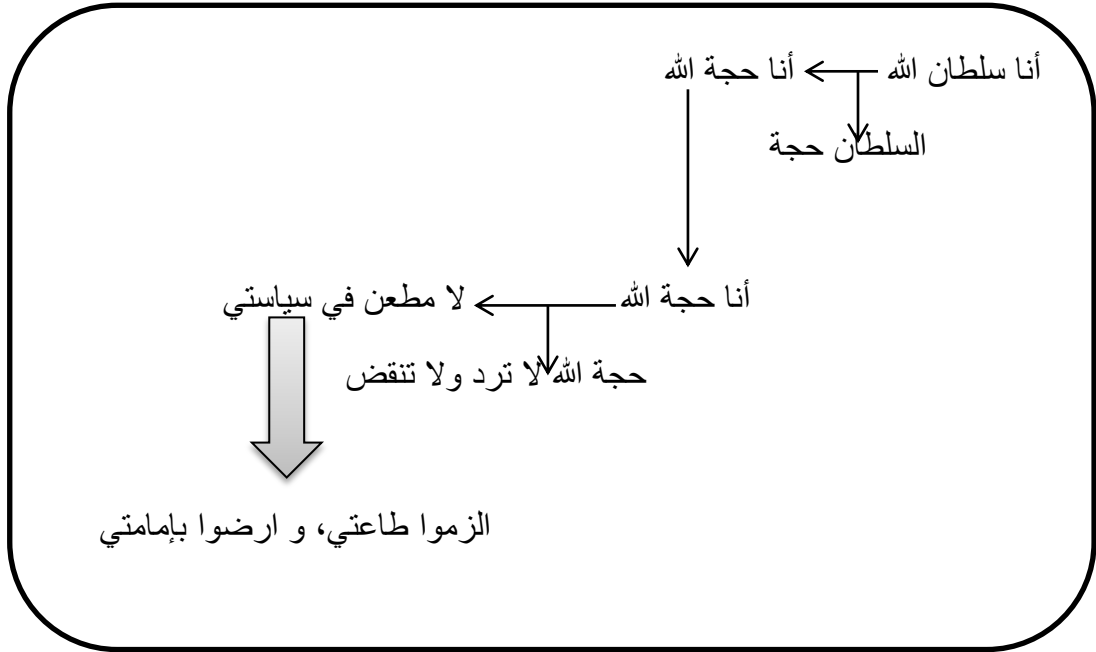
(1). كريستيان بلانتان، الحجاج، م.س، ص108.

نقلا عن: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في Catherine Kerbrat Orcchioni : L'implicite, p: 114.⁽²⁾ كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، أطروحة دكتوراه، إشراف السعيد بن براهيم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2009-2010، ص284. (416 ورقة).

(3) سورة الرحمن، الآية 33

(4) نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، م.س، ج5، ص3171.

الأرض فهي في شخص أبي جعفر المنصور. وهو ما يتضمن الحجاج التالي، في صورة قياس متدرج أو وحدة حاجية كبرى⁽¹⁾:



● الثانية: الوحدة المعجمية "قفلاً" في قول الخطيب " فقد جعلني الله عليه قفلاً" الهاء تعود على المال أي جعلني على ماله قفلاً، في العادة يستعمل المفتاح للدلالة على الإمساك بسلطة الخزان، و التحكم في تصريف الأموال، فيقال : مفاتيحه بيدي، لكن أبا جعفر المنصور عدل عن "المفتاح" إلى "القفل"، لما تحمله لفظة "قفل" من مقتضى معجمي، أو افتراض مسبق، مبناه على ما تستدعيه الوحدة المعجمية من دلالة ففي مقاييس اللغة " (قَفَلَ) الْقَافُ وَالْقَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى أُوْبَةٍ مِنْ سَفَرٍ، وَالْآخَرُ عَلَى صَلَاحِيَّةٍ وَشِدَّةٍ فِي شَيْءٍ... وَمِنْهُ الْقَفْلُ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ فِيهِ شِدًّا وَشِدَّةً. يُقَالُ أَقْفَلْتُ الْبَابَ فَهُوَ مُقْفَلٌ. وَيُقَالُ لِلْبَحِيلِ: هُوَ مُقْفَلُ الْيَدَيْنِ. وَقَفَلَ الشَّيْءُ: يَيْسُ. وَخَيْلٌ قَوَافِلٌ: ضَوَامِرٌ. وَيُقَالُ: أَقْفَلَهُ الصَّوْمُ: أَيَسَّهُ."⁽²⁾

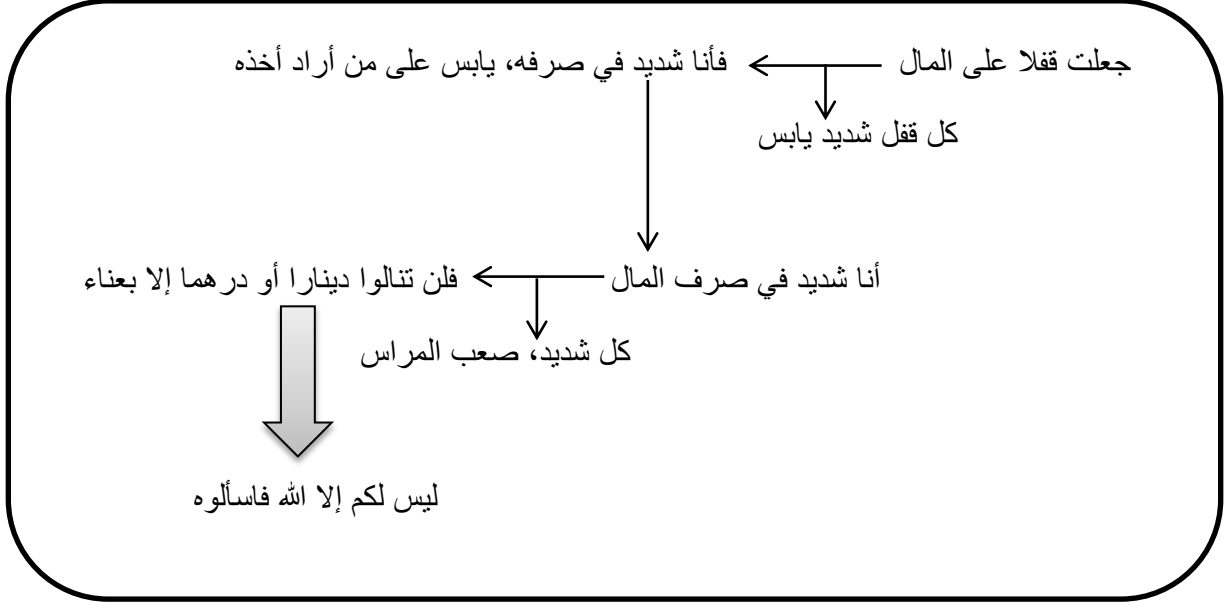
فمدار القفل في سياق الخطبة على الشدة واليبس، والإغلاق، لا الفتح والعطاء، والمنح والجود، وفي هذا المقتضى تأسيس للرعية من أن تشرئب أعناقهم إلى العطايا، أو تتشوف نفوسهم إلى درهم أو دينار، وإن

⁽¹⁾ ينظر: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، أطروحة دكتوراه، إشراف السعيد بن براهيم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2009-2010، ص120. (416 ورقة).

⁽²⁾ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م س، ج 5، ص112.

الفصل الثالث _____ حاجية " ما قيل " من التطريز إلى التحفيز

كان لها من ذلك شيء فبعد إحفاء قدم، وكلم يد. وهذا العمل الإقناعي الإمتاعي وإن كان مأساويا. تترجمه
الترسيمة التالية:



والخلاصة: أنه بعد هذا العرض النظري والتطبيقي، حول حاجية التصوير اللفظي، ببعديه الداخلي، والخارجي، يكون قد انزاح اللبس عن بعض من يقلل من دور التطريز الصوتي في صناعة الإقناع، بل ويسمه بأنه مجرد نغم، وموسيقى، و وسائل استثارة، كثيرا ما تقابل بتضجّر المتلقي منها، وانحرافه عن التجاوب معها، بيد أن ما ظهر من خلال مقارنة « ما قيل » حاجيا، أن سطح الخطاب وجرسه، وبناءه الصوتي، ذو جدوى حاجية عالية، والميزة فيها ذلك التكامل بين الإقناع والإقناع.

الفصل الرابع

حجاجية

"مالم يُقفل"

من

التدليل إلى التحصيل

إن فحص «ما لم يقل» حاجيا، إمتاعيا وإقناعيا، في الخطابة العربية يضعنا أمام اقتراحات، ومباحث تداولية، ليست بالقليلة، لكن لا شك أن أبرزها وأظهرها، بل وأكثرها تلازما فيما بينها، هي أفعال الكلام، باعتبارها ركيزة التداولية بحسب كثير من التداوليين، وتستدعي أفعال الكلام غالبا، مبحثا آخر هو الاستلزام التخاطبي، أو الحوارية.

فهذان المبحثان هما ما سيتولى الباحث دراسته مطبقا على الخطابة العربية.

1- حاجية أفعال الكلام:

1-1 نظرية الأفعال الكلامية من الفلسفة الوضعية إلى أوستن Austin :

استوت نظرية الفعل الكلامي نظرية محورية في التداولية، وقد كان منشأها بوصفها مبحثا ضمن اهتمامات الفلسفة الوضعية المنطقية، لتتطور إثر ذلك على يد الفيلسوف النمساوي لودفيج فتجنشتين، في تصوره المتأخر لوظيفة اللغة، الذي كان نتيجة لما سماه ألعاب اللغة، حيث أن لعبة اللغة تعد شكلا لنشاط لغوي، هذه الأفكار سيتبناها جون لانجشو أوستن، ليتابعها في نظرية الفعل الكلامي، ضبط وتحديد، وتوسيعا وتمديدا⁽¹⁾

وأساس هذه النظرية أن الناس عند توظيفهم للغة في إطار تواصلهم " ... فإنهم لا ينشؤون ألفاظا تحوي بنى نحوية وكلمات فقط، وإنما ينجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ"⁽²⁾ حيث " أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية (Actes locutoires)، إلى تحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires)، (كالطلب الأمر، والوعد،...)، وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)... ومن ثم إنجاز

(1). ينظر:ارنست بيتر، علم اللغة البراجماتي: الأسس، التطبيقات، المشكلات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، 2013، ص132، 133. وعلي محمد عديل عبد العزيز، التداولية وتحليل الخطاب الحجاجي: قراءات تحليلية في أسس الحجاج وبناء الاستدلال، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2016، ص47، 48.

(2). جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، ط1، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ص81.

شيء ما⁽¹⁾، وهي في الحقيقة الثلاثة أفعال المنبثقة من إنتاج الملفوظ الواحد. بحسب نظرية الأفعال الغرضية أو الإنجازية⁽²⁾ لأوستن التي تلت مرحلة الأفعال اللغوية الأدائية⁽³⁾

لقد توصل أوستن - من خلال نظريته للأفعال الغرضية السالفة - إلى نتيجة مفادها أن إنتاج الملفوظ الواحد يتزامن معه إنجاز ثلاثة أفعال لغوية، بيانها على النحو الآتي:⁽⁴⁾

- الفعل التعبيري (فعل الكلام): تنضم مكونات الملفوظ - الصوتية والصرفية التركيبية والدلالية - معا لتوليد القول وأداته بصورة تامة، ذات مغزى وإشارة محددتين.

- الفعل الغرضي (قوة فعل الكلام)، ويسمى كذلك الفعل الإنجازي : ويجري تصنيف القوة الغرضية إلى صنفين:

- قوة حرفية: حين يجرى الملفوظ على أصل إرساله، وحينها يؤشر للقوة الغرضية بصيغة الجملة، أو بأية خاصية أخرى كالتنغيم أو أداة الاستفهام أو صيغة الفعل.

- قوة مستلزمة أو مستفادة من وضعية التلفظ، حين يمتنع إجراء الملفوظ على أصله، وحينها يتم تعطيل المؤشرات الصيغة، مع تقوية الأغراض الأخرى المتواردة على الملفوظ نفسه.

- الفعل التأثيري (لازم فعل الكلام): وهو ما يهدف المتلفظ إلى ممارسته على أفكار المستمع وسلوكه انطلاقا من أن الفرد يتكلم ويعبر لا ليصوغ أفكارا فحسب، بل ليؤثر في غيره، معبرا عن انفعالاته ودوافعه واتجاهاته

(1). مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص54، 55.

(2). نظرية الأفعال الغرضية: ارتكزت نقطة انطلاق أوستن الجديدة على استكشاف البعد الأدائي داخل كل الملفوظات، وافترض الطبقة الإنجازية في أية بنية تحتية منها، مما يستتبع تقدير الطبقة المقامية المناسبة، بقصد تحريج جل الملفوظات لتنجز أفعالا لغوية، بمعنى أن حيازة الواحد منها لدلالة إخبارية مثلا لا يحول دون استهدافه الأمر أو التحذير أو الاستفهام، وقد اكتسبت رواج وشيوعا، وبات توضيح معنى الكلمة أو جزء منها بالرجوع إلى أفعال الكلام التي انجزت عند نطقها.

(3). نظرية المنطوقات الأدائية: استهل أوستن جهوده بهذه النظرية التي ميز فيها بين نوعين من المنطوقات: الأدائية، والتقريبية، ويخضع أو لهما إلى معياري الملاءمة والمخالفة، أما الثاني فيجري وفق معياري الصدق والكذب..

(4). ينظر: أوستن، جون لانجشو، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2008، ص123-139، الصياغة مستفادة من : علي محمد عدليل عبد العزيز، م س، ص50، 51.

وترتبط الأقسام الثلاثة السالفة برابط جوهري فيما بينها، وهو أن التلفظ بالمنطوق في سياق ما يعني أن المرسل:

- يقول شيئاً ما - ذا مغزى ودلالة محددتين - إلى المرسل إليه.
- يفعل فعلاً ما في ذلك القول الموجه إلى المرسل إليه.
- يؤثر في المرسل إليه بوساطة ذلك الفعل.

وفي مرحلة ختامية أدت جهود أوستن إلى تصنيفه للملفوظات إلى خمس مجموعات، تشارك في سمات وظيفية ونوعية محددة، الأفعال المتعلقة وهي الحكميات، والتنفيذيات، والوعديات، والسلوكيات، والعرضيات⁽¹⁾. وبما يأتي من جهود بعد أوستن، سيكتمل الشكل النهائي لنظرية الأفعال الكلامية مع سيرل.

1-2 نظرية الأفعال الكلامية مع جون سيرل J.Searl

بدأت إسهامات سيرل بتطوير نظرية الأفعال الغرضية " ... حيث انطلق من تقسيمات أوستن للأفعال إلى لفظية وإنجازية وتأثيرية، وعمق هذه الرؤية بفعل رابع هو القضيوي، وزاد من التعديلات على تقسيم المجالات الخمسة التي وضع أوستن قواعدها."⁽²⁾

كما اهتم بتطوير مفهوم الفعل اللغوي غير المباشر الذي " ... ينقل بها المتلفظ للمستمع معنى غير المعنى الحرفي، اعتماداً على خلفية التفاهم المشتركة بينهما، وكأن معنى الجملة يشكل جزءاً من معنى القول دون أن يستنفذه"⁽³⁾

والضابط في التمييز بين المباشر وغير المباشر يعود إلى علاقة بنية الكلام (من الصوت إلى الدلالة) والفعل المنجز، أو الوظيفة كما يسميها يول، " فكلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة، نحصل على فعل كلام

(1) ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة و عبد الرزاق الجماعي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2012، ص44، 45.

(2) علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، 2010، ص24.

(3) John R Searle, Indirect Speech Acts, in Cole, P & Morgan, J (eds), (Syntax and Semantics) نقلا عن: علي محمد عديل عبد . (58-82). PP, Speech Acts , Acadimic Press, New York, .1975. vol III , العزيز، م س، ص52.

مباشر direct speech act . بينما كلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة ، نحصل على فعل كلام غير مباشر indirect speech act . لذا، يعتبر استعمال البنية الخبيرة لتكوين جملة خبرية فعل كلام مباشر، ولكن استعمال البنية الخبيرة لتكوين طلب فعل ، كلام غير مباشر"⁽¹⁾، ومن أجل تحديد الفعل أمباشر أو غير مباشر يؤدي مقام الكلام الدور الأبرز في ذلك، باعتباره " فعالية يتفاعل فيها المشتركون من خلال اللغة بطريقة عرفية معينة للوصول إلى ناتج معين"⁽²⁾، يلتقي فيه المتكلم وسماعه.

1-2-1 تصنيف سيرل للأفعال اللغوية:

أنشأ سيرل تصنيفية للأعمال الإنجازية، متكونة من خمسة أقسام، وقد أعطى "فان إيمرن" و"روب خروتندورست"، لكل قسم بعدا حاجيا، وألحق به وظيفة إقناعية يؤديها، بوصفها جزء من فعل كلامي مركب هو الحجاج. وفيما يلي أنواع الأفعال الإنجازية كما وضعها سيرل واستثمرها "فان إيمرن" و"روب خروتندورست".

النوع الأول: الإقراريات (الإخبارات، الممثلات) (assertives):

وظيفتها التقرير والاثبات والإقرارات هي الأفعال الكلامية التي "يقر" بها المتكلم أو الكاتب بقضية ما، وبإنجاز فعل كلامي من هذا النوع، يتعهد الشخص بدرجة معينة من القوة بمقبولية قضية من القضايا"⁽³⁾ بحيث يظهر من خلالها إيمانه بالمحتوى، وسعيه لجعل كلماته تطابق العالم"⁽⁴⁾

والنموذج النمطي للفعل الإقراري إخبار يضمن فيه المتكلم أو الكاتب، بالفعل، صدق القضية.

(1). جورج يول، التداولية، م س، ص92.

(2). المرجع نفسه، ص94.

(3). فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، ترجمة عبد المجيد جحفة، ط 1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، 2016، ص82.

(4). ينظر: جورج يول، م.س، ص(89-90). و فيليب بلانشيه، م.س، ص47.

وظيفتها في الحجاج: "قد تظهر كل الإقرارات في نقاش نقدي، وقد تستخدم فقط للتعبير عن وجهة نظر يتعرض لها النقاش، ولكنها قد تشكل كذلك جزءا من الحجاج المقدم للدفاع عن وجهة النظر هاته، أو قد تستخدم لإنشاء نتيجة النقاش"⁽¹⁾

النوع الثاني : التوجيهات (الطلبات، الموجهات) (directives):

و هي أفعال كلامية، تنشئها رغبة وإرادة المتكلم أو الكاتب، في جعل السامع أو القارئ يفعل شيئا ما أو يحجم عن فعل شيء ما، مثل الأفعال الكلامية التي تفيد الطلب أو المنع.⁽²⁾
فلمتكلم عن طريق ما ينتجه من أوامر وتعليمات وطلبات ونواه ومقترحات، يهدف إلى جعل العالم متلائم ومتطابق مع الكلمات⁽³⁾

ونموذجها النمطي " عبارة عن أمر (order)، يقتضي وضعاً خاصاً للمتكلم أو الكاتب بالنظر إلى السامع أو القارئ: " تعال إلى غرفتي" لا تكون أمراً إلا إذا كان المتكلم في وضع من يمارس سلطة على السامع، وإلا كان طلباً أو دعوة، والسؤال توجيه يشكل نوعاً خاصاً من الطلب: إنه طلب من أجل إنجاز فعل لفظي - وهو الإجابة أو الرد على السؤال، ومن الأمثلة الأخرى للتوجيهات، الحظر، والتوصية والنصح، والالتماس، والتحدي."⁽⁴⁾

وظيفتها الحجاجية: يرى فان وروب أنه ليست كل التوجيهات تملك دوراً بنائياً في حل خلاف في الرأي، فقد تُستعمل لتحدي الطرف المنظر أو المجادل الذي قدم وجهة نظر للدفاع عن وجهة نظره، أو لدعوته لتقديم استدلال لصالح وجهة النظر، أو من يمكنه أن يكون حجة أو داعماً للحجة على وجهة النظر.⁽⁵⁾

(1) . ينظر: فرانز فان إمران، م.س، ص82،

(2) .فرانز فان إمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، م.س، ص84.

(3) . ينظر: جورج يول، التداولية، م.س، ص90. وفيليب بلانشيه، التداولية، م.س، ص48

(4) . ينظر: فرانز فان إمران وروب غروتندورست، م.س، ص84.

(5) . ينظر المرجع نفسه، ص84.

فالتوجيهات تقوم بدور كثرة الحجاج، ومن هذا الوجه يستعمله الخطيب في تمثين بنائه الحجاجي، وتنميته.

النوع الثالث: التعهدات (الوعديات، الملزمات) (commissives):

وهي أفعال كلامية، يلتزم من خلالها المتكلم بفعل مستقبلي، انطلاقاً من صدق نيته، مما يجعله في وضعية العامل على جعل العالم مطابقاً للكلمات⁽¹⁾، ففي التعهدات "يتعهد ... المتكلم أو الكاتب إزاء السامع أو القارئ بأن يقوم بشيء أو يمتنع عن القيام بشيء، وخلافاً للتوجيهات، ففي إنجاز فعل كلامي تعهدي يكون المتكلم أو الكاتب، وليس السامع أو القارئ، هو الذي يقوم بالفعل"⁽²⁾

ونموذجها النمطي "هو الوعد، حيث يتعهد المتكلم أو الكاتب بشكل صريح بأن يقوم بشيء أو يمتنع عن القيام بشيء: "أعد أنني لن أقول ذلك لأبيك". ويندرج القبول والاتفاق أيضاً في الأفعال التعهدية، بالطبع "قد يتعهد المتكلم أو الكاتب بالتزام قد لا يتحمس إليه السامع أو القارئ كثيراً: "أؤكد لك أنني سأبين أن أفكارك ليست جديرة بالاهتمام"⁽³⁾.

وظيفةها الحجاجية: يمكن للتعهديات أن تقوم بأدوار مختلفة في نقاش نقدي كما يلي: ⁽⁴⁾

1. قبول وجهة نظر أو عدم قبولها؛
2. قبول الاعتراض على الدفاع عن وجهة نظر؛
3. اتخاذ قرار الشروع في نقاش؛
4. الموافقة على لعب دور المناصر أو المناوئ؛
5. الموافقة على قواعد النقاش؛
6. قبول الحجاج أو عدم قبوله؛
7. اتخاذ قرار الشروع في نقاش جديد، متى كان ذلك وارداً.

(1). ينظر: جورج يول، التداولية، م.س، ص90. وفيليب بلانشيه، التداولية، م.س، ص48

(2). ينظر: فرانز فان إمبران وروب غروتندورست، م.س، ص84.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص84.

(4). المرجع نفسه، ص85

ولا يمكن لبعض الأفعال التعهدية، مثل الموافقة على قواعد النقاش، أن تنجز إلا بتعاون مع الطرف الآخر.

وحيث أن التعهدات تحمل وظيفة الالتزام، فهي تعاقدية في جوهرها، مما يجعلها في القول الخطابي ذي الاتجاه الواحد، تؤول إلى التأويل الضمني، حتى تتوافق مع الوضعية التواصلية للخطابة. ولعل أبرز ما تؤول إليه ادعاء محاور ضمني، يقترضه الخطيب ليتولى مهمة طرح أقوال تطعم وتدعم الحجاج موافقة مؤيدة، أو مخالفة ليست هادمة بل دافعة للحجاج نحو مستوى أعلى من القوة الحجاجية، حيث يغدو الحجاج عصيا على النقض، حينما يتجاوز معارضات المحاور الضمني. فيتحقق الإقناع.

النوع الرابع : التعبيرات (المعبرات، البوحيات)(Expressives):

وهي أفعال معبرة عن الحالة النفسية للمتكلم، تعكس ما يشعر ويحس به، فالمتكلم يسعى من خلالها إلى جعل الكلمات تلائم العالم (عالم الأحاسيس)⁽¹⁾. "ففي هذا النوع من الأفعال الكلامية، يعبر المتكلم أو الكاتب عن أحاسيسه بتهنئة أحدهم أو شكره، أو بإبداء أسفه لشيء ما، وما شابه ذلك: "تهاني الصادقة على توظيفك"، "شكرا على المساعدة"، "للأسف أن الأمور لم تتحسن"⁽²⁾.

نموذجها النمطي: ليس للتعبيريات، نموذج واحد بل تتعد بحسب الحالة المعبر عنها "فتعبيري الفرح قد يكون: "أنا سعيد بأن أراك تتعافى"، والتمني قد نعبر عنه بقولنا: "أتمنى أن أعثر على صديقة جميلة كهاته"، والسخط قد نعبر عنه بقولنا: "سئمت من تسكعك هنا طول الوقت"⁽³⁾.

وظيفتها الحجاجية: يرى فان وروب أن التعبيريات "لا تؤدي ... دورا مباشرا في النقاش النقدي ... لأن التعبير عن الأحاسيس والعواطف لا يخلق وحده تعهدات بالنسبة للمتكلم أو الكاتب تكون واردة مباشرة بحيث تكون أداة مباشرة في حل الخلاف في الرأي، بالطبع لا يعني هذا أن التعبيريات لا يمكن أن يكون لها أثر إيجابي أو سلبي على تقدم سيرورة الحل، فالشخص الذي يتحسر، مثلا لكون النقاش لن يفضي إلى شيء، أو هته غير مسرور بالنقاش، إنما يعبر عن إحساس، وهو عوض أن يساهم مباشرة في حل الخلاف في الرأي،

(1). ينظر: جورج يول، التداولية، م.س، ص90. و فيليب بلانشيه، التداولية، م.س، ص48

(2). ينظر: فرانز فان إمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية.م.س، ص85

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص85.

يهدد بصرف الانتباه عن سيرورة الحل، وهذا من شأنه أن يؤثر في الممارسة بشكل قوي على تقدم الأحداث اللاحقة.⁽¹⁾

إن التعبيرات وكما ذهب إليه فان وروب، لا تملك الخصائص اللازمة حتى تندرج ضمن خطاب جدي، مرتكزه الأساس- وقد يكون الوحيد أحيانا- على النظر العقلي، والنشاط الذهني، الذي لا يقبل الاحتمال وينزع نحو القطع.

لكن في القول الخطابي فإن للعواطف موقعها، ولأحاسيس دورها في إحداث الإقناع عند المتلقي، بل هي "حجة لا يقل تعويل الخطيب عليها في إقناع الجمهور عن تعويله على الحجج الأخرى وسائر أشكال الاستدلال، فالباتوس هو تلك العواطف التي إذا عرف الخطيب كيف يحركها في جمهوره ويوجهها الوجهة التي تخدم قضيته استطاع أن يؤثر في أحكامهم وما يحملونه حول تلك القضية من وجهات نظر، ويوجه من ثم رد فعلهم"⁽²⁾ فالفعل التعبيري ليس توجيه فقط لمشاعر المستمع بل هو شامل للخطيب والمستمع "بل إن الخطيب هو أول من تظهر عليه تلك العواطف والانفعالات فهو يمارس فن محاكاة العواطف (Art d'imitation des passion). لذلك شبهه شيشرون بالمثل ولم يرى فرقا بينهما إلا في أن الخطيب يتحرك على الواقع و"يمثل الحقيقة" في حين يتحرك الممثل على الركب ويضطلع بدور تخييلي"⁽³⁾. وبهذا يكون للتعبيرات في الخطابة وظيفة حاجية مهمة. لكن مع ذلك فهي تحتاج لإبرازها بحثا مستقلا، لذا سيقصر في هذا المقام على بيان القيمة الحاجية التي تحملها التعبيرات دون غوص في كيفية تشكلها وكيفية تلقيها، بما يتبع ذلك من دراسة نفسية واجتماعية للمتلقي.

(1). ينظر:فرانز فان إمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلوية،م.س، ص85

(2). عبيد حاتم، الباتوس: من الخطابة إلى تحليل الخطاب- من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف-، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، ج4(الحجاج والمراس)، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010،ص65،

(3). المرجع نفسه، ص68،

النوع الخامس: التصريحيات (الإعلانات) (declaratives):

وهي أفعال بواسطة كلماتها يغير المتكلم العالم بصورة مباشرة دون تطابق حاصل⁽¹⁾، فهي التي " ... يستدعي بموجبها المتكلم أو الكاتب وضعية مخصوصة، وذلك من قبيل أن يقول الرئيس "أفتح الجلسة"، إن مجرد إنجاز إعلان، شريطة أن يتم في الظروف الصحيحة، يخلق واقعا معيناً، عندما يتوجه رب العمل إلى أحد مستخدميهم قائلاً: "أنت مطرود"، فإنه لا يصف بذلك وضعا خاصا فحسب، بل إن ألفاظه تمنح الموجود لهذا الموضوع،..."⁽²⁾

نموذجها النمطي: تجري التصريحيات في سياقات خاصة حيث "تربط التصريحيات عموما بالسياقات المؤسسية، مثل اللقاءات الرسمية والمراسيم الدينية، حيث يكون من يرخص له بإنجاز الفعل الكلامي المعني واضحا،..."⁽³⁾

وظيفتها الحاجية: يرى روب وفان أنه "بغض النظر عن تصريحيات العادة"⁽⁴⁾، لا تلعب التصريحيات دورا مباشرا في نقاش نقدي لأنها تعتمد على سلطة المتكلم أو الكاتب في سياق مؤسسي مخصوص ولا تسهم بشكل مباشر في حل الخلاف في الرأي، في أحسن الأحوال، قد يؤدي إنجاز تصريحي إلى ترسيخ الخلاف في الرأي، ورغم ذلك، فتصريحيات العادة بإمكانها أن تؤدي وظيفة مفيدة جدا في النقاش النقدي، إنها تعزز فهم أفعال كلامية أخرى واردة، ولا يتطلب استخدامها علاقة مؤسسية خاصة، وقد تظهر تصريحيات العادة في أي مرحلة من مراحل النقاش،"⁽⁵⁾

(1). ينظر: جورج يول، التداولية، م.س، ص89. و فيليب بلانشيه، التداولية، م.س، ص48

(2). ينظر: فرانز فان إمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، م.س، ص86

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص86.

(4). تصريحيات العادة، وهي تلك الأفعال الكلامية التي تحيل على الاستعمال اللغوي وليست مربوطة بسياق مؤسسي مخصوص ...، الهدف من تصريحيات العادة، كالتعريفات والتخصصات والإفادات والإسهابات والتفسيرات، توسيع أو تسهيل فهم أفعال كلامية أخرى عند السامع أو القارئ وينجزها المتكلم أو الكاتب في نقاش نقدي لكي يبين كيف ينبغي تأويل فعل كلامي معين. "فرانز فان إمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، م.س، ص86

(5). ينظر: المرجع نفسه، ص86.

الفصل الرابع _____ حاجبية " مالم يقل " من التديل إلى التخبيل

وهذا النوع من الصريحيات ذو أهمية بالغة في البناء الخطابي، لا سيما في المقامات المخصصة، دنيا أو عليا، حيث تستوجب طبيعة المتلقي، توظيف تصريحات العادة، من أجل سبك وحبك النسيج الخطابي من جهة، وتدعيم البنية الحجاجية بما يمكنه أن يجمع متفرقتها، ويقارب بين متباعدها، اعتمادا على التعريفات والتخصصات والإفاضات والإسهابات والتفسيرات.

وبعد هذه النظرة الموجزة التي أظهرت من خلالها أنواع الأفعال الكلامية التي يمكنها أن تؤدي دورا بناء في خطاب جدلي، وبما تم استدراكه حتى تتلاءم مع خطاب الإقناعي حُطبي، يمكن أن نعدد هذه الأفعال الكلامية، مربوطة بدورها الحجاجي كالآتي⁽¹⁾:

دوره الحجاجي	الفعل الكلامي
<ul style="list-style-type: none"> - التعبير عن وجهة نظر - التقدم بالحجاج - تأييد وجهة النظر أو سحبها - إقامة النتيجة 	<p>الإقرايات) (الإخبارات، المثالات) (assertives)</p>
<ul style="list-style-type: none"> - تحدي الدفاع عن وجهة نظر - التماس الحجاج - التماس تصريح عاده 	<p>التوجيهات) (الطلبات، الموجهات) (directives)</p>
<ul style="list-style-type: none"> - قبول وجهة النظر (المفترضة من الخطيب) أو عدم قبولها، تأييد عدم قبولها - قبول تحدي الدفاع عن وجهة النظر. - اتخاذ قرار الشروع في نقاش (ضمني مفترض)، - النقاش (بين ذات الخطيب المتكلمة، وذاته الحاورة) - قبول الحجاج و وجهة النظر من الذات الضمنية الحاورة 	<p>التعهدات (الوعديات، الملزمات) (commissives)</p>

(1). ينظر: فرانز فان إمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، م.س، ص 87.

<ul style="list-style-type: none"> - التأثير في أحكام المستمع، حمله على القبول؛ - عطف القلوب النافرة، وقذف اليقين في النفوس الشاكرة. - استدراج المتلقي نحو الاندماج في العملية الحاجبية. - مضاعفة الطاقة التجسيدية للقضايا المعروضة، بوصف التجسيد إشهاد تخييلي على صدق الحكم المتعلق بالقضية؛ 	<p>التعبيريات) (المعبرات، البوحيات)(Expressives)</p>
<ul style="list-style-type: none"> - تعريف، تخصيص، توسيع،... إلخ. 	<p>التصريحيات) (الإعلانات) (declaratives)</p>

1-2-2-1 حاجبية أفعال الكلام من الجمل إلى متوالياتها:

تعدُّ نظرية أفعال الكلام من أهم المباحث في مجال تحليل الخطاب. من منطلق أن الخطاب عبارة عن تسلسل متواليات أفعال كلام، ولقد بات مفهوم الفعل الكلامي محوريا من الناحية التداولية، وأصبح من الضروري تناول البنات الكبرى المتكونة من أفعال كلامية متعالقة مما يتيح إمكانية تحليل فعل كلامي أعلى سيسمى مركبا، لا يمكن تحصيله من الأفعال الكلامية البسيطة، وسيكون له موقع مركزي في تحليل الخطاب الحاجبي وسيره،⁽¹⁾ بحيث " سيحتل فعل الكلام موقع الأساس من النشاط الحاجبي"⁽²⁾ لا على مستوى الجملة، ولكن من منظور أوسع، نضا وخطابا⁽³⁾،

إن نظرية أفعال الكلام في أصلها تقوم على دراسة التواصل اللغوي، دراسة جمالية، تهتم بما تحمله الجملة من قضية، وفعل، وإنجاز وأثر، وهي في كل ذلك تخدم الحاجج، وتصنع الإقناع عبر الأفعال المباشرة أو

⁽¹⁾ . ينظر: فان دايك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، دط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2013، ص35.

⁽²⁾ . . رشيد الراضي، "الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكروم س، ص233

⁽³⁾ . برينكر كلاوس، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2010، ص133.

غير المباشرة، بيد أن " الفعل الحجاجي يقتضي، بموجب خاصيته النظامية، أن توضع له مقولات وقواعد متميزة تكون مستقلة عن مقولات وقواعد هذه الأفعال اللغوية البسيطة الداخلة في تركيبه، وتكون حاکمة على هذه الأفعال اللغوية لا محكومة بها، أو قل باختصار إن الأصل هنا هو الحجاج والفرع هو الفعل اللغوي البسيط..."⁽¹⁾، وبناء على هذا الانتقاد تولى «فرانز فان إيمرن Frans van Eemern» « روب غروتندورست Rob Grootendorst» إعطاء تصور نظري للحجاج يقوم على أنه " فعل لغوي مركب الغرض منه تبرير اقتراح أو دحضه" من خلال كتابهما " الأفعال اللغوية في النقاشات الحجاجية"⁽²⁾، ومعنى ذلك " أن الحجة فعل تكلمي لغوي مؤلف من أفعال تكلمية فرعية وموجه، إلى إثبات أو إبطال دعوى معينة."⁽³⁾، وفي سياق شرح مقترحهما عملا على تحديد الحدود بين البسيط والمركب، والتواصل والتفاعلي كما يلي:

• التواصل والتفاعلي:⁽⁴⁾

- تؤدي الكلمات والتعابير التي يستعملها المتكلم وظائف تواصلية وتفاعلية
- تقوم الملفوظات بوظيفة التبليغ في حالة التواصل. ويحدث أثر و استثارته في حالة التفاعل.
- الأثر التواصلية هو الأثر المترتب عن فهم أفعال اللغة والتعرف على قضاياها، التي ضمنها المتكلم ملفوظه.
- الفعل التفاعلي هو ناتج تجاوب المتلقي، وقبوله الفعل اللغوي الموظف من قبل المتكلم.
- الفعل التواصلية متعلق بالبحث عن الفهم.
- الفعل التفاعلي متعلق بالبحث عن القبول.
- قد تختلف درجة فهم الفعل اللغوي عن درجة قبوله، فمحدد الفهم، توجهه ثنائيتا (قبول، رفض) (كلي، جزئي)، فقد يتزوج الفهم الكلي مع القبول الكلي، أو مع رفض كلي أو قبول جزئي، وهكذا.

(1). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص264.

(2). ينظر: فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، م.س، ص22.

(3). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط 1، م.س، ص262.

(4). ينظر: فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست، "الحجاج فعل لغوي مركب"، ترجمة: ياسين ساوير المنصوري، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ اسماعيل علوي، ج5(نصوص مترجمة)، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص197، 198..

- ترتبط الجوانب التواصلية بالتفاعلية برابط يزيد أو ينقص ولكن لا ينقطع، ولا ينعدم، وإن بدا كذلك فهو موجود ضمنا يدل عليه السياق.

• البسيط والمركب:

1- الأفعال الكلامية البسيطة تتكوّن من ملفوظ واحد، والحجاج بوصفه مركب أفعال يتكوّن من ملفوظات عدة. وما كان في ظاهره أنه ملفوظ واحد، كان له جزء من الحجاج مضمّر.

2- تقوم الملفوظات التي تبني الحجاج بوظيفتين تواصليتين في الوقت نفسه، دون أن تكون الوظيفة الثانية ناتجة عن كون الحجاج فعلا غير مباشر، وبماثل الحجاج في هذه الخاصية أفعال كلامية مركبة أخرى من قبيل التفسير، التخييل، السرد، التوضيح، التصوير... الخ.

3- فعل الحجاج ليس مستقلا، وإنما يرتبط بفعل لغوي آخر يعبر عن الدعوى محل الحجاج.

4- وبناء على هذه الفروق كان فعل الحجاج فعلا نصيا يمارس وظيفته التواصلية داخل النص، في حين تؤدي الأفعال البسيطة وظيفتها في الجملة، وإن كان الحجاج يشترك مع أفعال كلامية مركبة أخرى من قبيل التفسير، التخييل، السرد، التوضيح، التصوير... في كونها نصية، فإنه يختلف عنها في أنه لا يطلب مجرد التسليم، بل يتطلع إلى القبول، وإن أجري الحجاج مجرى التخييل فإنما ذلك على سبيل المسلم به المستعلي عن الشك

1-2-2-1 شروط الحجاج بوصفه فعلا لغويا مركبا:

إن بناء الحجاج بوصفه فعلا كلاميا مركبا يقتضي شروطا ما. "وأخذا بمبدأ "سيرل" في تحديد شروط أداء الفعل اللغوي، تولى «فرانز فان إيمرن Frans van Eemern» و «روب غروتندورست Rob Grootendorst» استقصاء الشروط التي يؤدي استيفؤها إلى توفيق المتكلم في أداء "فعل الحجاج"⁽¹⁾ ولكي تكون مجموعة من الملفوظات حجاجا أو "فعلا حجاجيا مركبا لا بد من استيفاء صنفين من الشروط التحديدية"⁽²⁾ هي الآتية:

(1). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. م س، ص 262.

(2). ينظر: فرانز فان إيمرن وروب غروتندورست، الحجاج فعل لغوي مركب، م.س، ص 201.

1- شروط المضمون القضويّ : إنّ كلّ واحد من المنطوقات 1،2،...،ن يحقق فعلا لغويًا بسيطاً 1أو2... أون يفيد التزاماً تجاه القضايا المعبر عنها.

2- الشرط الجوهري : إنّ تحقيق مجموع أفعال اللّغة البسيطة؛ يعني أنّ المتكلم يسعى إلى تعليل "ب"؛ أي إلى جعل المتلقي يعقل بأنّ ادّعاءه لـ "ب" مقبول. وهذان الشرطان كما هما لإثبات الدعوى، فهما أيضاً مشروطان لإبطلها في سياق النقض.⁽¹⁾

. إن هذه الشروط حقا قد تجعل من ملفوظات فعلا حججيا، لكن حتى يصير هذا الفعل صحيحا لا بد من الشروط التصحيحية التالية:⁽²⁾

1- الشروط الابتدائية:

أ- أن يعتقد المتكلم أنّ المستمع لا يقبل ادّعاءه لـ "ب" أو على الأقل لا يقبل تلقائياً أو كلياً ذلك الادّعاء.

ب- يعتقد المتكلم أنّ المستمع مستعدّ لقبول كلّ قضية من القضايا التي تعبر عنها الأفعال البسيطة 1، 2،...،ن.

ج- يعتقد المتكلم أنّ المستمع مستعدّ لقبول مجموع الأفعال البسيطة 1،2،...،ن، من حيث هي تعليل مقبول لـ "ب".

2- الشروط الالتزامية

أ- يعتقد المتكلم أنّ ادّعاءه لـ "ب" مقبول.

ب- يعتقد المتكلم أنّ القضايا التي تعبر عنها الأفعال البسيطة 1،2،...،ن مقبولة.

ج- يعتقد المتكلم أنّ مجموع الأفعال الكلامية البسيطة 1،2،...،ن تعليل مقبول لـ "ب".

وبعد بيان الشروط التي تسمح بإنشاء الحجج فعلا كلاميا مركبا، يحلل فان وروب حججيا الخطاب الآتي:

⁽¹⁾ ينظر: فرانز فان إمران وروب غروتندورست، الحجج فعل لغوي مركب، م.س،ص262.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص201،202.

" ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة لأن عمرها يقارب الواحد والستين و قلبها يفرق بسهولة وتقاعدها لا يؤهلها لابتعاى سيارة"

• متبعين الخطوات التالية:

- شروط فعل الحجاج المركب وآثره

المستوى الجملي	أفعال اللغة البسيطة	1-عمرها 61 سنة 2-قلبها يفرق بسهولة 3-ليست لها الإمكانيات لإتباع سيارة	ستحسن صنعا بأن لا تأخذ دروسا في السياقة
المستوى النصي	فعل اللغة المركب	الحجاج	الدعوى

شروط المضمون القضوي	تعبّر عن التزام بصدد مقبولة القضايا -عمرها 61 سنة -يفرق قلبها بسهولة -ليست لها الإمكانيات لشراء سيارة
الشرط الجوهرى	إن تحقيق (1)- (3) يعتبر محاولة يقوم بها المتكلم (م) لكي يعقل المتلقي (ق) بأن دعواه مقبولة والتي هي: ستحسن صنعا بعدم تلقيها دروسا في السياقة.
الشروط الابتدائية	1-يعتقد (م) أن (ق) لا يقبل دعواه ستحسن صنعا بعدم تلقيها دروسا في السياقة 2-يعتقد (م) أن (ق) سيقبل القضايا المعبر عنها في (1)- (3) 3-يعتقد (م) أن (ق) سيقبل جملة القضايا (1)- (3) كتعليل للقضية ستحسن صنعا بعدم تلقيها دروسا في السياقة.
الشروط الالتزامية	1-يعتقد (م) أن الدعوى ستحسن صنعا بعدم تلقيها دروسا في السياقة مقبولة 2-يعتقد (م) أن القضايا المعبر عنها في (1)- (3) مقبولة 3-يعتقد (م) أن جملة القضايا (1)- (3) تشكل تعليلا مقبولا للقضية ستحست صنعا بعدم تلقيها دروسا في السياقة.
الأثر التواصلى (الفهم)	يفهم (ق) أن (1)- (3) تشكل حجاجا عن الدعوى ستحسن صنعا بعدم تلقيها

الفصل الرابع _____ حاجية " مالم يقلد " من التدليل إلى التخييل

دروسا في السياقة.	
يقبل (ق) (1)-(3) كتعليل للقضية " ستكون قد أحسنت صنعا بعدم تلقيها دروسا في السياقة".	الشرط التفاعلي (القبول)

ولأن الفعل اللغوي الذي يركب الحجاج، قد لا يمكن، إجراؤه على حرفيته، وتطبيقه، في تحليل الحجاج بحسب مضمونه القضوي، -أي أن الفعل الحجاجي المركب للحجاج قد يكون غير مباشر-، وهنا يلجأ إلى التأويل حيث "يرى إيمرن أنه إذا كان المعنى الحرفي وحده لا يقدم معنى، سنحاول أن نؤول الفعل التواصلي كفعل لغوي غير مباشر، فنأخذ بعين الاعتبار مبدأ التعاون، ومسلمات الحوار... لأنه لا بد من إنجاز التأويل الحجاجي، وإعادة بناء الخطاب لخدمة الحجاج"⁽¹⁾، الذي يعد فعلا تواصليا وتفاعليا، مقاميا.

وبناء على رؤية فان إيمرن وروب غروتندورست، للحجاج بوصفه فعلا كلاميا مركبا، وما اقترحه من خطأة تحليلية له، سأقوم بتحليل نماذج تطبيقية، لكن أقترح بعض التعديل الذي أرى أنه يعطي صورة أوضح لاشتغال أفعال الكلام في النشاط الحجاجي. ومن أهم ما يعدل هي مراحل البناء الحجاجي، التي تتفق مع النمط الجدلي عند إيمرين وروب، في جوانب وتختلف في أخرى، لذا سأعتمد بدلا عن مراحل (الافتتاح، المواجه، النقاش، والختام)، المراحل (الاستهلال، عرض الوقائع، النقاش، الختام).⁽²⁾، إذ " ما زالت أغلبية الخطابات الحجاجية حتى وقتنا الحاضر-أيضا- تسير على هذا المنوال"⁽³⁾، والذي ندرسه مطبقا على الخطابة العربية فيما يأتي:

وإذا كنا في التطبيقات السابقة اقتصرنا على الخطب الموجهة للجمهور فردا، أو جماعة في قضية عامة، فإن المثال المنتقى الآن عبارة عن وصية وهي نوع من الخطبة، توجه في قضية خاصة.

(1) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط 1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2005، ص 123.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 20، 21.

(3) فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، م س، ص 142.

• المثال:

• وصية موسى بن سعيد العنسي لابنه: (1)

قال أبو الحسن علي بن موسى بن مُجَدِّد بن عبد الملك بن سعيد العنسي: لما أردت النهوض من ثعر الإسكندرية إلى القاهرة، أول وصولي إلى الإسكندرية رأى أبي أن يكتب لي وصية أجعلها إمامًا في الغربية، فبقي فيها أياما إلى أن كتبتها عنه، وهي هذه:

• **مقام الخطبة (الوصية):** مقام الخطبة إلقاء وصية، بما تتضمنه الوصية من حرص على الخير كل الخير للموصى له، وإرشاده إلى تجنب كل ما يمكن أن يجلب الشر إليه، وقد عمد الموصي إلى نظم وصاياه في نص شعري، والشعر مضنة الحفظ والتذكر له، والتمثل به، وعليه.

ومع طول هذا النص الشعري رأى الموصي أن يقتطف لابنه من ذلك النظم أجمل الهدايا، وأنبل الوصايا، ويدلّه على ما فيه من أجمل الخبايا. فكان بدلا عن النظم نثرٌ وعن الشعر فكرٌ. وإن ظلا (النثر والفكر) بالشعر والنظم، متزنان، وعليهما في أحيان كثيرة معتمدان.

• قيمة الخطبة: (الوصية)

هي وصية لو قيلت في جموع الناس قرنا بعد قرن، و جيلا بعد جيل، وعقدا بعد عقد، و عام بعد عام لكانت أنفع الخطب لبني البشر، من جهة أنهم إنسٌ لا بد لهم من الأنس، فهي قاعدة لبناء كل معاملة، وخطبة يُستهدى بها في فقه كل رابطة وعلاقة، بين الناس؛ دائمة أو زائلة.

وتأخذ الخطبة قيمتها من أنها وصية لغريب، والغريب جديد وحديث معرفة بمن يلقي، فمثله كل إنسان بلغ مبلغ العاقل المميز، قد خرج من بلدة الطفولة الآمنة البريئة، إلى برية الشباب والكهولة اللئيمة الجريئة، والمآكرة الدنيئة. فهو إلى تلك الوصايا أفقر، وحاجته إليها أعظم وأكبر.

وفيما يلي تحليل حاجبي، إقناعي إمتاعي، لأهم المواضع، وإن كانت كلها مهمة.

إن أبرز ما تتميز به هذه الوصية تنظيمها بوضوح بما يتوافق مع النظرة البلاغية التي تقسم مرحلة تنظيم الخطبة إلى الاستهلال، عرض الوقائع، النقاش، الختام .

(1). أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س، ج3، ص(208-2017).

- مرحلة الاستهلال: وهي مرحلة يستهدف الخطيب الاستحواذ على انتباه السامعين، وتقديم التصميم العام لخطابه وهي في قوله:

" يا بُيِّ الذي لا ناصح له مثلي، ولا منصوح لي مثله، قد قدمت لك في هذا
النظم ما إن أخطرتَه بخاطرك في كل أوان، رجوتُ لك حسن العاقبة إن شاء الله
تعالى، وإن أخفَّ منه للحفظ، وأعلقَ بالفكر، وأحقَّ بالتقدم قول الأول:...."

1- الهيكل الحجاجي:

الأفعال للحجاج	المكونة	نوعه	صنفه	دعواه الجزئية
يا بُيِّ الذي لا ناصح له مثلي،	غير مباشر، فأصله الطلب وخرج للتعبير والتوجيه، فليس غرضه التعبير بل الحث على السماع	غير مباشر، فأصله الطلب وخرج للتعبير والتوجيه، فليس غرضه التعبير بل الحث على السماع	أصله طلبي وخرج للتعبير والتوجيه، فليس غرضه التعبير بل الحث على السماع	فاسمع ما أقول
ولا منصوح لي مثله	غير مباشر، مثل السابق،	غير مباشر، مثل السابق،	إخباري تقريبي، خرج إلى التعبيري.	فسأجتهد في دلالته على الخير، وتحذيره الشر.
قد قدمت لك في هذا النظم ما إن أخطرتَه بخاطرك في	غير مباشر،	غير مباشر،	أصله الإخبار والتقرير وخرج إلى الإرشاد والتوجيه	قدمت لك كنزا لا ينضب ماءه فهو نافعك دائما، بإذن الله.

كل أوان، رجوتُ لك حسن العاقبة إن شاء الله تعالى	تحضيفا على التفكر .	
وإن أخفَّ منه للحفظ، وأعلَقَ بالفكر، وأحَقَّ بالتقدم [ما يلي]	تصريح عادة	مباشر .
الدعوى الكلية : يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك وفكرك مع ما سأقول.		

2- شروط النجاح:

شروط المضمون القضوي	تعبّر عن التزام بصدد مقبولة القضايا: 1 - يا بُنيَّ الذي لا ناصح له مثلي؛ 2 - ولا منصوح لي مثله؛ 3 - قد قدمت لك في هذا النظم ما إن أخطرتَه بخاطرك في كل أوان، رجوتُ لك حسن العاقبة إن شاء الله تعالى؛ 4 - وإن أخفَّ منه للحفظ، وأعلَقَ بالفكر، وأحَقَّ بالتقدم، [التالي]
الشرط الجوهرى	إن تحقيق (1)-(4) يعتبر محاولة يقوم بها المتكلم (م)، الموصى (موسى بن سعيد العنسي) لكي يُعقل المتلقي (ق)، الموصى (ابن موسى) بأن دعواه مقبولة والتي هي: يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك وفكرك مع ما سأقول..
الشروط الابتدائية	1 - يعتقد (م) أن (ق) لا يقبل دعواه " يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك وفكرك مع ما سأقول"؛ 2 - يعتقد (م) أن (ق) سيقبل القضايا المعبر عنها في (1)- (4)؛ 3 - يعتقد (م) أن (ق) سيقبل جملة القضايا (1)-(4) كتعليل لل قضية " يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك

وفكرك مع ما سأقول"	
1 - يعتقد(م) أن الدعوى " يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك وفكرك مع ما سأقول " مقبولة؛ 2 - يعتقد (م) أن القضايا المعبر عنها في (1)-(4) مقبولة؛ 3 - يعتقد (م) جملة القضايا (1)-(4) تشكل تعليلا مقبولا للقضية" يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك وفكرك مع ما سأقول"	الشروط الالتزامية
يفهم(ق) أن (1)-(4) تشكل حجاجا عن الدعوى " يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك وفكرك مع ما سأقول"	الأثر التواصلي(الفهم)
يقبل(ق) (1)-(4) كتعليل للقضية "" يجب أن تعبرني سمعك، وتفتح لي قلبك، وتديم عقلك وفكرك مع ما سأقول"	الشرط التفاعلي (القبول)

3- فحص الشائبة (تواصل، تفاعل)، أو مدى نجاح الحجاج:

تبين البنية الحجاجية السابقة، اجتهاد الموصي(م) في إقناع الموصى(ق)، بقضية وجوب أن يعبره الموصى السمع، ويفتح له القلب، ويديم العقل والفكر مع ما سيقول، ومن الناحية التواصلية فإن الأفعال الموظفة تؤدي إلى فهم كلي، فليس فيها لبس، ولا يعوزه الصدق فهي من ابن لابنه، أما عن الجانب التفاعلي فتقديرا، يبدو القبول من الموصى هو ما سيلقاه الفعل الحجاجي من الموصي، لقوة الحجج أولا، ولاتكائها على الإثارة العاطفية ثانيا، ووضوح المقصد ثالثا.

- مرحلة السرد والإثبات أو عرض الوقائع والنقاش: وفي هذه المرحلة يبدأ بالسرد وينتقل إلى الإثبات بالحجج، لكن قد لا يتميز السرد من الإثبات فتبدو قطعة واحدة، كما هو الحال في هذه الوصية، وقد ابتدأها الموصي بتكثيف لمعان كريمة، وقيم عالية، ومبادئ راسخة، يقوم عليها بنیان العلاقات بين الناس، ويدوم.

وفيما يلي هيكلية الحجاج في هذه المرحلة.

وهي في قوله:

"يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن: حسن الأدب
وثانية: حسن أخلاقه ... وثالثة: اجتناب الرّيب
وإذا اعتبرت هذه الثلاثة، ولزمتها في الغربية، رأيتها جامعة نافعة، لا يَلْحَقُك
إن شاء الله مع استعمالها نَدَم، ولا يفارقك بَرٌّ ولا كَرَم، والله دَرُّ القائل:
يُعَدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً ... وإن لم يكن في قومه بحسب
إذا حَلَّ أرضاً عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب
وما قصر القائل حيث قال:
واصبر على خُلُق من نعاشره ... ودَارِهِ، فالليب مَنْ دَارَى
واتَّخَذِ الناس كلهم سَكناً ... ومَثَل الأرض كلها داراً
واصغِ يا بُنَيَّ إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر، وسَلِّم الكرم والصبر:
ولو أنَّ أوطان الديار نَبَتْ بكم ... لسكنتم الأخلاق والآداب
إذ حسن الخلق أكرم نزيل، والأدب أرحب منزل، ولتكن كما قال بعضهم
في أديب متغرب: "وكان كلما طرأ على ملك، فكأنه معه وُلْد، وإليه قُصِد،
غير مُسْتَرِيب بدهره، ولا مُنْكَرًا شيئاً من أمره"،

1- الهيكل الحجاجي:

الأفعال المكونة للحجاج	نوعه	صنفه	دعواه الجزئية
يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن حسن الأدب وثانية: حسن أخلاقه ...	غير مباشر	أصله تقريرى، وخرج في معرض النصح إلى الطلبي التوجيهي، إرشادا	تزيّن بحسن الأدب والخلق، والبعد عن التهمة،

			وثالثة: اجتناب الرّيب
الزم الثلاثة حال	أصله تعهدي، وعددي، وخرج في معرض الحض إلى الطلبي التوجيهي // // // //	غير مباشر // //	- وإذا اعتبرت هذه الثلاثة، ولزمتها في الغربية، رأيتها جامعة نافعة. - لا يَلْحَقُكَ إن شاء الله مع استعمالها نَدَم، ولا يفارقك بُرٌّ ولا كَرَم،
كن عاقلا	أصله تقريرى، خرج إلى التوجيه، إرشادا أصله تقريرى، خرج إلى التوجيه، إرشادا	غير مباشر غير مباشر	- يُعَدُّ رفيع القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن في قومه بحسب - إذا حلَّ أرضا عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب
اصبر ودار فالصبر والمداواة أس معاشره الناس.	طلبي، أصله تقريرى ، خرج إلى الطلب والتوجيه، إرشادا	مباشر. غير مباشر	- واصبر على خُلُق من نعاشره ... ودّاره، فالليب مَنْ دَارَى
كن ألوفا للعباد والبلاد	طلبي، توجيهي ، لغرض الإرشاد	مباشر	- وَأَخَذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا ... وَمَثَلِ الْأَرْضِ كُلِّهَا دَارًا
الزم مكارم الأخلاق	أصله تعهدي، وعددي، وخرج في معرض الحض إلى الطلبي التوجيهي	غير مباشر	- ولو أنّ أوطان الديار نَبَتْ بكم ... لسكنتم الأخلاق والآداب
لتكن منزلا لمكارم	أصلهما تقريرى،	فعالان غير	- حسن الخلق أكرم

نزيل، والأدب أرحب منزل،	مباشران	وخرجا إلى الطلي نصحا وإرشادا	الأخلاق، وتزيّ بها، وليكن الأدب منزلك بين الناس. وليعرفوك به. اجعل الأديب الغريب قدوتك
-ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب: "وكان كلما طراً على ملك، فكأنه معه وُلد، وإليه فُصد، غير مُستَرَب بدهره، ولا مُنكرا شيئاً من أمره"،	فعل مباشر	طلبي توجيهي	
الدعوى الكلية : عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك.			

2- شروط النجاح:

شروط المضمون القضوي	تعبّر عن التزام بصدد مقبولة القضايا:
	1 - يزين الغريب إذا ما اغترب... ثلاث فممنهن حسن الأدب وثانية: حسن أخلاقه ... وثالثة: اجتناب الرّيب
	2 - وإذا اعتبرت هذه الثلاثة، ولزمتها في الغربية، رأيتها جامعة نافعة.
	3- لا يَلْحَقُكَ إن شاء الله مع استعمالها نَدَم، ولا يفارقك برُّ ولا كَرَم،
	4- يُعَدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً ... وإن لم يكن في قومه بحسب
	5- إذا حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب
	6- واصبر على حُلُق من نعاشره ... ودأره، فالليب من دأرى
	7- واتَّخِذِ الناس كلهم سكناً ... ومثّل الأرض كلها داراً
	8- ولو أنّ أوطان الديار نَبَتْ بكم ... لسكنتم الأخلاق

<p>والآداب</p> <p>9- حسن الخلق أكرم نزيل، والأدب أرحب منزل،</p> <p>10- ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب: "وكان كلما طراً على ملك، فكأنه معه وُلِد، وإليه قُصِد، غير مُشْتَرِب بدهره، ولا مُنْكَرًا شيئًا من أمره"،</p>	
<p>إن تحقيق (1)-(10) يعتبر محاولة يقوم بها المتكلم (م)، الموصي (موسى بن سعيد العنسي) لكي يُعقل المتلقي (ق)، الموصى (ابن موسى) بأن دعواه مقبولة والتي هي: "عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك".</p>	<p>الشرط الجوهرى</p>
<p>1 - يعتقد (م) أن (ق) لا يقبل دعواه " عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك"؛</p> <p>2 - يعتقد (م) أن (ق) سيقبل القضايا المعبر عنها في (1)-(10)؛</p> <p>3 - يعتقد (م) أن (ق) سيقبل جملة القضايا (1)-(10) كتعليل للقضية " عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك".</p>	<p>الشروط الابتدائية</p>
<p>1 - يعتقد (م) أن الدعوى " عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك".</p> <p>2 - يعتقد (م) أن القضايا المعبر عنها في (1)-(10) مقبولة؛</p>	<p>الشروط الالتزامية</p>

<p>3 - يعتقد (م) جملة القضايا (1)-(10) تشكل تعليلا مقبولا للقضية " عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك "</p>	
<p>يفهم (ق) أن (1)-(10) تشكل حجاجا عن الدعوى " عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك. "</p>	<p>الأثر التواصلي (الفهم)</p>
<p>يقبل (ق) (1)-(10) كتعليل للقضية " عليك بالأدب فاجعله رداءك، الذي تلقى به الناس، وتحلى بالخلق الكريم، فاجعله قرينك وهاديك، واربط تصرفاتك بالعقل والصبر على من يؤذيك. "</p>	<p>الشرط التفاعلي (القبول)</p>

3- فحص الثنائية (تواصل، تفاعل)، أو مدى نجاح الحجاج:

تبين البنية الحجاجية السابقة، اجتهاد الموصي (م) في إقناع الموصى (ق)، بقضية وجوب: أن يلزم الموصى الأدب، ويتحلى بالخلق، ويتجمل بالعقل والصبر، ومن الناحية التواصلية فإن الأفعال الموظفة تؤدي إلى فهم كلي، فليس فيها لبس، ولا يعوزه الصدق بل يؤيده كلام النبوة، وغيره من الحكماء، بل وكلام رب العالمين، أما عن الجانب التفاعلي؛ فتقديرا، يبدو القبول من الموصى هو ما سيلقاه الفعل الحجاجي من الموصي، لقوة الحجج أولا، ولاتكائها على الاستشهاد من كلام الشعراء ثانيا، ووضوح المقصد ثالثا.

وبعد أن سرد الخطيب الوقائع، متمثلة في التأكيد على رفعة وعلو وسمو مكانة الأدب والخلق والصبر، والعقل والمداراة، وبعد إثباتها عن طريق الحجج، جعلها مرتكزا لما يأتي من توظيف لهذه المبادئ في دنيا الناس، منها:

- طريق اكتساب صديق، ومحافضة عليه، ثم عدم الوثوق به وثوقا أعمى، فعهد الناس التقلب، ورب صديق أضحى عدوا، ورب عدو أمسى قريبا، وكما يعامل المرافق القرين، فإن معاملة باقي الناس بالتوسط بين القرب منهم حتى الملل، والجفاء عنهم حتى لا تخطر لهم على بال ولا يتفكر في ذكرك عقل.

- وإذا أثمرت عقول السابقين معرفة وخبرة، فلنُستثمر فإن إعادة اكتشافها مضيعة وقت، وإرهاق فكر.
- الاستكثار من الصداقات، مع ضابطها والحذر من العداوات، وتجنب استشارتها.

وبمثل هذه الارشادات القيّمة حفلت الوصية، ولأن المقام مقام تطبيق على الفعل الحجاجي المركب، لامقام إرشاد وتوجيه وإن كان قيّما لا ينكر، فإن نكتفي بما مضى ، ونختمه، بتمظهر الحجاج فعلا لغويا مركبا في مرحلة الختام من هذه الوصية.

- مرحلة الختام أو الخاتمة: وهي في قوله:

" والأمثال يضربها لذي اللبِّ الحكيم، وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم،
والفطن يقنع بالقليل، ويستدلّ باليسير، والله سبحانه خليفتي عليك، لا ربَّ سواه.

1- الهيكل الحجاجي:

الأفعال للحجاج	المكونة	نوعه	صنفه	دعواه الجزئية
- والأمثال يضربها لذي اللبِّ الحكيم،	غير مباشر،	أصله تقريرى خرج مخرج الطلبي التوجيهي حضا	فاعقل فحواها، واعمل بمقتضاها	
- وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم	غير مباشر،	أصله تقريرى خرج مخرج الطلبي التوجيهي حضا	اسلك المستقيم من السبل.	
- والفطن يقنع بالقليل، ويستدلّ باليسير	غير مباشر،	أصله تقريرى خرج مخرج الطلبي التوجيهي تنبيها	كن فطنا، لبيبا.	
- والله سبحانه خليفتي عليك، لا	غير مباشر.	تقريرى إخباري خرج مخرج الطلبي	حفظك الله عز وجل، ووفقك.	

ربّ سواه	دعاءً	
الدعوى الكلية : كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وينالك بالعمل به خير وافر وجزيل.		

2- شروط النجاح:

شروط المضمون القضوي	تعبّر عن التزام بصدد مقبولة القضايا: 1 - والأمثال يضر بها لذي اللبّ الحكيم، 2 - وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم 3 - والفطن يقنع بالقليل، ويستدلّ باليسير 4 - والله سبحانه خليفتي عليك، لا ربّ سواه.
الشرط الجوهرى	إن تحقيق (1)-(4) يعتبر محاولة يقوم بها المتكلم(م)، الموصى (موسى بن سعيد العنسي) لكي يُعقل المتلقي (ق)، الموصى (ابن موسى) بأن دعواه مقبولة والتي هي: "كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وينالك بالعمل به خير وافر وجزيل".
الشروط الابتدائية	1 - يعتقد(م) أن (ق) لا يقبل دعواه " كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وينالك بالعمل به خير وافر وجزيل"؛ 2 - يعتقد (م) أن (ق) سيقبل القضايا المعبر عنها في (1)-(4)؛ 3 - يعتقد (م) أن (ق) سيقبل جملة القضايا (1)-(4) كتعليل للقضية " كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وينالك بالعمل به خير وافر وجزيل "
الشروط الالتزامية	1 - يعتقد(م) أن الدعوى " كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وتنال بالعمل به خيرا وافرا وجزيل " مقبولة؛ 2 - يعتقد (م) أن القضايا المعبر عنها في (1)-(4) مقبولة؛ 3 - يعتقد (م) جملة القضايا (1)-(4) تشكل تعليلا مقبولا للقضية " كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وينالك بالعمل به خير وافر وجزيل "
الأثر التواصلى (الفهم)	يفهم(ق) أن (1)-(4) تشكل حجاجا عن الدعوى " كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وينالك بالعمل به خير وافر وجزيل

" "	
يقبل(ق) (1)-(4) كتعليل للقضية "" كن فطنا لبيبا، يكفيك القليل مما قيل، وينالك بالعمل به خير وافر وجزيل"	الشرط التفاعلي (القبول)

3- فحص الثنائية (تواصل، تفاعل)، أو مدى نجاح الحجاج:

تبين البنية الحجاجية السابقة، اجتهاد الخطيب الموصي(م) في إقناع المتلقي الموصى(ق)، بقضية وجوب أن يكون الموصى فطنا لبيبا، حتى يكفيه القليل من القول والنصح، وينال به وبدعاء والده الخير والحفظ؛ ومن الناحية التواصلية فإن الأفعال الموظفة تؤدي إلى فهم كلي، فهي واضحة بينة، موجزة غير مُلغزة، ولا يعوز المحاجج الصدق فهي من ابن لابنه، من أب حريص كل الحرص أن يحيط ابنه بكل سلاح يحميه، ويطلع على كل ما من شأنه أن يمنحه نفعاً وخيراً، ويدفع عنه ضراً وشرراً. أما عن الجانب التفاعلي فإنه يبدو أن مثل هذه الخاتمة بما فيها من حجاج لن تلقى من الموصى (المتلقي) إلا التلقّف، والابتدار، لا فقط القبول والاعتبار، ذلك لما في الحجج من قوة وثبوت أولاً، ولما غلّفها وكسّأها من عاطفة أبوية تود لو تُلّف الابن في أودية من الحفظ والتوفيق، وليس لها ذلك إلا بدعاء من لا يعجزه شيء ولا يؤوده عظيم، هذا ثانياً، وثالثاً: المقصد الجلي، و القصد الواضح.

بمّ هذه الأمثلة يتضح ما لمقاربة الحجاج باعتباره فعلاً لغوياً مركباً- النص وعاءه، والتسلسل منهجه، من مردود في تحليل الخطابات حجاجياً. تواصلًا وتفاعلاً، أو لنقل إقناعاً وإمتاعاً.

2- حاجية الاستلزام الحواري من خلال الصور البيانية:

1-2 علاقة الاستلزام الحواري بالصور البيانية:

تعود نشأة الاستلزام الحواري Conversational implicature إلى ملاحظة غرايس " أن بعض الأقوال تبليغ أكثر مما يدل عليه مجموع الكلمات التي تكون الجملة،"⁽¹⁾، ومن ثمة اهتم بكشف الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام.⁽²⁾، و"سمى هذا النوع من دلالة الأقوال الاستلزام التخاطبي"⁽³⁾

لقد كان غرايس إذن منشغلاً بقضية تُعد محور الاستلزام هي: "كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أيضاً أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ وقد وجد حلاً لهذا الاشكال فيما أسماه مبدأ التعاون Cooperative principle بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حوارى عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية"⁽⁴⁾ كما في الجدول الآتي:⁽⁵⁾

(1). جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م.س، ص212.

(2). نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د ط، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص33.

(3). جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، م.س، ص212.

(4). نحلة محمود أحمد، م.س، ص34.

(5). جورج يول، التداولية، م.س، ص68.

المبدأ التعاوني: اجعل مساهمتك في المحادثة كما يتطلب منها أن تكون، في مرحلة ورودها، وفقا للغرض المقبول أو اتجاه تبادل الحديث الذي تحوضه.
المبادئ الثانوية
الكم Quantity
1- اجعل مساهمتك إخبارية بقدر ما يتطلب الأمر (لأغراض التبادل الآتية).
2- لا تجعل مساهمتك إخبارية بقدر يفوق المطلوب.
النوع Quality: حاول أن تجعل مساهمتك من النوع الذي يوسم بالصحة.
1- لا تقل ما تعتقده كذبا.
2- لا تقل شيئا يعوزه عندك دليل كاف
العلاقة Relation: كن وثيق الصلة (بالموضوع) .
الحال Manner: كن واضحا (وتترجم أيضا بالكيف)
1- تجنب استبهام التعبير.
2- تجنب الغموض.
3- كن موجزا (تجنب الإطناب غير ضروري) .
4- كن منتظما.

وهذه المبادئ التي عادة ما تراعى من أجل تواصل فعال وكفاء، قد تحرق من أجل غايات تواصلية بلاغية، أبلغ، وأنفع، وأكثر أهمية، لا يتأتى تحصيلها في صورتها المرجوة إذا صرح بها، فيلجأ إلى التضمين أو الاستلزام أو المفهوم كما هو في ترجمات أخرى ل *implicature*.⁽¹⁾ معتمدا بالأساس على الاستفادة من معطيات السياق، وعلى الخلفية الفكرية والمعرفية المشتركة بين المشاركين، فضلا عن تشغيل المخاطب قدراته الاستدلالية، على اعتبار أن غالبية الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع اللغوي ذاته يمتلكون معرفة العالم بشكل

(1). ينظر: مزيد بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط1، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2010، ص47.

متشابه، فضلا عن أنهم يشتركون في كثير من المعارف والخبرات غير اللغوية.⁽¹⁾ التي يكتسبونها من حياتهم اليومية.

إن الاستلزام الحواري وإن كان في الأساس موجه إلى الحوارات المتداولة في يوميات الناس؛ فإن غرايس " لم يكتف ... بتحليل [تلك] الخطابات اليومية العادية، وإنما وسع دائرة اهتمامه لتشمل الخطابات التخيلية، معتمدا على مسلماته الأربع، حيث أوضح أن المتكلم يخرق قاعدة الكيفية عندما يعمد إلى السخرية irony أو الاستعارة Methaphor أو المبالغة Hyperbol"⁽²⁾. هذه الظواهر البيانية، ستصبح موضع دراسة وتحليل، ولاحقا ستصير "... الأقوال المجازية والاستعارية والتهمك والسخرية، شواهد على الاستلزمات الحوارية التي تحصل تبعا للإخلال بقاعدة أو قواعد حوارية،..."⁽³⁾، و لتحليل هذه الشواهد أو الظواهر بوصفها استلزمات، سيكون المرور حتما على مفهوم تداولي، لا يخلو منه مبحث من مباحث التداولية بطريق مباشر أو غير مباشر، ذلك هو "المضمر".

إن " ظاهرة التضمين الحواري (الاستلزام التخاطبي) التي توجد في كل أشكال الخطاب تتخذ مظاهر متعددة بين الإيحاء والتلميح وغيرهما، إلا أن كل مظاهره تنضوي تحت خاصية المضمر ، l'implicité ، وإذا كان المضمر هو كل المعاني التي ليس لها دال على سطح الجملة فإن فاعليته الحوارية تطفو على المحيط المعرفي للمتواصلين، بل أن المضمر قد يتخذ الصبغة الضرورية في تحديد العلاقات والصراعات بين المتواصلين"⁽⁴⁾، وهي العلاقات التي تتكثف، ويتعمق أثرها حينما يلجأ التواصل إلى تعزيز دلالة الإضمار، بما هو من جنسه، متمثلا في التصوير البياني، بخلفيته التخيلية.

لذلك، وكما تقول أركيوني "Archionie" "ثمة تقارب جلي بين مفهومي " المحسن البياني " و " المضمر "؛ وقد أشار إليه، على الرغم من العصور التي تفصل بينهما، كانتيليان أولاً بقوله إنَّ « [طريقة الإلماح

⁽¹⁾ . ينظر: (George Yule, 1996, 50) // (John R.Searle, 1999,31-32) نقلا عن: محمد عديل عبد الغزيز، التداولية

وتحليل الخطاب الحجاجي: قراءات تحليلية في أسس الحجاج وبناء الاستدلال، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2016، ص236.

⁽²⁾ .جواد ختام ، التداولية: أصولها واتجاهاتها، ط1، دار كنوز الم رفة للنشر والتوزيع، عنلن-الأردن، 2016، ص104.

⁽³⁾ .العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان ومنشورات الاختلاف، 2011، ص117.

⁽⁴⁾ . محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلية: م.س، 2010، ص165.

قوامها [...] أن نوحى بغير ما نقوله صراحةً، ليس بالضرورة عكس ما نقوله، ... بل معنى آخر مستتر، على المستمع أن يكشف النقاب عنه إذا جاز التعبير»، وكذلك سيرل ثانيًا بقوله « [...] قد يقصد المتكلم معنى مغايرًا عن معنى الجملة التي يتفوه بها، كما هي الحال مع الاستعارة،»... وعلى سبيل الذكر لا الحصر، يظهر هذا التقارب من خلال شتى استعمالات مصطلح " التصوير " (« Figuration ») المطبق تطبيقاً متعدد الدلالات، [كما] على التأويلات المجازية (كالمحسنات البيانية البلاغية الكلاسيكية)، ... وهي أساليب تساعد بطرق مختلفة وأبرزها الإضماريّة، على صقل صياغة أفعال الكلام. ... " (1).

وإذا كانت أركيوني تعقد صلة ما بين المضمّر والصورة البيانية، مستندة في ذلك إلى التراث البلاغي الغربي، من خلال مقولة كانتليان، فإن البلاغيين العرب قد نصّصوا بوضوح على ارتباط الصور البيانية بالمضمّر أو الضمني أو الباطن بالاصطلاح العربي، إذ "ينصرف السكاكي في معالجته للبيان إلى ذلك الباطن من بيان العبارة في اصطلاح ابن وهب (2) (3)، وهو باطن يلتقي في صميمه مع مقولة الاستلزام الذي يصفه يول بقوله: " يعتبر الاستلزام "Implicature" بالنسبة لكثير من اللغويين واحداً من المفاهيم الأساسية في التداولية. فالتضمين [الاستلزام الحواري] مثال حي وناضض للأكثر الذي يتم إيصاله دون قوله" (4).

وفي المقابل يتحدث السكاكي (ت626هـ) عن التصوير البياني فيقول: " إن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن، ... وإنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث " (5)، وفي كلام السكاكي (ت626هـ) حول الزيادة في وضوح الدلالة والنقصان في الدلالات الوضعية، هو -أو يكاد يكون- قول يول حول إيصال أكثر مما قيل أي قول القليل وتبليغ الكثير.

(1). ينظر: أركيوني كاترين كيربرات، المضمّر، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: جوزيف شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، 2008، ص171.

(2). قسم ابن وهب البيان إلى اعتبار، واعتقاد، وعبارة، وكتاب، لكل منها ظاهر وباطن، ولكل منهما ضابطه، ومفهومه: وفي مجمل كلام ابن وهب عنهما أن الباطن ما غاب عن الحس، واختلفت العقول في إثباته، فهو هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال، ويعتبر بوجوه المقاييس والأشكال، للوصول إلى إدراكه وتفسيره، أما الظاهر فإنه مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه والاجتماع عليه لأنه لا خلاف له، ولا يحتاج إلى تفسير. (ينظر: ابن وهب الكاتب (أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان)، البرهان في وجوه البيان، د ط، مكتبة الشباب - مطبعة الرسالة، القاهرة-مصر، 1389 هـ - 1969 م، ص92، 65).

(3). جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، م.س، ص160. .

(4). جورج يول، التداولية، م.س ص79. .

(5). السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، م.س، ص329.

وليس هذا فقط، بل إن السكاكي (ت 626هـ) يقسم الدلالات إلى دلالة أصلية، مرتبطة بأصل وضع اللغة، ودلالة عقلية، تستدعيها الدلالة الأصلية، بالتضمن مثل دخول معنى السقف تحت معنى البيت، أو بالالتزام مثل استدعاء مفهوم البيت لمفهوم الحائط.⁽¹⁾؛ ويقابل مفهومي التضمن والالتزام مفهومي الافتراض المسبق (الاقتضاء)، والالتزام الحواري، في التداولية المعاصرة. لذا يعد السكاكي (ت 626هـ) أكثر البلاغيين العرب انتباها ونضجا فيما يخص ظاهرة الاستلزام التخاطبي (الحواري)، إذ تجاوز مجرد الملاحظة إلى التأسيس لآليات تحليل الظاهرة، من خلال بيان كيف ينشأ المعنى المستلزم مقاميا من المعنى الأصلي، وما هي القواعد التي تكفل الانتقال من الأول إلى الثاني، في كل مستويات التحليل اللغوي من الصوت إلى المعاني فالبيان⁽²⁾

وفي الواقع ليس السكاكي (ت 626هـ) الوحيد الذي اهتم بالمعنى المضمر وكيفية الوصول إليه، وأثره الإمتاعي والإقناعي، في الخطاب ومتلقيه، فقد سبقه إلى ذلك الجرجاني (ت 471هـ)، في تناوله لمعنى المعنى، إذ يرى أن "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى العرض بدلالة اللفظ وحده،... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى العرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى العرض... فإِنَّكَ في جميع ذلك لا تُفيدُ غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يُوجبُ ظاهره، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معني ثانياً هو غرضك،..."⁽³⁾

فعملية تحديد الاستلزام التخاطبي، وفهم معانيه، عملية استدلالية سواء في التداولية الحديثة أو في البلاغة العربية، "وإلى هذا المسلك الاستدلالي أرجع كلُّ من عبد القاهر والسكاكي (ت 626هـ) مزية الصورة البيانية"⁽⁴⁾ ولارباط الاستدلال بالمنطق كان حسنا التنبيه أن هناك فرقا بين الاستدلاليين "فهو في الاستدلال

(1). ينظر: السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، م.س، ، ص329،330.

(2). أحمد المتوكل ، "الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، ضمن: التداوليات-علم استعمال اللغة-، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيل علوي، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2014، ص295،296.

(3) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، دلائل الإعجاز في المعاني، تحقيق: محمود نجاد شاكر، ط3، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، 1413هـ/1992، ص262.

(4). جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، م.س، ص164. .

المنطقي استنتاج معقول، بينما هو في الاستدلال البياني استدلال مخيل⁽¹⁾ فالأول يقنع فقط أما الثاني فيقنع ويمتدح.

إذن فبين الصورة وبين الاستلزام التخاطبي علاقة وثيقة، فالصورة تخلق فراغا يستدعي إعمال الاستلزام لملاء الفراغ، والاستلزام يستند إلى العملية التخيلية للصورة من أجل بناء نفسه بما يتوافق مع المقام داخليا كان أو خارجيا ، وفي هذا الصدد يرى عبد الله صولة أن استخدام المجاز يؤدي إلى ظهور المفهوم [أي الاستلزام] حتمًا، من حيث هو دلالة لازمة على المعنى، وهذا المفهوم مُكوّن بلاغي، قد يكون مرتبطاً بالمقام، وقد يكون مغروسًا في كيان الملفوظ نفسه، وليس له معنى ثابت، والمتلقي هو المسؤول عنه⁽²⁾. ويرى أن شكل الصورة يحتوي دائما على محل شاغر هو نتاج الحجاج ومناطه، ودور المتلقي هو ملء هذا الشاغر من خلال المفهوم، وعلى ذلك فإن الصورة كلام، نصفه (وهو المصريح به) من صنع النصّ أو المتكلم، ونصفه (وهو الضمني) من صنع المتلقي، وهو الوضع الذي يكفل للصورة قدرتها الحجاجية⁽³⁾.

وفي كل الأحوال فإن الصورة البيانية بوصفها استلزاما حواريا (تخاطبيا) تؤدي دورا إقناعيا، مبناه على أن " ... التضمين [الاستلزام] الحوارى يشكل آلية تداولية يعول عليها في تحقيق الإقناع ... " ⁽⁴⁾،

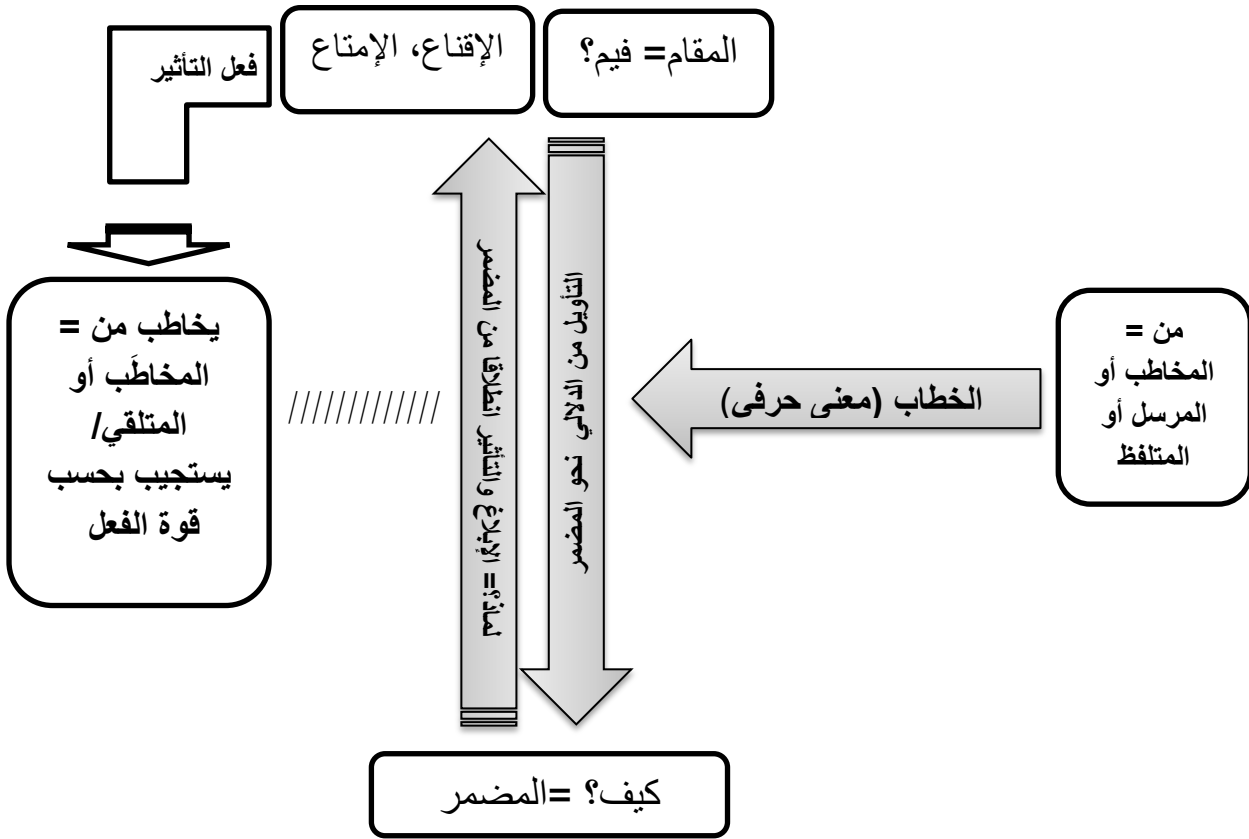
ومن أجل توضيح أكبر، وفي صورة أوجز نقترح ترسيمة تبين كيف تتفاعل عناصر السياق، وتتظافر للكشف عن الاستلزام الحوارى عموما والبياني التصويرى خصوصا، و إبراز وظيفته الإمتاعية الإقناعية، مستندة في ذلك إلى الأسئلة التاريخية للتداولية: من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ماذا نقول حين نتكلم؟ وكيف نتكلم شيئا ونريد شيئا آخر؟ وذلك كما يلي:

(1) . جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، م.س، ص168. .

(2) . عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، م.س، ص557.

(3) . المرجع نفسه، ص562-563.

(4) . محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي.م.س، ص152.



وتفسير هذه الخطاطة: أن المخاطب يتلفظ بملفوظ في شكل صوتي يحمل دلالة حرفية، لا يقصدها المتلفظ بل يقصد منه غير تلك الدلالة، تبعاً لملايسات المقام، فالمقام يقوم بدورين: الأول، يدفع المتلفظ إلى مراعاته وبناء التلفظ تبعاً له، ومن ثمة يضمن تلفظه قصداً ما (المضمّر)، والثاني: يجعل المتلقي يحاول فهم ذلك الملفوظ في ضوءه (المقام)، وبالتالي يتلقى فعل التأثير الناتج عن فهم المضمّر، الذي قد يكون إقناعاً أو إمتاعاً، ومن خلاله تحدث الاستجابة على قدر قوة الفعل.

وفيما يأتي استثمار لهذا المخطط، لبيان ودراسة حاجية الصور البيانية.

2-2 حاجية الصور البيانية باعتبارها استلزاما حواريا:

1-2-2 حاجية الكناية، حجة العبارة في حسن الإشارة :

1-1-2-2 مفهوم الكناية:

الكناية أحد صنوف البيان اللطيفة، ومسلك من مسالك التصوير، عميق أثرها، عظيم خطرهما، وصفها ابن الأثير بقوله: " اعلم أن لهذا النوع من الكلام موقعاً شريفاً، ومحلاً كريماً. وهو مقصور على الميل مع المعنى، وترك اللفظ جانباً. وذلك نوع من علم البيان لطيف." (1)

وأورد ابن حمزة العلوي في الطراز أن للكناية مجاز ثلاث، أنتجها كثرة جريانها في اللغة والعرف والاصطلاح:

أما لغة: فإنها سميت كناية لما في بنيتها من معنى الستر، يقال: كئيت الشيء إذا سترته، ويقال: كنى يكني، إذا ستر مراده ولم يفصح عنه.

أما عرفاً: فهي مصطلح على ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره.

أما اصطلاحاً: فقد كثرت تعريفاتها غير أن محور ما تدور حوله: أن اللفظ الكنائي لفظ مشتمل على معنيين، يستعمل أحدهما ويراد الآخر، على جهة الاحتمال كما عند الأصوليين، أو على وجه الحقيقة والمجاز كما عند ابن الأثير، أو على جهة ترك التصريح بالشيء إلى مساويه كما عند ابن السراج المالكي، أو على وجه استعمال اللفظ في غير ما وضع له كما عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) (2).

والكناية عند السكاكي (ت 626هـ): "... هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما نقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه على ما هو ملزوم، وهو طول القامة وكما تقول: فلانة نؤوم الضحى، لينتقل منه على ما هو ملزومه، وهو كونها مخدومة، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه، وتحصيل

(1). ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، م.س، ص 156.

(2). ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، م.س، ج 1، ص (186-198).

ما يحتج إليه في تهيئة المناولات، وتديبر إصلاحها، فلا تنام فيه من نسلهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك".⁽¹⁾

ويضيف الصعيدي توضيحا لتعريف السكاكي (ت 626هـ) ، فيما يخص علاقة اللازم بالملزوم، وأنها مدار التفريق بين الكناية والمجاز فيقول: " ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد، والنوم في الضحى من غير تأويل؛ فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه؛ أي: من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه؛ فإن المجاز ينافي ذلك، فلا يصح في نحو قولك: "في الحمام الأسد" أن تريد معنى الأسد من غير تأويل؛ لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة...، وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء".⁽²⁾ وهذا التفريق بين المجاز والكناية ينطوي على قول آخر يقرن الكناية بالحقيقة.⁽³⁾

والكناية وإن تجاذبها طرفان- الحقيقة والمجاز-، فلا ينبغي أن يغلب طرف على آخر حتى لا تفقد بنيتها⁽⁴⁾. وإذا كان أمر الكناية مع الحقيقة لم يثر تعقيدا، ولم يطرح لبسا يستدعي الإشارة إليه، فإن علاقة الكناية بالمجاز، تحتاج فعلا للتحديد، إذ "إن الحدود النظرية بين الكناية والمجاز المرسل مرسومة بدقة. أما في التطبيق فإن ضبط هذه الحدود يغدو صعبا للغاية، ولذلك يذهب بعض النقاد إلى: أنه لا يوجد حد دقيق بين هاتين الفئتين من المحسنات"⁽⁵⁾ ولعل منشأ هذا التداخل يعود إلى علاقة التجاور التي يقوم عليها كل من الكناية والمجاز، تلك العلاقة التي تسمح بالانتقال من دالا إلى دال آخر للوصول إلى المدلول المقصود⁽⁶⁾

(1). السكاكي ، مفتاح العلوم، م.س، ج1، ص402.

(2). الصعيدي عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، م.س، ص538.

(3). المذاهب في علاقة الكناية بالحقيقة والمجاز أربعة:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا حَقِيقَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ السَّلَامِ وَهُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّهَا اسْتَعْمِلَتْ فِيهَا وَوُضِعَتْ لَهُ وَأُرِيدَ بِهَا الدَّلَالَةُ عَلَى عَيْبِهِ.
الثَّانِي: أَنَّهَا مَجَازٌ.

الثَّالِثُ: أَنَّهَا لَا حَقِيقَةَ وَلَا مَجَازًا وَإِلَيْهِ دَهَبَ صَاحِبُ التَّلْخِصِ لِمَنْعِهِ فِي الْمَجَازِ أَنْ يُزَادَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيُّ مَعَ الْمَجَازِيِّ وَتَحْوِيزِهِ ذَلِكَ فِيهِ.
الرَّابِعُ: وَهُوَ احْتِيَاؤُ السُّبْحِيِّ تَقْيِي الدِّينِ السُّبْحِيِّ أَنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ فَإِنْ اسْتَعْمِلْتَ اللَّفْظَ فِي مَعْنَاهُ مُرَادًا مِنْهُ لِأَنَّهُ لَزِمَ الْمَعْنَى أَيْضًا فَهُوَ حَقِيقَةٌ وَإِنْ لَمْ يُرِدِ الْمَعْنَى بَلْ عَبَّرَ بِالْمَلُومِ عَنِ اللَّازِمِ فَهُوَ مَجَازٌ لِأَسْبَعِيَّ فِي عَيْبِهِ مَا وَضِعَ لَهُ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ مِنْهَا أَنْ يُسْتَعْمَلَ اللَّفْظُ فِيهَا وَوُضِعَ لَهُ لِيُفِيدَ عَيْبًا مَا وَضِعَ لَهُ وَالْمَجَازُ مِنْهَا أَنْ يُرِيدَ بِهِ عَيْبٌ مَوْضُوعِهِ اسْتِعْمَالًا وَإِفَادَةً. (السيوطي جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ج3، ص139.

(4). ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية -قراءة أخرى-، ط1، الشركة المصرية العلمية للنشر-لونغمان، القاهرة-مصر، 1997، ص187.

(5). فرانسوا مورو ، البلاغة -مدخل لدراسة الصور البيانية- ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير، ط2، إفريقيا الشرق- المغرب، 2003، ص65.

(6). ينظر: المرجع نفسه، ص66.

إلا أن أركيوني ترى أن العلاقة في المجاز المرسل بالفعل علاقة تجاور، لكن العلاقة في الكناية علاقة اشتمال⁽¹⁾، وهو ما يسمح بالفصل بين الصورتين. وعلاقة الاشتمال هذه هي التي أشار إليها البلاغيون العرب بتمييزهم الكناية عن المجاز من حيث إمكانية إرادة المعنى ولازمه معاً. اللذان يجتمعان " على مستوى الأفكار لا الكلمات [حيث] الكناية تتكئ على العلاقات القائمة بالفعل في العالم الخارجي وفي عالم المفاهيم."⁽²⁾، وهما اللذان يشكلان حيز انتاج الكناية، بدافع من الأسباب المتولدة عن رغبة الإنسان في تصوير عالمه وصناعته.

بطبيعة الحال فإن حصر هذه الأسباب قد لا ينضب، إلا أن تحديد أهمها مما اهتم به البلاغيون، والمشتغلين على تحليل الخطاب. ومن هؤلاء السيوطي الذي يذكر أهم أسباب استعمال الكناية فيما يلي:⁽³⁾

- تَرَكَ اللَّفْظَ إِلَى مَا هُوَ أَجْمَلُ نَحْوُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِي نَعَجَةً وَاحِدَةً﴾⁽⁴⁾ وَاحِدَةً⁽⁴⁾ فَكُنِيَ بِالنَّعْجَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ كَعَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ تَرَكَ التَّصْرِيحِ بِذِكْرِ النِّسَاءِ أَجْمَلُ [ذَلِكَ] أَنَّ الْمُلُوكَ وَالْأَشْرَافَ لَا يَذْكُرُونَ حَرَائِرَهُمْ فِي مَالٍ وَلَا يَبْتَدِلُونَ أَسْمَاءَهُنَّ بِلَا يُكْنُونَ عَنِ الرَّوْجَةِ بِالْفَرَشِ وَالْعِيَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِذَا ذَكَرُوا الْإِمَاءَ لَمْ يُكْنُوا عَنْهُنَّ وَلَمْ يَصُونُوا أَسْمَاءَهُنَّ عَنِ الذِّكْرِ . . .

- أَنَّ يَكُونَ التَّصْرِيحُ مِمَّا يُسْتَفْبِحُ ذِكْرَهُ كَكِنَايَةِ اللَّهِ عَنِ الْجَمَاعِ بِالْمَلَامَسَةِ وَالْمُبَاشَرَةِ وَالْإِفْضَاءِ وَالرَّفَثِ وَكُنِيَ عَنِ الْبُؤْلِ وَنَحْوِهِ بِالْعَائِطِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْعَائِطِ﴾⁽⁵⁾ وَأَصْلُهُ الْمَكَانُ الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ.

- قَصْدُ الْبَلَاغَةِ وَالْمُبَالَغَةِ نَحْوُ: ﴿أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾⁽⁶⁾، كُنِيَ عَنِ النِّسَاءِ بِأَنَّهِنَّ يَنْشَأْنَ فِي التَّرَفِّهِ وَالتَّزْيِينِ الشَّاغِلِ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأُمُورِ وَدَقِيقِ الْمَعَانِي وَلَوْ أَتَى بِلَفْظِ "النِّسَاءِ" لَمْ يُشْعِرْ بِذَلِكَ وَالْمُرَادُ نَفْيُ ذَلِكَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾⁽⁷⁾ كِنَايَةٌ عَنِ سَعَةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ جَدًّا

(1) ينظر: أركيوني كاترين كيريرات، المضمرة، م.س، ص182.

(2) ينظر: فرانسوا مورو، البلاغة -مدخل لدراسة الصور البيانية- م.س، ص63.

(3) ينظر: السيوطي جلال الدين، الإيقان في علوم القرآن، م.س، ج3، ص(159-161).

(4) سورة ص، الآية: 23.

(5) سورة النساء الآية: 43.

(6) سورة الزخرف الآية: 18.

(7) سورة المائدة الآية: 64.

وفي العموم يرى البلاغيون أنه إنما " يُعَدَّلُ عَنِ التَّصْرِيحِ إِلَى الكِنَايَةِ لِنَكْتَةِ كَالِإِيضَاحِ أَوْ بَيَانِ حَالِ الْمَوْصُوفِ أَوْ مِقْدَارِ حَالِهِ أَوْ الْقُصْدِ إِلَى الْمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ أَوْ الْإِحْتِصَارِ أَوْ السَّرِّ أَوْ الصِّيَانَةِ أَوْ التَّعْمِيمَةِ وَالْإِلْغَازِ أَوْ التَّعْبِيرِ عَنِ الصَّعْبِ بِالسَّهْلِ أَوْ عَنِ الْمَعْنَى الْقَبِيحِ بِاللَّفْظِ الْحَسَنِ. "(1).

إن المتفحص لهذه الأسباب يجدها ذات بعد تداولي يستهدف كما مرّ، تجاوز حرفية الملفوظ إلى مضموره، ويعرض عن مباشره إلى ضمنيه عن طريق التأويل، ومن ثمة يقف على إبلاغيته، التي تحرق سطحه نحو إحداث أثره. ورغم ما لهذا التحليل ذي البعد التداولي من أهمية بالغة، إلا أنه يبدو قاصرا، أو مقصرا في الجانب الحجاجي الإقناعي.

2-1-2-2 استراتيجية الكناية الإمتاعية والإقناعية:

في واقع الأمر ذلك القصور المشار إليه لا وجود له، لأن حجاجية الملفوظ الكنائي يمكنها أن تشمل كل تلك الأغراض بشرط أن يطلبها المقام، ويقصدها المتكلم، لإثبات دعوى، أو دفع أخرى، إذ يعد ذلك بصرا بالحجة، " ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح وعرا؛ وكانت الكناية أحصر نفعا"(2)، وحينها تجتمع للكناية قوتها التصويرية التجسيدية، إلى جانب بنيتها الحجاجية الإقناعية، وشأنها في ذلك شأن الصور القائمة على المشابهة، التي يؤكد عبد الله صولة حجاجيتها، ويكشف عن آيتها الإقناعية في قوله: " لقد تفننت كتب البلاغة في ذكر الغايات التي من أجلها يؤتى بالمشبه به منها ما ذكره صاحب كتاب جواهر البلاغة وهي ثمان أهمها: بيان حال المشبه وبيان إمكان حاله حين يسند إليه أمر مستغرب وتمكينه في ذهن السامع وتنقيحه وتحسينه... ولكنها من زاوية حجاجية راجعة إلى أصل واحد وهو أنه يعدل عن (ب) التي هي معلومة جديدة إلى (أ) التي هي معلومة قديمة إذا كانت (ب) تمثل إجمالا حكما هو موضوع اعتراض بطريقة أو هو يقدر له أن يكون كذلك كالحكم على شخص بأنه شجاع أو كريم وكانت

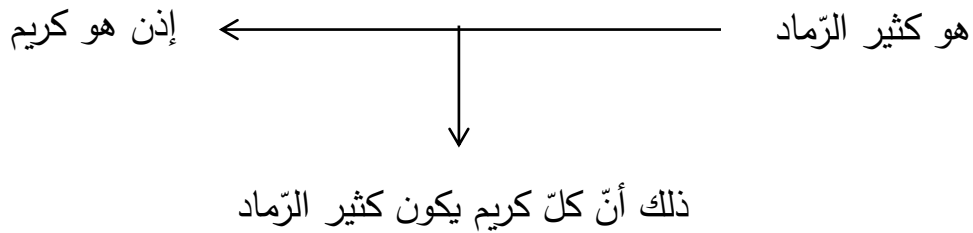
(1) ينظر: السيوطي جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، م.س، ج3، ص162.

(2) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، م.س، ص15.

(أ) محلّ إجماع في عالم معتقدات المخاطبين بها. ⁽¹⁾ فالكناية إذن "تقدم لك المعنى مقرونا بدليله الذي لا يخطئ وبرهانه الذي ينفي عنه كل شك"، ⁽²⁾.

وحتى وإن اختلفت العلاقة المشغلة في كل من الكناية والاستعارة لكن عموماً، "يجوز لنا أن نلحق الكناية بالتشبيه والاستعارة وإن كانت أدخل في محور المجاورة منها في محور المشابهة فهي مثلها قائمة على العدول عن المعلومة الجديدة إلى المعلومة القديمة المتداولة. من ذلك كناية كثير الرماد فهي كما يرى الجرجاني (ت471هـ) بمثابة البيّنة على الدعوى التي ندعي في شأن شخص ما. فقد ينكر علينا حكماً على زيد بأنه كريم لكن لا يردّ علينا كون الكريم يكون كثير الرماد تماماً... ⁽³⁾، يقول عبد القاهر: "؟ أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ إليها فثبتها هكذا ساذجا غفلاً... ⁽⁴⁾"

وإن يكن من موضع اختلاف بينهما؛ فإن قانون العبور ما بين الحجّة والنتيجة، في حالة الكناية يتمثل في الإطار Frame الذهني الذي يكون في ذهن المتخاطبين من داخل ثقافة واحدة، والمتمثل في الصورة الأبلغ لمفهوم الكرم التي يجسدها أمثل تجسيد عنصر كثرة الرماد. فضمان العبور من المعطى أو الحجّة إلى النتيجة يكون على النحو التالي: ⁽⁵⁾



(1). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص91.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص42

(2). وداد نوفل، علم البيان، ط1، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية-مصر، 2015، ص101.

(3). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص93.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص43.

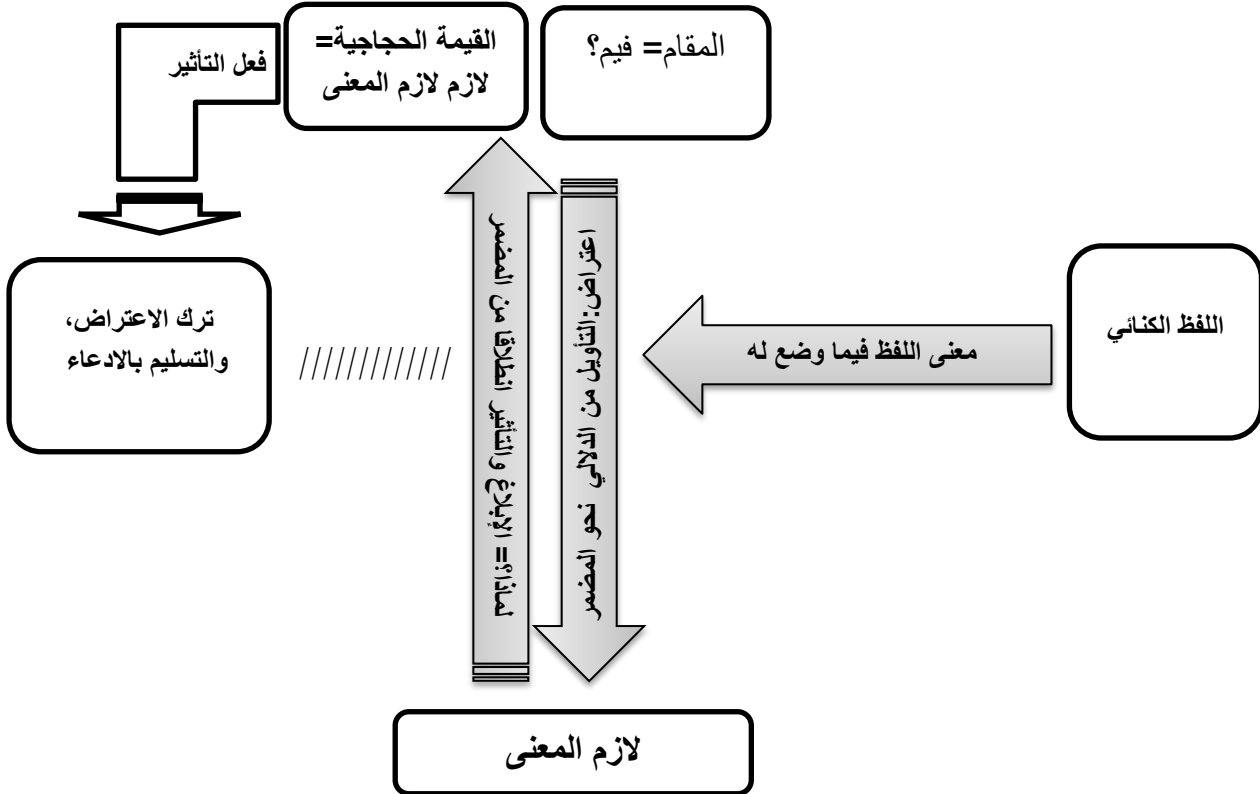
(4). الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، دلائل الإعجاز في المعاني، م.س، ص72.

(5). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص93.

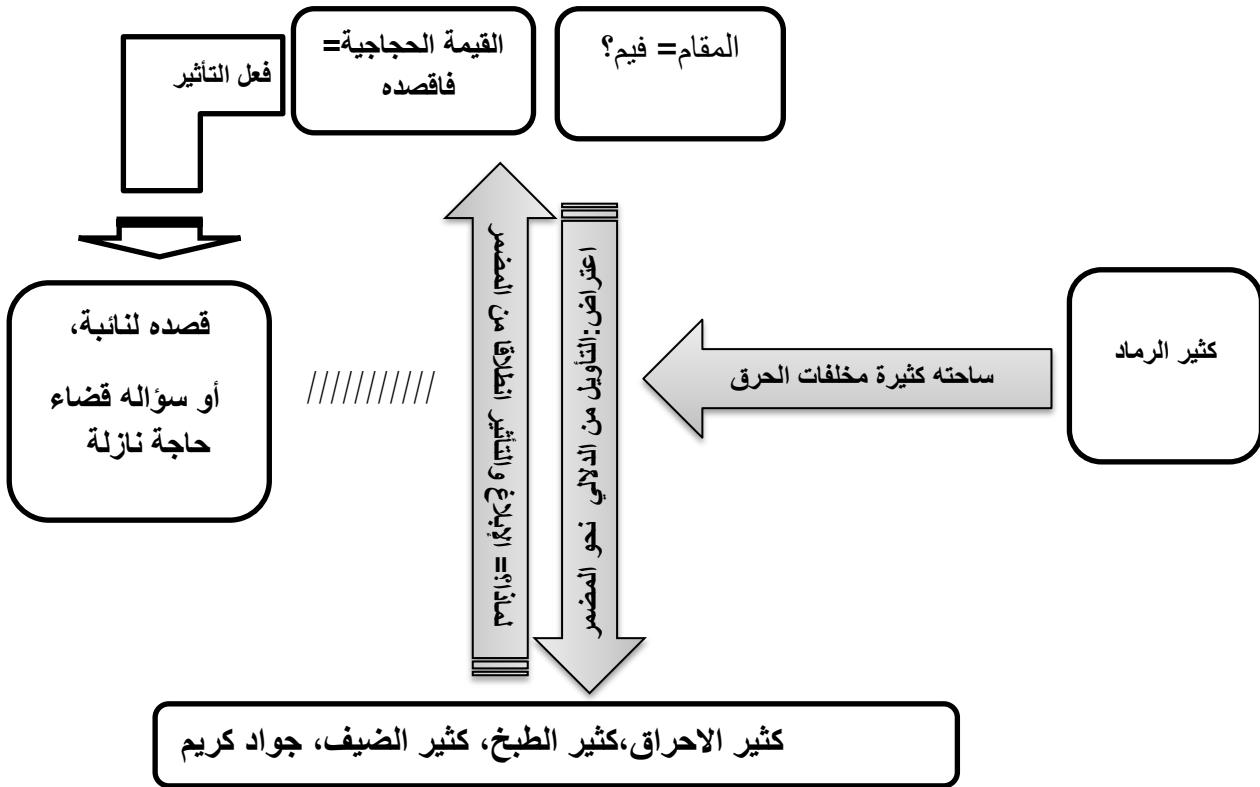
و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص43.

الفصل الرابع _____ حاجية "مالم يقل" من التديل إلى التخييل

إن هذه البنية الحاجية المعتمدة أساسا على نموذج تولمين، قد تغدو أكثر وضوحا وتفصيلا، حين نترقى بها من إثبات الحجة، إلى إثبات أثرها على المتلقي، وإنما يكون ذلك إذا ما تم إدراجها في القالب التداولي القائم على: من؟ يخاطب من؟ فيم؟ وخاصة لماذا؟، وتبعاً لذلك يمكن أن تمثل الدلالة الحاجية للكناية كما في الترسمة التالية:



والتي تعطينا التحليل الآتي لمثال: علي كثير الرماد:



ومن أجل اختبار أعمق لهذه الخطاطة نعرض لعدد من الأمثلة الواردة الخطابية العربية:

مثال: خطبة عثمان رضي الله عنه خطبته حين نقم عليه الناس ⁽¹⁾:

خطب عثمان حين نقم عليه الناس ما نقموا فقال:

(1). وهؤلاء ناظرهم علي رضي الله عنه في عثمان، وسأهم ماذا يتقنون عليه؟ فذكروا أشياء؛ منها أنه حمى الحمى، وأنه حرق المصاحف، وأنه أتم الصلاة، وأنه ولّى الأحداث الولايات، وترك الصحابة الأكابر، وأعطى بني أمية أكثر من الناس، فأجاب علي عن ذلك فقال: أما الحمى فإيما حماه لإيل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإيله ولا لعنمه، وقد حماه عمر من قبله، وأما المصاحف فإيما حرق ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه، كما ثبت في العريضة الأخيرة، وأما إتمامه الصلاة بمكة فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها، وأما توليته الأحداث فلم يؤل إلا رجلاً سويًا عدلاً، وقد ولّى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة، وولّى أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في إمارته فقال: إنه لحليق للإمامة. وأما إيثاره قومه بني أمية فقد «كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يؤثر قريشاً على الناس»، والله لو أن مفتاح الجنة يدي لأدخلت بني أمية إليها.

(ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1998، ج10، ص273).

"أما بعد: ... لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقتمتم علي، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، ووقمكم وقمعكم⁽¹⁾، وزجركم زجر النعام المخزومة⁽²⁾، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم، ولنت لكم وأوطأت لكم كنفني، وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي.

أما والله إني لأقرب ناصرًا، وأعز نفرًا، وأكثر عددًا، وأقمن -إن قلت هلم- أن تجاب دعوتي من عمره. وقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولًا، وكشرت لكم عن نايي، وأخرجتم مني خلقًا لم أكن أحسنه، ومنطقًا لم أنطق به."⁽³⁾

● **مقام الخطاب:** مدار الخطبة حول: دفع العائب، و نقض أوهام الناقم، وإبراء العرض من المثالب، وتنزيه النفس عن بهتان الباهت،؛ فقد كانت في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، اختلال في علاقة الراعي برعيته، وتشوف من الرعية إلى النيل من راعيها، لسبب أو لآخر، فتعال رأس الفتنة، وأطل قرن الشقاق والفرقة، لتلك الأسباب؛ لكن قد يكون أحد أهم الأسباب، حلم عثمان رضي الله عنه، ولينه، وتسامحه، وفرط كرمه. فنشأ في هذه البيئة معارضون، بل عائبون، بل ناقمون، بل متربصون، ...

ومن هنا كان لزاما، إطفاء الفتيل، وقطع لسان القال والقليل، وليس في هذا أنجع من المحاجة بسيرة عمر رضي الله عنه فيهم، وهي من نوع الحجاج بالقيم السائدة *les vleurs*، بيد أن عثمان رضي الله عنه، لم يكتف به بل دعمها بتفسيرها، و تقسيمها، لتكون أكثر إقناعا، وأبلغ حجة، فلم يكن أحسن لتلبية هذا المطلب من التوسل بالتصوير، الذي يجسد الوقائع، ويميط اللثام عن وجهها، فتغدو أعرف عند ناظريها، وألزم عند ناكريها.

وهنا لجأ عثمان رضي الله عنه إلى الكناية، في قوله: " ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، ووقمكم وقمعكم، وزجركم زجر النعام المخزومة،..." فصور مبلغ انقيادهم لسياسة عمر رضي الله عنه، دون تلكأ، ولا تملل، ولكن خضوع لا يُسمع معه تضجر، وانصياع لا يعرف معه تأخر، فكانوا في يده، وتحت قيادته، كما تكون الراحلة منقادة في يد صاحبها.

(1). وقم الدابة جذب عنائها، ووقمه قهره وأذله أو رده أفبح الرد وحزنه أشد الحزن وقمعه: ضربه بالمقمة وقهره وأذله.

(2). خزم البعير: جعل في جانب منخره الخزامة، والطير كلها مخزومة؛ لأن وترات أنوفها مخزومة، وكذا النعام.

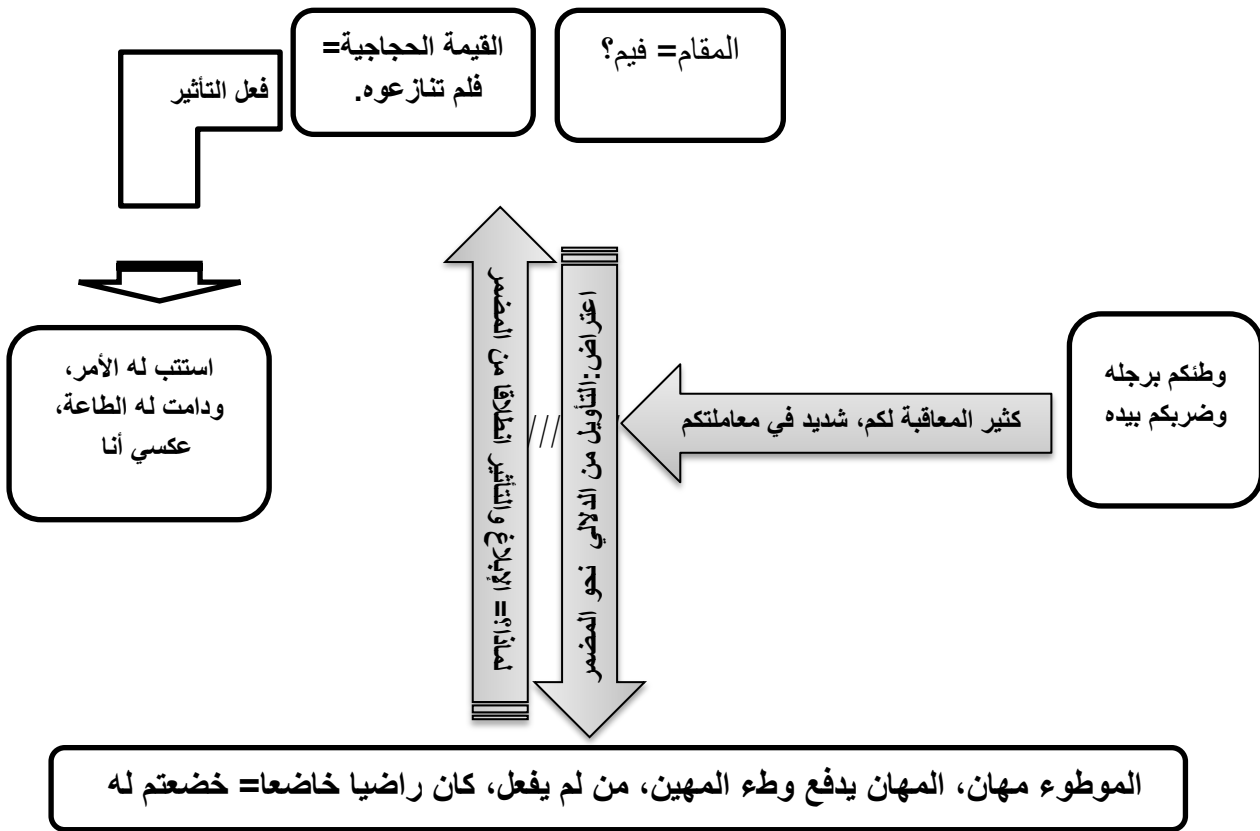
(3). أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س ج 1، ص 273.

الفصل الرابع _____ حجاجية "مالم يقل" من التذليل إلى التخييل

وهذا التصوير يقيم على الناقلين حجة في أنهم لقام لا يصلحهم إلا الجبر والقهر، والدع والتهر، والترك والهجر، والخزي والكسر، ذلك أن "من صفة اللئيم أن يظلم الضعيف، ويظلم نفسه للقوى، ويقتل الصريح، ويجهز على الجريح، ويطلب الهارب، ويهرب من الطالب،..."⁽¹⁾ وفي المثل: "لئيس للئيم مثل الهوان، يعني أنك إذا دفعته عنك بالحلم والاحتمال أجتراً عليك، وإن أهنته خافك وأمسك عنك."⁽²⁾ وقد قال القائل:

ليس يصلح للثام مودة حتى ولو أبدوا الكرامة ظاهرا

وفيما يلي خطاطة لحجاجية كناية عثمان رضي الله عنه:



وبهذا كان عثمان رضي الله عنه قد أقام الحجة على لؤم الناقلين، من طرف خفي، و طهر ساحتهم مما نعموا عليه، حينما كشف أن ذلك ما هو إلا ستر تختبئ وراءه دناءة خلق، وقلة صدق.

(1). الجاحظ عمر بن بحر، الرسائل الأدبية، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1423هـ/2002م، ص136.

(2). النيسابوري (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دط، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د ت، ج2، ص198.

2-2-2 حاجبية المآز المرسل؛ القصديفة الحآببية في العلاقة المآزبية:

2-2-2-1 المآز، المفهوم والفروق:

يعرف ابن الأثير المآز بقوله " المآز هو: مآ أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من آز من هذا الموضوع إلى هذا الموضوع، إذا تخطأه إليه. " (1) ، ومعناه " ... طريق القول ومأخذه، ... " (2) و " العرب كثيراً مآ تستعمل المآز، وتعدده من مفاخر كلامها؛ فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانة لغتها عن سائر اللغات. " وما ذلك إلا لأن " المآز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع، ... " (3)

ولما في المآز من عدول عن الأصل وترك لمقتضى التواضع، وتفضيل لغير المباشر على المباشر، أحتآ إلى ما يكفل تداوله، واستعماله، وأهم شيء في ذلك تجاوب المخاطب، واشترآكه مع المخاطب في الخلفية الثقافية، والفكرية، والتي من شأنها أن تخلق تواضعاً جديداً، وتصنع سنناً بديلاً عن الأصلي؛ قال الجاحظ: " للعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم كما جؤزوا قوله: أكله الأسود وإنما يذهبون إلى التَّهْشِ واللذع والعضِّ وأكل المال وإنما يذهبون إلى الإفنآء كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [البقرة 174]. ولعلهم شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الهماليج ولم ينفقوا منها درهما في سبيل الله إنما أُكِلَ. وجؤزوا: أَكَلْتُهُ النَّارَ وإنما أبطلت عينه.... " (4). ومنشأ تلك الثقة، مبني على قدرة المخاطب إدراك العلاقة بين الوضع القديم والوضع الجديد، وفهمها.

فالمآز نقل للفظ من وضعه الأصلي إلى موضع آخر مجازي، نقلاً لا على الإطلاق، والاعتباط، دون ضابط ولا مسوغ، و دون ضامن ولا مبرر، وإنما يكون ذلك لعلاقة بين اللفظ المتجاوز، واللفظ المتجاوز إليه، ولمناسبة بينهما ولسبب يجمعهما، يضمن أن لا تكون حركة التجاوز في فراغ، وأن لا تكون لغوا لا فائدة فيها، وأن لا تكون هادمة لتنامي الخطاب.

(1). ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر، م.س، ج 1، ص 85.

(2). ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، م.س، ج 1، ص 265.

(3). المرجع نفسه، ص 266.

(4). الجاحظ (عمرو بن بحر أبو عثمان)، الحيوان، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ/2003م، ج 5، ص 16.

يقول الجرجاني(ت471هـ): " ثُمَّ اعلم بَعْدُ أَنَّ في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً، وهو أن يقع نُقْلُهُ علي وجهٍ لا يَعْرِى معه من ملاحظة الأصل، ومعنى الملاحظة، أن الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه، بسببِ بينه وبين الذين تجعله حقيقةً فيه،"⁽¹⁾ ويقول السكاكي(ت626هـ) في بيان هذه العلاقة، الثاوية- على حد تعبيره- في " المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه، [و] هو: أن تعدي الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة على غيره لملاحظة بينهما، ونوع تعلق..."⁽²⁾ ثم يضرب عددا من الأمثلة للعلاقة في المجاز، هاته التي تختلف كثرة وقلة من بلاغي إلى آخر⁽³⁾

(1) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود مُجْد شاکر، د ط، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د ت، ص395.
(2) . السكاكي يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم، ضبط وتحميش وتعليق: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1987، ص365.

(3) .وقد رصد البلاغيون منها شيئا كثيرا، نعرض لأوضحها. والملاحظ في مجموع هذه العلاقات، أن التحول فيها يكون أحيانا من الحقيقة وصولا إلى المجاز، وأحيانا من المجاز وصولا إلى الحقيقة،
أولها: تسمية الشيء باسم الغاية التي يصير إليها، مثل تسميتهم (العنب خمر)، وهي علاقة تحويلية بداية ونهاية، خارجيا، فعلى المستوى الداخلي، نجد أن التحول الفعلي للعنب يكون للخمر غالبا. أما على المستوى الخارجي، فإن التحول يتحرك على أساسي الحضور والغياب، غياب دال (العنب) ليحل محله دال (الخمر) ليؤدي وظيفته الدلالية المزدوجة، أي (العنب والخمر) معا.
ثانيها: تسمية الشيء بما يشابهه، وذلك كتسميتهم (المذلة العظيمة بالموت)، و(المرض الشديد بالموت)، والواقع أن التحول يعتمد علاقة المشابهة، وهو ما يدفع بالتركيب إلى منطقة الاستعارة.

ثالثها: تسمية الشيء باسم جزئه، أي اختزال الدال في جزء من دلالاته، كإطلاق (العين على الجاسوس) والتحول من طرف إلى آخر يتم هنا نوع خصوصية، إذ إن (العين) هي أداة عمل الجاسوس، وبدونها يفقد صفته التي كانت أساس التحول.
رابعها: تسمية الشيء باسم كله في مثل قوله تعالى: "يجعلون أصابعهم في آذانهم"، أي أناملهم، والتحول هنا يأخذ طبيعة تراجعية، حيث يأتي الانتقال من الكلية إلى الجزئية.

خامسها: تسمية الشيء باسم سببه، نحو: (رعينا الغيث)، أي (النبات) فسمي النبات غيثا لأنه سببه، وهو تحول تراجعى أيضا، لأن حركة الذهن تنتقل من الحاضر إلى الغائب من منطق السببية.

سادسها: المسببية، نحو (أمطرت السماء نباتا)، فذكر النبات، والمقصود المطر، والتحول هنا يكون أماميا، بمعنى أن حركة الذهن تبدأ فاعليتها من المطر لتتجاوزها إلى المسبب عنها وهو النبات.

سابعها: تسمية الشيء باسم محله، كقوله تعالى: "فليدع نادية" أي أهل نادية. ويبدو ضعف التحول الداخلي في هذه البنية، لأنها تعتمد على تحول من نوع آخر، يقوم على تغيير عنصر تعبيرى ينقل الصياغة من دائرة الحقيقة إلى دائرة المجاز.

ثامنها: إطلاق اسم الحال على المحل، نحو قوله تعالى: "وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله" أطلقت الرحمة وهي حالة في محلها (الجنة).
تاسعها: تسمية الشيء باسم آتته، نحو قوله تعالى: "واجعل لي لسانا صدق في الآخرين"، أي ذكرا حسنا، والتحول هنا يمكن أن يتكئ على اللسان علاقات لا علاقة واحدة، فبجانب الآلية، يمكن إضافة (الجزئية)، لأن اللسان جزء من الإنسان المتكلم، ويمكن أن تكون العلاقة إطلاق المحل على الحال، لأن الذكر حال في اللسان. (مُجْد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، م.س، ص(163-165))

والمأمل في منشأ هذه العلاقة يجدها إنما تنشأ بين الدال المعدول عنه (الأصلي) إلى دال معدول إليه، حيث ينتمي المعدول إليه إلى الحقل الدلالي للدال المعدول عنه، بوجه ما، مما يتيح تعريف المجاز بأنه: " تجاوز دال إلى دال آخر ينتمي للحقل الدلالي للأول، لإبراز علة موجودة في الأول بشكل ضعيف أو خفي".

2-2-2-2 الفرق بين المجاز والاستعارة:

في البلاغة العربية يطلق المجاز ويراد به المجاز المرسل والاستعارة، إلا أن الاستعارة مجاز فيما قرينته المشابهة، والمجاز المرسل ما عدا ذلك مما قرينته غير المشابهة، فكل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة، إذ قد يكون مجازاً مرسلًا⁽¹⁾، وحقيقة التفريق إنما هي بين الاستعارة والمجاز المرسل.

ويوقفنا على هذا الفرق الحويدق في قوله: " ينهض إنتاج الكلام بوصفه خطاباً على مسارين دلاليين مختلفين: مسار يربط موضوعات الكلام اعتماداً على مبدأ التماثل، ومسار آخر يعقد علاقات بين الكلمات والموضوعات وفق مبدأ التجاور. وبناء على ذلك، يصح الحديث في الحالة الأولى عن عملية استعارية، وفي الحالة الثانية عن عملية خاصة بالمجاز المرسل." ⁽²⁾.

2-2-2-3 المقاربة الحجاجية للمجاز:

يقول صلاح فضل: "لا ينبغي للدراسة الأسلوبية أن تعامل مجموعة تعبيرات المجاز المرسل بنفس الطريقة كما لو كانت تنتمي كلها للمنبع ذاته، أو تترك نفس الأثر لدى القارئ. كما أنه لا ينبغي أن يحجم الباحث بعد التصنيف الأول لها عن محاولة العثور على الخيوط الموصلة إلى وحدة تأثيرية شاملة لكل الأشكال المستعملة معاً مما لا يعزى لأحدها بمفرده"⁽³⁾. وذلك يحتاج إلى مقارنة خاصة، تتجاوز المستوى الأسلوبي الإمتاعي إلى آخر تداولي إقناعي، لا يقصي الأول بل يقوم عليه.

ولعل تلك المقاربة التي يمكنها الخروج بالمجاز من الدراسة الأسلوبية، ليست إلا المقاربة الحجاجية، حيث نجد ميار في نظريته البلاغية القائمة على المساءلة قد أولى الصور البلاغية وخاصة المجاز أهمية بالغة

(1) ينظر: الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، م س، ص 398. وابن رشيق، العمدة، م س، ص 266.

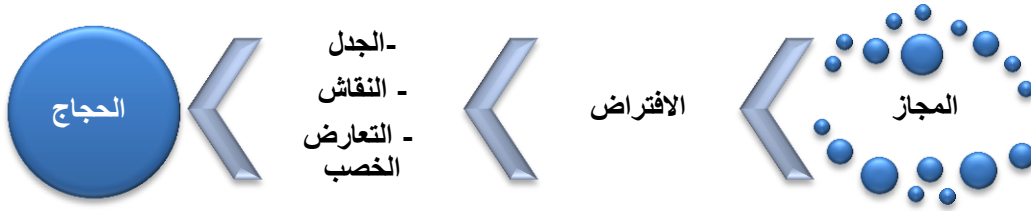
(2) لحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايفوف ومار جونسون، ط 1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015، ص 81.

(3) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص 254.

الفصل الرابع _____ حاجبية " مالم يقل " من التديل إلى التخييل

وجعلها أحد مسالكي المفاوضة على المسافة لما تملكه من طبيعة حاجبية، وطاقة إقناعية، فالجواز عنده "يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب"¹.

فالجواز ليس أسلوبا تلطيفيا تخييليا إمتاعيا، بل هو أسلوب اعتراضى حاجبي، يفرض وجهة النظر التي يحملها، ويدفع عنها تقويض المخالف؛ الحقيقي أو الضمني، والضمني غالبا، يقول عبد السلام عشرين: "وأما الجواز فيؤدي إلى الافتراض، والافتراض يؤول إلى الجدل والنقاش، وإلى التعارض الخصب الذي يترجمه الجواز"⁽²⁾.



وبناء على ذلك يتضح أن للمجاز وظائف عدة "فهو من جهة أولى يؤدي وظيفة استدلالية ويتوجه بالأساس إلى عقل المخاطب، ومن جهة ثانية يؤدي وظيفة نفسية ويستهدف التأثير في نفسية المخاطب، ومن جهة ثالثة يؤدي وظيفة جمالية تأسر ذوق المخاطب."⁽³⁾، ومن الزاوية التداولية فإن هذه الوظائف ستصب في الأخير ضمن الوظيفة التأثيرية، المرتكزة على وظيفة الإقناع، الذي لا يتأتى بشكل اعتباطي، وإنما وفقا لآلية، أو وحدة تأثيرية كما قال صلاح فضل: "... شاملة لكل الأشكال المستعملة معا مما لا يعزى لأحدها بمفرده"⁽⁴⁾. وبما أنها غير موجودة مسبقا فهي تحتاج إلى الكشف عنها، وتوضيح لكيفية اشتغالها.

(1) . Michel meyer, question de rhétorique, paris, 1993, p98.

نقلا عن أهم نظريات الجواز، م.س، ص395

(2) . عبد السلام عشرين، عندما نتواصل نغير - مقارنة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج -، ط 2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 209.

(3) . سلمة الراجحي، " المجاز المرسل في القرآن الكريم " ضمن: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، 2016، ص144.

(4) . صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، م س، ص 254.

لقد عرض عبد الله صولة إلى حجاجية المجاز وفي سياق إجابته عن السؤال: كيف يمكن لتطبيق قانون الأنفع أو الأجدى حجاجيا من ناحية، ... أن يبعث الحياة في الدرس البلاغي العربي...؟⁽¹⁾، منطلقا من العلاقة التي يقوم عليها المجاز المرسل في تركيب الكلام، وهي علاقة المجاورة، هذه العلاقة توجه العدول عن (ب) إلى (أ) لكون (أ) معلومة جديدة و(ب) معلومة قديمة معتمدة على وظيفة التبئير La focalisation⁽²⁾، ويقدم صولة توضيحا لذلك في الآتي:⁽³⁾

أمثلة:

1- نشر الحاكم عيونه في البلاد.

2- سرق اللص المنزل.

3- أصدر المجلس الوزاري قرارا.

4- أصدر البيت الأبيض بيانا.

5- لا تجالسوا السفهاء على الحمق.

6- ﴿وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾⁽⁴⁾.

7- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾⁽⁵⁾.

8- إني نزلت بكذابين.

في جميع هذه الأمثلة لا نجد العنصر (ب) المعدول عنه يمثل حكما يكون موضوع إنكار واعتراض من قبل العنصر (ب) هو (الجواسيس في 1) و(الأدبаш في 2) و(الوزراء في 3) و(بوش مثلا في 4) و(الخمير في 5) و(المطر في 6) و(الجنة في 7) و(أرض المهجوين في 8)

⁽¹⁾ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، م.س، ص 87.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة م.س، ص 39.

⁽²⁾ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص 94.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص 44.

⁽³⁾ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص 94، 95.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص 44، 45.

(4) غافر، آية 13

(5) الانفطار، آية 13

جميع هذه العناصر تمثل معلومات قديمة وهي لا تمثل بالخصوص حكما ما من شأنها أن تثير الاعتراض أو التحفظ.

وعلى هذا فلا يمثل العنصر (أ) المحقق بدلا عنها حجة على ما ادعى لها، لأنه لم يدع لها شيء وإنما يمثل العنصر (أ) تبئيرا للجانب من جوانب (ب)، فهو من هذه الناحية معلومة جديدة ففي المثال (1) تبئير للجزء الذي لا يصلح الجاسوس إلا به ولا يمكن أن ينجز ما هو مطلوب منه إلا بواسطة، وفي المثال (2) وعلاقته المحلية (ذكر المحل دون الحال) تضخيم للحادثة، وفي المثالين (3) و(4) تبئير للسلطة على حساب ممثلها فردا كان أو جماعة فهم ذاهبون وهو باق رمزا للسلطة، وفي الأمثلة (6) و(7) و(8) تبئير للقيمة المادية أو المعنوية التي تتسبب عن المطر في المثال (6) وتحل في الجنة في المثال (7) وفي أرض المهجوين في المثال (8).

يقول صولة محمدا معنى التبئير: " والمقصود بالتبئير هنا هو تسليط الضوء على ما هو أهم في المعلومة، فهو الجديد والذي يريد المتكلم إيصاله إلى المخاطب"⁽¹⁾ وهو بهذا المفهوم يتقاطع مع مفهوم التماهي عند مايير الذي يقر بضرورة "اللجوء المنشود والمشروع إلى ما تتيحه البلاغة وخاصة المجاز من ضمانات وضمانات المجاز حاجية دون شك إذ تتمثل ... في قدرته على تحويل الاختلاف إلى مشاكلة وتماه والإشارة إلى نقاط التماهي وتدعيمها"⁽²⁾، مما يرفع وظيفة التبئير من تحديد الأهم معلومة، إلى التأشير على الأقدر حاجة، وإقناعا.

وحيثما تتحول وظيفة التبئير من الاتكاء على الأجدى، إلى القيام على الأضمن، وهو المفهوم الذي أقرح توظيفه لبيان حاجية المجاز، بما يملكه من دلالة أقوى ومن إمكانات في ترجمة الفعل الحجاجي للمجاز، الموجود على مستوى المضمير الضمني لا على المستوى الدلالي الحرفي، فعملية الادعاء التي يرها صولة لا وجود لها في المجاز المرسل، في واقع الأمر هي مفترضة كما يرها عبد السلام عشير، وافترضها لا يعني تخمينها، وهي غير موجودة، وإنما يعني أنها موجودة ولكن ليست ظاهرة مباشرة.

(1) ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م س، ص 95.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م س، ص 45.

(2) محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار صمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، مجلد XXXIX، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، دت، ص 400.

فالعمل الحجاجي للمجاز المرسل بالنسبة للحجاج عموماً، أشبه ما يكون بالتداولية المدججة، بالنسبة إلى مفهوم التداولية عند ديكر، واستلهاما منه نقول أن حاجية المجاز مدججة في لغته، ادعاءً وحجةً، فهي تقوم على الأضمن دلالة، وحجة؛ فلا يحتاج الحجاج فيها أن يأتي بما يكفل العبور من المعطى إلى النتيجة، من خارج الملفوظ، إذ الملفوظ بنفسه يكفل الضامن، من خلال العلاقة بين المتجاوز والمتجاوز إليه، فهو يعدل إلى المتجاوز إليه لأنه أضمن في الدلالة على القصد، وأثبت حجة على المقصود .

وإذا رجعنا إلى الأمثلة التي ساقها عبد الله صولة ، أمكن تحليلها وفق مبدأ "الأضمن" كما يلي: فاليتم أضمن دلالة على الضابط في من يؤتى ماله بعد الحفظ

- (العيون) أضمن دلالة على عملية التجسس، وجمع الأخبار، بل وعلى نجاعتها. من الجواسيس
 - والمنزل، أضمن دلالة على وقوع السرقة، بل وعلى أثرها السيء، من المسروق.
 - والمجلس الوزاري، أضمن دلالة على شأن الخطاب وقوته.
 - والرزق، أضمن دلالة على المطر النافع، بل على أثره الطيب، من الغيث.
 - والنعيم، أضمن دلالة من الجنة، بل وعلى الغاية من الجنة.
 - والنهر أضمن دلالة على وفرة الماء وكثرتة، من الماء، في قولنا جرى النهر، إذ النهر مجرى الماء.
- بل إن صولة نفسه يسوق قول الطاهر بن عاشور، في تفسير أية الرزق من السماء، وهو التفسير الذي يحمل من الدلالة، ما يمكن أن يكون داعماً للحجاجية المدججة للمجاز المرسل؛ قال ابن عاشور في تفسير آية المثال(6): "وَتَنْزِيلُ الرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ هُوَ نُزُولُ المَطَرِ لِأَنَّ المَطَرَ سَبَبُ الرِّزْقِ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ آيَةٌ أُدمِجَ مَعَهَا اِفتِتَانٌ، وَلِذَلِكَ عُقِبَ الأَمْرانِ بِقَوْلِهِ: وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ."⁽¹⁾، ثم يعلق صولة بقوله: "ولو قيل وينزل مطرا لما وقع إدماج في الحجاج."⁽²⁾ وإذا كان هذا فيما يخص الحجاجية المدججة، فماذا عن "الأضمن"؟

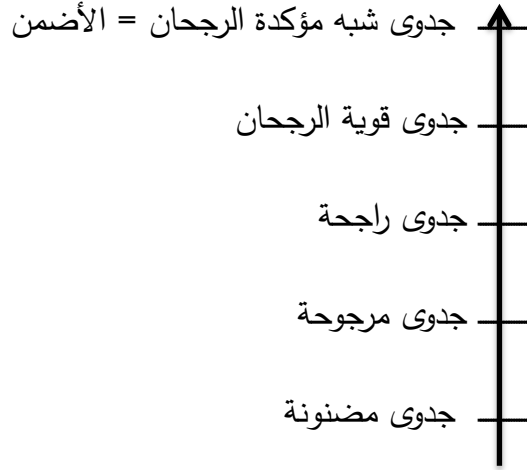
(1). محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج24، ص 102-103

(2). ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج م.س، ص95.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص45.

أما لماذا "الأضمن"؟، فذلك لثلاثة أمور، الأول: أنه لا يقطع مع تصور ديكرود في الأجدى، ولا مع صولة في الأنفع، وإنما يمثل ما يمكن تسميته، تحوير مصطلحي، نحو إصابة الغرض من وضع المصطلحين السابقين.

والثاني: أن الأضمن يأتي في أعلى السلم الحجاجي لحجاجية مفهوم الأجدى كما يلي:

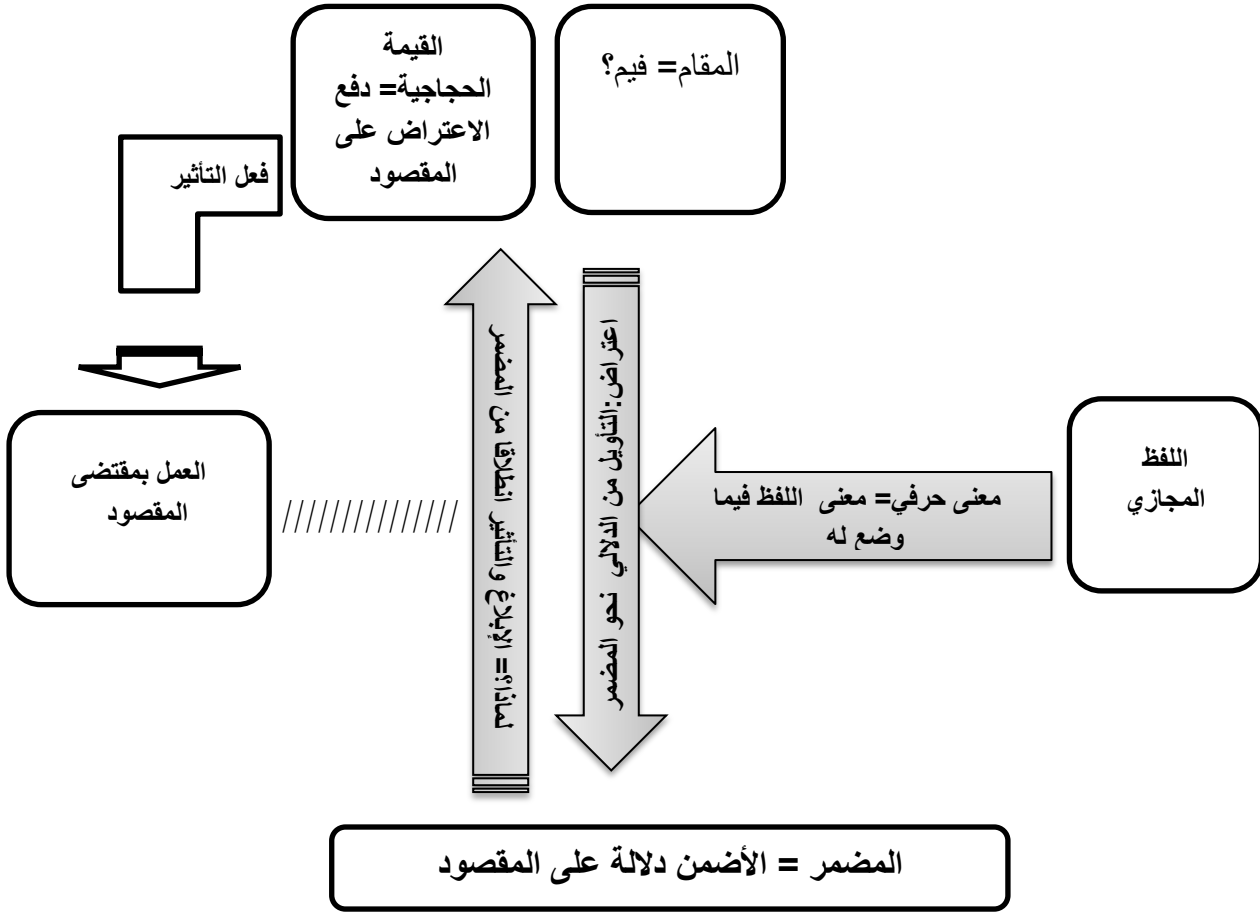


أما الأمر الثالث فهو: تلاؤم " الأضمن " مع مفهوم "القصدية" في التداولية، إذا تحري الأضمن يدفع إلى مستوى أعلى من القصد. بما يحمله طلب الضمان من جهد مبذول لا يفارق المسار التواصلية، من قبل لحظة التلفظ، إلى غاية تحقيق المفوظ لهدفه. وفضلا عن ذلك فهو يلتقي مع تفسير ماير لوظيفة المجاز، في قوله " اللجوء المنشود والمشروع إلى ما تتيحه البلاغة وخاصة المجاز من ضمانات وضمائنات المجاز حجاجية دون شك...¹"

وإلى هنا يمكن الخلوص إلى قول مفاده "... خروج المجاز من نطاق العملية الاصطلاحية الخالصة، لأنه لا يخضع بحال لمسائل القياس والاطراد، وهو ما يعني اتكاؤه على التحول المتجدد الذي يحتاج إلى حدة الذهن، وقوة الخاطر⁽²⁾، وهذا العمل الذهني المقصود بداية وانتهاء يمثل العمل الحجاجي للمجاز، الذي يمكن توضيحه في الخطاطة الآتي:

(1). محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة لميشال ميار، م س، ص 400.

(2). محمد عبد المطلب، البلاغة العربية -قراءة أخرى-، ط 1، الشركة المصرية العلمية للنشر-لونجمان، القاهرة-مصر، 1997، ص 163.



واستثمارا لهذه الخطاظة، مع ما سبق من تحليل لحجاجية المجاز، سيجري تحلي الأمثلة التطبيقية التالية:

● مثال: وصية معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد:

لما حضرت معاوية الوفاة، ويزيد غائب، دعا معاوية مسلم بن عقبة المري، والضحاك بن قيس الفهري، فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له:

"يا بني، إني قد كفيتك الشد والترحال، و وطأت لك الأمور، وذلت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد، فانظر أهل الحجاز، فإنهم أصلك وعترتك⁽¹⁾، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعهده، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف، ثم لا ندري علام أنت عليه منهم؟ ثم انظر أهل الشام، فاجعلهم

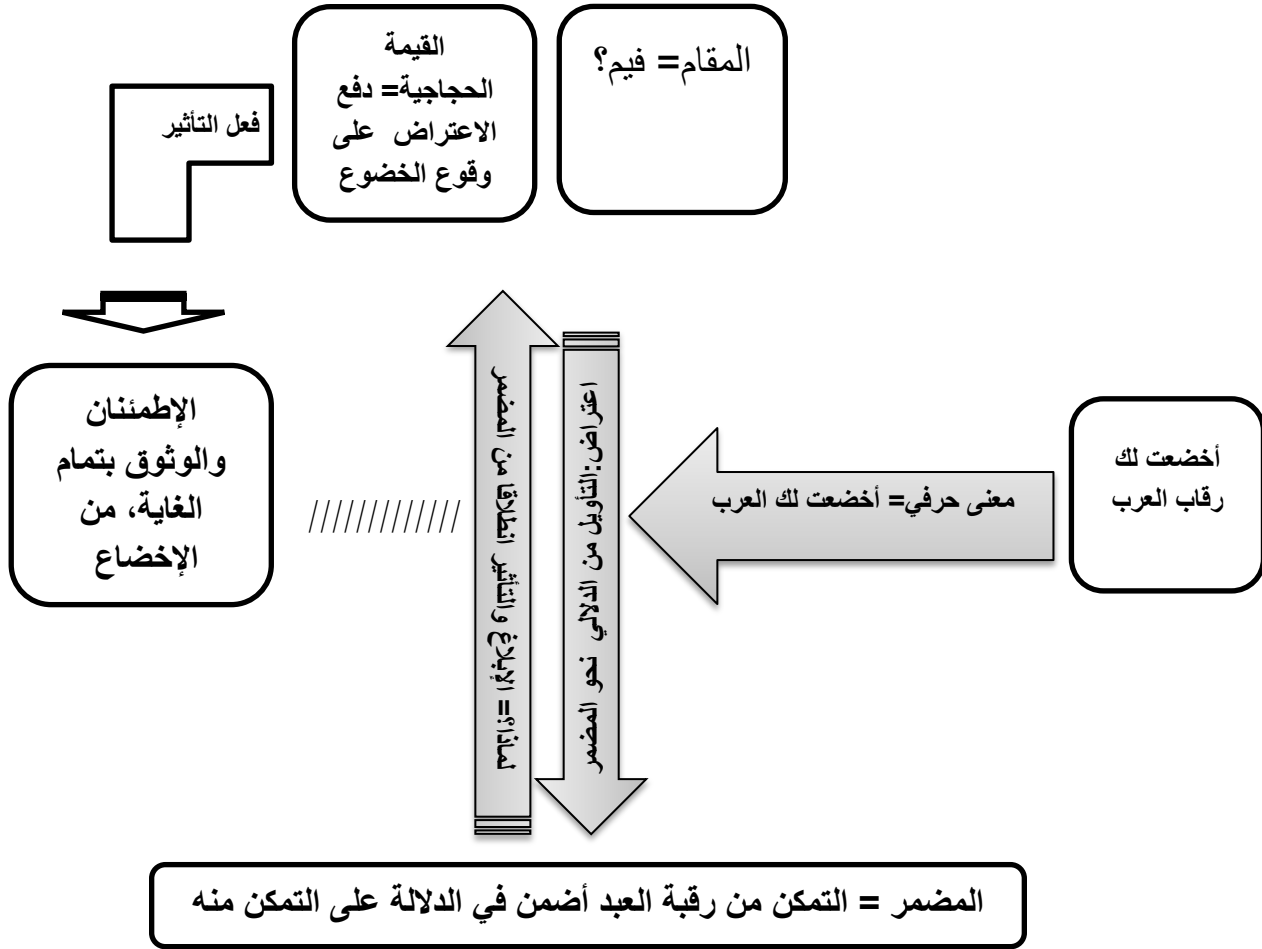
(1). عترة الرجل: عشيرته الأذنون.

الشعار⁽¹⁾ دون الدثار، فإن رابك من عدوك رب، فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم، فاردد أهل الشام إلى بلادهم، ولا يقيموا في غير بلادهم، فيتأدبوا بغير أدبهم." ⁽²⁾ في وصية معاوية عموماً نزوع نحو تصوير المعاني، والإعلاء من شأن ما تحويه من قضايا، ومما جاء في هذا السياق تصوير ما سيورثه معاوية ابنه: من انقياد الرعية، و خضوع من يُظن فيه التفلّت من قيود الطاعة ، والامتناع عن الاستجابة لصوت القائد، في صورة الذي خضعت رقبته، وانكسرت عزته، وانحنى إباءه، فهو مثل العبد الرقيق مطوّق العنق، بأغلال أوامر سيده. هذه الصورة جلاها أكثر توظيف معاوية ﷺ للمجاز المرسل الذي علاقه الجزئية، القائم على ذكر الجزء وإرادة الكل لمزية في الأول دون الثاني. فقد ذكر معاوية ﷺ الجزء (الرقاب) وإراد الكل (العباد)؛ فتجاوز العباد إلى الرقاب، يوجّهه مبدأ الأضمن دلالة وحجة، أما الدلالة فهو ما ذكر من صورة الخضوع، حينما إلى الرقبة دون العبد.

أما حجة فإن في إسناد الخضوع للرقاب دون أصحابها، دفع لتوهم أن يكون الخضوع مدخولاً، منقوصاً، أو أن يكون شكلاً لا مضموناً، أو أن يكون جزئياً لا كلياً؛ فإن خضوع الرجل يحتل نوعاً من التملص، و شيئاً من التوثب إذا سنحت أو أمكنت الفرصة، بخلاف خضوع الرقبة، فإن فيه كسر لهمة العصيان، وتفتيت لقوة المقاومة، ومحو لإمكانية النديّة بما يحمله تطويق الرقبة من مذلة يصعب بعدها ادعاء العزة، وبما تستدعيه طأطأة الرأس، من بقاء كل رفعة له بعد ذلك منحنية القوام غير مستوية، وبما يدل عليه ضيق الطوق من حبس للأنفاس، لن تنسى أنها ما بقيت تصعد وتهبط إلا بمنة من أخضعها؛ وهذه العملية الحاجبية للمجاز المرسل في قول معاوية ﷺ، يمكن صبّ أهم ما تقوم عليه في الخطاطة التالية:

(1).الشعار: الثوب يلبس على شعر الجسد، والدثار: الذي يلبس فوق الشعار.

(2). أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س، ج2، ص188.



2-2-3 حاجية الاستعارة؛ حينما يكون التخييل حجاجا:

2-2-3-1 مفهوم الاستعارة من اللغوي إلى التداولي:

إن كلمة استعارة تكفي بمجرد لفظها أن تقود السامع إلى حيث لا يكون الكلام مباشرا، و لا مبتدلا، وإنما عميق قيم، حتى إن قيمته تدفع صاحب فهم سطحي إلى تجنبه مقرا بعجز ما، وتستثير آخر للطعن فيه، والتقليل من قيمته، ووسمه بالتضليل، لكن مع ذلك، فما من إنسان إلا وهو لها مستعمل، وبها مبلّغ، وعليها متكئ إذا دُهِش من موقف، أو أُهْم له مفهوم، يقول ريتشاردز: "إن الاستعارة هي المبدأ الحاضر أبدا في اللغة... فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أي حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة... إن الاستعارات التي نتجنبها توجه تفكيرنا كتلك التي نتقبلها."⁽¹⁾

⁽¹⁾ ريتشاردز إيفور أرمسترونغ ، فلسفة البلاغة، ترجمة سيد الغانمي و ناصر حلاوي، دط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2002، ص(93،94).

ومن هنا كانت "الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها."⁽¹⁾

تعريف الاستعارة: يعرفها الجرجاني بقوله "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اُخْتُصَّ به حين وُضِعَ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعاريَّة."⁽²⁾، وفي هذا التعريف لا يذكر الجرجاني(ت471هـ) الغاية من هذا النقل لكن السكاكي(ت626هـ) يشير إلى تلك الغاية في تعريفه الاستعارة بقوله: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به..."⁽³⁾.

ففي هذا التعريف يقرب السكاكي(ت626هـ) الاستعارة بمفهوم الادعاء، وكأن الاستعارة تأتي حجة على ذلك الادعاء، و لعل صورة تلك الحجة تظهر من خلال خرق أسلوب الكلام العادي، والعدول عنه إلى نوع مبالغة، إظهاراً لمزية ما، تمنح ذلك الادعاء وجاهة وقبولاً عند المتلقي، فهي بالتالي: "ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه"⁽⁴⁾، على أن المبالغة في الاستعارة ليست لتزييف الواقع بل لإثباته، عن طريق تجليته، وإبرازه بمقاربة مطابقته لما هو في الأذهان مقبول ومعروف، لا اختلاف عليه.

(1). ابن رشيق القيرواني، العمدة، م.س، ج 1، ص268.

(2). الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، م.س، ص395.

(3). السكاكي، مفتاح العلوم، م.س، ص369. ويعطي السكاكي(ت626هـ) مثالا توضيحياً لذلك فيقول: "كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدعياً أنه من جنس الأسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر أو كما تقول إن المنية أنشبت أظفارها وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين معنى الاستعارة وذلك أنا متى ادعينا في المشبه كونه داخلاً في حقيقة المشبه به فرادا من أفرادها برز فيما صادف من جانب المشبه به سواء كان اسم جنسه وحقيقته أو لازماً من لوازمها في معرض نفس المشبه به نظراً على ظاهر الحال من الدعوى فالشجاع حال دعوى كونه فرداً من أفراد حقيقة الأسد يكتسي اسم الأسد اكتساء الهيكل المخصوص إياه نظراً على الدعوى والمنية حال دعوى كونها داخلة في حقيقة السبع إذا أثبت لها مخلب أو ناب ظهرت مع ذلك ظهور نفس السبع معه في أنه كذلك ينبغي، وكذلك الصورة المتوهمة على شكل المخلب أو الناب مع المنية المدعى أنها سبع تبرز في تسميتها باسم المخلب بروز الصورة المتحققة المسماة باسم المخلب من غير فرق نظراً على الدعوى، وهذا شأن العارية فإن المستعير يبرز معها في معرض المستعار منه لا يتفاوتان إلا في أن أحدهما إذا فتن عنها مالك والآخر ليس كذلك.

(4). ينظر: ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب)، م.س، ج1، ص110.

• الاستعارة من المنظور التداولي:

يمكن اعتبار النظرة التداولية للاستعارة امتدادا مطورا للنظرة الدلالية، فتداولية الاستعارة كانت حاضرة في التفكير الدلالي حول الاستعارة، قصدا أو عرضا⁽¹⁾، لتمييز وتبرز أكثر على مستوى نظرية أعمال الكلام وعند سورل تحديدا.

• مفهوم الاستعارة لدى "جان سورل":

يدرس سورل الاستعارة ضمن ما يعرف بأعمال اللغة غير المباشرة، وهي أعمال تنشأ من أقوال يرمي المتكلمون من خلالها إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي⁽²⁾. فالإشكال في الاستعارة من هذه الزاوية ليس في وجود معنيين: المقصود المجازي، والحرفي الحقيقي، ولكن في كيفية تأويل الحقيقي نحو المجازي⁽³⁾، وإلى هذا أشار سورل بقوله: "إن الاستعارة، إذن هي الجملة التي يختلف معناها عما يقصده المتكلم. مع العلم أن معنى الجملة لا يكون استعاريا أبدا، بينما معنى المتكلم هو الذي يكون استعاريا في التلفظ المجازية. وعليه، فإن الجملة لا تمتلك معنيين: معنى حقيقيا ومعنى مجازيا، وإنما تمتلك معنيين مختلفين لكل واحد منهما شروط صدق خاصة به. ومن ثم، فالمعنى الاستعاري للجملة هو المعنى الذي ينويه المتكلم حينما يقول إن (س) هي (ر)، من خلال قوله (س) هي (ب) ويختلف بالضرورة عما يدل عليه معنى الجملة⁽⁴⁾. المحصل من خلال قوله (س) هي (ب).

ويمكن تفسير قول سورل بما ذهب إليه طه عبد الرحمن من أن "القول الاستعاري يتألف من مستويين، مستوى المعنى الحقيقي ومستوى المعنى المجازي، فبالإمكان أن نخصص لكل مستوى من هذين المستويين "مقاما" معينا: "المقام الخاص بالمعنى الحقيقي"، و"المقام الخاص بالمعنى المجازي". وبما أن المعنى الحقيقي "ظاهر غير مراد أو قل "ظاهر مؤول"، والمعنى المجازي "مضمّر مراد" أو قل "مضمّر مبلغ"، جاز أن نميز في المقام الحقيقي بين "حال الإظهار" و "حال التأويل"، وفي المقام المجازي بين "حال الإضمّار" و "حال التبليغ"⁽⁵⁾.

(1). ينظر: لحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لاكوف ومار جونسون، م.س، ص201.

(2). ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية، م.س، ص49.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ص54.

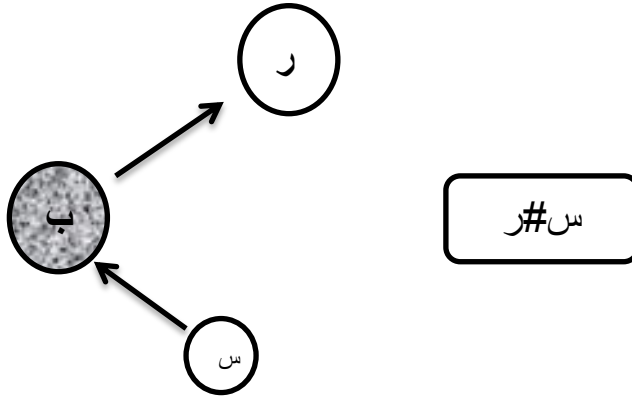
(4) Searle ? sens et expression ; pp130 .210. نقلا عن الحويدق، م.س، ص

(5). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. م.س، ص310.

الفصل الرابع _____ حاجبية "مالم يقلد" من التدليل إلى التخبيد

فقولنا عمر أسد؛ جملة معناها من حيث المنظور اللساني الداخلي المحايث، أن عمر يملك خصائص الأسد لحد التطابق. وهو بحسب طه عبد الرحمن (المعنى الحقيقي) غير المراد حيث عمر هو(س) وأسد هو(ب)، أما قصد المتكلم: من حيث المنظور الخارجي التداولي، الذي يسميه طه عبد الرحمن (المعنى المجازي، المراد)، هو عمر شجاع؛ حيث عمر هو(س) وشجاع هو(ر).

وحين التلطف بالجملة (س) هو (ب)، ينشأ بين المستويين الحقيقي والمجازي تعرضاً، لا يندفع إلا باللجوء إلى التأويل، وهكذا فإن المستمع يشعر إزاء عبارة استعارية من قبيل "رأيت أسداً في الحمام"، بنوع من التنافر الدلالي الناجم عن خرق المتكلم لمبادئ الأفعال الكلامية أو قواعد المحادثة. فيضطر إلى تنشيط مجموعة من الاستراتيجيات والمبادئ التأويلية التي تسمح له بتحديد السمات المشتركة بين "الإنسان" و "الأسد". وذلك حتى يتمكن من إعادة الكلام إلى حظيرة اللغة ويصبح له معنى مقبول. ... وللوصول إلى معنى التلطف يجب المرور بالمعنى الحرفي للجملة وهذا ما توضحه الخطاطة الآتية:⁽¹⁾



وإذا كان سورل قد اهتم بما يجعل الملفوظ مقبولاً، في معناه، وارداً في سياقه، فإن هناك من حاول أن يعطي للقول الاستعاري، مستواً أعلى، وأثراً أعمق، في سياق التواصل وتبادل الخطابات، ذلك هو المستوى الحجاجي، وأثره الإقناعي. مع بيرلمان، وميشال لوغرين.

نقلا عن الحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو J.Searle, sens et expression, 164. -⁽¹⁾

إلى لايكوف ومار جونسون، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015، ص211.

2-2-3 المقاربات الحجاجية للاستعارة:

لقد حاول بيرلمان في نظريته الحجاجية، أن يتجاوز مستوى الزخرف والتزيين المرتبط بالمحسنات البلاغية، ليمنحها وظيفة حجاجية تأمن لتلك المحسنات وجودها في بنية الخطاب، ووظائفه. وعلى رأس هذه المحسنات الاستعارة التي يعرفها تبعاً لذلك بقوله: "إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا، إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي [...] إننا لا نستطيع في هذه اللحظة وصف الاستعارة إلا بتصورها، على الأقل من وجهة نظر حجاجية، باعتبارها تناسبا مكثفا ناتجا عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له"⁽¹⁾.

فلاستعارة عند بيرلمان تكثيف تناسبات، ويقول في ذلك: "لن أهتم إلا بالاستعارات التي هي في تعريف أرسطو قائمة على التناسب والتي هي في الواقع مجرد تناسبات مكثفة"⁽²⁾.

ومن أجل بيان هذا التكتيف وتحليل ناتجه إلى العناصر المكونة له يضرب بيرلمان مثالا أورده أرسطو لبيان الاستعارة وهو: "نسبة الشيخوخة إلى العمر كنسبة المساء إلى اليوم"⁽³⁾.

ولأجل تقريب مفهوم التكتيف، نستعين بالتناسب الرياضي، كما يلي:⁽⁴⁾

- المساء آخر النهار.....تناسب أول

- الشيخوخة آخر العمر.....تناسب ثاني

- العمر هو النهار.....تناسب ثالث

قينتج بتطبيق طريقة الرابع المتناسب(التكتيف):

الشيخوخة=العمر*المساء/ النهار؛ وبتعويض العمر بمساويه ينتج:

الشيخوخة=النهار* المساء / النهار؛ وباختزال النهار مع النهار ينتج:

الشيخوخة= المساء ثم يعبر عنها لغويا ب الشيخوخة مساء.

حالة أخرى:

(1)- Traité de l'argumentation, P.535.

(2)- Perlman, ch. Rhétorique, p.398.

(3). أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: ابراهيم حمادة، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1989، 186.

(4). ولقد ألمح روبرول إلى هذا التحليل الرياضي في دراسة الاستعارة والتمثيل. ينظر: أوليفي روبرول، مدخل إلى الخطابة، م.س، ص215.

- المساء آخر النهار.....تناسب أول

- الشيخوخة آخر العمر.....تناسب ثاني

- الشيخوخة هي المساء.....تناسب ثالث

قينتج بتطبيق طريقة الرابع المناسب(التكثيف):

العمر = الشيخوخة*النهار/المساء؛ وبتعويض الشيخوخة بما يساويها ينتج:

العمر=المساء* النهار/ المساء(وبختزال المساء مع المساء) ينتج:

العمر = النهار ونعبر عنه لغويا بالقول: العمر نهار.

وبنفس الطريقة يمكن تحليل الاستعارة الشهيرة علي أسد كما يلي:

- الأسد الأشجع في الغابة.

-علي الأشجع في الحرب

- الحرب هي الغابة. نحصل على: علي = الحرب * الأسد/ الغابة والغابة = الحرب

إذن: علي = الغابة في الأسد/ الغابة تختزل الغابة مع الغابة فينتج:

علي = الأسد، وتطلق الاستعارة في قولنا علي أسد نريد بها علي ذروة الشجاعة.

ومن هنا كانت الاستعارة عند بيرلمان " لا يمكن تحليلها حاجيا إلا من حيث هي تمثيل(تناسب)

تكتف... ووجه الكثافة فيه الاندماج الحاصل بين أحد عناصر الموضوع وأحد عناصر الحامل (بين الشيخوخة

والمساء أو بين العمر والنهار، والأمر نفسه مع المثال الثاني). وهو ما يبين رياضيا أنفا.

أما ميشيل لوغرين Michel le guern ، فإنه لا يخالف بيرلمان في ما ذهب إليه، ولكن كذلك

لا يوافق على حصر الاستعارة في النوع الرابع القائم على علاقة التناسب في مقاله الموسم "الاستعارة

والحجاج"⁽¹⁾ لا يوافق "بيرلمان" مفهوم الاستعارة حسب التعريف الأرسطي للاستعارة، فهو يوسع مفهوم

الاستعارة ليشمل الثالث الذي يتم فيه النقل من النوع إلى النوع، يقول:

"إن الفرق الوحيد الذي يجعل نظرتي في مقابل نظرتي يأتي من أننا لا نفهم نصا أساسيا عند أرسطو

فهما متماثلا، فقد أقام أرسطو تصنيفه للاستعارة على اعتبار النقل:

(1)- Leguern (Michel) « Métaphore et argumentation, i : l'argumentation : Lyon/presse universitaire de lyon,1981, pp65-74.

1- الجنس إلى النوع.

2- من النوع إلى الجنس.

3- من النوع إلى النوع.

4- حسب علاقة التناسب.

ولا أحد يجادل في أن مفهوم الاستعارة، كما نستعمله اليوم، لم يعد النوعين الأولين اللذين نجد فيهما معنى المجاز المرسل (علاقة التضمن وعكسه). أما النوع الثالث فيتطابق تماما مع ما نعنيه اليوم باسم الاستعارة، أو إذا شئنا بالاستعارة في معناها الضيق⁽¹⁾.

ويقوم "لوغرين" تصويره الحجاجي للاستعارة على مفهوم السيمات الدلالية، حيث تمثل السمات الدلالية الموظفة في الاستعارة سيمتا قيمة، فالقول عن الحمار إنه حمار فهذا معناه أنه حيوان + عنيد + بليد + شديد + ... أما إطلاق حمار على الإنسان يعني أنه إنسان + عنيد + بليد، فعنيد وبليد سيمات قيمة، كما يمكن لهذا الملفوظ في سياق مغاير أن يعني: إنسان + شديد (عندما تطلق على إنسان، يتحمل كل الأشغال الشاقة مثلا)⁽²⁾. والمحدد لهذه السيمات القيمة إنما هو المقام الاجتماعي بما يحتويه من ثقافة و تاريخ وعادات وأعراف، "فالصورة النابعة في ثقافة معينة من أحضان التراث الشعبي والفلكلور والنتاج القصصي أو التعليمي العام، هي التي تزودنا بالسمات القيمة أكثر مما يزودنا بها ما للحيوانات من محاسن وعيوب حقيقية"⁽³⁾. فحجاجية القول الاستعاري تسلك الطريق التالي:

- مقدمة كبرى: الحمار بليد وعنيد.

- مقدمة صغرى: زيد بليد و عنيد

- نتيجة: زيد حمار.

وواضح الافتراق بين منظور بيرلمان ومنظور لوغرين لحجاجية الاستعارة. فالأولى قائمة على تشابه العلاقات، والثانية على علاقة التشابه، وبالمصطلح البلاغي العربي؛ فإن استعارة بيرلمان تؤسس للاستعارة التمثيلية، أما استعارة لوغرين فتعكس الاستعارة المفردة. وبهذا تعددت المقاربات التحليلية لحجاجية الاستعارة.

(1). ينظر: ميشال لوغرين، "الاستعارة والحجاج"، ترجمة د. الطاهر وعزيز، ضمن مجلة المناظرة، الطبعة الثانية، العدد 4 مايو 1991، ص86.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص87-88.

(3). المرجع نفسه، ص88.

2-2-3-3 المقاربات التحليلية لحجاجة الاستعارة:

وفي هذا الصدد يمكن أن تكون أهم المقاربات اثنتين، الأولى مستوحاة من تصور لوغرين للاستعارة الحجاجة، والثانية تبدو تستقي أو تلتقي مع تصور سيرل للاستعارة.

2-2-3-3-1 مقارنة عبد الله صولة و أبي بكر العزاوي:

وتقوم هاتين المقاربتين على استلهام تولمين في ترسيمته، و ديكر في سلمه الحجاجي، وبينهما من التقارب ما يمكن جعلهما مقارنة واحدة تقوم على التكامل:

- الاستعارة من خلال نموذج تولمين:

يرى عبد الله صولة، أن الاستعارة من زاوية حجاجة تعود إلى أصل واحد، قوامه العدول عن (ب) التي هي معلومة جديدة إلى (أ) التي هي معلومة قديمة، حيث تمثل (ب) حكما، حيث يرد على هذا الحكم -في مقام معين- اعتراض بطريقة أو بأخرى، أو يحتمل أن يكون كذلك، مثل الحكم على شخص بأنه بليد، أو شجاع، أو كريم، ونرمز لهذا الحكم بـ(ب)، وكانت (أ) محلّ إجماع في عالم معتقدات المخاطبين بما. حيث (أ) يمكن أن تكون أحد الملفوظات (هو حمار/هو أسد/ هو بحر).⁽¹⁾

هذه الملفوظات يسوقها المخاطب تثبيتا لدعاوي البلادة أو الشجاعة أو الكرم" وتأجيلا لإمكان الاعتراض على الدعاوي المذكورة"⁽²⁾.

و وجه الحجاج في ذلك أنه: "ما من حمار إلا وهو بليد؛ أو أسد إلا وهو شجاع؛ أو بحر إلا وهو سخي، فقد يعترض على الحكم بأنه بليد أو شجاع أو كريم؛ لكونه مما لا يتصف به الشخص موضوع الكلام. لكن لا يمكن أن يعترض على كون الحمار بليداً والأسد شجاعاً والبحر سخيّاً، فهذه المعلومة

⁽¹⁾. ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص91.

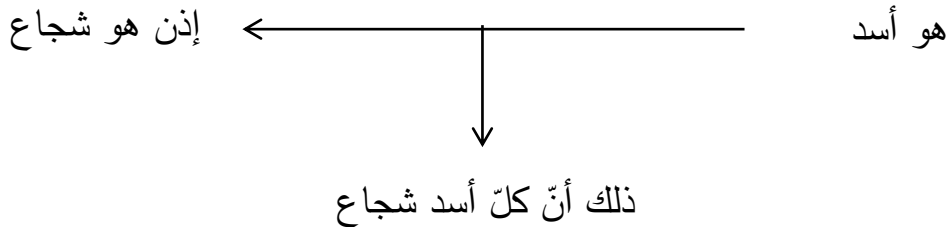
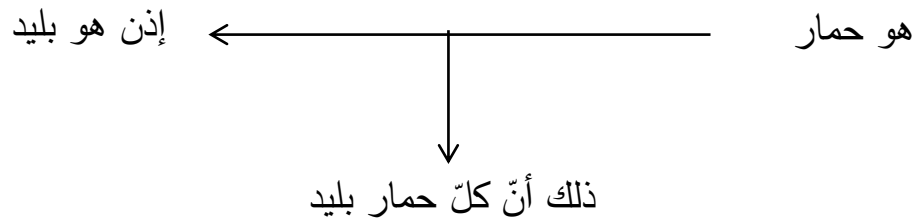
و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص42.

(2) أنظر:

الفصل الرابع _____ حاجية "مالم يقل" من التديل إلى التخييل

المسلم بها المقتضاة نكون قد فتحنا ثغرة أولى في حصن المخاطب اللاتذ بالإنكار⁽¹⁾. فوجه الحجاج في الاستعارة يقوم على "تقديم فكرة تحت دليل فكرة أخرى أشد إثارة أو معرفة أكثر"⁽²⁾

لكن قبول وجه الحجاج والتسليم له يحتاج إلى ما يضمنه، وما يوجه المخاطب إليه عبر تسهيل الانتقال من المعطى الملفوظ إلى النتيجة المتوخاة، هذا الضامن أو قانون العبور Loi de Passage " باصطلاح تولمين S.Toulmin ؛ أو الموضع Topoi باصطلاح ديكر و يتمثل في: فكرة أو رأي هو محل إجماع من قبل المتخاطبين، تتضمنه المعلومة القديمة، القادمة إلينا من جهة المجاز، مما يزيد الملفوظ في عبوره من الحججة إلى النتيجة متانة وتماسكا. وذلك على النحو الآتي⁽³⁾:



(1) ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص92.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص42.

(2) ريكور بول، الاستعارة الحية، م.س، ص123.

(3) ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص92، 93.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص42.

- الاستعارة من خلال نموذج السلم الحجاجي:

وفي هذه المقاربة تلتقي نظرة عبد الله صولة مع تصور أبي بكر العزاوي؛ الذي يعطي للاستعارة وظيفة الرابط الحجاجي «حتى»، من خلال ما تحمله ضمينا من حجة، تأتي بوصفها أقوى الحجج في سياق التلفظ، مما يجعلها غير قابلة للإبطال، أي أن الاستعارة وسيلة لغوية يوظفها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بصفة قريبة من القطعية، بعيدة عن احتمال الإخفاق، لذا فهي تعد أكثر الوسائل اعتمادا في اللغة، لكونها أخص الخصائص اللسان البشري.⁽¹⁾

وما رآه العزاوي لا يبعد عمّا يراه عبد الله صولة من كون " الحجّة التّاجمة عن التشبيه والاستعارة تحديدا تظهر فعاليتها الحجاجية في أنّها تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت تسدّ مسدّه إذ بالإمكان أن نترقى بها في الحجاج على النحو التالي:⁽²⁾

↑	↑
ن = فاقصده	ن = فاحذره
ق 2 بل بحر	ق 1 بل أسد
ق 1 هو كريم	ق 1 هو شجاع
↓	↓

وعلى النحو الذي نحاه العزاوي وصوله، نحاول الكشف عن تلك الطاقة الإقناعية والإمتاعية في الخطابة العربية من خلال بعض الأمثلة:

(1). ينظر: العزاوي أبو بكر، "نحو مقارنة حجاجية للإستعارة"، مجلة المناظرة، ص(80-82)

(2). عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، م.س، ص93.

و عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج)، م.س، ص43.

• مثال تطبيقي:

• مقام الخطبة: مقام الخطبة مقام عزاء

جاء في جمهرة خطب العرب أن سلام ذي فائش (أحد ملوك اليمن) نشأ له "ابن كأكمل أبناء المقاول، وكان مسرورًا به يرشحه لموضعه؛ فركب ذات يوم فرسًا صعبًا؛ فكبا به فوقه؛ فجزع عليه أبوه جزعًا شديدًا، وامتنع من الطعام واحتجب عن الناس، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه؛ فلامه نصحاؤه في إفراط جزعه؛ فخرج إلى الناس فقام خطبائهم يؤسونه، وكان في القوم الملبب ابن عوف، وجعادة بن أفلح فقام الملبب فقال: في تعزيتة :

أيها الملك، إن الدنيا تجود لتسلب، وتعطي لتأخذ وتجمع لتشتت، وتحلى لتمر، وترزع الأحران في القلوب، بما تفجأ به من استرداد الموهوب، وكل مصيبة تخطأتك جلل، ما لم تدن الأجل، وتقطع الأمل، وإن حدث ألم بك؛ فاستبد بأقلك، وصفح عن أكثرك، لمن أجل النعم عليك، وقد تناهت إليك أبناء من رزى فصبر، وأصيب فاغتفر؛ إذ كان شوى فيما يرتقب ويحذر؛ فاستشعر اليأس مما فات، إذ كان ارتجاعه ممنوعًا، ومرامه مستصعبًا؛ فلشيء ما ضربت الأسي، وفرع أولو الألباب إلى حسن العزاء.⁽¹⁾

في الخطبة عدد من الأمثلة التي تصلح لتطبيق المقاربة المعتمدة على نموذج تولمين، والسلم الحجاجي. تكمن هذه الأمثلة في قول الملبب: "إن الدنيا تجود التسلب، وتعطي لتأخذ وتجمع لتشتت، وتحلى لتمر،..."

- التصوير في الخطبة:

لقد صور الملبب الدنيا في صورة، تَنفُرُ منها النفوس، وتزديرها العقول، ليس لبشاعة فيها، أو سوء خِلقة صوّرت عليها، ولكن لدناءة أخلاق التصقت بها، والملبب يجسدها إنسانا، متقلبا، متلونا، ذا وجهين، قد أبطن الشر والسوء، وأظهر الخير والجود، يعطي بيد ليأخذ بالأخرى، ويلم الشتات ليمزق جمعه، ويفرق شمله، مرة بعد مرة، فهو لا يعرف قرارا، حتى تفر عينه حين يلحق بالعباد أضرارا.

قد صدق فيها قول القائل:

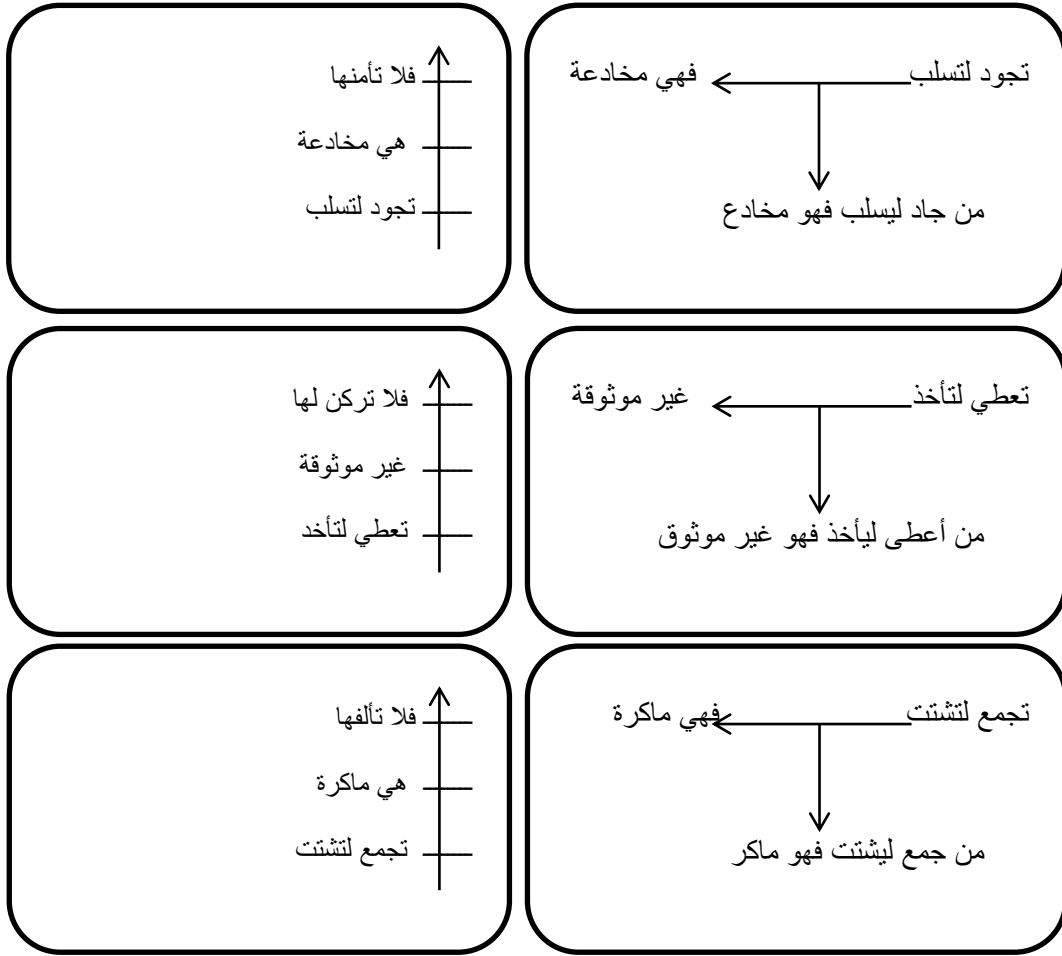
مالي أرى حياة الدنيا لا تحلو وإن حلت تلاها الهم والغم

(1). أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، م.س، ج1، ص17.

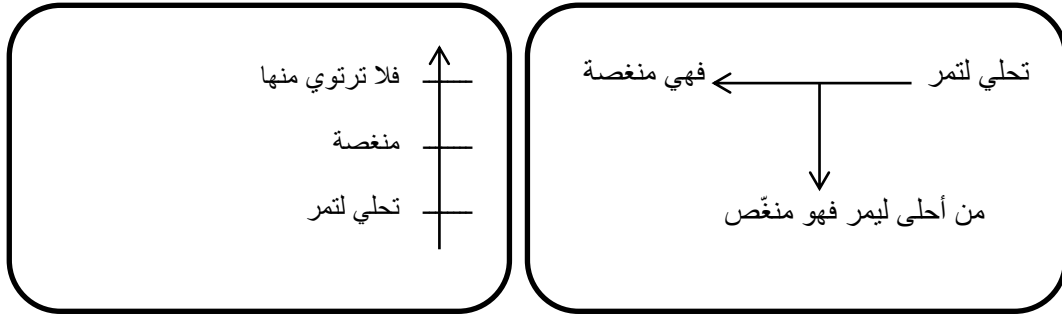
فذاك اليوم بالأفراح عشناه وهذا اليوم أخفى شمس الغيم
فإن نحيك يادنيا ففي كبد ألا سبحان من في قوله الحكم.⁽¹⁾

- الحجاج في الخطبة:

إن الاستعارة المكنية التي وظفها الخطيب ليصور الدنيا في تغيرها بالعباد، في الواقع تضم إلى جانب التصوير الممتع، حجاجا مقنعا، توضحه الخطاطات التالية:



⁽¹⁾. من إنشاء الباحث.



وسلسلة الحجج هذه يريد الملبب أن يقنع ذي فائش، بعدم الجدوى من الحزن على ما تمنحه الدنيا، فهي ذات غائلة، زائلة. والنتيجة الأخيرة: لا تحزن على ما فات منها.

2-2-3-2 الاستعارة بوصفها فعل كلامي غير مباشر:

يرى طه عبد الرحمن كما مر أن للقول الاستعاري مقام حقيقي وآخر مجازي، متعارضين، وبهذا الاعتبار يفترض أن يكون القول الاستعاري قولاً حوارياً، و حاجبياً، وعملياً، كما يلي:

1- حوارية الاستعارة:

ومعناه أن تشترك ذوات خطابية متعددة في بناء الكلام، وهي أربع، لكل منها وظيفة تخاطبية متميزة: "الذات المظهرة" (بكسر الهاء) و "الذات المؤولة" ب (بكسر الواو المشددة)، المرتبطتان ب "المقام الخاص بالمعنى الحقيقي" و "الذات المضمرة" (بكسر الميم) و "الذات المبلغة" (بكسر اللام المشددة)، المرتبطتان ب "المقام الخاص بالمعنى المجازي"⁽¹⁾

2- حاجبية الاستعارة:

وأساسها آليتي "الادعاء" و "الاعتراض" اللتين تميزان الحجاج. و الدائرتان بين الذوات المتخاطبة. كما يلي:

على مستوى مقام المعنى الحقيقي:

- "الذات المظهرة" والوظيفة الحاجبية لهذه الذات هي أنها تدعي وجود المعنى الحقيقي للجملة، أي تدعي المطابقة بين المستعار له والمستعار منه،

(1). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. م.س، ص310.

- "الذات المؤولة" للمستعير، فيقوم دورها الحجاجي في الاعتراض على وجود المعنى الحقيقي للجملة، بما أن المعنى المؤول هو أولى بالخفاء من المعنى المضمّر، أي يقوم هذا الدور في إنكار المطابقة بين المستعار له والمستعار منه.

على مستوى مقام المعنى المجازي:

- "الذات المضمرة" و تقتضي منها وظيفتها الحجاجية أن تدعي وجود المعنى المجازي للجملة، أي أن تدعي المباشرة بين المستعار له والمستعار منه.

- "الذات المبلغة" للمستعير يقتضي منها دورها الحجاجي أن تعترض على وجود المعنى المجازي للجملة، بما أن المعنى المبلغ هو أولى بالظهور من المعنى الحقيقي غير المبلغ، أي أن تنكر هذه الذات المباشرة بين المستعار له والمستعار منه.⁽¹⁾

ومع ما يكون من ادعاء و اعتراض، يتم الانتقال الذي يحققه المستعير من المستوى الحقيقي إلى المستوى المجازي، ومن المجازي إلى التبليغي، ومن التبليغي إلى الحجاجي.⁽²⁾

وإثبات تعارض البنية الاستعارية وتكاثر ضروب هذا التعارض، نكون قد أثبتنا أن المتعارض - وهو المستعير - يسلك طرقا حاجية ظاهرة التناقض، لا نحس فيها، مع ذلك، تعديا لحدود المعقول الطبيعي⁽³⁾.

3- فعالية الاستعارة:

ومن خلال هذه الفعالية يظهر الجانب العملي للاستعارة، الصانع للأثر الإقناعي الذي غاب عن البلاغيين والنقاد، وهم ينقبون عن أثرها الإمتاعي. وفي هذا يقول طه عبد الرحمن: "ويظهر هذا التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه، سواء أصرح به أم لم يصرح به؛ وغالبا ما يقتزن هذا الطرف فيها، حاليا أو مقاميا، بنسق من القيم العليا، إذ ينزل منزلة الشاهد الأمثل والدليل الأفضل، فتكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع في تقويم الواقع والسلوك، وأن يتعرف المستمع على هذا القصد منه، وعلى معنى كلامه وما يلزم عنه، وأن يكون هذا التعرف سبيلا لقبول خطابه و لإقباله على توجيهه.

(1). ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. م.س، ص310.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص311.

(3). ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، م.س، ص47-48.

وليس في هذه الحقيقة إثبات لوشائج الاتصال القائمة بين الاستعارة وبين نظام الموازين العملية التي ينبنى عليها التواصل الاجتماعي فحسب، وإنما فيها كذلك إبطال للدعوى التي ما فتئت تجعل الغاية القصوى من الاستعارة التوسل بالتخييل واصطناع التجميل⁽¹⁾

فالاستعارة في كل الأحوال حاجية تداولية، وهو ما عاد إلى القول به أبو بكر العزاوي، الذي كان على نهج ميشال لوغرين، يرى أن من الاستعارة ما هو إمتاعي و فقط، وفيها ما هو إمتاعي وإقناعي، ليعود مؤكداً أن كل الاستعارات حاجية، فيقول: " لقد ميزنا فيما سبق بين الاستعارات الحجاجية والاستعارات البديعية، وقلنا إن الاستعارة البديعية تكون مقصودة لذاتها ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وسياقاتهم التخاطبية وأهدافهم الحجاجية وأعطينا مثالا ببيت الوأواء الدمشقي

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد⁽²⁾

وقلنا إن السياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي، وليس سياق التخاطب والتواصل الاجتماعي ونقول الآن، إن كل الاستعارات حاجية، بما في ذلك الاستعارات البديعية المغرقة في البديع، لكن درجة حاجية الاستعارة تختلف من نمط لنمط، ومن حالة لحالة أخرى، فهناك أنماط من الاستعارات. وقد قدم اللغويون والأدباء والنقاد والبلاغيون تصنيفات عديدة، وكلما كانت الاستعارة مغرقة في البديع قلت درجة حاجيتها، ولا نقول إنها ليست حاجية، فكل الاستعارات حاجية⁽³⁾

وحيثما تتأكد للاستعارة حاجيتها تغدو " ... أجلى تقيُّداً بمقام الكلام، المتكون من المتكلم والمستمع ومن أنساقها المعرفية والإرادية والتقديرية ومن علاقاتها التفاعلية المختلفة. ومن ثم تقوم بإجراء تغيير في الأنساق الاعتقادية والقصدية والتقويمية للناطقين ودفعهم إلى الانتهاض إلى العمل⁽⁴⁾

(1). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. م.س، ص312،313

(2). الوأواء الدمشقي (أبي الفرج محمد بن أحمد الغساني)، الديوان تحقيق: سامي الدهان، ط 2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1414 هـ /1993م، ص84.

(3). يوسف أمغر، "الدكتور أبو بكر العزاوي أو الصورة المغايرة للحجاج اللغوي العربي"، حوار مع أبي بكر العزاوي، طنجة الأدبية العدد 56،

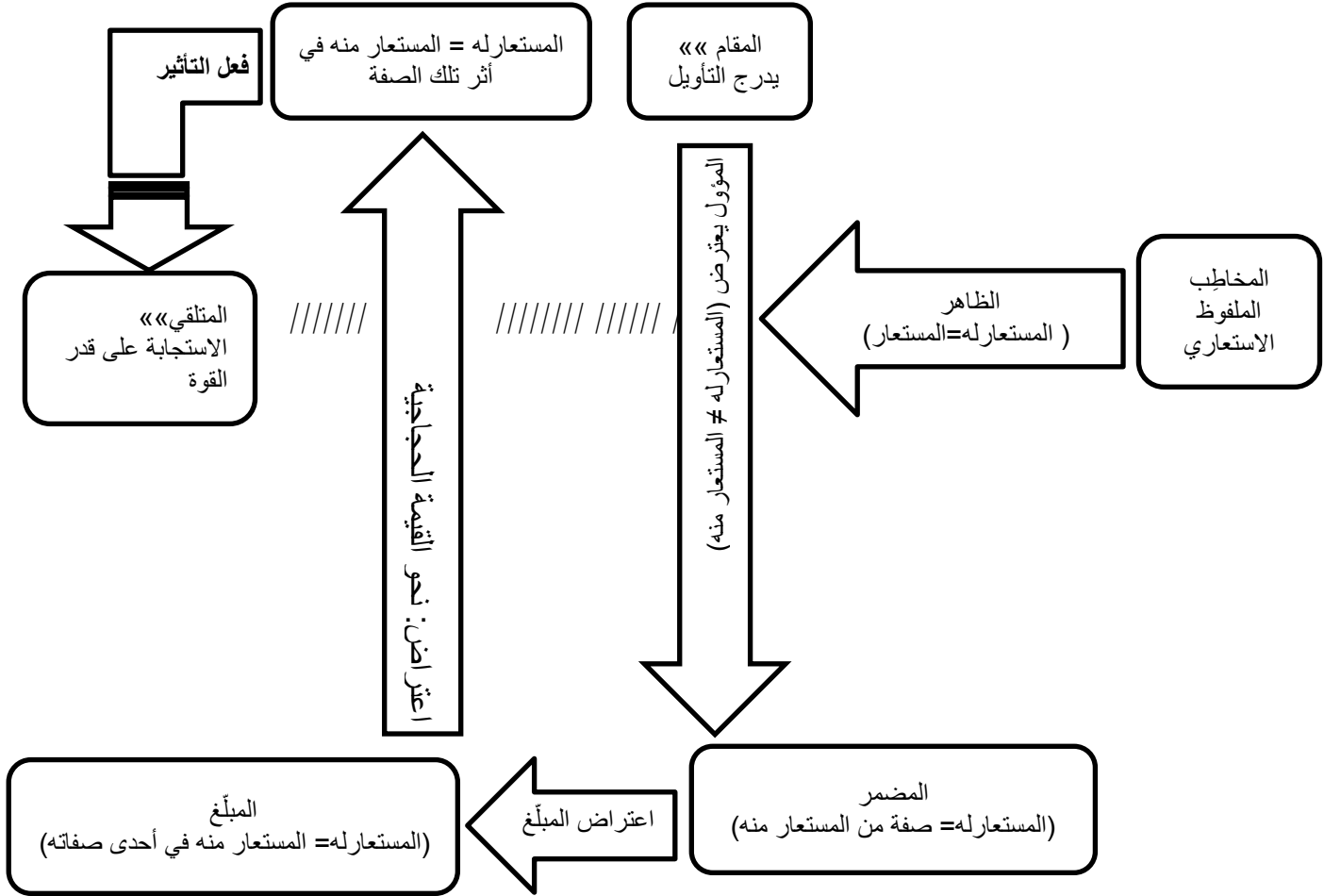
جويلية-أوت2015، ص14

(4). طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. م س، ص312

الفصل الرابع _____ حاجية "مالم يقل" من التديل إلى التخييل

وهذه الطاقة الحجاجية للاستعارة، والمنبثقة منها، في عدة مستويات ، وعلى أوجه عدة، نجملها في

الخطاطة التالية:



إن أهم ملحوظة يمكن تسجيلها من قراءة هذه الخطاطة هي طول المسلك الحجاجي، وتعقيده في الاستعارة مقارنة بالكناية والمجاز، وإن يكن من تعليل لذلك فإنما هو كامن في طبيعة كل طرف؛ إذ أن المجاز والكناية تجريان في عالم واحد، في حين تنشأ الاستعارة عن مناسبة بين عالمين، سواء كان مشابهة أو مطابقة. كم أنها انتقال تشبيه شيء بالملزوم في لازم يقول السكاكي (ت 626هـ): "فإن المجاز ينتقل فيه من الملزوم على اللازم... وأن الكناية ينتقل فيها من اللازم على الملزوم... ثم إن من المجاز أعني الاستعارة من حيث أنها من فروع التشبيه... لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم على اللازم بل لا بد فيها من تقدم تشبيه

شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من أن تأخذه أصلاً ثالثاً ونقدمه فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدريب في فنون السحر البياني. " (1). وفي المثال التالي نحاول إدراك سلسلة التلازم، وما تنتجه من حاجية.

مثال تطبيقي: :: خطب داود بن علي وهو "من خطباء بني هاشم ، ويكنى أبا سليمان، وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالاً واقتضاباً للقول، ويقال إنه لم يتقدم في تحبير خطبة قط. وله كلام كثير معروف محفوظ، فمن ذلك خطبته على أهل مكة" (2):

"الحمد لله شكراً شكراً شكراً، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ، أيها الناس: الآن أقشعت (3) حنادس (4) الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرق أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبرغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى النزع (5). ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم العطف عليكم." (6)

1- مقام الخطبة:

ورد في كتاب " جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب " أن هذه الخطبة ألقاها داود بن علي بن عبد الله بن عباس خطيب بني العباس، وأحد مؤسسي دولتهم، [بعد أن]. وولاه أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها، ثم وولاه إمارة الحج في هذه السنة وولاه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة، ... سنة 132هـ وهو أول موسم ملكه بنو العباس وخطبهم الخطبة" (7) - محل التحليل -

فالمقام إذن مقام الفصل بين قديم وجديد، قديم كان سادته بنو أمية، وجديد صارت السيادة والخلافة فيه إلى بني العباس، فالمقام مقام طمس كل نور مما مضى وتجليه كل سيئ أسود فيه، في مقابل تبييض الحاضر

(1). السكاكي يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم، م س، ص330،331.

(2). الجاحظ، ، البيان والتبيين، م.س، ج1، ص239 .

(3). قشعت الريح السحاب: كشفته كأقشعته فأقشع وانقشع وتقشع

(4). الجنيس، بالكسر: الليل المظلم، يُقال: لَيْلٌ جُنَيْسٌ، وليلةٌ جُنَيْسَةٌ، وعبارة الصَّحاح: الليلُ الشَّدِيدُ الظُّلْمَةُ

(5). وَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى النَّزْعَةِ، أَي رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ ؛ وَأَزَادَ بِالنَّزْعَةِ جَمْعَ نَازِعٍ، وَهُوَ الَّذِي يَنْزِعُ فِي الْقَوْسِ: يَجْذِبُ وَتَرَهُ بِالسَّهْمِ.

(6). أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب م س ، ج3، ص14.

(7). أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، م س، ج2، ص159

مهما كان لونه، وتحسين وجهه كيفما كان شكله، وتلك سنة في المتنازعين على السلطات، والمتصارعين على الزعمات، دون أن نهضم حق رجالات لا تميلهم الرياح العاتيات، ولا تستعبد قلوبهم الحلى والمغريات. في هذا المقام، وعلى صميم ما يدل عليه انبنت خطبة داود. وحتى يدفع أي شبهة على توليهم الخلافة، ويقيم الحجج دعائماً لاستحقاقهم إياها، استعان بتصوير انتقال الخلافة إليهم تصويراً، يأخذ باللب، ويأسر القلب، فوجد فيه المبتغى، وملح فيه المنتهى، فقد كان التمثيل، أنجع سبيل، وانصع دليل، وأبلغ قيل، فاتكأ عليه، لا، بل لوح به، وأشهره برهاناً، أمام سامعيه وناظريه.

2- التصوير في الخطبة:

لكي يرسم داود مشهد انتقال الخلافة إلى بني العباس استعار صانعي المشهد، في كل تمثيل للخلافة -مما يأتي لاحقاً-، فجعلها إياهم، وجعلهم إياها. في صورة محسوسة تجسدية، رسمتها الاستعارة التي "... لا تستهدف الكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين كيانين، وتغيير معرفتها بالعلم وحسب، وإنما ينبغي لها استحضار المرئي، إن جميع المنظرين وكل النقاد مهما اختلفت تصوراتهم للاستعارة، مجتمعون على هذه النقطة: ينبغي للاستعارة أن تجلنا نشاهد"⁽¹⁾. ومشاهدة الأمر عياناً أقوى الأدلة على وقوعه، فيستحيل معه التردد، ويمتنع معه الإنكار.

إن الاستعارة الموظفة من الخطيب استعارة تمثيلية، طغى توظيفها على الخطبة حتى كادت أن تكون مجموع استعارات تمثيلية، بل كانت إذا استثنينا نتيجتها، وهذه الاستعارات هي: في قوله: "أقشعت"⁽²⁾ حنادس⁽³⁾ الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبرزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى النَّزْعَةِ⁽⁴⁾، "...، وعددُها سبع استعارات، تمثيلية كلها.

ولا شك أن داود قد أصاب الخيار الأمثل، والأداة الأفضل التي تبلغه هدفه، متمثلاً في نتيجة الحجاج منصوصاً عليها في قوله: ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم" لكن كيف صيغت الحجج، وإين مكنم إقناعها، وماذا عن إمتاعها؟

(1). ريتشارد، فلسفة البلاغة، م س، ص 124.

(2). قشعت الريح السحاب: كشفته كأقشعته فأقشع وانقشع وتقشع

(3). الحنْدِس، بالكسْرِ: الليلُ المظلم، يُقال: لَيْلٌ حَنْدِيسٌ، وليلةٌ حَنْدِيسَةٌ، وعبارَةُ الصِّحاح: الليلُ الشَّدِيدُ الظُّلْمَةُ

(4). وَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى النَّزْعَةِ، أَي رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ؛ وَأَرَادَ بِالنَّزْعَةِ جَمْعَ نازِعٍ، وَهُوَ الَّذِي يُنَزِعُ فِي الْقَوْسِ: يَجْذِبُ وَتَرَهُ بِالسَّهْمِ.

أما حجج داود فهي:

- 1- أقشعت حنادس الدنيا.
- 2- انكشف غطاؤها.
- 3- أشرفت أرضها وسماؤها.
- 4- طلعت الشمس من مطلعها.
- 5- بزغ القمر من ميزغه.
- 6- أخذ القوس باريها.
- 7- عاد السهم إلى النَّزعة.

3- الحجاج في الخطبة:

إن هذا النوع من الحجج ذو أثر بالغ في إحداث الإقناع، فهو يعود في حجته إلى التمثيل Analogie، الذي يعده بيرلمان موجهاً للذكاء، ومؤسساً لتوالي الاستدلالات، وعنصراً مؤثراً في عملية البرهنة والتدليل، وتبرز قيمته الحجاجية من خلال المشابهة بين البنى على أساس العلاقات؛ حيث (أ) يمثل بالنسبة إلى (ب) ما يمثله (د) بالنسبة إلى (ج) ⁽¹⁾ كما يرى: "أن الاستعارة مقوم حجاجي يسعى إلى التأثير في المتلقي وتغيير سلوكاته واعتقاداته انطلاقاً من التناسبات التجريدية، المبرمة بين الشبيه phore والموضوع thème إلى درجة لا يمكن معها معرفة أي الطرفين هو الموضوع، وأيهما هو الحامل، إلا بالاعتماد على السياق والمقام." ⁽²⁾

ويقول الجرجاني: "...، فأما القول في العلة والسبب، لم كان للتمثيل هذا التأثير؛ وبيان جهته ومآتاه، وما الذي أوجبه واقتضاه، دون غيره، وإذا بحثنا عن ذلك، وجدنا له أسباباً وعللاً، كلٌّ منها يقتضي أن يفحّم المعنى بالتمثيل، وينبئ ويشرف ويكمل، فأول ذلك وأظهره، أنّ أنس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيٍّ، وأن تردّها في الشيء تُعلّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة، يفضلُ المستفاد من جهة

⁽¹⁾ ينظر: perlman, ch, traite de l'argumentation, pp501.

⁽²⁾ لحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايفوف ومارك جونسون، م.س، ص251.

النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخبرُ كالمعاينة، ولا الظنُّ كاليقين، فلهذا يحصل بما هذا الأُنسُ أعني الأُنس من جهة الاستحكام والقوة،⁽¹⁾ وهذا تحديدا ما نجده في استعارات الخطيب داود بن علي.

والواقع أننا نجدُها من النوع الذي قال فيه الجرجاني: "...أما الضرب الثاني فإن التمثيل... يفيد أمراً آخر...، وذلك أن الوصفَ كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه، وزيادة التشبيهِ والتقرير في ذاته وأصله، فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيه، ووضع قياس من غيره يكشف عن حدّه ومبلغه في القوة والضعفِ والزيادة والنقصانِ، [وما من سبب لذلك] سوى زوال الشكِّ والرَّيب،"⁽²⁾ فقد جعل الخطيب الخلافة وهي تعود إلى أيدي بني العباس، في صورّ عدة، وحجج تنبثق من الصور فردة، تثبت، وتجلي، وتدفع الارتباب، وتقطع عن الشك الأسباب:

- فهي إشراق وطلوع فجر، بدد ظلاما دامسا، غطى الدنيا مشرقا ومغربا، وأصاب ضوءه دانيا وقاصيا.
- وهي شمس غابت عن الناس مذ غربت، وها هي ذا تطلع من مطلعها، بعد أن تاهت لا تدرك سبيلها.
- فما أجدد الخلق أن يفرحوا بالقادم الغائب، و الفقيد الآيب.
- وهي قمر افتقد في الليالي المدهمة، فلم يجد المهدي بنوره نورا، ولا الملهم بجماله مُلهما، وها هو ذا ييزغ من جديد من حيث جعله الله ييزغ، وعهده العباد يطلع، فحري بهم الابتهاج بعد عمى الليل الداج.
- وهي قوس تُنتزع من أخرق لا يحسن صقلا، ولا يدري تنقيفا، ليعطأها ذي حرفة ماهر بها. يقول الجرجاني (ت 471): " وذلك أن المعنى على وقوع الأخذ في موقعه ووجوده من أهله، فلست تُشبهه من حيث الأخذُ نفسه وجنسه، ولكن من حيث الحكمُ الحاصلُ له بوقوعه من باري القوس على القوس"⁽³⁾، ويقول العسكري (ت 395هـ): " قَوْلهم أعطَ القوسَ باريها"⁽⁴⁾ أي: استعِنَ على عمَلِك بمن يُحسنُه وهُوَ من قَوْل القائل:

(1) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، م.س، ص121-122.

(2) المرجع نفسه، ص125، 126.

(3) المرجع نفسه، ص106.

(4) قولهم أعط القوس باريها: أي رد الأمر إلى العالم به. ويقال إن أول من قال ذلك الحطيمية.

وكان في حديثه أنه دخل على سعيد بن العاص وهو يغدى الناس، فأكل أكلاً جافياً. فلما فرغ الناس من الطعام وخرجوا ثبت مكانه. فأتاه الحاجب ليخرجه فامتنع وقال: أترغب بهم عن مجالستي؟ فلما سمع سعيد ذلك قال: دعه. وتذكروا الشعراء والشعر. فقال لهم: ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر الشعراء.

يا باري القوس برياً لست تحكمه ... لا نظلم القوس أعط القوس باريها

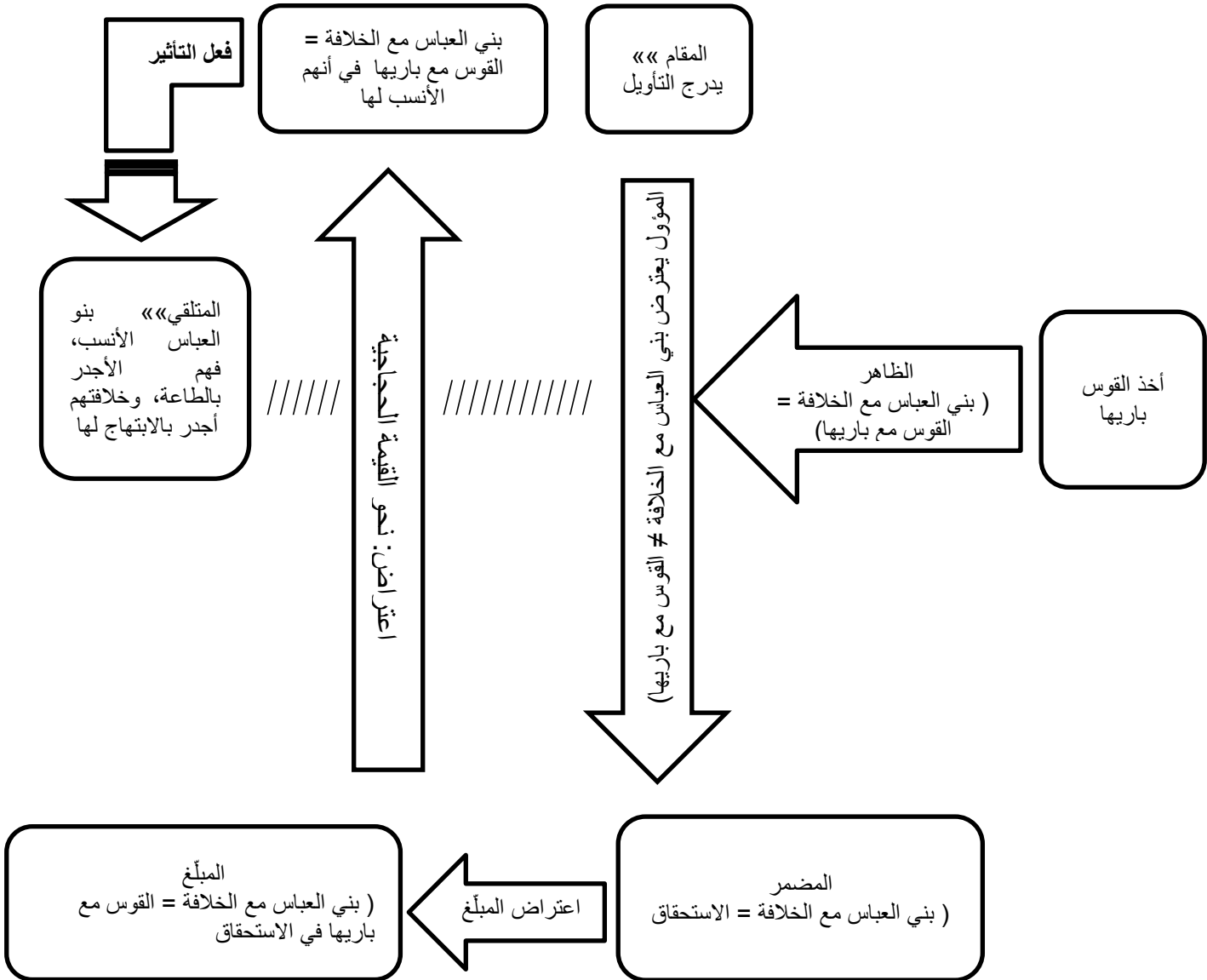
وظلمه لها إفساده إيّاها، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه⁽¹⁾، فالخلافة قد عادت إلى من يصلحها، ويحفظها، وينفع الناس بها، حينما عادت إلى بني العباس عليهم السلام. بعد أن أخذت ظلماً من بني أمية. - وإذا كانت الخلافة قوساً قد انتهت إلى صاحبها الأجدر، وصاقلها الأخير، فإنها سهم أيضاً، قد وقع أخيراً في أيدي الرماة المهرة، فلا غرض يفلت، ولا عدو يجرؤ إلا ويسقط، فبشراكم أيها المسلمون، بالخير واليمن، والمنعة والأمن.

تلك كانت حجج داود، في إقناعها وإمتاعها، بين يدي ما يريده نتيجة ومرتكزاً، لبداية خلافة تعد بخيري الدنيا والأخرة، فلولا المقام والسياق لم يعلم مستعار من مستعار منه.

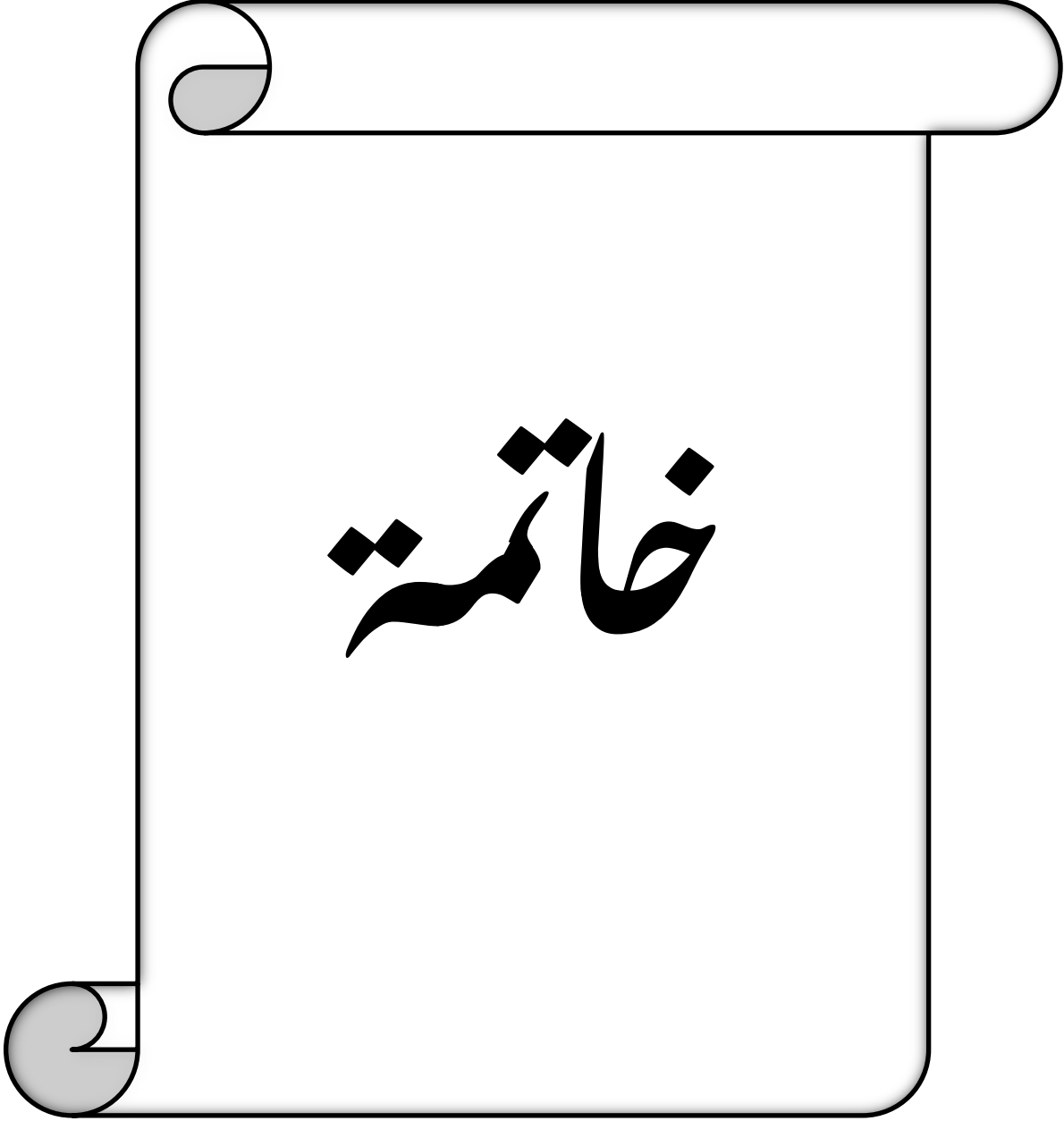
وهذه البنية الحجاجية، ذات التقنية المكررة، يمكن توضيحها تخطيطاً، وفقاً للخطاطة المقترحة لمقاربة طه عبد الرحمن، ممثلين لها ب: "أخذ القوس باريها." كما يأتي:

ولو أعطيت القوس باريها وفقتم على ما تريدون! فقال له سعيد: وهل عندك من ذلك علم؟ قال: نعم: فمن أشعر العرب؟ ثم ذكر عدداً منهم (المفضل بن سلمة، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، 1380هـ/1966م، ص305)

⁽¹⁾ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دط، دار الفكر، بيروت-لبنان، دت، ج1، ص76.



والخلاصة أن للفعل الكلامي، في التحليل الحجاجي، دورا ديناميكيا، نشطا، سواء تعلق الأمر بالفعل المباشر أو غير المباشر، وإن كان الفعل غير المباشر يأخذ أحيانا صفة الصورة البيانية، ويمارس دورا تخييليا، يزيد من كثافة طاقة الحجاج، ويسهم في تحقيق الهدف من الفعل الحجاجي، والصورة البيانية كما تكون فعلا كلاميا غير مباشر، يمكن مقارنتها بصور أعمق من جهة أنها حاصل استلزام حوارى، يحفز العقل تديلا، والذهن والشعور تخيلا، ليضع الفعل الحجاجي في أعلى مستوى من الإمتاع والإقناع.



خاتمة:

إن العرض النظري، والعمل التحليلي، الذي مس المرتكزات النظرية في هذا لبحث، وتوظيفاتها التطبيقية، قادا إلى الخلوص إلى جملة نتائج، تتعلق بالخطابة المنتج الفني، والبلاغة بوصفها آلية بناء وتحليل، والتداولية باعتبارها النظرية الحديثة التي احتضنت الفكر البلاغي ووجهته، وجهة حديثة، مدعمة بروح فلسفية تحليلية، وأهم ما يذكر من نتائج مايلي:

- الخطابة في التفكير العربي مصطلح، معلومة حدوده، ومضبوط مفهومه، تحتوي أصوله اللغوية على كل الركائز الكافية لنعته بأنه تداولي مصطلحا ومفهوما، وبنية لغوية. لذا كان مجالا ثريا لتطبيق النظرية التداولية عليه.
- تتخذ منزلة الخطابة من البلاغة موقعا يجعل الفروق بينهما دقيقة، مما جعل العلاقة بينهما تكتسب صفة الجدلية؛ من صنَع الآخر؟ البلاغة صنعت الخطابة، أم الخطابة صنعت البلاغة، وقد حسم العرب في أمر الجواب، بأن البلاغة أعم، فهي العلم الذي يحكم الخطابة بوصفها جنسا تواصليا، وفنا قوليا، ومنتجا أدبيا. بينما الغرب استعار مصطلح "Rhétorique" المرتبط تاريخيا بفن القول عندهم، ليجعله دالا على العلم الذي يبيّن ويحلل الخطابات، و يقابله عند العرب مصطلح "البلاغة" فنشأ جدل حول مقابل ريطوريقا "Rhétorique" في العربية أهو الخطابة أم البلاغة؟ والنتيجة أن "Rhétorique" باستعمالها الحديث هي "البلاغة"، وإن كانت من الناحية النشأة الأولى هي "الخطابة".
- لم تعرف البلاغة الوحدة، فقد ظلت بلاغتين، إمتاعية شعرية أدبية، هدفها الجمال صناعة وتحليلا على مستوى الخطابات، وبلاغة إقناعية، غايتها استمالة المتلقي وجعله يعتقد فكرة المخاطب، ويتحرك وفقها، بناءً على حجج منطقية وشبه منطقية، مكنها البناء اللغوي للخطاب، "اللوغوس".
- إذا كانت البلاغة بشقيها الإمتاعي والإقناعي - كما يقول ليتش - تداولية في صميمها، فإن الخطابة أبرز ما يجمع البلاغة والتداولية، بوصفها نظريتين في تحليل الخطاب.
- في البلاغة العربية ما يكفل تحليلا تداوليا للخطابات، فقد قامت على ركيزتين تخيلية تصويرية، وأخرى استدلالية منطقية، سمحت بتوظيف النظرة التداولية، ووفرت أدوات بل ومبادئ فلسفية، أعطت للتحليل مرونة وسلاسة. فضلا عن أنها بلاغة مقامية، تعطي المقام دورا بارزا في تأويل الخطاب.

- وإذا كانت الخطابة الأرسطية اليونانية سببا بوجه ما في شطر البلاغة إلى بلاغتين إمتاعية وإقناعية، فإن الخطابة العربية، على العكس ظلت مهذا لتعاضدهما، فكانت بذلك البلاغة العربية بلاغة عامة تجمع البلاغتين معا دون فصل .
 - على الرغم مما شاع عن البلاغة العربية من أنها تعلي من شأن الطابع الإمتاعى، لا سيما فيما يتعلق بالظواهر الصوتية التطريزية، فإنها لم تُطَلَق وصف البلاغة على هذه الظواهر إلا بشروط، هذه الشروط عند التحقق منها نجدها مثبتة لتداولية البلاغة العربية، تهتم بأطراف الخطاب، وتركز على أثره على المتلقي؛ فكل ظاهرة نددت عن ذلك عُدت لغوا، بل وانقلبت مشوّهة للخطاب، وهي التي يؤتى بها لتُحسِنه!
 - الخطابة العربية، وبوصفها أحد أوجه المنتج البلاغى العربى، هي خطابة إقناعية تخاطب العقل، كما هي إمتاعية تستهدف الإثارة، وليست كما ذهب العمري إلى أنها مهما أفتعت فهي عرضا تفعل، لا قصدا؛ إلا أن إقناعيتها لا تنفك متلبسة بالإمتاع، لدرجة قد يخفى على متلقيها إقناعها.
 - إمتاعية الخطابة العربية ليست من النوع التحسينى الممؤه، بل إمتاعية مقصدية وظيفية، لا تعاند إنجازية الخطاب وفاعليته، بل تعضدها، وهي تفعل ذلك حتى في أقصى ما تكون إمتاعيتها، عبر الظواهر الصوتية التطريزية.
 - تتعامل الخطابة العربية مع الظواهر الإيقاعية، من مبدأ القالب الذي تصب فيه الحجج، لتكون أقدر على دفع المتلقي للتجاوب عملا أو ترك أو اعتقاد وتعديلا؛ لسلكه أو فكره. حيث تضطلع هذه الظواهر الصوتية في الخطابة العربية بوظائف حجاجية، بوصفها عوامل، أو روابط، أو حججا قائمة بذاتها.
- فمنها ما يوجّه الحجاج نحو النتيجة المبتغاة، مثل جرس الخطاب؛ ومنها ما يقوم بوظيفة ربط وسبك الحجج في اتجاه واحد لتحقيق نتيجة الحجاج، بل و يركّز الفعل الحجاجى نحو نتيجة بعينها، عن طريق التبيير، مثل السجع؛ ومنها ما يسلك مسلكا غير مباشر، يربط في بنيته بين مقدمة وحجة، أو يكون هو أحدهما مستدعيا الآخر عن طريق بنيته الصوتية، مثل الجناس؛ ومنها ما يمثل حجاجا تاما مندجما في بنيته كالطباق. أما التكرار فأبرز ما يقوم به أنه يكتّف أثر الحجة ليثبتته ويرسخه، فهو يقوم على أن "ما تكرر تقرر".

- تقوم الوحدات المعجمية في النسيج الخطابي العربي على مبدأ الاختيار والعدول، الأسلوبيين إمتاعاً والحجاجيين إقناعاً، فورود الكلمة في بنية الخطاب لا يكون اعتباراً بل لغرض إنجازي، تسهم فيه دلالتها السابقة الأصلية عن طريق التأثيل اللغوي، أو المرافقة عن طريق دعم الإيحاء الصوتي للمعنى الدلالي، أو بوساطة الدلالة الضمنية اللاحقة، عن طريق الاقتضاء أو الاستلزام، المحدد بفعل مقام الخطاب وسياقه.
- إذا كانت البلاغة العربية وتداوليةً الحجاج لا يلتقيان على مستوى " ما قيل " من خلال الظواهر الصوتية التطريزية، أو الدلالة المعجمية، إلا بوجه من التوجيه، والتدليل، فإنهما على مستوى الصور البيانية لا يحتاجان إلى ذلك؛ إذ تولت التداولية دراسة الصور في اثنين من أهم مباحثها: أفعال الكلام، والاستلزام التخاطبي.
- بين البلاغة العربية و نظرية أفعال الكلام، والاستلزام التخاطبي تجاوب كبير. يسمح بفعالية تحليلية، ناجعة للكشف عن إقناعية الخطابة العربية، القائمة بوضوح على توظيف مبدأ "توصيل أكثر مما قيل" المستند إلى تفعيل الجانب المضمر في الفعل الكلامي غير المباشر، والاستلزام التخاطبي؛ حتى إنها خطاب غير مباشر، أكثر منه مباشر، وهو أحد أسباب نسبة الخطابة العربية إلى الإمتاعية، لكنها إمتاعية تكتنز فعلاً حجاجياً، بصيغة استدلالية، تقوم على مبدأ اللازمية، أي الانتقال من لازم إلى لازم، على الطريقة المنطقية.
- وهو المبدأ الاستدلالي ذاته الذي يقوم عليه الاستلزام التخاطبي تحديداً، للوصول إلى مقصد المتكلم.
- تتحقق حجاجية الصور البيانية وفقاً للمبدأ المذكور، ولكن على تفاوت في تطبيقه بين الصور؛ أما المجاز فتكمن حجاجيته، في تشغيله مبدأ الأضمن من خلال عمل تبعيري يستهدف إبراز مزية ما، تتحدد في العلاقة المجازية، بحيث يكون المتجاوز إليه، أضمن حجاجاً من المتجاوز، أو بالتعبير البلاغي، المعنى المجازي أكثر حجية من المعنى الحقيقي. أما في الكناية فإن المعنى البعيد المتوارى وراء العبارة، عن طريق الإشارة، يمثّل الحجة والدليل، عن طريق سلسلة الاستلزمات المنطلقة من المعنى القريب المكافئ لدلالة العبارة وصولاً إلى الغاية من الفعل الكنائي.
- أما في الاستعارة فالأمر أوسع شيئاً ما، بسبب قيام الاستعارة على علاقة المشابهة، التي تضيف مكوناً ثالثاً تمر عبره سلسلة الاستدلالات، فمن المشبه إلى المشبه به إلى لازم المشابهة، وهو ما

يجعلها أكثر تخيلاً، وأقنع تدليلاً. لا سيما في الاستعارة التمثيلية، حيث يكون ادعاء المطابقة بين المشبه والمشبه به.

● مقارنة الحجاج من منظور كونه فعلاً لغوياً مركباً من متواليات أفعال لغوية بسيطة، يمنح تحليل الخطابات تداولياً أفقاً أرحباً، فالفعل اللغوي بقسميه المباشر وغير المباشر يمكنه استيعاب المباحث البلاغية، المندرجة تحت قسمي المعاني والبيان، لا سيما المعاني، التي تستحق بحثاً مستقلاً نقترح أن يكون تحت عنوان:

- علم المعاني من الوحدات الأسلوبية إلى البنية الحجاجية.

وفي الختام نأمل أن يكون هذا العمل المتواضع أحد اللبانات في صرح البحث العلمي المهتم بتداوليات الخطاب، ونظرية الحجاج في شكلها الأوسع الجامع بين الممتع والمقنع، والحجة والصورة، والحجاج والتخييل. والمقام والتأويل.

والله نسأل التوفيق و النجاح.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

• أولاً: المراجع باللغة العربية:

- (1) ابتسام أحمد حمدان ، الأسس الجمالية للإيقاع في العصر العباسي، مراجعة وتدقيق أحمد عبد الله فرهود ط 1، دار القلم العربي، حلب-سوريا، 1997.
- (2) إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الاجتماعي ودوره في التفاعل الاجتماعي، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- (3) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.
- (4) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950.
- (5) إبراهيم اليازجي ، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، دط، مطبعة المعارف، مصر، 1905.
- (6) ابن أبي الأصبغ العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، د ط، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دت.
- (7) ابن أبي الحديد (عبد الحميد أبو حامد)، الفلك الدائر على المثل السائر، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة-مصر، دت.
- (8) ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق: مصطفى جواد، د ط، مطبعة المجمع العلمي، 1966.
- (9) أحمد أحمد فشل ، علم البديع، دط، دار المعارف، 1996.
- (10) أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، دط، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، دت
- (11) أحمد شوقي، أسواق الذهب. د ط، مطبعة الهلال، مصر، 1932.

- (12) أحمد المتوكل ، "الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة،ضمن: التداوليات-علم استعمال اللغة-، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيل علوي،ط2،عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2014.
- (13) أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُجَد الخامس، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، 1993.
- (14) أحمد مُجَد الحوي، فن الخطابة، دط، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، مصر، 2002.
- (15) أحمد مختار عبد الحميد عمر ، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 2008.
- (16) أحمد الهاشمي، جواهر الآداب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ط 27، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1969.
- (17) إدريس جبيري: سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة. ضمن البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: مُجَد مشبال، ط1، دار الأمان-الرباط، ومنشورات الاختلاف-الجزائر، ومنشورات ضفاف، 2014.
- (18) الأزهري (مُجَد بن أحمد أبو منصور الهروي) ، تهذيب اللغة، تحقيق: مُجَد عوض مرعب، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 2001.
- (19) اسماعيل بن عباد (الصاحب)، المحيط في اللغة، تحقيق: مُجَد بن حسن آل ياسين، ط 1، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1994.
- (20) الألوسي محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح: مُجَد بهجت الأثري، ط2، دت.
- (21) أمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي-دراسة تداولية-، ط1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2016.
- (22) إميل بديع يعقوب وميشال عاصي ، المعجم المفصل في اللغة والأدب- نحو- صرف - بلاغة - عروض - إملاء - فقه اللغة - أدب- نقد - فكر أدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1987.

- (23) أمين الخولي، فن القول، تقديم: صلاح فضل، د ط، مطبعة دا الكتب المصرية، القاهرة، 1996.
- (24) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ط1- شركة النشر والتوزيع - المدارس - الدار البيضاء- المغرب، 2011.
- (25) البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1997.
- (26) أبو البقاء الكفوي ، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1998.
- (27) أبو بكر الأنباري، (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1992.
- (28) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب 2006م.
- (29) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973
- (30) التهانوي محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، ترجمة: جورج زيناني، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، 1996.
- (31) التوحيد أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424 هـ/2003م.
- (32) ثروت عكاشة ، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، إنجليزي-فرنسي-عربي، د ط، مكتبة لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، 1990.
- (33) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1992.
- (34) الجاحظ ، الرسائل الأدبية، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1423 هـ/2002م.
- (35) الجاحظ(عمرو بن بحر أبو عثمان)، الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424 هـ/2003م.

- (36) الجاحظ، ، البيان والتبيين، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، 2002.
- (37) جاد مُجَّد عبد السميع وآخرون، محاضرات في علم الخطابة النظرية والعملية، د ط، مطبعة الفجر الجديد، دت.
- (38) الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود مُجَّد شاكر، د ط، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د ت.
- (39) الجرجاني (علي بن مُجَّد بن علي، الزين الشريف) التعريفات، تحقيق: مُجَّد باسل عيون السود، إشراف: الناشر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2002.
- (40) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة الغربية، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
- (41) جعفر آل ياسين، فلاسفة يونانيون-العصر الأول-، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، 1971.
- (42) جميل الحمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014.
- (43) جميل عبد الحميد ، البلاغة والاتصال، د ط، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2000.
- (44) ابن جنّي(أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت.
- (45) جواد ختام ، التداولية: أصولها واتجاهاتها، ط1، دار كنوز الم رفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2016.
- (46) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقى، 2001.
- (47) الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1987.

- (48) حاتم عبيد، الباتوس: من الخطابة إلى تحليل الخطاب- من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف-، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.
- (49) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق وتقديم: مُحمَّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- (50) ابن حبان البستي مُحمَّد ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: مُحمَّد محي الدين عبد الحميد، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.
- (51) ابن حجة الحموي، (تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله ، خزنة الأدب وغاية الأرب)، شرح: عصام عشيتو، ط1 ، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1987.
- (52) ابن حزم (أبو مُحمَّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: إحسان عباس ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، 1987.
- (53) حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نمو تصور نسقي في البلاغة والخطاب، ط1، دار كنوز المعرفة، 2014.
- (54) حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
- (55) حمادي صمود ، "أ تكون البلاغة في الجوهر حجاجا"، ضمن: من تجليات الخطاب البلاغي.
- (56) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس- مشروع قراءة-، السلسلة السادسة: الفلسفة والأدب، عدد21، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، منشورات الجامعة التونسية، 1981.
- (57) حمّادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، مجلد XXXIX، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، دت.

- (58) خليل أبو جهجه، ط1، الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد، دار الفكر اللبنانية، بيروت، 1995.
- (59) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، د ط، دار ومكتبة الهلال، د ت.
- (60) درويش أحمد، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، د ط، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- (61) ابن دريد (أبو بكر مُجَّد بن الحسن الأزدي)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1987.
- (62) دوقلة المنبجي، القصيدة اليتيمة، برواية القاضي علي بن المحسن التنوخي، تقديم: صلاح الدين المنجد، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، 1983.
- (63) رابع بن خوية ، التشكيل الإيقاعي وعلاقته بالدلالة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2017.
- (64) الراغب الأصفهاني، (أبو القاسم الحسين بن مُجَّد)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1999.
- (65) ابن رشد القرطبي (مُجَّد بن أحمد)، تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: مُجَّد سليم سالم، إشراف: مُجَّد توفيق عويصة، المقالة 140ب، دط، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967.
- (66) رشيد الراضي، "الفسطاط في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي"، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2010.
- (67) ابن رشيح القيرواني، (الحسن أبو علي)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: مُجَّد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1981.
- (68) الزمخشري جار الله (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)، أساس البلاغة، تحقيق: مُجَّد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.

- (69) سالمة الراجحي، " المجاز المرسل في القرآن الكريم " ضمن: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: أحمد قادم وسعيد العوادي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، 2016.
- (70) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ط 01، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، إربد -الأردن، 2008.
- (71) سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري -من التحسين إلى التكوين-، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2014.
- (72) السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبط وتهميش وتعليق: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1987،
- (73) سمير أبو حمدان ، الإبلاغية في البلاغة العربية، ط1، منشورات عويدات الدولية، بيروت، باريس، 1991.
- (74) ابن سنان الخفاجي (أبو مُجَدِّد عبد الله بن مُجَدِّد بن سعيد) ، سر الفصاحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1982.
- (75) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى)، المحكم و المحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، 2000.
- (76) ابن سينا(حسين بن عبد الله)، كتاب الشفاء (المنطق)، ، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق مُجَدِّد سليم سالم، ط2، نشر وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1954.
- (77) السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.
- (78) السيوطي جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، تحقيق: مُجَدِّد إبراهيم عبادة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، 2004.
- (79) شفيق السيد النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، ط 1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

- (80) شفيح السيد، أساليب البديع في البلاغة العربية، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2006،
- (81) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي -العصر الاسلامي-، ط20، دار المعارف، 2002.
- (82) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، دت.
- (83) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1425هـ/2003م.
- (84) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، ط1، دار الكتاب العربي، 1999.
- (85) صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، دط، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية-مصر، دت.
- (86) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط3، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1968.
- (87) الصعيدي عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط 17، مكتبة الآداب، مصر، 2005.
- (88) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الشروق، القاهرة-مصر 1998.
- (89) طه عبد الرحمن ، "التواصل والحجاج"، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن زهر، أكادير، المملكة المغربية، دط، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط-المغرب، دت.
- (90) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 2000.
- (91) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998.
- (92) الطوسي نصير الدين، تجريد المنطق، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1988.

- (93) ظافر عبيس الجياشي، الانسجام الصوتي في خطب نوح البلاغة، ط1، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015.
- (94) عادل نذير بيبري الحساني، الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع-الأردن، ودار مؤسسة دار الصادق الثقافية-العراق، 2012.
- (95) عبد الجليل عبده شلي، الخطابة وإعداد الخطيب، ط2، دار القلم، الكويت، 1982.
- (96) عبد الجليل العشراوي - الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، 2012.
- (97) عبد الجليل هنوش، "ابن طباطبا العلوي والتصور التداولي للشعر"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 21، الرسالة 168، مجلس النشر العلمي-جامعة الكويت، 2000، 2001.
- (98) عبد الجواد مُجَّد طبق ، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، ط1، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1993.
- (99) عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، دط، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية-مصر، 2016.
- (100) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1404 هـ/1981م.
- (101) عبد الرحيم كنون ، من جماليات الإيقاع في الشعر العربي، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، دت
- (102) عبد الرزاق بنور ، جدل حول الخطابة والحجاج، دط، الدار العربية للكتاب، 2008،
- (103) عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، ط1، دار دجلة، عمان-الأردن، 2011.
- (104) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير - مقارنة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج - ، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
- (105) عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب ، دت.

- 106) عبد العالي قادا ، بلاغة الإقناع-دراسة نظرية وتطبيقية-، ط 1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2016.
- 107) عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ط 01، منشورا ضفاف وآخرون، بيروت - لبنان، 2013.
- 108) عبد الله حسن المسلمي، أفلاطون - محاوره منكسينوس أو عن الخطابة- ، ط1، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1972.
- 109) عبد الله صولة - البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010 .
- 110) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات-، ط 1، مسكيلباني للنشر، تونس، 2011.
- 111) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط 02، دار الفارابي، 2007.
- 112) عبد الله العلابي، مقدمة لدرس لغة العرب، المطبعة العصرية، مصر، د ت.
- 113) عبد الله الكدالي ، تداولية المقام: بحث في الشروط المقامية في التراث النقدي والبلاغي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2017.
- 114) عبد الله مُجَّد فتحي، و عبد المتعال علاء، دراسات في الفلسفة اليونانية، دط، دار الحضارة للطباعة و النشر- طنطا، دت.
- 115) عبد المجيد زواقط ، "التحليل البلاغي الغربي بين اتجاهين مذهبيين، نصي وصفي وقاعدي معياري"، ضمن: البلاغة والدراسات البلاغية مفهومات بلاغية، أعمال المؤتمر الدولي الرابع للنقد الأدبي، تحرير عبد الهادي علاء، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010.
- 116) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، ط2، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015.

- (117) عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقارنة تداولية، ط1، نادي أبها الأدبي، السعودية، مع الانتشار العربي، بيروت- لبنان، 2013.
- (118) عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، ط 3، 1974.
- (119) العلوي يحيى بن حمزة (المؤيد بالله)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2002.
- (120) علي الجندي، فن الجناس: أدب- بلاغة- نقد، د ط، دار الفكر العربي، مصر، دت.
- (121) علي الشبعان، "الحجاج في الخطاب، الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي الحجاج في الخطاب"، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته. الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.
- (122) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 1940.
- (123) علي علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دط- دار إحياء الكتب العربية، دت.
- (124) علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، دط، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1996.
- (125) علي محمد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج-رسائله نموذجاً-، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، 2010.
- (126) علي محمود حجي الصراف، في البراهماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، 2010.
- (127) عمارة محمود محمد محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ط 1، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، المنصورة-مصر، 1997.
- (128) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم من الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.

- (129) العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان ومنشورات الاختلاف، 2011.
- (130) عيد بلبع ، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية: السياق وتوجيه دلالة النص، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، سلسلة سياقات، رقم 1، ط1، دار الكتب المصرية، 2008.
- (131) ابن فارس(أحمد بن زكرياء أبو الحسين القزويني الرازي)، مجمل اللغة، تحقيق ودراسة: زهير عبد المحسن سلطان، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1986.
- (132) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُجَّد هارون، دط، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1979.
- (133) أبو فراس الحمداني، الديوان، إعداد: مُجَّد بن شريفة، دط، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، 2000.
- (134) الفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر مُجَّد بن يعقوب) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: مُجَّد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2005.
- (135) ابن قتيبة (أبو مُجَّد عبد الله بن مسلم الدينوري)، عيون الأخبار، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1997.
- (136) القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دت.
- (137) القنوجي (أبو الطيب مُجَّد صديق خان البخاري)، أبجد العلوم، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2002.
- (138) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1998.
- (139) كمال الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ط1، عالم الكتاب الحديث، إربد-الأردن، 2016.

- (140) لحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايفوف ومار جونسون، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015،
- (141) لويس شيخو، علم الأدب- في علم الخطابة-، ط3، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926.
- (142) ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د ط، دار الحرية للطباعة، بغداد-العراق، 1980.
- (143) المنتبي، الديوان، ط3، دار صادر، بيروت - لبنان، 2003.
- (144) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
- (145) مجموعة من المؤلفين، تاريخ الأدب الأوروبية، ترجمة صياح الجهيم، دط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012.
- (146) مجموعة من المؤلفين: البلاغة و الخطاب، إعداد وتنسيق مُجد مشبال، ط 1، دار الأمان- الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف-بيروت، 2014.
- (147) محفوظ علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، د ط، دار الاعتصام، د ت.
- (148) مُجد أبو زهرة، الخطابة أصولها. تاريخها في أزهي عصورها عند العرب، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، د ت.
- (149) مُجد سالم ولد مُجد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت-لبنان، 2008.
- (150) مُجد السيد أحمد الدسوقي، إنتاج المكتوب صوتا-دراسة في إبداع الصوت في النص الأدبي، ط1، دار العلم والإيمان للنشر و التوزيع، د ت.
- (151) مُجد صادق درويش ، إعجاز القرآن الكريم-دراسة موضوعية لإعجاز القرآن الكريم، في أسلوبه ومضمونه وبيانه ومعانيه في ضوء الأصالة والمعاصرة-، ط 1، دار الإصلاح ، دمشق-سوريا، 2009.

- (152) مُجَّد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- (153) مُجَّد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط 1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2005.
- (154) مُجَّد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي-مدخل لغوي أسلوبى-، ط1، دار المعارف، 1988.
- (155) مُجَّد العبد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن: التداوليات- علم استعمال اللغة-، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيل علوي، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2014.
- (156) مُجَّد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، ضمن: ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، ج4 (الحجاج والمراس)، ط 01، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.
- (157) مُجَّد عبد المطلب، البلاغة العربية -قراءة أخرى-، ط1، الشركة المصرية العلمية للنشر- لونجمان، القاهرة-مصر، 1997.
- (158) مُجَّد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، : التكوين البديعي، ط1، دار المعارف، مصر، 1993.
- (159) مُجَّد عديل عبد العزيز علي، التداولية وتحليل الخطاب الحجاجي: قراءات تحليلية في أسس الحجاج وبناء الاستدلال، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2016.
- (160) مُجَّد علوان سلمان ، الإيقاع في شعر الحداثة - دراسة تطبيقية على دواوين: فاروق شوشة- إبراهيم أبو سنة-حسن طلب-رفعت سلام-، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر، 2008.
- (161) مُجَّد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو والمدارس المتأخرة، ط3، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية-مصر، 1972.
- (162) مُجَّد علي القارصي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف

- حمادي صمود، سلسلة آداب، مجلد XXXIX، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، دت.
- (163) مُجَّد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2012.
- (164) مُجَّد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب"، ضمن: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: مُجَّد مشبال، ط1، دار الأمان-الرباط، ومنشورات الاختلاف-الجزائر، ومنشورات ضفاف، 2014.
- (165) مُجَّد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2002.
- (166) مُجَّد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية-نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2001.
- (167) مُجَّد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط6، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
- (168) مُجَّد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.
- (169) مُجَّد مشبال، "بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب"، ضمن: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: مُجَّد مشبال، ط1، دار الأمان-الرباط، ومنشورات الاختلاف-الجزائر، ومنشورات ضفاف، 2014.
- (170) مُجَّد مشبال، البلاغة والأدب: من صور اللغة إلى صور الخطاب، ط1، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، 2010.
- (171) مُجَّد مشبال، في بلاغة الحجاج- نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ط1، دار المعرفة، عمان- الأردن، 2017.
- (172) مُجَّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص-، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، 1992.

- (173) مُجَّد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي: دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2010.
- (174) مُجَّد الولي، "تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدرز"، ضمن: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: مُجَّد مشبال، ط1، دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، 2014.
- (175) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د ط، دار المعرفة الجامعية، 2002.
- (176) محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة-دراسة في الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة-مصر، 2005.
- (177) مختار نويوات، البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة بين البلاغتين الفرنسية والعربية، دط، دار هومة، الجزائر 2013.
- (178) مدحت الجيار، علم النص دراسة جمالية نقدية، ط1، 2005.
- (179) مراد عبد الرحمن مبروك، جماليات الهندسة الصوتية الإيقاعية في النص الشعري بين الثبات والتغيير، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2010.
- (180) مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية، مقارنة جمالية، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2015.
- (181) مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2018.
- (182) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- (183) مصطفى بن مُجَّد سليم الغلاييني، د ط، رجال المعلقات العشر، المطبعة العصرية، بيروت-لبنان، 1998.
- (184) ابن المعتز (أبو العباس عبد الله)، البديع في البديع، ط1، دار الجيل، 1990.

- (185) ابن المعتز، الديوان، دط، دار صادر، بيروت - لبنان، دت.
- (186) المفضل بن سلمة، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: مُجَّد علي النجار، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، 1380هـ/1966م
- (187) منذر عياشي ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 2002.
- (188) أبو منصور الجواليقي (موهوب بن أحمد بن مُجَّد بن الخضر بن الحسن)، شرح أدب الكاتب، تقديم: مصطفى صادق الرافعي، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، د ت.
- (189) ابن منظور (مُجَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي)، لسان العرب، ط 3، دار صادر، بيروت-لبنان، 1993.
- (190) منير سلطان ، البديع تأصيل وتجديد، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986.
- (191) مي يوسف خليف، تطور الأداء الخطابي بين عصر صدر الإسلام وبني أمية، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
- (192) نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، 1999.
- (193) النيسابوري (أبو الفضل أحمد بن مُجَّد بن إبراهيم الميداني)، مجمع الأمثال، تحقيق: مُجَّد محي الدين عبد الحميد، دط، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د ت.
- (194) نيقولا فياض، الخطابة، دط، دار هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2014.
- (195) هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط 2، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2011.
- (196) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، مجلد XXXIX، كلية الآداب منوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، د ت.
- (197) هلال حامد عبد الغفار ، علم اللغة بين القديم والحديث، ط2، مطبعة الجبلاوي البوقاية-شبرا، 1986.

- (198) أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، دط، دار الفكر، بيروت-لبنان، دت.
- (199) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، د ط، عالم الكتب، بيروت-لبنان، د ت
- (200) أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي مُجَّد البجاوي ، دط، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1997.
- (201) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: مُجَّد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د ت.
- (202) الوأواء دمشقي (أبي الفرج مُجَّد بن أحمد الغساني)، الديوان تحقيق: سامي الدهان ، ط 2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1414 هـ /1993م
- (203) وداد نوفل ، علم البيان، ط1، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية-مصر، 2015.
- (204) الوطواط(أبو إسحق برهان الدين مُجَّد)، غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة، تحقيق، وتعليق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2008.
- (205) ابن وكيع الضبي (الحسن بن علي) ، المنصف للسارق والمسروق منه، تحقيق وتقديم: عمر خليفة بن ادريس ط1، جامعة قات يونس، بنغازي، 1994.
- (206) ابن وهب الكاتب (أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان)، البرهان في وجوه البيان، د.ط، مكتبة الشباب - مطبعة الرسالة، القاهرة-مصر، 1389 هـ - 1969.
- (207) ياسر مُجَّد نديم صاري ، الخطابة بين الشرق والغرب، سلسلة دراسات أدبية رقم 23، ط1، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2015.
- (208) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014.

ثانيا: المراجع المترجمة:

- (209) أرسطو طاليس ، الخطابة، مقالة 1354أ، ترجمة عبد القادر قنيني، د ط، أفريقيا الشرق، دار البيضاء-المغرب، 2008.

- (210) أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، دط، وكالة المطبوعات، الكويت، و: دار القلم، بيروت-لبنان، 2009.
- (211) أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: ابراهيم حمادة، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت.
- (212) أركيوني كاترين كيبررات، المضمرة، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: جوزيف شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، 2008.
- (213) ارنست بيتر، علم اللغة البراجماتي: الأسس، التطبيقات، المشكلات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة-مصر، 2013.
- (214) أفلاطون، في السفسطائيين والتربية- محاورة "بروتاجوراس"-، ترجمة وتقديم: عزت قرني، د ط، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة-مصر، 2001.
- (215) أفلاطون، محاورة فايدروس، أو عن الجمال، ترجمة: أميرة حلمي مطر، دط، دار غريب الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- (216) أفلاطون، محاورة جورجياس، ترجمة عن الفرنسية: مُجَّد حسن ظاظا، مراجعة: علي سامي النشار، دط، الهيئة المصرية العامة للتأليف، دت.
- (217) أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، مج1، ط2، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 2001
- (218) أوستن جون لانجشو، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2008.
- (219) أوليفي رويول ، "هل يمكن أن يكون حجاج غير بلاغي"، ترجمة: مُجَّد العمري، ملحق ب: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.
- (220) أوليفي رويول ، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبية، مراجعة حسان الباهي، ط1، أفريقيا الشرق، دار البيضاء-المغرب، 2017.
- (221) إيفور أرمسترونغ ريتشاردز ، فلسفة البلاغة، ترجمة سيد الغانمي و ناصر حلاوي، دط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2002.

- (222) باتريك شارودو ودومنيك منغنو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر لمهيري وحمّادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، د ط، دار سناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، 2008.
- (223) بول ريكور ، الاستعارة الحية ، ترجمة: مُحمّد الولي ،مراجعة وتقديم جورج زيناقي، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2016.
- (224) توماس جيني، المعنى في لغة الحوار: مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، ترجمة: نازك إبراهيم عبد الفتاح، ط1، دار الزهراء، الرياض - م.ع. السعودية، 2010.
- (225) جورج يول ، التداولية، ترجمة: قصي العتايي، ط1، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، 2010.
- (226) جوزيف فندريس ، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، و مُحمّد القصاص، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950.
- (227) جون إي جوزيف وآخرون- أعلام الفكر اللغوي- التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير- تعريب أحمد شاكر الكلابي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2004.
- (228) جيل ديكلاك ، التداولية والحجاج، ضمن: لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، الحباشة صابر، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا، 2010.
- (229) رولان بارت ، "الأدب وبلاغة"، ضمن: اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1993.
- (230) رولان بارت ، البلاغة القديمة، ترجمة و تقديم: الشرقاوي عبد الكريم، مقدمة الترجمة، د ط، دار الفنك(مطبعة النجاح الجديدة)، المغرب، 1994.
- (231) ستيس ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984.
- (232) سي دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد ناصف الجنابي وآخرون، دط، دار الرشيد للنشر، بغداد-العراق، 1982.

- (233) فان دايك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، دط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2013.
- (234) فرانز فان إيمران وروب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج- المقاربة الذريعية الجدلية-، ترجمة عبد المجيد جحفة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2016.
- (235) فرانسوا مورو البلاغة - المدخل لدراسة الصور البيانية- ، ترجمة: مُجّد الولي وعائشة جبر، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2003.
- (236) فرونسوا ريكاناتي ، المعنى الحرفي، ترجمة، أحمد كروم، مراجعة: عز العرب لحكيم بناني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2018.
- (237) فليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة مُجّد صالح ناجي الغامدي، ط01، مركز النشر العلمي، جدة-المملكة العربية السعودية، 2011.
- (238) فيليب بروتون ، الحجاج في التواصل، ترجمة: مُجّد مشبال وعبد الواح التهامي العلمي، ط1، الهيئة العامة المصرية للكتاب والمركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2013.
- (239) كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة: المهيري عبد القادر، مراجعة عبد الله صولة، دط، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2009.
- (240) كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2010.
- (241) هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة مُجّد العمري، ط1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 1999.
- (242) والترج أونغ ، الشفاهية والكتابية، ترجمة: حسن البنا عز الدين، مراجعة: مُجّد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، رقم 182، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، فبراير 1994.
- (243) ياكوبسون رومان ، ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1994.

ثالثا: الدوريات:

- (244) أحمد مُجَّد وسين، "الأدبية والشعرية والبلاغة"، مجلة البيان الكويتية، العدد 390، الكويت يناير 2003.
- (245) آلان لومبرور، "اختزالات البلاغتين الجديتين"، ترجمة مُجَّد البقالي، مراجعة مُجَّد مشبال، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 10، المغرب، شتاء 2017.
- (246) أوليفي روبول، "طبيعة البلاغة ووظيفتها"، ترجمة: الغروس الميار، مجلة نوافذ، العدد 16، 1 يونيو 2001.
- (247) بلقاسم دفة، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم-دراسة دلالية-، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 5، جامعة بسكرة، جوان 2009.
- (248) توفيق العلوي، "الرمزية الصوتية الحد والتجاوز"، حوليات الجامعة التونسية، العدد 49، 1 يناير 2005.
- (249) الحبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 30، الكويت، يوليو-سبتمبر 2001.
- (250) رشيد الراضي، "الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو"، علم الفكر، عدد 1، مج 34، الكويت، يوليو-سبتمبر 2005.
- (251) سمير ستيتية، "روافد البلاغة، بحث في أصول التفكير البلاغي"، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد 6، سبتمبر 2001.
- (252) عباس حشاني، "مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته"، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة-الجزائر، العدد 09، 2013.
- (253) عبد الباسط عيد، "مستويات الحجاج في النص الشعري: قراءة في دلالية عمر بن أبي ربيعة"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مج 34، عدد 135، 2016.
- (254) علي عبد الله، "جماليات الإيقاع في الفن الإسلامي"، البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد 16، العدد 1، الأردن، 2013.
- (255) قحطان صالح الفلاح، "الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول" مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 106، دمشق-سوريا، 1 أبريل 2007.

- (256) كيبيدي فاركا، "البلاغة وإنتاج النص"، ترجمة: مُجَّد الولي، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 10، المغرب، شتاء 2017.
- (257) مجاهد عبد الكريم، "العلاقة بين الصوت والمدلول"، الأقاليم، العدد 7-8، 1 يوليو 1982.
- (258) مُجَّد رضا مبارك، "نظرية التلقي والأسلوبية منهاج التقابل الدلالي والصوتي"، عالم الفكر، العدد 1، الكويت، 1 يوليو 2004.
- (259) مُجَّد سالم ولد مُجَّد الأمين الطلبة، " مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، عالم الفكر، العدد 1، الكويت، 1 يوليو 2004.
- (260) مُجَّد مشبال، "عن مفهوم البلاغية، دراسة في العلاقة الإشكالية بين البلاغة والأدب"، مجلة ثقافات. العدد 19، 20 يناير 2007.
- (261) مُجَّد الولي، " الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديدين، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 10، المغرب، شتاء 2017.
- (262) مُجَّد الولي، "مدخل إلى الحجاج، أفلاطون و أرسطو وتشايم برلمان"، مجلة الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، لعدد 2، المجلد 40، الكويت، أكتوبر- ديسمبر 2001.
- (263) مُجَّد الولي، في الخطابة الباطوسية، مجلة علامات، العدد 26.
- (264) مصطفى الغراي، "البلاغة بوصفها تفكير"، مجلة الخطاب، العدد 14، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو-الجزائر، جوان 2013.
- (265) معن مشتاق عباس، "أساسيات الفكر الصوتي عند البلاغيين-قراءة في وظيفة التداخل المعرفي"، الرسالة 250، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السابعة والعشرون، جامعة بغداد-العراق، 2006.
- (266) ميشال لوغرين، "الاستعارة والحجاج"، ترجمة د. الطاهر وعزيز، ضمن مجلة المناظرة، الطبعة الثانية، العدد 4 مايو 1991.

(267) هدى الصحناوي، " الإيقاع الداخلي في القصيدة المعاصرة: بنية التكرار عند البياتي نموذجاً"، مجلة دمشق، المجلد 30، العدد 2+1، 2014.

(268) يسري عبد الغني عبد الله، " إدراك الجمال بين أهل الفكر وعلماء البلاغة " مجلة جذور- العدد 19 مارس 2005.

(269) يوسف أمغرنا، الدكتور أبو بكر العزاوي أو الصورة المغايرة للحجاج اللغوي العربي، حوار مع أبي بكر العزاوي، طنجة الأدبية العدد 56، ، جويلية-أوت 2015.

رابعاً: الرسائل الأكاديمية:

(270) ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، أطروحة دكتوراه، إشراف السعيد بن براهيم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2009-2010، (416 ورقة).

(271) بشار إبراهيم، الأبعاد النصية والتداولية في التراث البلاغي العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: مُجّد خان، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة مُجّد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015-2016. (407 ورقة)

(272) خالد بوزياني ، الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين و الأسلوبيين، أطروحة دكتوراه، إشراف: مُجّد العيد رتيمة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر(يوسف بن خدة)، 2006، (414 ورقة) .

(273) خالد كاظم حميدي الحميداوي ، أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية، إشراف: مشكور كاظم العوادي، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، 2011، (254 ورقة)

(274) ناصر بن دخيل الله بن فالح السعيد ، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي-دراسة وصفية-، أطروحة دكتوراه، إشراف: مُجّد إبراهيم شادي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1425هـ/1426هـ)، (386 ورقة).

(275) مهدي عناد أحمد قبها، التحليل الصوتي للنصّ- بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا-، رسالة ماجستير، إشراف: محمّد جواد النوري، كليّة الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين، 2011، (173 ورقة).

خامسا: المواقع الالكترونية:

(276) مصطفى الغرافي، "دراسة في تحولات المفهوم"، 28 فيفري 2014، <https://www.diwanalarab.com/spip.php?article39053>

(277) مجّد الولي ، "من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات"، مجلة الجابري العدد الثامن. http://www.aljabriabed.net/fikrwanakd/n08_12wali.htm

سادسا: المراجع الأجنبية:

- 278) Amossy, Ruth, L'argumentation dans le discours, Ed. Armand Colin ,Paris, 2012
- 279) G.Molinie, Dictionnaire de rhétorique, Paris : Librairie générale française , DL 1997.
- 280) Grand Larousse de la langue française Librairie Larousse 1975 Paris – France –
- 281) Mseddi (A) : Dictionnaire de linguistique, Ed. Maisan Arabe du livre 1984.
- 282) Perelman Chaim et Lucie- olbrechtsTytica, Traité del'argumentation -La nouvelle rhétorique, préface de Michel Meuer- 5 ed. Editions de l'université de bruxelles 1992

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
67-11	الفصل الأول: الخطابة من خلفية التاريخ إلى بنية المفهوم وتحديد العلائق.
12	1- الخطابة التاريخ و التطور.
12	1-1 الخطابة في الثقافات غير العربية.
12	1-1 الخطابة عند اليونان:
14	1-1-1 الخطابة عند السفسطائيين.
17	1-1-2 الخطابة عند أفلاطون
24	1-1-3 الخطابة عند أرسطو.
33	2-1 الخطابة عند العرب:
33	1-2-1 مرتبة العرب في الخطابة.
33	2-2-1 الخطابة في العصر الجاهلي.
38	3-2-1 الخطابة في العصر الإسلامي.
40	4-2-1 الخطابة في العصر الأموي.
42	5-2-1 الخطابة في العصر العباسي.
45	2- البنية المفهومية للخطابة، جذور تداولية الخطابة في التعريفين اللغوي و الاصطلاحي.
45	1-2 تعريف الخطابة لغة.
51	2-2 تعريف الخطابة اصطلاحا.
59	3- الخطابة في حقلها الدلالي.
59	1-3 العلاقة بين الخطابة والبلاغة.
65	2-3 علاقة الخطابة بالحجاج وبالجدل.
148-68	الفصل الثاني: ثنائية (إمتاع، إقناع) من التفكير البلاغي إلى التحليل التداولي
69	1- ثنائية (إمتاع، إقناع) ضمن التفكير البلاغي - الحدود والتطور-
72	1-1 بلاغة الإمتاع (البلاغة الأدبية).
74	2-1 بلاغة الإقناع (البلاغة الحجاجية).
78	3-1 البلاغة بوصفها ملتقى الإمتاع والإقناع.

84	4-1 نقد القائلين بالفصل بين الشعرية والخطابية أو بين الإمتاع والإقناع.
87	5-1 البلاغة العامة من خلال مقولا بلاغيي الغرب.
90	6-1 الإمتاع والإقناع في البلاغة العربية.
92	7- 1 تعاضد الامتاع والإقناع.
93	2- عناصر و آليات التحليل التداولي.
94	1-2-1 ثنائية (التأويل/المقام).
94	1-1-2 التأويل من الدلالة إلى التداولية.
97	2-1-2 المقام و السياق.
101	2-2 ثنائية (الحجاج/الحجة).
101	1-2-2 الحجاج.
102	2-2-2 الحجة.
102	1-2-2-2 الحجة لغة.
103	2-2-2-2 الحجة اصطلاحا.
105	3-2-2 علاقة مفهوم الحجاج بمحمله الدلالي.
105	1-3-2-2 الحجاج وعلاقته بثالوث البرهان، الاستدلال، والإقناع.
109	3-2 ثنائية (التخييل/ الصورة).
109	1-3-2 التخييل.
109	1-1-3-2 مفهوم الخيال.
110	2-3-2 مفهوم الصورة.
114	1-2-3-2 حجاجية الصورة.
116	3- تداولية التصوير الإيقاعي: من الإيحاء الدلالي إلى الأثر التداولي.
118	1-3 دلالة الصوت، وأثرها عند العرب.
120	2-3 عند الغرب المحدثين.
123	3-3 التأثير الصوتي من الجمالية الدلالية إلى الإقناعية التداولية.
129	4-3 التصوير اللفظي من ثلاثية (فصاحة، بديع، بيان) إلى ثنائية (إيقاع محاكاة).
129	1-4-3 مفهوم الإيقاع.

133	2-4-3 أقسام الإيقاع.
135	2-4-3 الأثر التداولي للإيقاع.
138	3-4-3 المحاكاة.
140	3-4-3 الفرق بين المحاكاة والإيقاع.
141	4-4-3 علاقة ثنائية (الإيقاع، محاكاة) بالبديع.
142	5-4-3 آلية عمل ثنائية (المحاكاة، الإيقاع).
145	4- مستويات التحليل التداولي.
239-149	الفصل الثالث: حجاجية "ما قيل" من التطريز إلى التحفيز.
150	1- حجاجية التصوير اللفظي الخارجي.
150	1-1 حجاجية التصوير الإيقاعي.
150	1-1-1 حجاجية التصوير الإيقاعي المرسل.
168	2-1-1 حجاجية التصوير الإيقاعي الموزون (السجع).
168	1-2-1-1 مفهوم السجع.
170	2-2-1-1 قيمة السجع، في بنية الخطاب.
171	3-2-1-1 البعد التداولي في شروط السجع الوظيفي (المحمود).
174	4-2-1-1 أنواع السجع.
178	5-2-1-1 الأثر الإقناعي التداولي للسجع.
189	2-1 حجاجية التصوير الصوتي.
189	1-2-1 حجاجية الجناس.
189	1-1-2-1 مفهوم الجناس.
190	2-1-2-1 أنواع الجناس، من سرد القسمة إلى بيان البنية.
192	3-1-2-1 حجاجية الجناس.
204	2-2-1 حجاجية الطباق.
214	3-2-1 حجاجية التكرار.
219	2- حجاجية التصوير اللفظي الداخلي، أو التصوير المعجمي.
219	1-2 مفهوم الكلمة، من الوحدة المعجمية إلى الأداة التداولية.
223	2-2 دلالات الكلمة وأدوارها الحجاجية.

223	1-2-2 دلالة الأصالة أو التأثيل اللغوي Etymologie، وأبعادها الحجاجية.
231	2-2-2 دلالة الإحالة الصوتية (الدلالة المرافقة).
236	3-2-2 حجاجية الدلالة اللاحقة أو المقتضى المعجمي (Présumé :lexical)
316-240	الفصل الرابع: حجاجية"ما لم يقل" من التدليل إلى التخيل.
241	1- حجاجية أفعال الكلام.
241	1-1 نظرية الأفعال الكلامية من الفلسفة الوضعية إلى أوستن Austin .
243	2-1 نظرية الأفعال الكلامية مع جون سيرل J.Searl.
244	1-2-1 تصنيف سيرل للأفعال اللغوية.
251	2-2-1 حجاجية أفعال الكلام من الجمل إلى متوالياتها.
253	1-2-2-1 شروط الحجاج بوصفه فعل لغوي مركب.
269	2- حجاجية الاستلزام الحواري من خلال الصور البيانية.
270	1-2 علاقة الاستلزام الحواري بالصور البيانية.
276	2-2 حجاجية الصور البيانية باعتبارها استلزاما حواريا.
276	1-2-2 حجاجية الكناية، حجة العبارة في حسن الإشارة .
280	2-1-2-2 استراتيجية الكناية الإمتاعية والإقناعية
285	2-2-2 حجاجية المجاز المرسل؛ القصدي الحجاجية في العلاقة المجازية
287	3-2-2-2 المقاربة الحجاجية للمجاز.
295	3-2-2 حجاجية الاستعارة؛ حينما يكون التخيل حجاجا.
295	1-3-2-2 مفهوم الاستعارة من اللغوي إلى التداولي.
299	2-3-2-2 المقاربات الحجاجية للاستعارة.
318	خاتمة.
323	قائمة المصادر والمراجع.
349	فهرس الموضوعات.

ملخص:

لا تشترك الخطابة مع الخطاب في الجذر اللغوي وحسب، بل تلتقي معه في أكثر من نقطة، وعلى أكثر من مستوى من مستويات الدراسة اللسانية والتداولية، وإذا كانت التداولية قد جعلت من الخطاب مادة دراستها، وموضوع بحثها؛ ليس في بنيتها الستاتيكية، بل في وظيفته التواصلية التفاعلية، فإن اهتمامها بالخطابة ليس تلقائيا، بقدر ما هو ضروري؛ لما تملكه الخطابة من مادة غنية لا تستغني عنها الدراسة التداولية.

ولعل طبيعة الخطابة الإقناعية أكثر ما يغري بالتحليل التداولي، لكن هذا البحث لا يذهب مباشرة إلى الإقناع الحجاجي العقلي، بل يتطلع إلى استكشاف الشق الثاني من العمل الإبداعي في الخطابة، إنه الإمتاع، وبالطبع ليس في إمتاعه الفنية، وإنما في تكفله بالوظيفة الحجاجية الإقناعية؛ حيث يتوجه البحث نحو تجاوز إقناعية الخطابة إلى إنجازيتها، كاشفا كيف يتحول الإمتاع إلى رافد للإقناع، سالكا المسالك التداولية تحديدا من قبيل أفعال الكلام والاستلزام التخاطبي مدمجا في ذلك بين الصورة والحجة، والحجاج والتخييل، مرتكزا على توظيف المقام والتأويل.

وتبعا لذلك كان الخوض في توجيه التصويرين الصوتي، والبياني توجيهها تداوليا يخدم مقصدية الخطاب، ويسهم في تحقيق أهدافه، ويعزز التفاعل بين المتخاطبين من أجل كفاءة إنجازية أنجح، تتحول عبرها عناصر الخطاب الصوتية والمعجمية المكونة لـ "ما قيل"، ومجموعة تأويلاته الضمنية الناتجة عن "ما لم يقل" إلى فعل وعمل متطابق مع مقام الخطاب ومحققا نجاح التواصل بين المخاطب والمخاطب.

Résumé :

La racine linguistique n'est pas le seul point commun entre la rhétorique (khatāba) et le discours (khitāb) ; elle en ont plusieurs autres et à plus d'un niveau. Bien que la pragmatique fait du discours son sujet d'étude et sa discipline de recherche – non seulement dans sa structure statique mais aussi dans sa fonction communicationnelle et interactive – l'attention qu'elle porte à la rhétorique n'est pas tant automatique qu'elle n'est nécessaire, et ce, du fait de la richesse de sa matière dont la pragmatique ne peut se passer.

Il se peut que le caractère persuasif de la rhétorique soit ce qui incite le plus à l'analyse pragmatique, or, cette recherche ne vise pas directement la persuasion argumentative rationnelle mais aspire à explorer le deuxième aspect de la production créative qui est le plaisir apporté au lecteur, non pas dans son volet artistique mais dans sa considération de la fonction argumentative et persuasive. En ce sens, cette recherche tend à dépasser le caractère persuasif de la rhétorique pour aller vers sa faisabilité par la conciliation du plaisir et de la persuasion en démontrant comment le contentement devient un soutien à la persuasion avec comme intermédiaire précis la pragmatique (tels que les actes de la langue et l'implication linguistique) par le fait de fusionner forme, argument, imagination et argumentation en se référant au contexte et à l'interprétation.

Par conséquent, entreprendre de donner un sens pragmatique à l'étude créative favorise la finalité du discours et consolide l'interaction de ses acteurs en vue d'une meilleure force illocutoire dans laquelle les éléments phonétiques et lexicaux du discours – qui constituent le « dit » et l'ensemble de ses interprétations implicites issues du « non-dit » – deviennent un acte et une action correspondant au contexte du discours et réussissant ainsi la communication entre le locuteur et l'allocutaire.